

القبض على القاتل  
أمرٌ خطيرٌ..  
ماذا لو كان يعيش في  
المنزل المجاور!

مكتبة ٨١٣

# قبل أن تلقاه

BEFORE SHE  
KNEW HIM

بيتر سوانسون

مؤلف رواية  
فئة تستحق القتل

ترجمة: نورهان البدوي

كالارد قال ..

شبيك لبيك

مكتبة | 813  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

# قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهُ

BEFORE SHE  
KNEW HIM





للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● المترجمة: نورهان البدوي

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: يونيو/ 2021م

● رقم الإيداع: 21833/ 2020م

● الترقيم الدولي: 8-135-992-977-978

● العنوان الأصلي: Before she knew him

● العنوان العربي: قبل أن تلقاه

● طبع بواسطة: HarperCollins

● طبع بواسطة: هاربر كولينز

● حقوق النشر: بيتر سوانسون 2019

copyrights: Peter Swanson 2019

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

مكتبة

t.me/t\_pdf

٢٠٢٢ ٣١

813 | مكتبة  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

القبض على القاتل  
أمرٌ خطيرٌ..  
ماذا لو كان يعيش في  
المنزل المجاور!

# قبل أن تلقاه

BEFORE SHE  
KNEW HIM

بيتر سوانسون

مؤلف رواية  
فئة تستحق القتل

ترجمة: نورهان البدوي



إلى الأجيال الثلاث من عائلة جاليرانيس  
(لكن خِصِّصِي إلى ميجان).

مكتبة  
[t.me/t\\_pdf](https://t.me/t_pdf)



**قبل أن تلقاه**





**الجزء الأول**

**الشاهدة**



# 1 مكتبة

t.me/t\_pdf

في السبت الثالث من سبتمبر.. تقابل الزوجان في حفل أُقيم لأهالي الضاحية.

لم ترغب «هين» في الذهاب، ولكن «للويد» أقنعها قائلاً:

- إنها قريبة، فقط في نهاية الشارع. وإذا لم يعجبك الأمر، يمكنك العودة إلى المنزل.

فأجابته:

- هذا بالضبط ما لا يمكنني فعله؛ يجب أن أبقى لساعة واحدة على الأقل وإلا سيلاحظ الجميع ذلك.

- لن يلاحظوا.

- بلى! سيلاحظون ذلك، ولا يمكنني رؤية جيراني الجدد ثم أعود أدراجي مرة أخرى.

- لن أذهب ما دمت لن تذهبي.

- حسناً!

قالتها حتى توهمه بالموافقة، فهي تعرف جيداً أنه سيذهب وحيداً إذا اضطر إلى ذلك.

ظل للويد صامتًا لوهلة، واقفًا أمام المكتبة الصغيرة في غرفة المعيشة يرتب الكتب، وكانا قد تقربا من عائلة واحدة في منطقة (ويست دارتفورد) في بداية يوليو في أثناء إحدى أسوأ موجات الحر التي حدثت في تاريخ (ماساتشوستس)، وبعد نحو شهرين، تَلَطَّفَ الجو وبدأت هين تشعر بأنها في منزلها حقًا. كان الأثاث في موضعه المناسب في جميع الغرف وقد عُلِّقت اللوحات على الحائط، وبدأ موسم خروج قطهم، فينجر من فصيلة ماين كوين، في المناسبات من القبو الذي بات يخبئ فيه.

- ماذا لو طلبتُ منك الحضور كمعروفٍ لي؟

كان إسداء المعروف هو الرسالة المشفرة بينهما، مناورة يستخدمها للويد عادة عندما لا تكون هين بخير.. في الماضي كانت تلك هي الطريقة التي يساعدها بها على النهوض من الفراش في الصباح أحيانًا.

- لا تفعلني ذلك من أجلك، بل افعلينه من أجلي. إنه معروف تُسدينه إليّ.

في بعض المناسبات كانت تبغض تلك الكلمات والطريقة التي يستغلها بها للويد، ولكنها أيضًا تتفهم أنه يحتفظ بها للأوقات التي يعتقد فيها أن الأمر مهمٌ، مهمٌ بالنسبة ل كليهما.

وعندما قالت «حسنًا! سأحضر» التفت للويد عن رف الكتب مبتسمًا لنجاحه، وأعرب لها عن أسفه مقدمًا إذا وجدت الحفلة سيئة.

كان ذلك في أحد أيام السبت التي تعصف فيها الرياح على الرغم من شمسها الساطعة، تهب الرياح بين حين وآخر فتُحدث شقوقًا في غطاء المائدة اللين الذي تثبته أطباقٌ من سلطة الباستا والمقرمشات والكثير من الحمص والخبز العربي. كانت دارتفورد ضاحية ثرية تفصل بين

المدينة وضواحي أخرى، وتبعد خمسًا وأربعين دقيقة عن بوسطن، ولكن شرق دارتفورد -الذي قد انفصل عن بقية المدينة الصغيرة بمجرى نهر سستويت- يتميز بالمنازل الصغيرة التي تقترب من بعضها بعضًا، وقد بُنيت كل المنازل من أجل العمال الذين كانوا يعملون في الطاحونة التي توقفت منذ وقتٍ طويل، وتحولت مؤخرًا إلى مراسم للفنانين. كانت الطاحونة المتحولة واحدة من الأسباب التي شجعت هين وللويد على اختيار ذلك المكان تحديدًا، فيمكن لهين أن تحظى بمرسمها الخاص الذي يبعد مسافة قصيرة تقطعها سيرًا على الأقدام من المنزل، ويمكن أن يستقل للويد قطار الركاب إلى بوسطن من أجل عمله. سيتطلب الأمر منهما سيارة واحدة فقط، وكان إيجار المنزل أقل مما كانا يدفعان في كامبردج، حيث يقطنان في الريف بعيدًا عن الضوضاء وكل شيء.

لكن الوجود في حفلة أهالي الضاحية التي تمتلئ بأزواج من الشباب الذين جاؤوا برفقة أطفالهم، لم يترك شعورًا مختلفًا عن ذلك الشعور في الضاحية القديمة. وهناك تلك المرأة التي تُدعى كلير موراي -التي سلمت دعوة الحفل المُقام لأهالي الضاحية يدًا بيد- جاءت لتُقدم هين وللويد إلى الجميع. واشتعلت المحادثات بين الجميع على أساس نوع الجنس، ووجدت هين نفسها تشرح وتُوضح على الأقل لثلاث مرات أن اسمها هو اختصار لاسم «هينريتا»، وأنها كانت رسامة تعمل بدوام كامل ثلاث مرات أخرى، وأخبرت امرأتين أنها بالفعل ليس لديها أي أطفال بعد. إلا أن سيدة واحدة فقط صهباة الشعر يعلو وجهها نمش داكن وترتدي قميصًا يحمل أحد شعارات ما قبل المدرسة، كانت قد سألت هين إذا كانت تخطط لإنجاب طفل، فجَمَلت هين إجابتها بالكذب وأرجأت الأمر للمستقبل، فأجابتها «سنرى ذلك».

وبعد أن تناولا شيئاً من سلطة الباستا اللذيذة ونصف شطيرة جافة من برجر الجبن، شعر كلٌّ من هين وللويد بالارتياح عندما وجدا أنفسهما معاً مرة أخرى، ويتحدثان مع هذين الزوجين اللذين يبدو أنهما الزوجان الوحيدان الآخراَن بلا أطفال في الحفلة، إنهما ماثيو وميرا دولامور، والذي اتضح أنهما يعيشان في دتش كولونياَل بجوارهم مباشرة.

تساءل للويد:

- أعتقد أنهما قد بُنيا في نفس التوقيت، ألا تعتقدون ذلك؟

- جميع المنازل في ذلك الشارع كذلك.

أجابه ماثيو بذلك وهو يحك ما بين شفته السفلى وذقنه. وعندما حرك إصبعه بعيداً، لاحظت هين الندبة التي ترتسم على ذقنه تماماً مثل هاريسون فورد<sup>(1)</sup>. واعتقدت هين أن ماثيو رجل وسيم، ليس بوسامة هاريسون فورد بالطبع، ولكنه حسن المظهر بطريقة تجعل من جميع ملامحه (الشعر البني الكثيف والعينين الزرقاوين الشاحبتين والفك المربع) ملامح رجلٍ حسن المظهر، ومع ذلك عندما تجمعت مع بعضها بعضاً أعطت شيئاً آخر أقل وسامة من كل منها على حدة. بدت وقفته مصطنعة وكان يرتدي قميصاً محصوراً في بنطالٍ غير أنيق من الجينز مرفوع الخصر. لقد ذكَّرها بتمثال عرض الأزياء، بمنكبيه العريضين ويديه الكبيرتين بارزة المفاصل. ولاحقاً عندما تناولوا العشاء معاً، أقرت هين بداخلها أنه أحد هؤلاء الرجال المسالمين المرحين، ذاك النوع من الأشخاص الذي ستكون سعيداً لرؤيته لكنك لن تُفكر فيه إذا لم يكن بالجوار. وبعد مدة طويلة أدركت كيف يكون الانطباع الأول خاطئاً.

(1) هاريسون فورد: ممثل ومنجج أمريكي، اكتسب شهرة عالمية بعد أدائه دور هان سولو في سلسلة ستار وورز، وكذلك لدوره في سلسلة أفلام إنديانا جونز. (المترجم).

ولكن بعد ظهر السبت المشرق ذاك، كانت هين سعيدة لأن للويد عاد إلى جانبها مرة أخرى يتحدثان معًا ولم تعد مضطرة إلى أن تتدبر أمرها بنفسها.

تحركت ميرا -التي تبلغ نصف قامة زوجها الطويل- إلى جانب هين، فقالت:

- أنتِ أيضًا ليس لديكِ أطفال.

كانت عبارتها أشبه بالإقرار منها بالسؤال، وأدركت هين أن جيرانها الجدد كانوا بلا شك قد استقصوا أمرهم عندما انتقلوا إلى هنا في يوليو الماضي. وقد كان غريبًا أنهم لم يحضروا إلينا ويقدموا أنفسهم.

- لا، ليس لدي أطفال.

- أعتقد أننا الزوجان الوحيدان في ذلك الشارع اللذان ليس لديهما أطفال.

وضحكت بقلق شديد. وأقرت هين بداخلها أن ميرا كانت النقيض الآخر لمظهر زوجها، وأن ملامحها التي تتسم بالأنف الكبير نسبيًا والشعر القصير والأرداف العريضة -إذا أُضيفت إلى بعضها بعضًا ستكون أكثر جاذبية من زوجها.

- ماذا تعمل!؟

قالت هين مستفهمة، إلا أنها انزعجت على الفور من نفسها لاعتمادها على هذا السؤال تحديدًا باستمرار.

تحدث الأربعة معًا لمدة عشرين دقيقة أخرى أو أكثر، أشار كلٌ منهم إلى عمله، فقد كان ماثيو مُدرّسًا للتاريخ في مدرسة ثانوية خاصة على بُعد ثلاث مدنٍ من هنا، وكانت ميرا مندوبة مبيعات تعمل لحساب شركة برامج تشغيل تعليمية، والذي يعني (وكررت ذلك عدة مرات)

أنها تقضي وقتًا في السفر أطول من الوقت الذي تقضيه في منزلها. وأضافت: «عليكم أن تراقبوا ماثيو عن قرب، وأخبروني علام يستيقظ عندما لا أكون في المنزل». ختمت جملتها بتلك الضحكة المتوترة مرة أخرى. كان من المفترض أن تبغضها هين الآن، إلا أنها بشكل ما لم تفعل، ربما جعلتها تلك الحركة تلين معها، ولكن ربما كان ذلك بفعل الأدوية التي تتناولها على الأرجح. وهبت الرياح مرة أخرى.. أصبحت أشد برودةً من ذي قبل، وعندما خرجت إلى الشارع، كانت الريح تُحدث حفيفًا بالأشجار الخضراء، فأحكمت هين سترتها الصوفية حول جسدها وارتعشت.

## مكتبة

t.me/t\_pdf

سألها ماثيو:

- هل تشعرين بالبرد؟

أجابته هين:

- دائمًا! أعتقد أنني ربما سأعود إلى المنزل...

فابتسم لها للويد وقال:

- سأتي معك.

ثم التفت إلى ماثيو وميرا، فقال:

- صدق أو لا تصدق، إننا لم ننته من تفريغ حقائبنا بعد.. سررتُ برؤيتكما.

- سررتُ برؤيتك أيضًا يا للويد، وأنتِ أيضًا يا هين. بالمناسبة، هل اسمك اختصار لـ.....

- هينريتا.. نعم، ولكن لم يناديني أحدٌ قط بهذا الاسم، إلا في شهادة ميلادي بالطبع، إنه دائمًا هين.



- ربما علينا أن نلتقي مجددًا، وقد أقوم ببعض الطبخ إذا لم يكن الوقت متأخرًا.

كانت ميرا هي من اقترحت ذلك، وقد وافق الجميع في ردودٍ مغممة جعلت هين تقرر أن ذلك لن يحدث أبدًا.

ولكن بعد أسبوع، تفاجأت هين عندما رأت ميرا تخرج من باب منزلها الأمامي، بينما كانت هين عائدة من مرسمها إلى المنزل، فحيّتها ميرا:

- هين، مرحبًا!

وكعادتها بعد قضاء فترة ما بعد الظهر في العمل، كانت هين تشعر بالارتباك والضيق، فأجابتها:

- مرحبًا ميري.

وقد أدركت على الفور أنها قد نطقت بالاسم خطأ، إلا أن جارتها لم تُصحح لها.

- لقد كنت أنوي زيارتكِ هذا المساء ولكني رأيتك قادمة من الشارع. كنت أتساءل هل تستطيعون القدوم لتناول العشاء هذه العطلة؟ أجابتها هين «اممم..» متصنعة التفكير.

فأردفت ميرا:

- الجمعة أو السبت، كلاهما مناسب، والأحد أيضًا مناسبٌ لنا كثيرًا. كانت هين تعرف أنها لن تخرج من هذا المأزق، وبخاصة أنها الآن قد عرضت عليها ثلاث ليالٍ مناسبة. ولم تكن هي وللويد مرتبطين بأي خطط وبخاصة تلك العطلة، وبالتالي فقد اختارت ليلة السبت وسألتها ماذا يمكنهما أن يُحضرا عند القدوم.

- لا شيء أبدًا، فقط احضرا، حسنًا! ولكن هل هناك نوع معين لا تأكلانه؟

- كلا، إننا نأكل كل شيء.

أجابتها هين متجاهلة أن تخبرها رُهاب اللويد من أي لحوم تكون متصلة بأي عظام.

واتفقا أن يكون العشاء في الساعة السابعة مساء السبت، وأخبرت هين للويد عندما عاد إلى المنزل تلك الليلة.

- حسنًا! أصدقاء جدد، هل أنتِ مستعدة لذلك؟

أجابته هين ضاحكة:

- ليس تمامًا، ولكن سيكون الأمر ممتعًا إذا تناولنا وجبة طُهيت من أجلنا خصيصي. سنكون أشخاصًا مملين ولن يدعونا مرة أخرى أبدًا.

وصل هين وللويد في الساعة تمامًا، وأحضرا معهما زجاجة من النبيذ الأحمر وأخرى من النبيذ الأبيض. ارتدت هين فستانها الأخضر المُخطط وجوارب ضيقة تحته. أما للويد فبالكاد اغتسل وارتدى بنطالًا من الجينز وقميصًا من بون إفير، والذي يرتديه عادة عندما يذهب للجري. وقادهم الزوجان إلى غرفة المعيشة، التي كان تصميمها مطابقًا تمامًا لتصميم منزلهما، وجلسوا جميعًا حول طاولة قهوة دائرية صغيرة، تصطف عليها مشهيات كافية لمجموعة محدودة. جلس كلٌّ من هين وللويد على أريكة رملية اللون من الجلد، بينما جلس ماثيو وميرا على كرسيين متطابقين. كانت الغرفة بيضاء ونظيفة، نظيفة بشكل لا يُصدّق. وعلى الحائط كانت هناك لوحات رائعة، ولكن هين اعتقدت أنها قد رأتهم من قبل في محلات كريت أند باريل.

دارت محادثة بسيطة لخمس عشرة دقيقة، ثم لاحظت هين أن أحدًا لم يعرض عليهما شرابًا، هل يحظر تناول المشروبات في هذا المنزل؟ في الواقع، هين لم تكن تمنع، إلا أنها كانت تفكر في اللويد. لكن عندما سألتها ميرا إن كانت ستشارك في فعالية الاستوديو المفتوح القادم، وقف ماثيو وسأل:

- هل ترغبون في تناول أي شيء؟

فسأل اللويد بحماس زائد قليلًا:

- ما الخيارات المتاحة؟

- جعة ونبيذ.

- إذا سأختار الجعة.

قال اللويد، بينما اختارت هين وميرا كأسًا من النبيذ الأبيض.

ترك ماثيو الغرفة، بينما عادت ميرا تسأل مجددًا حول فعالية الاستوديو المفتوح.

- لا أدري.

أجابت هين، ثم أضافت:

- لقد انتهيت من تجهيز مرسمي بالأمس فقط، وسيبدو الأمر غريبًا أن ألتقي بكل هذا الجمع من الناس فجأة.

قال اللويد:

- عليك المشاركة.

أضافت ميرا:

- أجل، عليك المشاركة.

سألت هين ميرا:

- هل سبق وذهبتِ إلى فعالية الاستوديو المفتوح من قبل؟

- أجل، ذهبت على مدار الأعوام التي قضيتها هنا، وأحياناً يذهب ماثيو أيضاً. أرى أن الأمر ممتع، عليكِ المشاركة حقاً، فقد تبيعين شيئاً! لقد اقتنيت المطبوعتين هاتين من إحدى الفعاليات.

أشارت ميرا إلى مطبوعتين ذاتي إطار معلقتين على الحائط، شعرت هين بالسوء لاعتقادها أن المطبوعتين قد تم اقتناؤهما من متجر الأثاث. وبعد قليل عاد ماثيو وبحوزته المشروبات، ولاحظت هين أنه أحضر لنفسه علبة من شراب الزنجبيل الغازي.

قالت ميرا:

- حدثينا عن أعمالك الفنية.

لم يكن الحديث حول مهنتها من الأمور المحببة لهين، لكنها حاولت قدر الإمكان. كما أن للويد -منقذها دائماً- تدخل وتولى زمام الأمور.

منذ تخرجها في الجامعة عملت هين كمصممة مطبوعات. في البداية كانت تصمم مطبوعاتها على القوالب الخشبية، ثم بدأت باستخدام ألواح النحاس والزنك. ولعدة سنوات أنتجت أعمالاً من خيالها الخاص: لوحات مشوهة وأخرى سريرية مرفقة غالباً بتعليق. صنعت تلك اللوحات لتبدو كأنها أخذت من الكتب، غالباً كتب الأطفال المخيفة التي لم توجد سوى في مخيلتها. وطوال فترة العشرينيات من عمرها حظت بنجاح معقول، واختيرت للظهور في عدة عروض جماعية، وعُرض ملفها الشخصي في مجلة الفنون «نيو إنجلاند»، ومع ذلك كانت دوماً في حاجة إلى تحسين دخلها بالعمل في متاجر اللوازم الفنية، وأحياناً كانت تعمل كصانعة إطارات لدى رسام شهير ببوسطن في ساوث إيند. لكن كل هذا تغير عندما تواصل معها مؤلف كتب للأطفال، أراد منها أن ترسم لوحات أول

كتاب متعدد الفصول ضمن سلسلة كتب خيالية مقترحة. وافقت على العرض، وأبلى الكتاب بلاءً حسنًا، مكنّها ذلك من التواصل مع عميل آخر، فصارت تعمل رسامة لكتب الأطفال بدوام كامل، ومن حين لآخر، كانت ترسم لوحات فنية حقيقية. لم يزعجها الأمر، بل كانت تشعر بسعادة خفية في تلك الأيام، وبخاصة عندما يخبرها أحدهم عن أفكارٍ لأعمالٍ جديدة. يتألف مزيج أدويتها حاليًا من مثبت للحالة المزاجية ومضاد للاكتئاب وشيء آخر يعزز من تأثير مضاد الاكتئاب، واستطاع ذلك المزيج تهدئة اضطرابات «ثنائي القطب» المصابة بها هين، دون الوصول إلى ذروته البشعة لمدة عامين، مع ذلك شعرت هين أن المزيج جردها من نزعاتها الإبداعية. إلا أنها ما زالت قادرة على رسم اللوحات - وما زالت تحب عملها- لكن نادرًا ما تجول بخاطرها فكرة حقيقية هذه الأيام. لم تخبر ميرا أو ماثيو بأيّ من هذا. كانت ميرا مهتمة كليًا بكتب الخيال منذ أن سمعت بهم، وكانت تعد بشراء الكتب الأولى من السلسلة. أما ماثيو فقد سألها عدة أسئلة حول تطورها الفني، وكان يميل نحوها ويستمع إلى إجاباتها بتأنٍ.

انتقلوا لاحقًا إلى غرفة الطعام، حيث كانت أطباق الطعام الساخن موضوعة على بوفيه: بطاطا مهروسة، وأفخاذ الدجاج المغموسة في صوص أصفر ناصع، وسلطة خضراء.

قالت هين:

- كان أجدادي يقدمون الطعام بهذه الطريقة، على البوفيه.

سألت ميرا:

- من أين كانوا؟

أوضحت هين أن أباهما بريطاني الأصل وأمها أمريكية، وأنهما تنقلوا عدة مرات في أثناء طفولتها بين باث في بريطانيا وألباني في نيويورك. قالت ميرا:

- لاحظت أن لديك لكنة.

- حقًا؟ لم أكن أعتقد ذلك.

- ليست واضحة جدًّا.

- هل أنتِ من...؟

- أنا من كاليفورنيا، لكن والديّ كانا من شمال إنجلترا، هما في الأصل من باكستان، لكنهما كانا يتصرفان كمواطنين بريطانيين، جميع وجباتنا، بما فيها وجبة الفطور، كانت تحضر على بوفيه في غرفة الطعام.

قالت هين:

- يعجبني هذا.

كان الحديث حول مائدة الطعام جيدًا، لكنه لم يمس أي موضوع حيوي. كانت المحادثة صاخبة بالحديث حول مهتهم المرموقة، والضاحية، وسوق العقارات الذي أصبح باهظ الثمن بشكل غير معقول. وكلما تكلم ماثيو كان يطرح المزيد من الأسئلة، الموجهة عادة لهين. لاحظت هين بعد حفلة الضاحية أنه واسع الأفق بشكل كبير. أملًا في أن تعود المناقشة حول الرياضة، سأل للويد ماثيو إن قام بالتدريب في مركز ساسيكس، أجاب ماثيو بأنه لم يفعل:

- تنس الريشة هي اللعبة الوحيدة التي أجدت ممارستها.

أما هين التي قضت ثلاثة أشهر كارثية فور تخرجها في الجامعة تحاول تدريس صفوف تحضيرية في الفن، طرحت على ماثيو سؤالًا

حول ما إن كان قد شعر بأن التدريس مرهق نفسيًا من قبل. أجابها بأنه خلال العامين الأولين كان الأمر صعبًا:

- لكنني أحب التدريس الآن وأحب التلاميذ، يروقني معرفة بعض التفاصيل عن حياتهم، وأن أرى تطورهم من طلاب جدد في السنوات الأولى إلى طلاب على وشك التخرج في سنواتهم الأخيرة. لاحظت هين أن للويد يحاول كبح التثاؤب بينما يشغل نفسه باحتساء بضع كؤوس من الكحول.

بعد تناول الحلوى، بودينج الأرز الدافئ مع الزبيب والحبهان، قالت هين إن عليهم العودة إلى المنزل حيث سيذهبان في الصباح إلى منزل والدي للويد. هذا صحيح، لكنهما لن يذهبا إلا في وقت متأخر من الصباح، هذا إن ذهبا صباحًا.

وقف الزوجان أمام الممر، وعبرت هين مجددًا عن إعجابها بالطريقة التي زينوا بها المنزل.

قالت ميرا:

- كان من المفترض أن نأخذكم في جولة، كان يجب أن نفعل هذا باكراً.

للمفاجأة، وافق للويد، وأخذتهم ميرا في جولة في المطبخ المعاد تجديده، وألقوا نظرة حول الشرفة التي أضافوها لمؤخرة المنزل، ثم ذهبت بهم إلى مكتب ماثيو بالأسفل. كانت الغرفة مختلفة تمامًا عن بقية غرف المنزل، شعرت هين أنها دخلت إلى منزل مختلف كليًا، حتى إن الزمان بدا مختلفًا. الجدران مغطاة بورق حائط باللون الأخضر الداكن مع قليل من الأشكال المخططة، وفرشت الأرضية بسجاد فارسي مستهلك، وشغل الحيز الأكبر من الغرفة بخزانة هائلة ذات واجهة

زجاجية مليئة بالكتب والصور المبروزة. كان هناك مكتب صغير في غرفة المكتب، وكُرسي جلد مبطن، وأريكة وحيدة مكسوة بقماش مزلع. لا يوجد أي شيء في الغرفة يوحي ولو قليلاً بأنه حديث. كل المساحات المتاحة شُغِلت بالتحف أو الصور المبروزة، جميعها بالأبيض والأسود. وكانت هين تنجذب دومًا لكل ما هو صغير وقديم، ولذلك لم تستطع منع نفسها من قول «يا إلهي!» بمجرد أن خطت خطوتين داخل الغرفة.

قالت ميرا:

- هذا كله يخص ماثيو.

استدارت هين للخلف وابتسمت عندما لاحظت أن ماثيو، الذي كان يغسل الأطباق خلال جولتهم في المنزل، يقف عند الباب قلقًا. شعرت هين بالغرابة، كأنهم يطلعون على شيء أكثر خصوصية من مجرد غرفة مكتب. فعقبت هين:

- لقد أحببتُ الغرفة، هناك الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام.

قال ماثيو:

- أنا من هواة تجميع النوادر، لكن ميرا... ماذا يُدعى عكس جامع النوادر؟ رامي النوادر، الذي يتخلص منها.

كانت هناك مدفأة، سأل للويد إن كانت تعمل، بينما فحصت هين الأشياء على رف المدخنة. كانت تشكيلة غريبة؛ ثعبان نحاسي صغير، وشمعدانات خشبية، وصورة مصغرة لكلب، وفي المنتصف وُضعت كأس على شكل مُبارز في وضعية منتصف الدفاع، فوق قاعدة التمثال الفضية. وللحظة مخيفة شعرت هين أنها ستفقد الوعي، تشوشت رؤيتها وشعرت بالبرودة في ساقها، ثم لملمت شتات أمرها، «لا بد أنها صدفة»، رددت سرًا. اقتربت بضع خطوات لتتنظر إلى الكتابة المحفورة



على قاعدة التمثال، «المركز الثالث في سلاح المبارزة» قرأت، وبكتابة أصغر حجمًا كُتِبَ «الألعاب الأولمبية للشباب» وتاريخ لم تستطع رؤيته. لم ترغب في الاقتراب أكثر، فاستدارت وقالت بصوت أملت أن يبدو طبيعيًا:

- هل تمارس المبارزة؟

أجاب ماثيو:

- يا إلهي! كلا! أعجبت بالكأس فقط، فاقتنيتها من معرض لبيع الممتلكات.

- هين، هل أنت بخير؟

سأل للويد وهو ينظر بقلق لوجهها.

- تبدين شاحبة!

- نعم، أنا بخير، متعبة قليلاً فقط.

وقفت الأسرتان بالردهة الأمامية ثانية لتوديع بعضهما. شعرت هين بالدماء تجري في عروقها مجددًا. «لقد كانت مجرد كأس مبارزة، لا بد وأن هناك الآلاف منها»، طمأنت نفسها. أثنت مجددًا على العشاء وشكرتهم على الجولة، بينما أمسك للويد مقبض الباب بيده محاولاً الهروب. تقدمت ميرا بسلاسة وطبعت قبلة على جبينها، بينما وقف ماثيو وراءها يبتسم ثم قام بتوديعهما. نعم هي تتخيل بعض الأمور، لكن هين كانت واثقة أنها رأت ماثيو يراقبها عمدًا.

في الخارج، حيث الهواء رطب وبارد و بعد أن أُغلق باب عائلة دولامور، التفت للويد إلى هين وقال:

- هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟

- لا شيء، شعرت بدوار، كان الجو حارًا قليلًا، أليس كذلك؟

أجاب للويد:

- ليس لهذه الدرجة.

كانا قد وصلا إلى باب منزلهما، وأرادت هين التمشية لوقت أطول في هواء الليل، لكنها تعلم أن اللويد يتوق للدخول والتأكد إذا كانت مباراة «ريد سوكس» ما زالت تُذاع.

استلقت هين لاحقاً على السرير وللويد نائم بجوارها، وحدثت نفسها بأنه من السخيف أن تخطر ببالها فكرة كهذه، وأن العالم مليء بكؤوس مبارزة تبدو جميعها متشابهة. لكن هذا ليس سخيفاً، أليس كذلك؟ ماثيو يُدرس في سوسكس هول، وهو المكان ذاته الذي درس فيه «دستين ميلر» في المدرسة الثانوية.

# 2

بعدها غطت ميرا في النوم، استيقظ ماثيو وهبط إلى غرفة مكتبه بالطابق السفلي. وقف في نفس المكان الذي وقفت فيه تلك المرأة بالجوار، على بعد أربعة أقدام من المدخنة، وحدق إلى الكأس محاولاً قراءة ما هو منقوش عليها. بالكاد استطاع قراءة التاريخ والمكان غير الواضحين، مع أنه يمتلك نظراً حاداً، وكان بالفعل على علم بما هو منقوش عليها. ومع ذلك، فإنها استطاعت قراءة ما هو منقوش على الكأس. لقد كان غيباً - غيباً ومتغطراً - للحد الذي جعله يضع الكأس في وسط رف المدخنة حتى يتمكن أي شخص من رؤيته، وعلى الرغم من ذلك، أي مصادفات لعينة تجعل شخصاً ما يربط كل تلك الخيوط معاً؟

*على كلٍّ أعتقد أنها استطاعت ذلك، أليس كذلك؟*

بمجرد النظر إليها، أمكنه معرفة أنها كانت على وشك الإغماء. لقد اعتقد أنها كانت ستغيب عن الوعي، وتساءل ما إذا كان زوجها الذي تبدو على وجهه سمة الغباء سيكون سريعاً بما يكفي لالتقاطها قبل أن تسقط.

شعر ماثيو بوخزة في صدره تشبه تلك التي يشعر بها عندما يكون قلقاً. يشعر بها دوماً مثل قبضة طفلٍ رضيع تنقبض وتنبسط. فقام

ببعض القفزات حتى تزول تلك الوخزة، وبعد انتهائه، حدّث نفسه بحاجته إلى التخلص من الكأس نهائياً، فيمكنه أن يخبئه بعيداً. إلا أن تلك الفكرة قد ملأته بشعور ما، يعتقد أنه يشبه الشعور بالحنن.

قالت ميرا صباح اليوم التالي:

- أعتقد أن الأمر سار على ما يرام. لقد أُعجبت بهين حقاً.

فقال ماثيو:

- سيكون من الممتع رؤية القطع الفنية الخاصة بها.

- أعلم ذلك حقاً! دعنا نذهب إلى عروض الاستوديو المفتوح<sup>(1)</sup>. هل

تعرف متى يكون موعدها؟

التفت ماثيو إلى هاتفه ليتأكد في أي عطلة أسبوعية سيكون الاستوديو المفتوح، بينما بدأت ميرا في إخراج الطعام من الثلاجة لتحضير الفطور. كان ذلك واحداً من عاداتهم الروتينية التي يقومان بها في صباحات أيام الأحد، وهو تحضير فطور وفير وساخن.

بعد تناول البيض المقلي وشرائح البطاطس المقلية التي حضرتها ميرا من بقايا البطاطس المهروسة، أخبرها ماثيو بأن عليه العمل على خطط الدروس، وذهب إلى غرفة مكتبه مغلقاً الباب خلفه. وقف للحظة في الغرفة المظلمة وتنفس ببطء وهو يسترجع كيف تطلعت هين إلى غرفته. لقد كانت ضئيلة الحجم ذات بشرة داكنة وجميلة، ولها شعر بنيّ وعينان كبيرتان بنيتان، وملامح جذابة تشبه الجنيات قليلاً. وعندما غزت رأسه فكرة أن تكون هين قد علمت بما قد فعله مع دستين ميلر -حتى لو كان مجرد شك منها- ملأه شعور بالفزع، وشعور آخر يشبه

(1) الاستوديو المفتوح: هو استديو عمل يمكن الوصول إليه من قبل جميع الحاضرين، ويهدف إلى عرض الأعمال الفنية والإبداعية والإنشائية على نحو تعاوني لتعزيز التبادل الثقافي. (المترجم)

الشعور بالدوار. هل كان ذلك هو السبب الحقيقي الذي من أجله قد احتفظ بالكأس منذ البداية؟ هل أراد أن يعرف شخص آخر ما فعله؟ التقط الكأس بيديه. لقد أصبح واضحًا أنه سيحتاج إلى التخلص منها الآن. ولكن هل احتاج إلى أن يتخلص منها في تلك اللحظة بالذات؟ هل ستصل الشرطة أمام منزله اليوم؟ لقد كان ذلك ممكنًا. وماذا عن قَدَاحَة السجائر المنقوشة التي احتفظ بها في درج مكتبه؟ هل سيربط أي شخص بينها وبين بوب شيرلي؟ سرت رجفة من الحزن في أوصال ماثيو. ستكون جارتهم هي الشخص المسؤول عن التخلص من أثمن ممتلكاته. التقط أنفاسه ببطء من خلال أنفه، ثم فكر في طريقة لإخراج الهدايا التذكارية من المنزل ولكن ليس من حياته بأكملها.

نزل إلى القبو ووجد صندوقًا من الكرتون يبدو حجمه مناسبًا، ومر بميرا في طريق عودته إلى المكتب، ووجد أنها قد غيّرت ملابسها إلى السروال الذي ترتديه عند أداء اليوجا وارتدت قميصًا قديمًا.

فسألها:

- هل ستخرجين للمشي؟

- كلا، سأقوم بأداء برنامج اليوجا الخاص بي على التلفاز. ما هذا الصندوق؟

أخبرها بأنه يريد إعادة بعض كتب التاريخ التي جمعها على مدار الأعوام الماضية إلى سوسكس هول.<sup>(1)</sup>

فسألته:

- هل ستذهب إلى هناك اليوم؟

- أعتقد أنني سأفعل.

(1) المدرسة الثانوية الخاصة التي يعمل بها ماثيو دولامور. (المترجم)

- إن اليوم هو الأحد. يمكنك أن تُوَجِّل ذلك إلى الغد، أليس كذلك؟
- إنني في الحقيقة أخطط لعمل بعد دروسي، وإنجازته هناك أيضًا.
- هزت ميرا كتفيها باستهجان، فقال لها:
- تعالِي معي إذا كنتِ تريدين. يمكننا التجول حول البحيرة بعد ذلك.
- حسنًا، ربما يمكنني ذلك.

قالت ذلك ثم توجهت إلى غرفة المعيشة.

ظل يراقبها، لطالما أحب مشيتها، وتلك الطريقة التي تقف بها على أطراف أصابعها مع كل خطوة. لقد أخبرته ذات مرة أن الباليه كان هو الشيء الوحيد الذي تهتم به منذ كانت في الخامسة وحتى بلغت الثالثة عشرة سنة من عمرها، ولكن حُلْمها تحطم لأن طولها لم يزد على خمسة أقدام. وكانت لاعبة جمباز في المدرسة الثانوية، وما زالت تستطيع القيام بقفزة خلفية.

عندما عاد إلى المكتب، غلَّف كأس الألعاب الأولمبية للشباب في المباراة في ورق الجرائد ووضعها في قاع الصندوق. وأضاف إليها قداحة بوب شيرلي، وزوجي النظارات الشمسية من نوع فيورنت<sup>(1)</sup> الذي أخذه من سيارة دجاي ساراغان التي تحمل العلامة بي إم دابليو، وأخيرًا، نسخة الطالب القديمة من «جزيرة الكنز»<sup>(2)</sup> التي تنتمي إلى ألان مانسو.

وبعد ذلك فتش ماثيو عن العديد من كتب التاريخ في مكتبه -الكتب التي لا يستخدمها في فصوله- وكومها فوق الهدايا التذكارية الأربعة،

(1) علامة تجارية للنظارات مقرها فرنسا، طُرحت في الأسواق عام 1961. (المترجم)

(2) «جزيرة الكنز» رواية من تأليف روبرت لويس ستيفنسون. (المترجم)

ثم أحكم غلق الصندوق بالشريط اللاصق وذهب ليخبر ميرا بأنه ذاهب إلى المدرسة.

كانت ميرا قد أنهت درس اليوجا الخاص بها للتو، وكانت غرفة المعيشة دافئة ورائحة عرقها تعبق في المكان، ولكنها ليست رائحة سيئة.

قال ماثيو:

- أنا ذاهب، هل أنتظرِك؟

- لا، لا عليك. لديّ الكثير من الأعمال لأنجزها هنا. كم من الوقت ستغيب؟

- ليس لوقتٍ طويل.

أجابها ممسكاً مفاتيح السيارة ونظارته الشمسية. ووقف لبرهة في فناء المنزل يحاول التفكير فيما إذا كان قد أحضر كل شيء. وفي أثناء وقوفه في الفناء، أدرك أنه ربما كانت هين أو زوجها للويد أمام منزلهما أو ينظران من النافذة؛ لقد قالاً إنهما ذاهبان إلى مكان ما، ولكن ماذا لو أنهما قد عادا ورأوه يغادر بالصندوق؟ هل سيكون واضحاً أنه يحاول التخلص من الكأس؟ لحسن الحظ كان ممر سيارته على الجانب الآخر من منزلهم، وسيكون في مرمى نظرهم فقط لمدة عشر ثوانٍ بينما يغادر الباب الأمامي ويتجه إلى سيارته. يمكنه أن يُخاطر بذلك.

كان الجو حاراً بالخارج، أشبه بيومٍ في منتصف فصل الصيف منها في أواخر سبتمبر. وعلى الجانب الآخر من الشارع، كان جيم ميلز يجز أعشابه مرة أخرى، على الرغم من أنه لم يمر سوى أيامٍ قليلة منذ آخر مرة أدى فيها تلك المهمة، وأصبح الهواء مُعبأً برائحة قص العشب والجازولين، مما أصاب ماثيو بغثيان طفيف. لقد كانت إحدى مهامه

عندما كان طفلاً أن يقص العشب خلف منزل والديه. كان أنفه يسيل من الرائحة القوية، وتُخدش يده من اهتزاز دفع جزازة العشب، وفي الأيام المطيرة كان العشب المقصوص يتكتل تحت الجزازة ويلتصق بمقدمة ساقيه. ركب سيارته من الفيات وأدار مُكيف الهواء. وضع الصندوق على الكرسي الثاني بجانبه. وبسبب رائحة جز العشب، بالكاد خطر بباله مراقبة هين أو للويد له وهو يحمل الصندوق. وربما الشيء الجيد هو أنه لم يُلقِ نظرة المذنب تجاه منزلهم.

كان الطريق إلى سوسكس هول يستغرق خمساً وعشرين دقيقة بالسيارة. المدرسة التي يعمل بها ماثيو كانت مدرسة ثانوية خاصة، يبلغ عدد طلابها ما يقرب سبعمائة طالب، نصفهم يقيم في المدرسة والنصف الآخر يأتي من المدن الثرية القريبة من ماساتشوستس.<sup>(1)</sup> وكانت مباني سوسكس هول كافة مبنية فوق تلة باستثناء صالة الألعاب الرياضية الجديدة، وبُنيت جميعها في أواخر القرن الماضي. لم يكن ماثيو مُحبباً لكونه مُعلماً، ولكنه أحب حرم سوسكس هول للغاية، والسكن الطلابي التابع له الذي بُني على الطراز القوطي<sup>(2)</sup>، وكذلك كنيسة الصغيرة الحجرية غير الطائفية. صَفَّ سيارته في ساحة انتظار السيارات الخاصة بأعضاء هيئة التدريس على الرغم من أن اليوم الأحد ويمكنه أن يَصَفَّ سيارته في أي مكان. دخل إلى واربيرج هول من الباب الخلفي، مستخدماً مفاتيحه الخاصة، وذهب مباشرة إلى بئر السلم الضيق ومنه إلى القبو. أخرج ماثيو كتب التاريخ وتولى رعايتها،

(1) ولاية أمريكية تقع في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية وتُعد أكبر الولايات من حيث السكان. (المترجم)

(2) العمارة القوطية هي طراز ازدهر في أوروبا خلال القرون الوسطى. تميزت بارتفاع النوافذ واتساع مساحتها واستخدامها للزجاج المعشق والنوافذ الدائرية، واستخدام التماثيل الواقعية في الخارج. (المترجم)



بعدها واحدة من مهامه الإضافية، وحفظ بعضًا منها في أرفف داخل واحدة من أماكن التخزين المغلقة في القبو مكتمل التشطيب. كان يمتلك مفتاحًا للقسم القديم من القبو، الذي يمتلئ بكراسي الحديقة القابلة للطي المستخدمة من أجل حفلات التخرج، وخلفها توجد الأشياء القديمة التي تم التخلص منها (مثل السبورات، على الأغلب، وبعض كراسي المدرسة). كانت هناك أيضًا كومة من الصناديق في الركن البعيد الذي يحتوي على قطع المائدة الأصلية الخاصة بقاعة الطعام. وفي هذا الركن تحديدًا، خبأ صندوق تذكاراته، مطمئنًا إلى أنهم لن يقعوا أبدًا في يد أحدهم أو يُنقلوا من موضعهم، حتى إذا كان أحد ما يبحث عنهم. وحتى إذا وجد أحدهم الصندوق بالفعل، فإنه قد تأكد من محو أي بصمات أصابع من على الأغراض، وتأكد أن اسمه ليس موجودًا على أي من الكتب القديمة.

وعندما صعد إلى الطابق العلوي، وبعد أن غسل يديه في دورة مياه المبنى، ذهب إلى فصله للعمل على جدول دروسه من أجل هذا الأسبوع. كان معتادًا على المادة العلمية من قبل، فقد قام بتدريس معظم فصوله عشرات المرات من قبل، ولكنه في هذا الفصل الدراسي قد وافق على أن يُجري حلقة دراسية لطلاب السنة النهائية عن الحرب الباردة، ولذلك هو في حاجة إلى التمرن والتحضير. وفي هذا الأسبوع كانوا يلقون الضوء على إعادة تنظيم ما بعد الحرب. وبعد مرور ساعة تقريبًا على مكوثه في مكتبه، سمع الصرير المعدني المرتفع للباب الخلفي عند الفتح، وصوتًا آخر خجولًا يتساءل:

- هل من أحد هنا؟

خرج من الغرفة إلى الممر المعتم وصاح قائلًا:

- مرحبًا!

صعدت ميشيل براين السلم، وهي تقول:

- حمدًا لله، فأنا أكره أن أكون هنا بمفردي في العطلات الأسبوعية؛  
يشعرنني ذلك بالخوف.

لم يكن متفاجئاً من رؤية ميشيل هنا، فقد كان هذا هو عامها الثاني في التدريس، وقد أدهشته قدرتها على الصمود طوال العام الأول. كانت ميشيل خجولة، شديدة الخوف وممتلئة بالاعتقاد الصادق أن طلابها يهتمون بالتاريخ، وطوال عامها الأول كانت تتعثر وتبكي بشكل متكرر. فأخذها ماثيو تحت جناحيه، وقدم إليها خطط دروسه وإستراتيجياته من أجل النظام، وبعد ذلك في نهاية الفصل الدراسي الربيعي، قدم إليها أفكاره بشأن حياتها الخاصة أيضاً، مقدماً لها النصح في علاقتها مع صديقها الحميم الأحمق.

- أنا سعيدة لأنني لست الوحيدة القلقة والتي تأتي إلى هنا في يوم الأحد. إنني متأخرة بالفعل.

ثم تبعت ماثيو إلى مكتبه. كانت ترتدي بنطالاً من الجينز، على غير عاداتها في أيام الدراسة، لكنها احتفظت بسترتها السوداء المزررة حتى الرقبة، وهو ما كانت ترتديه أحياناً مع تنورة في أثناء التدريس.

- من الرائع الوجود هنا في العطلات الأسبوعية، أليس كذلك؟

- بلى، لكن أنا أكره أن أكون بمفردي. إلى متى ستبقى؟

- في الحقيقة كنت أستعد للمغادرة.

- كلا، انتظر.

قالتها بينما كانت تفتح سحاب حقيبة الظهر الخاصة بها.

- هل يمكنك أن تلقي نظرة على شيء ما بسرعة؟ إنه شيء أخطئ له مع طلابي في السنة الثانية.

بعد مراجعة واحدًا من خطط دروسها التي تهدف إلى جعل الطلاب يضعون دستورًا محاكيًا خاصًا بهم - اقترح عليها «يمكنك تعليم الطلاب الدستور الحقيقي أولًا» - هزّت رأسها ثم بدأت على الفور في سرد قصة جديدة حول صديقها الحميم «سكوت»، بشأن أدائه لعرض مزعج مع فرقته قبل ليلتين، وأنه لم يعد إلى المنزل حتى الثالثة صباحًا. وعندما تفحصت هاتفه في أثناء نومه، وجدت أنه قد غير كلمة السر.

قال ماثيو:

- لا يبدو هذا أمرًا جيدًا.

- أعرف، أعرف، إنه يخونني، أليس كذلك؟

- أخبريني بالضبط ما قاله لك عندما صارحته بهذا الأمر.

أسند ماثيو ظهره خلف مكتبه، بعد أن أرسل رسالة إلى ميرا يخبرها بأنه سيتأخر قليلًا، وفعل واحدًا من الأشياء التي يُحسن فعلها جيدًا؛ استمع إلى حديث امرأة.

# 3

في يوم الأحد فكرت هين في طلب خط بلاغات مركز الشرطة أو محاولة التواصل مع المحقق المسؤول عن قضية انتحار دستين ميلر - التي مر عليها عامان ونصف الآن- ولكنها تعرف أنها إذا حاولت إخطار الشرطة، فإنه يجب عليها أن تُخبر للويد، ولكنها لا تود فعل ذلك الآن.

وبدلاً عن ذلك، بعد تناول الفطور واحتساء القهوة، عندما خرج للويد للجري، جلست أمام حاسوبها المحمول وكتبت «وفاة دستين ميلر» في محرك البحث. وبمجرد ظهور سلسلة من المقالات على شاشتها، شعرت هين بموجة من الغثيان ودَفعة من الإثارة. قبل ثلاثة أعوام، وافقت هين على تناول دواء بديل أوصى به الطبيب النفسي الجديد الذي ذهبت إليه عندما غيّر للويد وظيفته، وتغير معها تأمينهم الصحي. سبّب لها هذا الدواء فترة من الهوس انتابتها خلالها الهواجس بشأن انتحار دستين ميلر، الذي كان يعيش في الضاحية القديمة التي كان يُقيم بها كلٌّ من هين وللويد، كل ذلك إلى جانب التشويش الذي أصابها بسبب أطنان العمل التي يتعين إنجازها. في الحقيقة، كانت هين تتمشى في ضاحية هورون فيليج<sup>(1)</sup> في كامبريدج عندما رأَت فني طب الطوارئ يجر نقالة يعلوها كيس الجثث، من مبنى فيكتورين الذي يقع في نهاية الشارع من

(1) ضاحية في كامبريدج في مقاطعة ماساتشوستس. (الترجم)

بيتها. توقفت هين وبينما كانت تحقق مطيلة النظر، رأت سيارات شرطة كثيرة ومركبات مجهولة قد وصلت إلى نفس الموضع، وبعدها وصل رجلان طويلان يرتديان بزات رمادية.

ظهرت تلك الحادثة في نشرة الأخبار تلك الليلة، حادثة الانتحار المشتبه بها لخريج حديث في كلية بوسطن<sup>(1)</sup> وُجد ميتاً في بيته. في البداية، كان للويد مهتماً مثل هين، ومصدوماً من مدى قربهما من تلك الجريمة. ولكن مع مرور الوقت، ومع انكشاف المزيد من التفاصيل، وبعدها أصبح واضحاً للشرطة عدم تحديد مشتبه واحد، على الرغم من «الأدلة الواعدة»، وجدت هين نفسها قد أُصيبت بالمزيد من الهواجس، وصارت تُعمن البحث في كل التفاصيل التي تكشفها الشرطة، وتذهب للمشي عند مبنى فيكتورين المطلي باللون الوردى عدة مرات يومياً. ولم يكن هناك أي إشارات على أي اقتحام، فافتضت هين أنه مهما كان من قتل دستين ميلر فإنه من المحتمل أنه يعرفه، حيث إنه قد وُجد مُقيداً بالكرسي ومخنوقاً بكيس بلاستيكي مُغلق بإحكام حول رأسه بشريط لاصق. كان هناك قليل من الأغراض المفقودة من المنزل، من بينها محفظته وحاسوبه المحمول بالإضافة إلى الكأس التي تلقاها من الألعاب الأولمبية للشباب في المباراة. لم يكن دستين ميلر يمارس المباراة في كلية بوسطن - كان يمارس رياضة التنس - إلا أنه كان يمارس المباراة في سوسكس هول، المدرسة الخاصة التي تقع خارج بوسطن والتي ذهب إليها منذ أن كان في الصف السادس وحتى الصف الثاني عشر.

(1) كلية كاثوليكية أمريكية مقرها في مدينة تشيستنت هيل في ولاية ماساتشوستس الأمريكية، تأسست في عام 1863 م.

دخلت هين إلى صفحة دستين ميلر على فيسبوك وقضت ساعات تبحث خلالها، ليس فقط عن منشوراته وصوره السابقة، ولكنها بحثت أيضاً فيما كتبه الأصدقاء منذ وفاته. كانت معظم التعليقات المذكورة تتعلق بمنشوره الأخير، الصورة التي التقطها لشارعه -شارع هين أيضاً- وأشجار الكمثرى المثمرة وسماءٍ مزينة بخطوط وردية أعلى أسطح المنازل. وفي جانب الصورة، كان هناك امرأة ترتدي تنورة قصيرة تسير مبتعدة عن دستين. يقول الاقتباس المنشور مع الصورة «يا إلهي، كم أحب شارعني الجديد!». تحركت هين ذهاباً وإياباً تحاول اكتشاف ما الذي يشير إليه ببساطة من خلال الأشجار المثمرة والبيوت الجميلة وذاك الربيع الذي يغزو الأجواء أو الفتاة طويلة الساقين التي ظهرت عند التقاط الصورة.

- أنت رجل يا للويد. أخبرني ما الذي يقصده بتلك الصورة؟ هل كان يتحدث عن الفتاة؟

ألقى اللويد نظرة على صفحة فيسبوك لمدة خمس ثوان قبل أن يقول:

- ما الذي يهم في هذا الأمر؟

- لقد التقط الصورة ربما قبل ساعات فقط من مقتله.

- هل تعتقد أن الصورة تتعلق بالسبب الذي قُتل من أجله؟

- لا، لم أقل ذلك. إن الأمر فقط... ألا ترى أن ذلك مريب؟

- نعم أراه كذلك. أرى أن ذلك غريب جداً، ولهذا لا أود أن أقضي كل

هذا الوقت أفكر في الأمر وأتحدث بشأنه. لا أعتقد أنه يمكنك أيضاً

فعل ذلك.

منذ أن أصبحت هين كبيرة بما يكفي لتجميع الكتب التي تملأ مكتبتها الخاصة، عانت دائماً نزعة مرضية وأصبحت منشغلة بالموت.

لم تعدها قط نوعًا من الميل والهوى، على الرُغم من أنها قد حازت العديد من الجوائز الفنية في المدرسة الثانوية من خلال رسوماتها السوداوية المضطربة. ولكن في عامها الأول في كلية كامدن، تعرضت لنوبة الجنون الأولى، كانت تدور سريعًا خلال نوبات من الثقة بالنفس الجامعة وانعدام الأمان المُحطم، وتعاني الأرق وقلّة النوم، وتبقى لوقتٍ متأخر تُعيد مشاهدة أقراص الفيديو الرقمي للموسم الأول من توين بيكس<sup>(1)</sup> بشكل جنوني. كانت تغرق في النوم عند بزوغ الفجر وبدأت في التغيب عن فصولها الصباحية. كانت تجتاحها الأفكار السيئة دائمًا، وأصبح عقلها محمومًا بالصور الخيالية التي يغذيها الموت. كانت تتصور تصرفات انتحارية مُفصلة وظلت تقضم أظفارها حتى نذفت. وفي هذا الوقت، اعتلت صحة سارة هارفي، طالبة أخرى في عامها الأول في المسكن، بسبب إصابتها بالإنفلونزا، واشتد عليها المرض فاضطرت إلى العودة إلى المنزل طوال الفصل الدراسي. وانتشرت شائعة في وينثروب هول<sup>(2)</sup> بأن رفيقة سارة في الغرف، دافني مايرز، قد تعمدت ترك النافذة مفتوحة في غرفتهم المشتركة حتى تزيد من مرض سارة. أصبحت هين تصب جُل تركيزها على دافني - لم تكن هين تحبها منذ أول يوم تقابلا فيه في حفل استقبال طلاب السنة الأولى - وأقنعت نفسها أن دافني لم تكن فقط تحاول أن تُزيد مرض سارة سوءًا، لكنها أيضًا حاولت قتل رفيقتها في الغرفة. بدا الأمر منطقيًا تمامًا، فقد كانت دافني الشقراء ذات الطول الفارع والعينين الميتتين، والتي تدرس علم النفس، مضطربة عقليًا.

(1) مسلسل درامي غموض أمريكي، ظهر لأول مرة في 8 أبريل 1990 على قناة ABC. (المترجم)

(2) مبنى سكني لطلاب السنة الأولى. (المترجم)

قررت هين أن غرضها - والسبب الذي أتى بها في المقام الأول إلى كامدن في ذلك الوقت تحديداً - هو كشف الحقيقة حول دافني. فبدأت بمراقبتها طوال الوقت، وكلما ازدادت مراقبتها لها، ازداد معها اعتقادها بأن دافني إنسانة خبيثة. وفي نوفمبر، أخبرت دافني، التي ازداد توددها نحو هين - مما جعل هين تفكر بأن: الأمر مثير جداً للشكوك - بأنها ستنتقل من تخصص علم النفس إلى الفنون الجميلة، وطلبت منها ترشيح الأساتذة اللذين تُسجل معهم. حتى إنها قد عرضت إحدى قطعها الفنية على هين، رسماً بالحبر والجاف، والتي بدت، إلى هين، أنها نسخة صارخة من نفس أسلوب هين نفسه. كان ذلك استفزازاً متعمداً، فذهبت هين أولاً إلى مرشدها الأكاديمي ثم ذهبت إلى قسم الشرطة المحلية، مُخبرة أنها تشعر أن حياتها في خطر بسبب دافني مايرز، التي حاولت بالفعل قتل سارة هارفي. وفي كلا الاجتماعين انفجرت في بكاءٍ هستيري، وأخطر والداها، ورتبت والدة هين زيارة إليها، ولكن قبل وصولها، شعرت بوخز القلق في جلدتها وأصبح عقلها منشأراً طناناً يضج بالأفكار المرعبة، فخرجت هين من وينثرب هول مرتدية قميصاً واسعاً فقط وبدأت في رمي أحجار الرصف على نافذة دافني. وعندما أطلت دافني من النافذة المكسورة، اتهمتها هين بمحاولة القتل، بينما كانت تُشرِّح معصمها بقطعة من الزجاج المسننة. خضعت هين للعلاج في غرفة الطوارئ، ثم عُرضت على الطبيب النفسي للمشفى الذي مكثت فيه عشرة أيام، حيث تم تشخيصها باضطراب ثنائي القطب من النوع 1 ثم صدر أمر بالتحفظ يمنعها من الاقتراب من دافني مايرز في نطاق خمسمائة ياردة<sup>(1)</sup>، بعدما اتُّهمت بالاعتداء الجنائي.

(1) الياردة هي وحدة لقياس الأطوال كانت تُستخدم في إنجلترا وما زالت مستخدمة في أمريكا، وتساوي الياردة الواحدة = 0.9144 متر. (المترجم)



حاول والد هين، الذي كان يعمل محامياً، التحدث مع عائلة دافني مايرز بشأن إسقاط التهمة، إلا أنهم رفضوا. وفي نهاية الأمر تم توقيع اتفاق تفاوضي، حيث وافقت هين على الاستمرار في العلاج النفسي وأداء الخدمة المجتمعية. ووافقت أيضاً، عن طيب خاطر منها، على مغادرة كامدن، وعدم التواصل نهائياً مع دافني مرة أخرى. وطلب والدها من القاضي منع تسريب أقوال الشهود، ووافق القاضي على ذلك، ولكن ليس قبل التقاط العديد من الوكالات الإخبارية للقصة. لم تتحدث دافني مع المراسلين من أجل مصطلحتها، وكذلك فعلت هين أيضاً، ولاحقاً اندثرت القصة بالطبع، على الرغم من أن تحقيقاً صحفياً واحداً قد نُشر بعنوان «مشاجرة القلط المشتعلة بين طلاب السنة الأولى في كلية كامدن أصبحت ضارية».

- كنت متأكدة من أنها تعاني انفصام الشخصية.

هكذا قالت والدتها في أثناء عودتها مع هين إلى ريف نيويورك.

- كنت أظن أن جنونك بسبب عمك، ولكن اتضح أنك مجرد مجنونة مثل أي شخصٍ آخر في هذه العائلة.

ضحكت ثم عادت فاعتذرت بعد ذلك، ولكن قد كان هذا ما قالته.

بعد مرور عامٍ على عودتها إلى المنزل -قضت منها ستة أشهر في فجوة عميقة وسوداوية حتى فكرت أنها لن تشعر بالفرح مرة أخرى، وستة أشهر أخرى قضتها في العودة التدريجية إلى حالتها الطبيعية- التحقت بكلية ولاية جامعة نيويورك في أونيونتا<sup>(1)</sup>. وهناك عرض عليها أحد الأساتذة فن الحفر، وشعرت أنها على الرغم من كل شيء قد وجدت هدف حياتها أخيراً.

(1) كلية الفنون الحرة العامة في أونيونتا، نيويورك. (المترجم)

وعندما أصبحت هين أكثر هوسًا بموت دستين ميلر، أثار اللويد أمامها الأمر، والذي كان على معرفة تامة بشأن الكارثة التي حدثت لها عندما كانت هين طالبة في السنة الأولى في كامدن.

- إن الأمر مختلف.

قالت ذلك منزعة بينما يتدفق الدم في وجهها ورقبتها ليتحولاً إلى الاحمرار.

- كيف يبدو مختلفًا؟

- هذه جريمة حقيقة، وقعت في شارعنا. أنا لا أحاول إدانة أحد، فأنا لست مرتابة.

- ولكنك الآن مهووسة بالأمر. يمكنني أن أرى ذلك.

لاحقًا، عندما أصبحت الأمور أكثر سوءًا، بدأت هين تشعر أن اللويد قد ضغط بطريقة ما على الزر السحري عندما ذكر أمامها كلمة هوس، ففي تلك الأثناء كانت قد بدأت مرحلة الأشهر الثلاث التي بدأت فيها دراسة كل قضية انتحار قُيدت ضد مجهول في نيو إنجلاند<sup>(1)</sup> طوال الأعوام العشر الماضية، تنقب عن صلة بينها وبين دستين ميلر. وفي ذلك الوقت أيضًا، دخلت في نزاع مع مدير مناوبتها في متجر المعدات الفنية، حيث كانت تعمل بدوام جزئي. وتوقفت عن الذهاب إلى العمل، مُخبرة اللويد بأنها تود أن تكون فنانة بدوام كامل. وصرح باعتقاده أنه يميل لهذا الأمر، ولكنه أرادها على الأقل أن تُخطر المتجر.

فقال:

---

(1) نيو إنجلاند: إقليم في الولايات المتحدة الأمريكية يضم 6 ولايات هي: ماين ونيوهامشير وفيرمونت ورودايلاند وكونتكت وماساتشوستس. (المترجم)

- قد تحتاجين إلى أحد مراجعهم في يوم ما، فلا أعتقد أنك تريدين هدم هذا الطريق.
- أنتَ على حق.

هكذا قالت هين بينما لم تستطع حمل نفسها على الاتصال بالمتجر، فقد توقفت ببساطة عن مغادرة المنزل وانكبت على العمل مُغرقة نفسها في دراسة جرائم القتل المقيدة ضد مجهول (أصبحت تبحث الآن خارج حدود نيو إنجلاند عن أدلة ممكنة). وبعد ذلك في أحد أيام نوفمبر، استيقظت من نومها متأخرة وهي تشعر بتشويش، بدأ جسدها يؤلمها بينما كانت عاجزة عن الرغبة في خلق أي قطعة فنية. وعندما أتى للويد إلى المنزل وجدها على حالها ما تزال في السرير، فحاول التحدث معها ولكنها لم تتوقف عن البكاء.

- سنتخطى هذا الأمر، أعديك بذلك. ولكنني أود أن أطلب منك معروفًا، حسنًا؟
- حسنًا!

- إذا شعرتِ برغبة في الانتحار، أخبريني بذلك. لا يمكنكِ أن تتركيني، مهما حدث، يجب أن نظل معًا.

وعدت هين للويد بأنها لن تتركه، وفي نهاية الأمر، أوفت بوعدها. ولمدة شهرين عاشت هين في عالم من الذعر والقلق، كانت أفكارها البناءة فقط تتمحور حول الطريقة التي تتخيل أنها تقتل بها نفسها. ولكنها قطعت وعدًا إلى اللويد، ومع ذلك كانت تعلم في داخلها أنه سيكون أفضل حالًا بدونها. وأخيرًا، بعد يومٍ قررت فيه أن تقود سيارتهما المشتركة إلى نورث شور وتُغرق نفسها في المحيط، أخبرت اللويد عندما عاد من العمل أنها تحتاج إلى الذهاب إلى المشفى. وفي تلك الليلة حملها على الذهاب إلى المستشفى.

قضت هين أسبوعين في جناح الأمراض النفسية، وأُسبوعين آخرين بعد ذلك في رعاية العيادة الخارجية، وإلى جانب الخليط الجديد من العقاقير، تلقت العلاج من خلال سلسلة من الصدمات الكهربائية. وبدأت تشعر بتحسن - ليس على الفور بالطبع، وإنما بمرور الوقت. وعاد عالم هين القديم - وبرغبة في خلق أعمال فنية ورؤية أصدقائها والتخطيط للرحلات. ومع مرور الوقت، تراجعت النوبة المؤلمة إلى الماضي. وبدأت في تلقي المزيد من العروض من أجل الرسم التي كانت تفيض عن الوقت الذي تمتلكه، واختفى تركيزها على دسطين ميلر وعلى قضايا القتل المقيدة ضد مجهول في العموم. وبالنسبة إلى هين، فإن واحدة من فوائد العلاج بالصدمات الكهربائية هو أن ذاكرتها أصبحت ضبابية بشكل كبير، وبعض ذكرياتها قد انمحت تمامًا. واتخذ هين وللويد، اللذان كانا يفكران دائمًا في إنجاب الأطفال، قرارًا نهائيًا بعدم إنجاب أي أطفال. وبدلاً من ذلك، اتفقا على الانتقال خارج كامبريدج ووجدوا منزلًا كبيرًا في مكان ما في الريف.

أنهت هين قهوتها التي صارت باردة في الفنجان. والآن وبعد أن استعادت ذكرياتها مع قضية دسطين ميلر، صارت الآن أكثر اقتناعًا من الليلة السابقة بأن جارها الجديد هو قاتل دسطين ميلر. وعلى الرغم من أن معظم ما قرأته كان أخبارًا قديمة، فإنه كان هناك مقال بارز كبير في بوسطن جلوب بشأن قضايا القتل المقيدة ضد مجهول والتي حدثت في يوليو، حينما كانت هين تدير عملية الانتقال المرهقة («لن ننتقل مرة أخرى أبدًا، هل تدركين ذلك؟» أخبرها للويد بذلك)، وبطريقة ما نست أمر تلك القضايا. لم يكن هناك أخبار جديدة في هذا المقال، ولكنه تضمن بعض التفاصيل بشأن ذلك الوقت الذي كان فيه دسطين ميلر في سوسكس هول، واتهامه بالاعتداء الجنسي على زميلة له في أثناء ذلك

الوقت. ولكن الأمر هو أنه إما أن هين قد نسيت كلياً تلك التفاصيل، أو أنها لم تُكشف إلا مؤخراً. ولكنها فكرت بأنه من المستحيل أن تكون نسيت ذلك الأمر، من عاشر المستحيلات. إلا أن تلك التفاصيل قد وضعت جميع الأمور في نصابها الصحيح. فقد حدث الاعتداء الجنسي المزعوم في أثناء عام الألعاب الأولمبية للشباب في المباراة التي عُقدت في سانت لويز، ميزوري<sup>(1)</sup>. وحيث إن جارها ماثيو دولامور مُدرّس في سوسكس هول، فإنه بالطبع يعرف دستين، وربما كان واحداً من مُدرّسيه، وربما عرف ماثيو أيضاً بشأن ذلك الاعتداء الجنسي الذي وقع على الرغم من عدم إثباته. وبعد خمسة أعوام، قتل دستين بسبب الثأر أو بمفهوم العدالة وأخذ كأس المباراة. قد يبدو الأمر هزلياً ومثيراً للسخرية، إلا أنه ممكن كلياً. وعلى الرغم من ذلك احتاجت هين إلى أن ترى الكأس وتتأكد من التاريخ والمكان الصحيحين المُدوّنين عليها. وبعد ذلك، بعد ذلك فقط، يمكنها الاتصال بالشرطة. لقد كان هذا واجبها، أليس كذلك؟ ربما يمكنها أن تفعل ذلك دون الكشف عن هويتها.

أغلقت هين حاسوبها وخرجت إلى شرفتها الأمامية تُلقِي نظرة عابرة تجاه منزل عائلة دولامور في الجوار. لم تكن هناك سيارة في الممر، ولكن المرآب يكفي لسيارة واحدة فقط مثل منزلهم في نهاية الممر. ومع ذلك، ما زالت تتذكر رؤية سيارة صغيرة سوداء هناك في الليلة الماضية. ولكن كيف ستكتشف الحقيقة بشأن كأس المباراة؟ يمكنها أن تتسلل إلى المنزل بينما ماثيو وميرا في الخارج، أو ربما الأفضل من ذلك هو أنها يمكن أن تجعل ميرا تدعوها مرة أخرى إلى المنزل. ربما يمكنها أن تُرسل إليها بريداً إلكترونياً وتطلب منها أن تُلقِي نظرة

(1) ولاية تقع في منطقة الغرب الأوسط من الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

أخرى على المنزل حتى تحصل على بعض الأفكار من أجل الزينة. فإن منزليهما لهما نفس التصميم.

كان الجو دافئاً بالخارج، دافئاً أكثر من داخل المنزل، فخلعت هين سترتها وجلست على أحد الكراسي الهزازة وأمالت وجهها تجاه الشمس. كانت على هذا الوضع عندما عاد للويد يتصبب عرقاً ويتنفس بصعوبة من الجري.

- أحب المكان هنا.

قالها بينما يستند إلى الكرسي الهزاز ويمد ساقيه.

قالت هين:

- أتقصد هذا المنزل أم هذه المدينة؟

- كلاهما، ما رأيك؟

- كلاهما أيضاً.

قالتها ثم نهضت. حمل النسيم الدافئ معه رائحة طهي أحدهم، فشعرت بالجوع فجأة.

مكتبة

t.me/t\_pdf

# 4

نادرًا ما تذهب ميرا إلى غرفة مكتب ماثيو، ولكن ماثيو وجدها هناك في ليلة الأحد. كانت تنظف أسنانها بينما تبحث عن كتاب على الرف.

- أحتاج إلى قراءة شيء جديد.

قالتها مع تناثر بقع الرغوة على شفيتها، ثم اعتذرت وغادرت المكتب.

عادت مرة أخرى بعدما تخلصت من فرشاة الأسنان. كان شعرها مُجمَعًا للخلف بواسطة رابطة الرأس، وكانت بشرتها خالية من الزينة إلا أنها ما تزال نضرة بفعل كريم الترطيب التي تضعه على وجهها كل ليلة.

- ما رأيك في هذه؟

قال ماثيو بينما يناولها نسخة إلكترونية مضغوطة من رواية أعمدة الأرض.

- إنها طويلة للغاية، بالإضافة إلى أنني أريدها ورقية.

- متى سيكون موعد رحلتك؟

سألها ماثيو، فقد تذكر للتو أنها ستغادر في اليوم التالي إلى تشارلوت<sup>(1)</sup>.

- ليس قبل الثالثة بعد الظهر، لذا فأنا متفرغة طوال الصباح.

- هل قرأتِ رواية ابنة الزمن<sup>(2)</sup>؟

سألها ماثيو بينما يناولها رواية ورقية مهترئة قديمة ويظهر على غلافها قطعة شطرنج ساقطة وهي الملك.

- عما تتحدث؟

- إنها رواية بوليسية عن ريتشارد الثالث.

- حسناً، تبدو جيدة كما أنها صغيرة أيضاً.

قلبت الكتاب وفتحت الصفحة الأولى.

- من هي كريستين تروسدال؟

- لا أعرف، فقد اشتريت الكتاب مستعملاً.

وبينما كانت ميرا تقرأ الخط اليدوي على الكتاب قالت:

- كريستين تروسدال. تمت في 17 مارس 1999. خمس نجوم.

حسناً، أعتقد أنه أعجبها على أي حال.

- ستحبيته، إنه رائع بالفعل.

- أخبرني ماذا حدث للكأس الخاصة بك؟

---

(1) تشارلوت هي من أشهر مدن ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

(2) ابنة الزمن هي رواية بوليسية من تأليف جوزفين تي عام 1951، صدرت باللغة الإنجليزية وهي غير مترجمة حتى الآن. (المترجم)



سألت ميرا وهي تنظر إلى رف المدخنة حيث كانت تستقر كأس المباراة الخاصة بدستين ميلر في المنتصف، بعدما استبدل بها ماثيو نسخة مقلدة من حجر رشيد، اشتراها من المتحف البريطاني وثبتها في موضعه.

- أعتقد أنني سئمت منها، وفكرت في أن أستبدل بها شيئاً آخر.

تقدمت ميرا خطوة للأمام ولمست حجر رشيد.

- بدت هين جارتنا مهتمة للغاية بتلك الكأس، ألم تلاحظ ذلك؟

- كلا، لم ألاحظ.

- ربما كانت لاعبة مباراة.

ولاحقًا، عند النوم، كان كلاهما يقرأ كتابه، فبدأت ميرا ابنة الزمن، بينما كان ماثيو يُنهي كتاب *مرآة بعيدة*<sup>(1)</sup>، ربما كانت هذه المرة الثالثة التي يُطالعه فيها. إنه يحب التاريخ في كل الأزمنة، لكن لا شيء يثير حماسه ويقلب موازينه أكثر من القرون الوسطى، شيء يتعلق باستفحال الموت ورُخص الحياة، قسوة ذلك الوقت وحيويته.

سألت ميرا فجأة:

- هل تعتقد أننا سنراهم ثانية؟

كان ماثيو مُدرِّكًا أنها تتحدث عن الجيران، عن هين وللويد، لكنه

قال:

- مَنْ؟

- جيراننا هين وللويد.

---

(1) *مرآة بعيدة*: القرن الرابع عشر المُفجع: هو كتاب تاريخ سردي للمؤرخة الأمريكية باربرا توكمان. (المترجم)

- مؤكّد أننا سنراهم كثيرًا، فهم يعيشون بالجوار مباشرة.

- أنت تعرف ما أقصد. أنا أعني أن نجتمع معًا.

كان ماثيو وميرا قليلًا ما يتجادلان -لم يكن أيُّ منهما صداميًا عن بعد- لكن ميرا كانت كثيرًا وبشكل متكرر ما تثير حقيقة أنها تتمنى لو أن لديهم المزيد من الأصدقاء. لم تكن تثير الأمر عندما كانا يبذلان قصارى جهدهما لإنجاب طفل، ولكنها صارت تتحدث عنه كثيرًا بعدما اتخذنا قرارًا بأن خطة إنجاب طفل لن تحدث.

- لا أعلم. أعتقد أنها لم تكن ليلة مميزة، أليس كذلك؟

شعر ماثيو بالسوء بمجرد تلفظه لتلك الكلمات.

- ماذا؟! ألا تعتقد أنها كانت صحبة جيدة؟

- كانت جيدة، بالطبع كانت جيدة. لكنها فقط ... لم تكن ممتعة.

دلكت ميرا خدها بإصبعها، ثم أردفت:

- أعتقد أنني وجدت هذه المتعة مع هين. ربما بعض الشيء على أي

حال. كانت شخصية ممتعة حقًا، ألا تعتقد ذلك؟

- أعتقد ذلك. أرى أنه من الأفضل أن تلتقي معها مُجددًا. إننا لا

نحتاج دائمًا إلى القيام بالأمر معًا كزوجين.

- نعم، أعلم ذلك. أعتقد أنه سيكون رائعًا إذا نجح الأمر.

- يمكنك أن تدعيها للغداء في وقتٍ ما.

- سأفعل، ولكنك لست معجبًا بشخصية اللويد، أليس كذلك؟

- صحيح، ولكنه جيد. في الحقيقة، صُدمتُ من أنه ليس مناسبًا

لهين. لقد كان محظوظًا في ذلك الأمر.

- أنت تقول هذا دائماً.

- وعادة ما أكون مُحَقًّا.

عادة مرة أخرى إلى القراءة، وكالعادة، وضعت ميرا كتابها على الطاولة بجانب سريرها أولاً، وأطفأت مصباحها، ثم تكورت كالقطة بجانب ماثيو.

- لا أعرف كيف سأكون بدونك.

قالت ميرا مثلما تفعل كل ليلة، على الأقل في كل مرة يذهبان إلى النوم معاً. لقد كانت هذه طريقتها في أن تتمنى له ليلة سعيدة. ولكن ماثيو يعتقد أيضاً أنها نوع من الصلاة. كان على وشك أن يذكر لها ذلك في مرة، لكنه أدرك أن ذلك يجعله يشعر كما لو أنه يُطلق على نفسه إلهاً.

استمر ماثيو في القراءة حتى بعد أن غطت ميرا في النوم. يستغرق الأمر منها ما يقارب عشر دقائق فقط لتغط في النوم، وستتكور بعيداً عنه وتصبح أنفاسها بطيئة، وفي أغلب الأحيان، ستغمغم بكلمات مبهمه لنفسها. أغلق ماثيو كتابه وأطفأ مصباحه واستلقى على ظهره. كانت الغرفة تشع بضوء رمادي خافت، لم تكن معتمة تماماً مثل تلك الغرفة التي كان ينام فيها طوال الأعوام السبع عشر الأولى من حياته. كان مستيقظاً تماماً، كان دائماً هكذا حتى يبدأ في عملية الاستغراق في النوم. كانت تلك الفترة هي أفضل أوقاته طوال اليوم، حيث يبدأ في استعراض خياراته، ويفكر في القصة التي سيُعيد سردها على نفسه حتى يغط في النوم. مؤخرًا، كان هناك قصتان. في الأولى، يعود بالزمن

—قبل عامٍ واحدٍ— إلى الوقت الذي قاد فيه سيارته إلى نيو جيرسي<sup>(1)</sup> وقتل بوب شيرلي في شقته التي يحتفظ بها سرًّا عن زوجته. أما بوب، الذي كان عضوًا في مجلس البلدية وصديقًا لوالد ماثيو، فقد كان رجلًا مُسنًّا وضعيفًا، جثًا ماثيو بركبتيه على صدره بينما كان يكتُم أنفاسه ويضيق الخناق على فمه وأنفه. أما القصة الثانية التي كان يسردها على نفسه مؤخرًا كانت ما سيفعله مع الصديق الحميم لزميلته ميشيل إذا سنحت له الفرصة أن يختلي به بمفرده. كانت هذه هي قصص النوم التي يسردها على نفسه في الأغلب. ولكن الليلة بسبب كأس المباراة—وما شعر به عندما التقطها مرة أخرى بعد كل تلك السنوات— قرر أن يسرد على نفسه قصة قديمة لكنها جيدة. قصة دستين ميلر!

لقد فكر ماثيو في قتل دستين ميلر منذ أن اتهمته «كورتني شيه» باغتصابها بينما كان الاثنان معًا في رحلة إلى سانت لويس من أجل بطولة المباراة. في ذلك الوقت اتخذ بعض المدرسين جانب دستين، بينما تراجع الأكثر منهم، قائلين إنهم يحتاجون إلى السماع من الطرفين، ولكن ماثيو الذي طالما احتقر هذا الفتى البغيض المغرور التافه، منذ كان طالبًا عنده في سنته الأولى في مادة التاريخ الأمريكي، أدرك أن دستين كان مُذنبًا، وأدرك أيضًا أنه في أحد الأيام سيطبق العدالة. كان الوقت في صالحه—لطالما كان كذلك— وبعد تخرج دستين في كلية بوسطن، نشر في الوقت المناسب على صفحته على فيسبوك عنوان شقته الفعلي التي تقع في كامبريدج، ولا يتداعى أي شك في أن والديه هما من استأجراها من أجله.

(1) ولاية في المنطقة الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

قضى ماثيو وقته طوال الشتاء حتى بداية الربيع في هورون فيليج يراقب دستين. استطاع أن يفعل ذلك فقط عندما كانت ميرا في رحلة عمل. أطلق لحيته، وهو شيء اعتاد فعله في شهور الشتاء، وارتدى قبعة مسطحة<sup>(1)</sup>، ولم يدع دستين يُمعن النظر إليه. جاءت الإشارة الأقرب في إحدى الليالي في حانة فيليج، كان الملهى الوحيد في هذه المنطقة من كامبريدج والمكان الذي يظهر فيه دستين أحياناً في ليالي الخميس. كان ماثيو جالساً على أريكة خلفية يتناول شراب الزنجبيل الغازي<sup>(2)</sup> عندما دلف دستين إلى الحانة، كان واضحاً أنه يبحث عن شخص ما عندما تفحص جميع الزبائن. لكن ماثيو شعر أن عيني دستين قد اجتازتا وجوده. كان يبحث عن فتاة، إما عن فتاة مُعينة أو أي واحدة متاحة. وجلس أمام المَشرب حيث طلب كوباً صغيراً من الجعة بينما يشاهد مباراة الهوكي على التلفاز المُعلَّق في الزاوية.

أنارت تلك الإشارات في عقل ماثيو أفكاراً عن الكيفية التي يمكنه أن يقتل بها طالبه السابق. وبعد مرور أسبوعين -كانت ميرا في كانساس سيتي<sup>(3)</sup> - عاد ماثيو إلى حانة فيليج في إحدى ليالي الخميس. لم يدخل، ولكنه جلس في سيارته على الجانب الآخر من الشارع ممسكاً بالكلمات المتقاطعة في بوسطن جلوب لعلها بينما يراقب مدخل الملهى. وقبل تمام الساعة العاشرة، شق دستين طريقه في الشارع، وهو يتخبط بين جانبي الطريق من أثر الثمالة، واندفع من خلال الباب إلى داخل حانة فيليج.

(1) قبعة دائرية لها حافة قاسية عند الجبهة يرتديها الرجال. (المترجم)

(2) مشروب غير كحولي في الأصل. (المترجم)

(3) أكبر مدن ولاية ميزوري في الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

ما حدث بعد ذلك كان سلسلة من المصادفات غير العادية. وبينما كان ماثيو يعيد سردها على نفسه مرة أخرى، شعر بقشعريرة تضرب جلده وتسارعت أنفاسه. كان الأمر أشبه بمشاهدة فيلم تشويقي للمرة الثانية وما زلت تشعر بالإثارة على الرغم من معرفتك بالنهاية. التف ماثيو من خلال الأزقة الخلفية ودون أن يلحظه أحد، وصل إلى مؤخرة مبنى الشقق الخاصة في مبنى فيكتورين الذي يعيش فيه دستين. كان يسكن في الطابق الثاني وكان هناك شرفة خلفية. لم يكن الأمر سهلاً، لكن ماثيو وقف على حافة شرفة الطابق الأول ورفع جسده إلى داخل شرفة دستين. كان قد تمنى أن يكون المدخل مفتوحاً وكان بالفعل كذلك. دخل ماثيو إلى شقة دستين مرتدياً القفازات وقناع التخفي. ألقى نظرة سريعة حول الشقة حتى يعرف تخطيطها، ثم بحث عن مكان للاختباء. كان يتمنى أن يجد خزانة بها تجويف، لكنه وجد خزانتين في الشقة وكلاهما محشو بالنفايات. كان دستين واحداً من هؤلاء المزيفين الذين يملكون شققاً مرتبة والتي تكون مرتبة فقط لأنه حشر جميع متعلقاته بعيداً عن الأنظار. اختبأ ماثيو أسفل السرير الكبير الخاص بدستين، وانتظر آملاً أن يكون دستين بمفرده حينما يعود.

ولحسن الحظ لم يأت فقط بمفرده، بل وعاد ثملاً تماماً. وبينما كان ماثيو أسفل السرير استطاع أن يسمع صفع الباب الأمامي ووقع الخطوات الثقيلة، وبعد ذلك ذهب دستين إلى دورة المياه التي تقع بجانب غرفة النوم وقضى حاجته بصعوبة ولمدة طويلة. كان يتحدث إلى نفسه - والتقط ماثيو من بين كلماته عبارة «يا إلهي!» التي استمرت طويلاً بينما كان يُفرغ مثانته- وبعد ذلك اتجه دستين إلى غرفة

المعيشة. توقع ماثيو أن يسمع صوت تشغيل التلفاز، إلا أن شيئاً لم يحدث. وعمَّ الصمت المكان.

أجبر ماثيو نفسه على الانتظار لمدة ساعة أخرى على الأقل، ثم انزلق للخارج من أسفل السرير، وخطا بهدوء إلى داخل غرفة المعيشة وهو يحمل حقيبة ظهره معه.

كان دستين قد غاب عن الوعي على كرسي الاستلقاء وما يزال مرتدياً ملابسه، كانت إحدى يديه تحمل جهاز التحكم، مما يعني أنه كان ينوي تشغيل التلفاز. كان الوضع مثاليًا. وفي حقيبة ماثيو كان هناك لفة من الشريط اللاصق ومسدس صعق كهربائي والعديد من الأكياس البلاستيكية وسكين جيب، على الرغم من أن آخر شيء كان ينوي ماثيو فعله هو التسبب في إراقة الدماء.

ممسكًا بمسدس الصعق الكهربائي الذي قرر استخدامه في حالة الضرورة، ثبتَّ ماثيو قدمي دستين بالشريط اللاصق إلى قدمي كرسي الاستلقاء، بينما استمر دستين غارقًا في نومه. فزع من غفوته فقط عندما التفتَّ قطعة من الشريط اللاصق حول صدره وأعلى ذراعيه.

- ما هذا الهراء؟

قال دستين، فأصابه ماثيو بشحنة كهربية من مسدس الصعق الكهربائي المزود بمصباح كهربائي. بينما كان دستين يستعيد وعيه، كمم ماثيو فمه بالشريط اللاصق، وبعد ذلك ثبتَّ رأسه إلى مسند الرأس. كان يتمتع دستين بوجه وسيم وشعر أشقر متدلّ ويزين ذقنه طابع الحُسن وبشرة لا تشوبها شائبة. لقد كان واحدًا من أسوأ أنواع الضواري، ذاك النوع الذي يرتدي قناع الملائكة.

وجّه ماثيو المصباح الكهربى صوب وجهه، وعندما اعتادت عينا  
دستين على الضوء وأظهرت نظرتة ما فسرہ ماثيو على أنه ومضة  
التعرّف، عاجله قائلاً:

- هذا من أجل كورتنى.

ثم سحب الكيس البلاستيكي ووضعہ حول رأس دستين وأحكم  
تثبيتہ حول رقبتہ بالشريط اللاصق وشاهده وهو يحتضر.

بعد ذلك قضى ماثيو بعضًا من الوقت في شقة دستين يبحث عن  
شيء يمكن أن يأخذه. وقد قرر بالفعل أن الأمر سيبدو منطقيًا إذا أخذ  
محفوظة دستين بالإضافة إلى حاسوبه المحمول حتى يبدو الأمر وكأنه  
سطو على الشقة. ولكنه سيتخلص منها على أي حال، ربما سيفرغهم  
في صندوق أو مكب نفايات على بُعد أميال كثيرة. لكن الأمر ليس كذلك،  
إنه يريد شيئًا لنفسه، شيئًا يمكنه الاحتفاظ به. وفي غرفة دستين لاحظ  
وجودها.. كأس المباراة.. محشورةً بين عبوة من مزيل العرق آكس  
وزجاجة غسول الفم. رفع إليه كأس المباراة المغطاة بالأتربة، وفي  
الضوء الخافت استطاع أن يتبين أن هذه الكأس كانت بالفعل هي الكأس  
التي مُنحت إلى دستين في تلك الرحلة عندما اعتدى على كورتنى شيء.  
وبمجرد إمساكه بالكأس، عرف ماثيو أن امتلاكها حق. **مكتبة**

غادر ماثيو بالطريقة التي أتى بها. ولأنها كانت إحدى ليالي الربيع  
الباردة لم يكن هناك أحدٌ بالجوار. عاد إلى سيارته وقادها حتى وصل  
إلى ويست دارتفورد<sup>(1)</sup>، حريصًا على ألا يتجاوز حد السرعة المسموح  
به أبدًا.

(1) مدينة ويست دارتفورد تقع في مقاطعة دارتفورد في ولاية كونيتيكت، الولايات  
المتحدة الأمريكية. (المترجم)



بطريقة ما عندما يعيد التفكير في تلك الليلة الساحرة، يستعيد ماثيو شعوره بالراحة والاسترخاء مُجددًا. تكور على نفسه وحشر إحدى يديه بين ساقيه. كان هذا هو وضعه المفضل عند النوم، وكانت تلك هي الطريقة التي يستغرق بها في النوم طوال أعوامٍ طويلة، بالقدر الذي يستطيع تذكره، محتضناً نفسه كما يحتضن المتسلق الصخرة البارزة. تحركت ميرا بجانبه تغمغم بالكلمات التي لا يستطيع فهمها. كان سعيدًا لأنها ستغادر غدًا. ربما حان الوقت ليبدأ مشروعًا جديدًا بجديّة. لقد مر وقتٌ طويل. على الأقل يمكنه أن يُرتب لرؤية أخيه في الوقت الذي تكون فيه ميرا غائبة. وقد مر وقت طويل على ذلك أيضًا. كان ماثيو يشعر بالقلق حيال أن يعتقد ريتشارد، الذي يعرف أن ميرا لم تحبه قط، أن ماثيو أيضًا لا يحبه. سيتفقد أمره غدًا ليرى إن كان متفرغًا. وسيعُد لنفسه رقائق لحم الخنزير. ألا يكون هذا هو تعريف الزواج السعيد؟

# 5

كانت هين تُعاني ضغط موعد التسليم النهائي -رسمتان جديدتان من أجل فصلٍ في كتاب- لكن هين قضت صباح يوم الاثنين جالسة في الجانب الغربي من المنزل، ترسم بعض النقوش، ولكنها في أغلب الوقت كانت تنظر خارج النافذة تجاه ما يمكنها أن تراه من منزل عائلة دولامور.

كان ممر السيارة فارغًا، واعتقدت هين أن ماثيو ربما قد قاد سيارته إلى سوسكس هول من أجل التدريس. ولكن ما كانت تنتظر هين رؤيته هو أن ترى ميرا تغادر المنزل بسيارتها، السيارة التي ربما تحتفظ بها في المرآب والذي لا يقع في مرأى هين من نقطة المراقبة. ربما تكون ميرا قد غادرت على الرغم من أن هين تراقب جيرانها منذ نحو الساعة الثامنة صباحًا. ومع ذلك، إذا كانت هين بالفعل قد رأت ميرا تغادر بسيارتها، عندئذ كانت ستعرف بالتأكيد أن المنزل أصبح خاليًا. يمكنها أن تتحقق وترى إن كانا قد أغلقا بابهما الخلفي، ذلك الباب الذي يؤدي مباشرة إلى المطبخ. وماذا لو أنهم لم يغلقوا الباب؟ حسنًا، ستدخل إلى المنزل وتلقي نظرة على الكأس. كم سيتسغرق هذا الأمر؟ ثلاثين ثانية على الأغلب. ربما تعود الكأس إلى العام 1953، وعندئذ ستتنبس هين الصعداء وتنسى الأمر برمته. ولكن ماذا لو كانت الكأس تعود إلى العام

الذي تُوج فيه دستين ميلر بطلًا للألعاب الأولمبية للشباب؟ على أي حال، إنها تحتاج إلى رؤيته حتى تتأكد من ذلك.

وقفت هين وأدت بعض تمارين التمدد. لا تُعد هين شخصًا صبورًا -لم تكن كذلك حقًا- وكان الانتظار بالنسبة لها أمرًا مُرهقًا. ماذا لو ذهبت إلى هناك وطرقت الباب؟ إذا لم يكن هناك أي رد، عندئذٍ يمكنها أن ترى الأبواب الأخرى. ولكن ماذا لو كانت ميرا بالمنزل؟ ماذا ستقول لها؟ حسنًا، يمكنها دائمًا أن تقول لها إنها قد مرت بها لتعبّر لها عن شكرها لاستضافتهم على العشاء. سيكون أمرًا غريبًا لفعل ذلك، لكنه لن يكون أمرًا مريبًا بالطبع، أليس كذلك؟ فهي مثلًا لن تخبر ماثيو لاحقًا على العشاء بأن «تلك المرأة المتطفلة التي تسكن بالجوار قد مرت بنا لتحاول اقتحام المنزل، ولكنني كنت هناك، وأنها ألّفت قصة مملة تقول فيها إنها تشكرني على العشاء». إلى جانب ذلك، استطاعت هين أن تأتي بقصة أخرى أفضل من تلك. ماذا لو أنها قالت إنها قد مرت بها لأنها تود أن تلقي نظرة أخرى على المنزل لترى طريقة تزيينهم له؟ وأنها تحاول الحصول على أفكار من أجل منزلها؟ لقد كانت تلك هي الخطة الأفضل من جميع النواحي. وإذا كانت ميرا بالمنزل، ربما ستشعر بالإطراء وستمنح هين جولة أخرى حول المنزل. ستتظاهر بالفضول حول كل شيء، وبذلك عندما تصل إلى الكأس فإن الأمر لن يبدو مريبًا عندما تذهب نحوها لتقرأ ما كُتب عليها.

قررت هين أن تلك هي أفضل خطة (والآن تأمل أن تكون ميرا بالفعل في المنزل). غيرت هين ملابسها إلى بنطال من الجينز وقميصٍ بأكمام طويلة وهبطت إلى الطابق السفلي. وبينما تقطع خطواتها تجاه الباب الرئيسي، لمحت فينجر يُسرع بامتداد الألواح الخشبية وتسارعت دقات

قلبها. وقف قط اللويد ونظر إلى هين. كانت هين تفكر دائماً في فينجر، الذي بالكاد يتقبلها ولكنه يحب اللويد، لأنه قط زوجها.

قالت هين بينما كان القط يموء إليها بحزن:

- لقد أَرعبتني يا فيني.

شعرت هين بالذنب تجاهه، فنزلت إلى القبو لتتحقق من وعاء طعام فينجر، والذي كان فارغاً، ومن صندوق فضلاته، والذي كان ممتلئاً. أصلحت هين الوضع وبدأ فينجر في الاحتكاك بكاحل هين بينما كانت تُقدم له الطعام الجاف في وعائه.

عندما سعدت هين إلى الطابق العلوي مرة أخرى، مرت لحظات قبل أن تتذكر ما كانت على وشك أن تفعله قبل أن يقطعها القط، ولكنها تذكرت بعد ذلك. التقت أنفاسها بعمق وراحت تتساءل إذا ما كان قرارها صحيحاً، ولكنها خرجت بعد ذلك من بابها الأمامي وسارت باتجاه منزل جيرانها.

قرعت الجرس مُدركة بشكل متأخر أنه كان من المفترض أن تُحضر معها شيئاً ما كهدية شكر على العشاء -علبة من كعك المافين أو شيء آخر- ولكن صوت الباب الذي فُتح قطع أفكارها، وكانت ميرا تتطلع من خلفه بابتسامتها.

مكتبة

t.me/t\_pdf

- مرحباً هين!

استقبلتها ميرا.

- مرحباً ميرا. أتمنى ألا يزعجك مروري الآن، ولكنني فكرتُ أن أرسل بريداً إلكترونياً، ثم وجدت كم هو سخيّف أن أرسل رسالة إلكترونية لشخص آخر بينما يعيش في المنزل المجاور. لذا قررت أن أمر على منزلك، هل هذا وقتٌ مناسب؟

- بالطبع، تفضلي بالدخول.

أمسكت ميرا الباب المفتوح. كانت ترتدي بنطال يوجا وقميصاً رتاً تفوح منه رائحة العرق، بينما كُتب عليه جامعة نيو هامشير.

قالت هين:

- أعتذر على التطفل، هل كنتِ تؤدين تمارين رياضية؟

ابتسمت ميرا فظهرت لثتها العلوية.

- ها؟ كلا! إنني أحزم الأمتعة، سأذهب إلى رحلة عمل بعد ظهر اليوم.

- أعتذر، أرجو أن تكلمي حزم الأمتعة. سأعود في وقتٍ آخر.

كانت تهم هين بالابتعاد والعودة عندما أغلقت ميرا الباب الأمامي.

- لا تقلقي بشأن ذلك؛ لقد أوشكت على الانتهاء، ولن تصل سيارة الأجرة حتى الساعة الواحدة. لا مشكلة على الإطلاق. هل أحضر لك شيئاً؟ ربما بعض القهوة؟

- في الحقيقة يا ميرا لقد أتيت لأنني أتمنى لو يمكنني أن ألقى

نظرة أخرى حول منزلك. إن الأمر فقط أنني... عندما عدت إلى

منزلي ليلة السبت، شعرت أن المكان رتيب وعادي للغاية، والآن

لا يمكنني التوقف عن التفكير بشأن أفكار التزيين والمكان الذي

أضع فيه الأثاث. وبما أننا تقريباً نسكن في منزلين متشابهين...

- نعم، لقد تفهمت الأمر، يسعدني أن أريك المنزل مرة أخرى. اسمحي

لي فقط أن أصعد للطابق العلوي وأغير ملابسني، وسأمنحك جولة

عظيمة دون وجود الأزواج التي تشعر بالملل حولنا.

- هذا عظيم، شكراً لك!

- هل أنتِ متأكدة من أنكِ لا تريدين قهوة؟ إنها جاهزة بالفعل في المطبخ، تصرفي كأنكِ في منزلك.

التقتُ ميّرا وصعدت الدرج. وبدأت هين تشعر بالذنب على تطفلها، وبخاصة أن ميّرا -التي كانت متأنقة بشكل رائع ليلة السبت- ربما كانت واحدة من تلك السيدات اللاتي يكرهن أن يراهن أحد بالملابس العادية. ولكن بعد ذلك عادت هين فذكّرت نفسها أنها في مهمة. دخلت المطبخ، فقابلتها رائحة القهوة الطيبة، كان هناك بالفعل فنجان نظيف بجانب إبريق القهوة، فسكبت لنفسها فنجاناً. كان مذاقها أشبه بالجة أو البندق أو ربما الفانيليا، كان مذاق هذا النوع من الأشياء التي لن تشتريها لنفسها أبداً ولكنها ستستمتع بها عندما تُعرض عليها في منزل شخص آخر. اتكأت على سطح منضدة من الجرانيت وألقت نظرة على المطبخ النظيف العصري. كان الأمر أشبه بإلقاء نظرة على شيء في كتالوج، كل شيء متناغمٌ بشكل مثالي مع صيحات المطابخ الحالية. كان يغطي المطبخ نوع من الأرضيات الفلينية وجدران من بلاط الموزاييك، من السراميك الزجاجي الأبيض يشبه ذلك الذي يغطي جدران محطات مترو الأنفاق في مدينة نيويورك، وأدراج بيضاء بسيطة وأجهزة من الفولاذ المقاوم للصدأ. كانت الخزائن في منزل هين ريفية مزخرفة ويغطيها مشمع الأرضيات الذي ربما كان أبيض في أحد الأيام، وعندما استأجرته كانت هناك تلك الثلجة بلونها الأصفر الخردلي. في الحقيقة أحببت هين الثلجة بلونها الكلاسيكي العتيق، لكنها كرهت بقية الأشياء. وعلى الرغم من ذلك، إذا غيرت هين التصميم في منزلها، فإنها ستأتي بشيء أكثر تأنقاً مما فعلته ميّرا بمطبخها.

- رائع، لقد جهزتِ القهوة بنفسك.

كانت ميرا تدخل المطبخ، لم تُغير ملابسها بالضبط، لكنها ارتدت كنزة - تحمل أيضًا شعار جامعة نيو هامشير - فوق قميصها. لم يكن الجو باردًا في المنزل، ولكن هين أدركت سريعًا أن ميرا كانت تتصرف بتواضع، حتى تغطي الجزء الذي يكشفه القميص البالي من جسدها.

- لقد فعلت، إنها لذيذة. حسنًا إلى أين تسافرين؟

ترددت ميرا لبرهة، ثم قالت:

- تشارلوت، كارولينا الشمالية.

- رائع.

قالتها هين بينما عجزت عن الإتيان بأي شيء لتقوله حول هذا المكان تحديدًا.

- أتعرفين؟ أنا أنسى تقريبًا إلى أين أسافر، إن الأمر دائمًا سيان. أقيم في فندق ماريوت الذي يقع بالقرب من المطار إلى جانب تشيليز<sup>(1)</sup> أو أوت باك ستيك هاوس<sup>(2)</sup>.

- ألا تحبين السفر؟

- كلا، بل أحبه. الأمر فقط... السفر ليس أمرًا ساحرًا. أنتِ تخبرين الناس بسفرك الكثير من أجل العمل، فيعتقدون أنكِ تقضين وقتًا ممتعًا هناك وتعيشين حياتك.

- أعلم ذلك، لقد أخبرتني بالفعل، ولكن أعتقد أنكِ تبيعين... برامج تشغيل تعليمية، صحيح؟

---

(1) مطعم أمريكي. (المترجم)

(2) سلسلة مطاعم غير رسمية لها طابع أسترالي ومنتشرة في جميع أنحاء أمريكا الشمالية والجنوبية وآسيا وأستراليا. (المترجم)

- نعم، أبيعها إلى الأنظمة المدرسية بشكل رئيسي. وتشارلوت هي واحدة من أكبر عملائي، لذلك أسافر إلى هناك كثيرًا.

- هلا يمانع ماثيو ذلك؟

- أتقصد يمانع سفري الكثير؟ إنه يقول إنه لا يمانع ذلك، ولكن من يعرف؟ أعتقد أنني كنت سأكره الأمر إذا كان الوضع معكوسًا، فأنا لا أحب أن أكون بمفردي، ولا أعتقد أنه يمانع ذلك.

عقبت هين بينما تضع فنجان قهوتها على المنضدة:

- لذا فكل شيء على ما يرام.

- هلا نبدأ الجولة مرة أخرى؟! هل تريدين إلقاء نظرة على الطابق العلوي؟

قالت هين:

- بالطبع أود ذلك، إذا لم أكن متطفلة.

ألقنا نظرة حول المنزل بتأن، وكانت حماسة ميرا واضحة، إذ كانت تتمتع بالقدرة على الحديث عن كل قرار يتعلق بالتصميم، وعندها بدأ القلق يغزو عقل هين بأنهما ربما لن يتمكنوا من الوصول إلى مكتب ماثيو. ألقنا نظرة على غرفة النوم الرئيسية، بينما كانت ميرا تقول:

- أعتقد أن اختيار موضع السرير أمر مهم، هل لاحظت ضوء النهار الذي يصل إلى غرف النوم؟

قالت هين إنها لاحظت بالطبع، إلا أن ذلك فقط كان بسبب أنه يُوقظها في ساعة مبكرة.

ثم ألقنا نظرة على غرفة الضيوف التي تحتوي على سريرين منفصلين، بالإضافة إلى غطاءٍ عُلق على الحائط والذي بدا إلى هين أنه يحمل طابعًا هنديًا، ثم دخلا إلى الغرفة الثالثة في الطابق العلوي،



الغرفة التي تقع على واجهة المنزل ولها سقف منحدر. كانت حوائطها مطلية بلون أصفر لامع ومبهج. وعلى إحدى طاولات الغرفة كانت توضع ماكينة خياطة وبجانبيها لفافات قليلة من الخيوط.

قالت ميرا:

- غرفة أشغالي اليدوية، لكن لأكون صريحة، فأنا لم أستخدمها قط... كان من المفترض أن تكون حضانة طفل، ولكن...

سألت هين:

- هل حاولتِ إنجاب طفل؟

- لقد حاولنا، لمدة ثلاثة أعوام تقريبًا. لكن الأمر لم يحدث قط، والآن إننا متقبلا الأمر. أعتقد أن عدم إنجاب طفل يجعل الحياة أسهل، ألا تعتقدين ذلك؟

- أعتقد ذلك، بالتأكيد يجعلها أسهل.

- ألسنتِ... هل تخططون...؟

- لا، لم يعد الأمر مطروحًا للنقاش.

- هل يمكنني أن أسأل عن السبب؟

تفاجأت هين بالسؤال، لكنها لم تنزعج منه، فبدأت تقول:

- أعاني مشكلاتٍ صحية...

- آسفة، لم أقصد أن أتطفل.

- كلا، لستِ متطفلة، أنا... أنا أعاني الاكتئاب، وحقيقةً لا أنوي

التخلي عن أدويتي، الأمر الذي سأحتاج إلى فعله في أثناء الحمل.

لستُ متأكدة من أنني أود نقل تركيبة مخي إلى الجيل القادم.

كانت تضحك بينما تلفظ جملتها الأخيرة حتى تسمح لميرا أن تعرف أنه لا بأس أن تضحك هي أيضًا.

قالت ميرابدهشة:

- أنا متفاجئة للغاية، فأنتِ تبدين شخصًا سعيدًا حقًا.

- إنني بخير الآن.

قالت هين، إلا أنها أسرت إلى نفسها قائلة: أنا شخص سعيد، لطالما كنت كذلك. ولكن الأمر كله يتعلق بشخصيتي، والتي لا علاقة لها بعقلي المعطوب الذي يقنعني من وقت لآخر بأنني شخص عديم القيمة لا يستحق الحياة.

عندئذ قالت ميراب:

- كان جدي، الذي كنت قريبة منه كثيرًا، يعاني أيضًا الاكتئاب.

قالت هين:

- حقًا؟

واحدة من نتائج قرارها بأن تكون منفتحة دائمًا بشأن مرضها العقلي هي أنه يبدو أن الناس دائمًا يمتلكون قصة تتعلق بهم، تبدأ من التفاهة إلى المأساوية.

- لقد قتل نفسه عندما كنت في الرابعة عشرة.

- حقًا؟! أنا آسفة يا ميراب.

- لقد مضى وقتٌ طويلٌ على ذلك الأمر، ولكنني أخبر نفسي دائمًا بأنه كان مريضًا وأن المرض هو من قتله.

- إنها طريقة جيدة للتفكير.

هكذا قالت هين، ووجدت نفسها تميل إلى الإعجاب بميرا. كانت تلك إحدى عادات هين، والتي لا تفتخر بها بالطبع، هي أنها تميل أحياناً إلى الاهتمام بالأشخاص الذين يعانون بشكل ما.

انتقلتا إلى الطابق السفلي وألقتا نظرة أخرى على المطبخ، كانت هين تحرص على طرح الكثير من الأسئلة عن كل شيء حتى إذا وصلا إلى غرفة مكتب ماثيو، سيمكنها أن تبدو مهتمة للغاية بما هو مكتوب على رف المدخنة في غرفة مكتبه. بعدما غادرتا المطبخ ووقفنا لبرهة في غرفة الطعام، كانت هين تأمل أن يلتفتا يميناً باتجاه المكتب في خلفية المنزل، لكنهما مرا من خلال غرفة المعيشة أولاً، بينما كانت ميرا تشرح بالتفصيل كيف هدم الحائط الذي يفصل البهو لزيادة المساحة. وعندما وصلا أخيراً إلى المكتب، قالت ميرا:

- بالطبع لا يوجد ما يتعلق بي هنا، إنه نطاق ماثيو.

- أحتاج إلى أن أرى مساحة المكتب، لأننا نريد أن نشترى واحداً لأنفسنا.

دلفتا إلى داخل الغرفة، فصدمت هين مرة أخرى بالكيفية التي تختلف بها الغرفة عن بقية الغرف، وذهبت عينها على الفور إلى رف المدخنة، فلاحظت مباشرة أن كأس المباراة لم تعد في مكانها، وبدلاً منها كانت هناك قطعة صخرية مستوية عليها كتابات خطية ومعلقة على حامل. حاولت هين ألا تطيل النظر ووزعت نظراتها حول الغرفة، حتى ترى إذا كانت الكأس قد تحركت إلى أي موضع آخر. سألتها ميرا:

- هل تريدني أن أحضر شريط القياس من أجل المكتب؟

- بالطبع، لِمَ لا؟

استمعت هين إلى خطوات ميرا بينما تصعد السلم، ربما تصعد إلى غرفة أشغالها اليدوية. وتحركت بالقرب إلى المكان الذي كان موضعًا للكأس. ولبرهة من الزمن، فكرت في احتمالية تشويشها في ليلة حفل العشاء، وأنها قد رآته في موضع آخر، ولكن، كلا، كانت متأكدة من أنها رآته هنا في هذا الموضع، يرتكز أعلى المدخنة. لقد تم نقله.

لقد نقله لأنه رآها تمعن النظر فيه، لقد عرف أنها تعرف.

تأكدت هين الآن أن ماثيو قد قتل تلميذه السابق. كانت متأكدة من الأمر مثلما كانت لتتأكد من حدوثه إذا كان اسم دستين ميلر مطبوعًا على الكأس.

- لقد وجدته.

قالت ذلك ميرا عند عودتها إلى الغرفة تمسك بشريط القياس. سحبت طول الشريط الأصفر فعاد إلى الخلف بسرعة. قفزت كلُّ من هين وميرا ثم ضحكتا. ومعًا أنهيا قياس المكتب.

# 6

صنع ماثيو لنفسه رقائق لحم الخنزير بالطريقة التي يفضلها على العشاء، حيث يُضيف إليها قليلاً من الملح والفلفل الأسود، ثم يحمرها في مقلاة مع الزبد. وأعد البطاطس المسلوقة والبروكلي المسلوق بالبخار. ووضع ملء ملعقة كبيرة من خل التفاح على رقائق اللحم.

تناول وجبته مع كوبٍ من الحليب بينما كان يشاهد الأخبار المحلية. مدرسة خاصة أخرى، واحدة من تلك المدارس التي تقع في الجزء الغربي من الولاية، قد أقرت للتو بأن سبعة من مدرسيها السابقين قد اعتدوا جنسياً على الطلاب في ثمانينيات القرن العشرين. وحسب معرفة ماثيو، فإن سوسكس هول لم تُوظف مُدرّساً من هذا النوع قط. إلا أن هناك شائعات قد انتشرت بشأن ويليام روث، مُدرس اللغة الإنجليزية في عامه الأول، الذي استقال بعدما أصبح متورطاً في علاقة رومانسية مع إحدى طالبات السنة النهائية. وقد وقعت تلك الحادثة بعد أعوامٍ قليلة من قبول الطالبات لأول مرة في سوسكس هول، وأدان بعض المدرسين القدامى الحادثة بناءً على تلك الحقيقة فقط وليس على فشل ويليام في التحكم بغرائزه. ولكن صار الأمر بشكل جيد في النهاية، فقد غادر ويليام المدرسة وتخرجت ماجي آلين، التي لم تُقدم قط أي شكوى رسمية، وحصلت على المرتبة الأولى على صفها.

بعد العشاء حضر ريتشارد، شقيق ماثيو، بعدما أخبره أن ميرا سافرت خارج المدينة. في الماضي كان هناك وقت ما استطاع ريتشارد وميرا أحياناً أن يكونا معاً في غرفة واحدة، إلا أن ذلك الوقت قد انقضى منذ أمدٍ بعيد.

- تناول معي شراباً!

قالها ريتشارد بينما يصب ماثيو له كأساً كبيرة من السكوتش<sup>(1)</sup> والصودا، وهو ذات الشراب الذي كان والدهما يُفضله.

رد ماثيو:

- شكرًا، لا أريد.

جلسا في غرفة مكتب ماثيو، الذي يعرف أن الأمر ليس منطقيًا أبدًا، لكن حقيقة أنه دعا ريتشارد إلى مكتبه تجعله يشعر بقدر بسيط من خيانتة لثقة ميرا على أن يدعوه إلى أي واحدة من الغرف التي صممتها ميرا بنفسها.

قال ريتشارد:

- لقد خطرتَ ببالي الأسبوع الماضي.

- حقًا، لماذا؟

انحنى ريتشارد إلى الأمام ومَشَّطَ شعره بأصابعه، كان يعاني انحسارًا للشعر في جانبي رأسه<sup>(2)</sup>، صفة أخرى يتقاسمها مع والده، على الرغم من أن شعر ريتشارد يبدو وكأنه لم يَرِ الماء منذ عدة أيام.

(1) السكوتش أو الويسكي الإسكتلندي هو مشروب كحولي يُصنع في إسكتلندا ويُصنع في أغلب مناطق زراعة الحبوب، ونسبة الكحول فيه تتراوح ما بين 20 إلى 45%.  
(المترجم)

(2) هي حالة تجعل خط الشعر شكلاً يشبه رقم 7 باللغة العربية في منتصف الجبهة وينحسر نمو الشعر في كلا الجانبين، فلا يستوي خط الشعر.

- كنت أقود سيارتي في شارع ميريماك، وقد وقفت عند تقاطع الاتجاهات الأربع لمدة خمس دقائق تقريبًا بسبب مجموعة كاملة من طلابك الذين كانوا يركضون على امتداد الشارع. ما هذا يا ماتي؟ يا إلهي! ماذا كان هذا؟ أكان منتخب الفتيات الوطني للعدو؟

- لا أعلم، هل كانوا يرتدون زيًا مدرسيًا؟

- أخضر اللون، هل هذا صحيح؟ ونصفهم كان يرتدي تلك السراويل القصيرة الضيقة. كيف يمكنك تحمل هذا؟ يا إلهي! هل رأيت سيقانهم الناعمة؟ لقد اعتقدت أنني سأصاب بأزمة قلبية وأنا في موضعي.

- لا أفكر فيهم بتلك الطريقة، إنهم طلابي وما يزالون أطفالًا.

- بالضبط، ألم تلحظ قط أن زيادة الوزن في الفتيات الصغيرات تبدو مثيرة؟ أقصد كيف يفعلون ذلك؟

استطاع ماثيو أن يُغير دفة الحديث لبعض الوقت، وتحدثنا معًا عن طفولتهما وعن أمهما وأبيهما. كان هذا هو السبب الوحيد الذي من أجله احتفظ ماثيو بشقيقه ريتشارد في حياته بعد ذلك، حتى يمكنهما أن يتذكرا طفولتهما معًا. لقد تشاركا معًا ذكريات كثيرة، تاريخًا بائسًا مع أبوين بائسين، ولهذا السبب ارتبطا ببعضهما بعضًا وتوطدت علاقتهما. عندما بدأ ماثيو في مواعدة ميرا، حاول أن يشرح لها القسوة المعقدة التي تعامل بها والده مع والدته، لكنه لم يستطع شرحها بطريقة تجعلها تتمكن من فهم الأمر برمته. كان والده من النوع الذي يتلذذ بتحطيم شعور أمه بالجدارة والثقة بنفسها ببطء، مُحوّلًا إياها بالتدرج إلى شيء يشبه الإنسان، يشبهه فقط. كان بورتر دولامور يتمتع بهبة خاصة، كان جلدًا محترقًا يتمتع بالصبر الطويل الذي يجعله يستطيع

قطع شريحة رقيقة من جسد ضحيته كل يوم، حتى تظل ضحيته حية متألمة دائماً. إلا أن ناتاليا دولامور قد فعلت الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله حتى تستمر في الحياة، أصبحت المرأة التي اعتقد بورتر دائماً أنها كذلك، مارست الجنس مع نصف الرجال المتزوجين في المدينة. كانت تلك هي طريقته للأخذ بثأرها، لكن كان لذلك أثره عليها أيضاً من معاناة وضرر. أصبحت امرأة مختلفة بعد وفاة بورتر في عمر الخمسين. صارت هادئة وعابسة وبالكاد تغادر المنزل، ثم قتلت نفسها بعد ثلاثة أعوام من وفاة زوجها.

تجرع ريتشارد ثلاث كؤوس أخرى من الشراب بعد كأسه الأولى، لكن ماثيو حرص على أن يخلط له الكثير من الصودا مع السكوتش في كأسه الأخيرة. حتى قرر ريتشارد أن يغادر، فلا يمكنه بأي طريقة أن يتحمل وجوده طوال الليل.

وقبل أن يغادر قال لماثيو:

- لقد رأيت جيرانك الجدد.

- نعم، لدي جاران جدد، للويد وهينريتا، إنهما زوجان.

- لم أرَ للويد، لكنني رأيت هينريتا.

- إنها تُفضل أن تُدعى هين.

- تبدو أنها من ذلك النوع الذي لا يمانع...

قال ريتشارد ذلك بينما كان لسانه يندفع كالأفعى ليلامس شفته العليا.

- لِمَ تقول هذا؟

سأله ماثيو. كان بالفعل مهتماً بإجابة ريتشارد عن سؤاله لأنه أراد أن يفهم السبب الذي جعله يقول ذلك. إلا أن ريتشارد كان مثل والدهما؛



يرى كل امرأة تقع في مدى بصره على أنها قطعة لحم ولا تصلح إلا أداة للجنس. الفرق بين ريتشارد ووالده أن أباه كان يستطيع الإمساك بالضحية أحياناً. أما ريتشارد، فيعتقد ماثيو أن قدرته لا تتجاوز الكلام. فإذا ما استطاع في أي وقت أن يحظى بأي امرأة، لا يعتقد ماثيو أن ريتشارد سيعرف ما الذي عليه فعله معها.

قال ريتشارد:

- يمكنك أن تقول ذلك من النظر إلى الملابس التي ترتديها.

- متى أمكنك رؤيتها؟

- عندما مررت هنا منذ أسابيع قليلة. كانت في الخارج تجلس في الشرفة الأمامية وترفع ساقها على السور الحديدي. أمكنني أن أرى مباشرة ما تحت تنورتها، لقد رأيتني أنظر إليها ولم تغير جلستها. فدعني أخبرك بأنها ستستسلم في لحظات.

قال ماثيو:

- أعتقد أنك مخطئ في ذلك، وأعتقد أنه ربما من الأفضل أن تغادر، إنه موعد نومي.

- هل انزعجت؟

- كلا، لم انزعج يا ريتشارد، لكنك تبدو مثل والدنا.

- لقد كان يفهم النساء.

- وهل تعتقد أنك تفهم النساء؟ أنا الوحيد الذي يعيش حياة زوجية سعيدة، وهذا أكثر مما يمكنك فهمه، وأكثر مما يمكن لوالدنا أن يفهمه على الإطلاق.

- اهدأ يا ماثيو، هذا مجرد حديث فارغ، لا تأخذ الأمر على محمل الجد. باستثناء جارتك، أرجو أن تأخذ أمرها على محمل الجد، لأنها ستسبب لك المتاعب.

رفع ريتشارد صوته بينما كان ينطق الكلمة الأخيرة. شعر ماثيو بالغثيان، فطلب من ريتشارد الرحيل.

في اليوم التالي استمر شعور ماثيو بالانزعاج قليلاً بعد الأمسية التي قضاها مع شقيقه، وازداد الأمر سوءاً عندما مرت عليه تلك التجربة المقلقة مع إحدى طالباته في صفه المفضل، في أثناء الحلقة الدراسية المتقدمة لطلاب السنة النهائية عن الحرب الباردة. اجتمع طلاب الصف من أجل طعام الغداء، وأنهى ماثيو شطيرة من الرومي المُدخن والجبن، وقام بتحريك مقاعد الطلاب حتى يشكلوا دائرة. كان هناك ثمانية طلاب فقط في حلقة الدراسية. لم يقتصر الأمر فقط على اختيارهم لموضوع الدراسة في بداية الدورة الدراسية، بل جعلهم ماثيو يحددون الكثير من الموضوعات أيضاً. واليوم كان الحديث عن مؤتمر يالطا<sup>(1)</sup>، وكانت هيلري مارجوليس، ربما الفتاة الأكثر ذكاءً وإشراقاً في صف السنة الثالثة لهذا العام، تقود المناقشة. كان ماثيو يجلس قبالتها مباشرة، وبينما كانت هيلري تتحدث كانت تحل تقاطع ساقها وتعيد تقاطعها بانزعاج أسفل مقعدها، فرأى ماثيو، دون قصد، من أسفل تنورتها الخضراء الداكنة، مفتوناً بلمحات من صفحة فخذها ولقطات من ملابسها البيضاء الناصعة. لم يكن ذلك أمراً جديداً يراه لأول مرة، فقد كان يرى مثل هذه المشاهد يومياً—في بعض الأحيان قد تبدو الفتيات في المدرسة غافلات

(1) مؤتمر يالطا هي الاتفاقية الموقعة بين الاتحاد السوفيتي بزعماء ستالين وبين بريطانيا بزعماء تشرشل والولايات المتحدة بزعماء روزفلت، من 4 إلى 11 فبراير 1945، في الاتحاد السوفيتي.

عن أجسامهن الشبابية ورقة ملابسهن- ولكن لسبب ما تغيرت رؤيته لهذا الأمر مباشرة بعد زيارة ريتشارد، مما جعل ماثيو يفكر بشكل مختلف. وسمع صوت ريتشارد يطن في رأسه (ليست من النوع الذي يمانع)، ولوهلة تخيل كيف ستكون فخذ هيلري ناعمة. شعر بالدماء تصعد إلى دماغه وضبط جاستين نودسين محددًا إليه بقليل من الحذر. في نهاية اليوم جلس ماثيو في سيارته الفيات في ساحة الانتظار، وألقى باللوم على ريتشارد بسبب الطريقة التي جعله ينظر بها إلى طالبته، وعلى الأفكار التي زرعها في رأسه. ما كان ينبغي له أن يستضيفه الليلة الماضية. فإن كونه شقيقه لا يعني أنهم يحتاجون إلى قضاء وقتٍ معًا، ليس هناك أي شيء مشترك بينهما.

بينما كان يحاول تهدئة أعصابه، فكر فيما يمكن أن يطهوه الليلة من أجل العشاء، وقرر أن يقود سيارته إلى سوق الأسماك ويشترى قطعة جيدة من سمك القد، ثم يذهب إلى متجر الخضروات لجلب رقائق ريتز لتزيين السمك. كانت تلك طريقته المفضلة في إعداد السمك، ولكن ميرا لم تكن تفضلها، فهي تفضل سمك السلمون مع صوص آسيوي حار.

أدار سيارته في اللحظة التي كانت ميشيل تشق طريقها عبر الإسفلت باتجاه سيارتها. سمعت صوت دوران محرك سيارته الفيات، وأدارت رأسها إلى ماثيو مبتسمة وتحركت نحوه.

أنزل زجاج النافذة، فقالت:

- أردت أن أشكرك كثيرًا، في الحقيقة استطعت بالأمس أن أقدم محاضرة كاملة حول مبادئ الدستور. اعتقدت أنهم سيغطون في النوم، ولكن أرى أن الأمر سار على ما يرام. وقد أوكلت إليهم مهمة وضع دستورهم الهزلي، كان الوضع رائعًا. لقد بدا أنهم مهتمون بالأمر حقًا.

- أنا سعيد من أجلك.

- واستخدمت أيضًا نصيحتك حتى أجعل جيمبل يصمت في أثناء  
الدرس وقد نجح الأمر فعلاً.

- أي نصيحة؟

- لقد كان كثير الكلام في أثناء الدرس، وبدلاً من أن أخبره بأن  
يكون هادئاً ويصمت، توقفت أنا عن الكلام وحدقت إليه، فأصبح  
الصف كله مهتماً بما يقوله، وكان يتحدث عن شيء آخر خارج  
موضوع الدرس.

هبّت نفحة دافئة من الهواء حركت بعضاً من شعرات ميشيل الطويلة  
إلى الداخل من خلال نافذة السيارة، فجمعتها معاً وأعدت ربطها إلى  
مؤخرة رأسها.

- ماذا بشأن سكوت؟

- يا إلهي! إن الأمر لا يتوقف أبداً. لقد اتهمته بإخفاء هاتفه عني،  
فأعطاني كلمة السر الجديدة وقال إنه قد غيرها فقط لأنه رأى  
بعض الأطفال الفضوليين المشكوك فيهم - رسمت علامتي  
تنصيب بأصابعها- يشاهدونه بينما كان يكتب كلمة السر في  
أحد المقاهي. ثم سلمني الهاتف وأخبرني أن أفحص أي شيء  
أريد فحصه، ولكن كان ذلك بعد أربع وعشرين ساعة من حفلته،  
لذا أعتقد أنه استطاع حذف أي شيء يريده.

- هل تعتقدين بالفعل أنه يخونك؟

- لا أعرف، ربما. من المحتمل.

رأى ماثيو الدموع تطفو على عينيها.

- إذا كان كذلك، فإنه لا يستحقك.

- أعلم هذا، أعلم. اسمع، لا أريد... أعتقد أنه ربما من الأفضل ألا أعطك عن طريقك.

- لا تقلقي، إن ميرا خارج المدينة، وسأكون بمفردي طوال الأسبوع.  
- حقاً؟!

تورد وجه ميشيل قليلاً بينما تنطق كلماتها الأخيرة. أحياناً ما يعتقد ماثيو أنها مغرمة به سرّاً.

- أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب على أي حال، هناك عشاء يحتاج إلى الطهي ودروس تحتاج إلى التخطيط وتلفاز يحتاج إلى الإفراط في مشاهدته.

ضحكت ميشيل وبدأت تسأله عن برامج التلفاز التي يشاهدها، ثم توقفت عن الكلام وتراجعت قائلة لنفسها: «ميشيل، توقفي عن الثرثرة» بينما كانت مستمرة في الضحك.

- ليلة سعيدة ماثيو، شكرًا لك مُجددًا.

في أثناء عودته إلى المنزل، كانت الشمس إلى زوال وكان ماثيو مطمئنًا على الأقل بأنه صار يفكر في شيء آخر غير جارته هين والهيئة التي بدت عليها عندما رأت كأس المباراة.

الآن صار يفكر في صديق ميشيل الحميم؛ سكوت، وكيف كانت خيانتة لها واضحة للغاية. كان يُحدث نفسه بأنه ليس هناك دخان دون نيران، فهو لن يغير كلمة السر على هاتفه دون سبب. لم يتقابل ماثيو وسكوت من قبل، لكنه رأى صورًا له على حساب ميشيل على فيسبوك. كان شاحبًا وله أنفٌ حاد مثل النصل ولحية مائلة للحمرة بالكامل. ما لم تحنه ذاكرته، تذكر ماثيو أنه في واحدة من الصور قد رأى سكوت مرتديًا قميصًا للدعاية من أجل فرقته الخاصة سي-بيمز. ما مدى

صعوبة إثبات خيانة سكوت؟ ثم ما مدى صعوبة تحرير ميشيل من هذا الوجود؟ أثارت الفكرة حفيظة ماثيو، يمكنه أن يشعر باندفاع الأدرينالين يتدفق في عروقه، وبدأ يُسائر قرع الطبول في الراديو بالضربات على عجلة القيادة. لقد كان يعيش في الماضي لفترة طويلة حتى الآن، وقد حان الوقت ليخلق ذكرى جديدة. وربما يكون سكوت مرشحًا جيدًا بالاهتمام.

عندما عاد إلى المنزل، أعد العشاء لنفسه تاركًا السمك أسفل الشواية بحماقة لفترة أطول مما يجب، فتفحم لون رقائق الريتز التي كانت تغطي السمك، لكنها ما زالت تتمتع بمذاق جيد على الرغم من ذلك، وبدلاً من تناول طعامه أمام التلفاز، فضّل تناوله في غرفة مكتبه بينما يشاهد مقاطع الفيديو التي نشرتها فرقة سي-بيمز على موقعها. تقول صفحة فعاليتهم إنهم سيعزفون ليلة الخميس في حانة أويلز هيد والتي تبعد مسافة قليلة يمكن قطعها سيرًا على الأقدام من منزله. قرر ماثيو في نفسه أنه إذا تأكد من عدم زهاب ميشيل إلى هناك، فإنه سيذهب بنفسه ويلقي نظرة على سكوت، ليرى ما ستتيح له الفرص رؤيته.

# 7

كان الوقت متأخرًا بعد الظهر، وهو أسوأ الأوقات التي تمر على هين في يومها، حين تراخت طاقتها الإبداعية إلى أقل نقطة، وضعفت همتها وصارت لا تعلم ما الذي يجب عليها فعله بنفسها. كان الوقت مبكرًا أيضًا على التفكير بشأن العشاء، وإذا بدأت في القراءة ستغط في النوم، وإذا غطت في النوم لوقت طويل ستشعر بالضجر وتعكر المزاج بقية المساء. لكنها اليوم كانت تقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا محاولة أن تفكر فيما يجب أن تفعله بشأن جارها. تعلم أن الشيء الوحيد الذي يمكنها فعله هو الاتصال بإدارة شرطة كامبريدج وإخبارهم بما رآته. سيبدو الأمر جنونياً، لكن ماذا لو أن ماثيو دولامور كان بالفعل مشتبهًا به؟ ماذا لو دفعتهم رؤيتها لكأس المباراة تجاه المزيد من التحقيقات؟ هل يسمح لهم ذلك بإصدار إذن التفتيش؟ من يعلم، ربما كان هناك دليل مادي في مسرح الجريمة -ربما حتى الحمض النووي- وهذا سيدينه بالطبع.

ذهبت للبحث عن رقم هاتف إدارة شرطة كامبريدج، لكن لم تستطع حمل نفسها على الاتصال. لم يكن لديها ما يكفي من الشجاعة لذلك.

رن هاتفها مظهرًا رسالة أرسلها للويد يقول فيها إنه في قطار الركاب، والذي يعني أنه سيكون في المنزل خلال ساعة. ذهبت إلى

غرفة المعيشة وجلست على الأريكة ممسكة بدفتر رسوماتها، وفتحت على صفحة فارغة، أغلقت عينيها لمدة ثلاثين ثانية ثم بدأت في رسم كأس المباراة تمامًا مثلما تتذكرها، حتى إنها قد كتبت الكلمات التي كانت متأكدة من أنها رأتها مكتوبة عليه. سلاح الشيش المركز الثالث. دورة الألعاب الأولمبية للشباب. ثم حدثت إلى رسمتها، تبدو صحيحة بالنسبة لها، حيث يقف المبارز في وضع المباراة على قاعدة دائرية في المنتصف. ذهبت هين لتحضر حاسوبها المحمول وعادت مرة أخرى إلى الأريكة. بدأت في البحث عن «كأس المباراة لدورة الألعاب الأولمبية للشباب». كانت الصور التي أظهرتها نتيجة البحث محبطة؛ في البداية لم يكن هناك الكثير من النتائج، وثانيًا بعض الكؤوس التي ظهرت كانت كؤوس مباريات كروية. ولكنها وجدت صورة واحدة فقط قد لفتت انتباهها، مراهقة تبتسم إلى الكاميرا حاملة كأس تشبه كثيرًا تلك التي رأتها على رف مدخنة ماثيو. كانت الصورة منشورة على موقع للأخبار المحلية ومرفقة بقصة منذ ثماني سنوات: «فازت طالبة بالسنة الثانية في مدرسة لوبوك الثانوية بالمركز الأول في دورة الألعاب الأولمبية للشباب في المباراة». ضغطت هين على الصورة لتكبيرها ولكنها كانت بدقة سيئة للغاية، حتى إن هين لم تستطع قراءة ما كُتب على قاعدتها. لكن ذلك قد أقنعها تمامًا أن الكأس التي رأتها عند جيرانها قد أتت من نفس الحدث.

وصل للويد إلى المنزل بينما كانت هين في حالة من القلق، أحضر لنفسه لاجونيتاس<sup>(1)</sup> من الثلجة وسكبه في كأسه المفضلة لشرب الجعة، ثم جلس على الكرسي المقابل لهين وهو يسألها:

- كيف كان يومك؟

(1) نوع من الجعة - يحمل اسم الشركة ولم يُحدد الكاتب المنتج. (المترجم)



- جيد! قمت ببعض الأعمال وذهبت في جولة للمشي.

- هل ذهبت إلى الاستوديو؟

- لم أفعل، لكنني سأذهب غدًا.

كانت هين متفاجئة من نفسها أنها لن تخبر للويد بأنها ذهبت إلى بيت جيرانها، وأنها قد ذهبت في جولة حول المنزل مرة أخرى. لن يفيد إخباره بشيء سوى زيادة قلقه.

سألت هين:

- ماذا عن يومك؟ كيف كان؟

- عادي.

أجابها ثم استرسل في شرحه للكر والفر الذي قضى يومه فيه مع عميل مزعج. يعمل للويد في العلاقات العامة، وعندما يسأله أي شخص عما فعله حتى يُبتلى بتلك الوظيفة يكون رده دائمًا «تكفيرًا عن أثامي». لم تكن هين متأكدة بالضبط مما يقصده للويد بذلك، وبخاصة أن للويد يحب عمله حقًا. وقد حاز ترقية مؤخرًا ليكون رئيسًا لإدارة التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي في شركته الصغيرة، وهو من عمل على اكتساب أهم العملاء لديهم، وهو مصنع صغير للجة متوقع له التقدم (من خارج بوسطن ويخطط للتوسع على مستوى البلاد).

قال للويد بعدما أنهى شرب الجعة:

- هل تريد أن تأكلي بالخارج؟

- ما زال لدينا بواقي طعام.

- ذكريني، ماذا كانت؟

- خبز الذرة مع الفلفل الحار<sup>(1)</sup>.

- صحيح، حسناً! الأمر يعود إليك، لا مشكلة لدي في كلتا الحالتين.

كانت ليلة دافئة وانتهى نقاشهما بخروجهما للمشى حتى وصلا إلى مركز ويست دارتفورد. كانت هناك كنيسة أبرشانيون<sup>(2)</sup> ومتجر اللوجبات السريعة ومقهى مفتوح من أجل الفطور والغداء، وحانة تُسمى أويلز هيد تقدم الطعام مع موسيقى حية من وقتٍ لآخر. كانت هناك مقاعد متاحة عند مشرب أويلز هيد، طلب كلُّ من هين ولويد بعضاً من الجعة، ثم طلب اللويد برجر نباتي، بينما اختارت هين حساء التشاورد من الحلزون الصدفي والبطاطس. كان النادل رجلاً طويلاً أحذب الكتفين ويملاً وجهه شارب مثل مقود الدراجة، تذكر النادل أسماءهما منذ آخر مرة كانا فيها في أويلز هيد. حتى إنه تذكر اسم مصنع الجعة الذي يمثله اللويد، وقال إنه قد اطلع على موقعهم الإلكتروني. جاء الطعام وبدأت مباراة البيسبول، كان فريق ريد سوكس يلعب أمام فريق أوريولز، وكان الفريقان متعادلين في الترتيب عندئذ، ولم يبق سوى خمس مباريات فقط في الموسم. تفحصت هين المشرب الصغير، وفكرت أنه قد صُمم ليبدو أقدم مما هو عليه، لكنه مريح، توجد في خلفية المشرب جدران الطوب غير المطلي وصنابير ملء الجعة المصنوعة من الخشب المطلي، وطائرا بوم محنطان، كل واحد منهما عند إحدى نهايتي المشرب. وخطر ببالها كم عدد المرات التي ستأتي فيها إلى هنا في المستقبل،

(1) وصفة تُصنع من خبز الذرة المخبوز المحشو بالهالابينو والمضاف إليه صوص مكسيكي حار. (المترجم)

(2) الأبرشانيون هم طائفة تابعة لفرقة البروتستانت المسيحية، يرفضون التحكم الخارجي ويقررون أن لكل طائفة أن تتولى شؤونها بنفسها. (المترجم).

وقد ملأتها الفكرة بالامتنان المفاجئ. واندفاعاً بشيء خفي يتعلق بذلك  
الشعور جعلها تقول للويد:

- أريد أن أعترف بشيء.

- حقاً؟!!

أجابها بينما كانت عيناه مثبتتين على المباراة.

- هل تتذكر عندما قلتَ إنني تصرفت بغرابة عندما كنا في منزل

جيراننا ماثيو وميرا؟

- متى تصرفتِ بغرابة؟

- في نهاية الزيارة عندما كنا نلقي نظرة على مكتب ماثيو.

التفت للويد ونظر إلى هين:

- أتذكر ذلك، كنتِ تبدين كما لو أنكِ على وشك الإغماء.

- هذا لأنني رأيت شيئاً ما... هل تتذكر عندما سألتُ عن كأس المباراة

التي كانت موجودة على رف المدخنة؟

- نوعاً ما.

- هل تتذكر دستين ميلر؟

ارتشف للويد من كأس الجعة وقال:

- بالطبع!

- لم يظهر ذلك في التحقيق على الفور، لكن الشرطة صرحت

بالفعل أن واحداً من الأشياء التي فُقدت من منزل دستين ميلر في

تلك الليلة التي قُتل فيها كان كأس المباراة.

- أجل.

- هل تتذكر بأي مدرسة التحق دستين ميلر عندما كان في المدرسة الثانوية؟
- هل التحق بمدرسة سوسكس هول؟
- نعم بالضبط.
- لا أعلم يا هين.. لكن هذه مبالغة.
- أنت لا تعرف حتى...
- أعتقدين أن ماثيو جارنا قد قتل دستين ميلر وأخذ كأس المباراة ووضعها على رف المدخنة في مكتبه؟
- لقد كانت كأس الألعاب الأولمبية للشباب في المباراة، كان ذلك مكتوبًا عليه بالضبط، وقد كانت هذه هي الطريقة التي حصل دستين ميلر بها على الكأس. وهناك شيء آخر، فقط دعني أنه كلامي. كان هناك اتهام بالاعتداء الجنسي ضد دستين ميلر، عندما كان طالبًا في سوسكس هول. ماذا لو أن ماثيو كان يعرف بطريقة ما أو اشتبه أن دستين مذنب؟ سيمنحه ذلك حافزًا لقتل طالبه السابق.
- ليس تمامًا.
- أجبها بينما يدير مقعده حتى يصبح الآن مواجهًا تمامًا لهين، واستكمل حديثه بصوت منخفض:
- حتى إذا وجد أنه قد أقلت من اتهامه بالاعتداء الجنسي، هذا لا يعني أنه سيقتله. ثم لماذا سيأخذ الكأس؟ بعدًا هدية تذكارية؟!
  - كل ما أقوله هو أن ذلك احتمال وارد.
  - سيكون الأمر مصادفة كبيرة.

- لماذا سيكون الأمر مصادفة كبيرة؟ شخص ما قد قتل دستين ميلر.

- لا، سيكون الأمر مصادفة كبيرة أننا كنا نسكن في نفس الشارع الذي سكن فيه الضحية، ثم انتقلنا إلى نفس الشارع الذي يسكن فيه القاتل.

- حسناً هذا صحيح، إنها مصادفة.

ظلا صامتتين لوهلة، ثم أذاعت الشاشة للتو تأخر مباراة ريد سوكس بسبب المطر وبدأ البستانيون في سحب غطاء من القماش المشمع على شكل جوهرة. نظرت هين عفويًا تجاه النافذة الأمامية الكبيرة للحانة لترى ما إذا كانت تُمطر بعد في ويست دارتفورد أم لا.

قال للويد:

- لأكون صريحًا معك، أنا قلقُ الآن بشأنك أكثر مما كنت عندما قُتل جارنا دستين ميلر.

- أنا بخير، أعدك بذلك.

- لم تكوني بخير آخر مرة عندما كنتِ مهووسة بقضية دستين ميلر.

- كلا، لم أكن بخير، لكن الأمر مختلف الآن. بالإضافة إلى أنه عندما ألقىت نظرة على الكأس، شعرت بعيني ماثيو تغزو رأسي. يبدو الأمر وكأنه عرف أنني أعرف.

- عظيم!

قالت هين:

- هناك شيء آخر يجب أن أخبرك به.

- حسناً!

- لقد ذهبت اليوم إلى منزلهم وكانت ميرا هناك. وطلبت منها إن كان باستطاعتي إلقاء نظرة حول المنزل مرة أخرى، وحاولت أن أحصل على أفكار للزينة والزخرفة.

- حقًا؟

- لم يكن حديثي كله كذبًا، لقد أردت بالفعل أن أرى منزلهم مرة أخرى على الرغم من أنني أردت حقًا أن أرى الكأس.

- وهل سمحت لك بذلك؟

- في الحقيقة لقد فعلت، وكانت سعيدة حقًا أن تأخذني في جولة.

- وأنتِ قد رأيتِ الكأس مرة أخرى ووجدتِ اسمِ دستين ميلر مكتوبًا عليها.

- لا، لم يكن موجودًا للويد، لقد نقله ماثيو أو تخلص منه، وقطعًا هذا لأنه رأني أنظر إليه. أنا لستُ مرتابة أو مهووسة، ولا أشعر بنوبات الجنون، ولكنني أعرف. إن جارنا قد قتل دستين ميلر.

ظل للويد هادئًا لوهلة، كان واضحًا أنه يفكر بعمق. كانت هين تعرف كيف يفكر للويد في الأمور، وتعرف أنه يضع كل شيء قد قالته هين للتو في الحساب، لكنه أيضًا ينظر في حالة هين العقلية كما يفعل دائمًا. كانت تلك هي الطريقة التي يعالج بها عالمهما معًا، ويتعامل بها مع زواجهما. أحبته هين، وفي الحقيقة أمنت من صميم قلبها أنه لولا وجود للويد هاردنج، لكانت حياتها قد صارت أكثر سوءًا. ولكن بفضل كل الأوقات التي اتكأت فيها على كتفيه من أجل الاهتمام والرعاية، صار الآن يتعامل معها برفق شديد. كان الأمر يسير على تلك الطريقة منذ آخر نوبة هاجمت هين عندما كانا يعيشان في كامبريدج. صار يطمئن على حالتها النفسية باستمرار ويتابع وجباتها وشرابها ويتأكد

أنها تنام جيدًا. دائمًا ما كانت تُقدر رعايته لها –وتحبه أكثر لما يفعله من أجلها– لكنها أحيانًا تفتقد للويد الذي كانت تعرفه من قبل، عندما تشاركها السكن في منزل به ست غرف نوم، في وينتر هيل في مدينة سومرفيل. كان الاثنان ما يزالان خريجين جدد في الجامعة، وبدأت هين برنامجًا في العلاج بالفن في جامعة ليزلي<sup>(1)</sup> –ذلك البرنامج الذي لم تُنه قط– بينما كان للويد يعمل نادلًا في حانة ويقضي فترة تدريبية غير مدفوعة في التلفزيون الحكومي. لقد توطدت علاقتهما سريعًا، بسبب زملائهم الأربعة الآخرين المقيمين معهم في المنزل، كانوا أشبه بجماعة من السحرة النباتيين المنغلقيين على أنفسهم. كانت تفوح من المنزل رائحة عشب البتسول ورائحة العرق، وكان كل غرض في الثلاجة «الخالية من المنتجات الحيوانية» موسومًا باسم صاحبه. لكن للويد وهين جهازا ثلاثتهما البديلة الخاصة، وكانا يُدخانان السجائر معًا في الشرفة غير الآمنة من عصف الرياح، ويشتريان الطعام معًا وخصوصًا تلك المنتجات المصنوعة من الألبان.

وفي لحظة، كان بينهما ذاك الانجذاب المغناطيسي، على الأقل من جانب هين. كان شابًا طويلًا ونحيلًا بقصة شعر سيئة، لكنه امتلك عينين بنيتين جميلتين يغزوهما الحزن، ودائمًا ما كانت تفوح منه رائحة شهية مثل رائحة القهوة والقرفة. إلا أن هين كانت تواعد أحد زملائها في الجامعة، رسامًا للقصص الهزلية، وكان للويد ما زال مستمرًا في علاقته مع صديقه الحميمة منذ دراستهما في الجامعة، والتي عملت بعد التخرج في مولدوفا مع هيئة السلام. عندما مارس هين وللويد الحب للمرة الأولى بعد ليلة دافئة قضياها في الشرفة برفقة قنينة كبيرة

(1) جامعة خاصة في مدينة كامبريدج في ولاية ماساتشوستس.

رخيصة من نبيذ البرودو<sup>(1)</sup> الأحمر وعلبة سجائر أمريكيان سبيرتس... كان الأمر بينهما أقرب إلى القتال منه إلى ممارسة الحب، كما لو أنهما يسرعان لإنجاز الأمر قبل أن يوقفهما الشعور بالذنب ويؤرق ليلتهما. وبعد ذلك أقسم كلاهما ألا يحدث ذلك مرة أخرى أبدًا. ولكن بعد أسبوعين، في اليوم السابق المُحدد لوصول صديقة اللويد الحميمية -التي تركت العمل فجأة لدى هيئة السلام- تسلل اللويد إلى فراش هين، بينما كانت أنفاسه معبأة بالجمعة وتسيل الدموع من عينيه، كانت تلك الليلة هي المرة الأولى التي تصل فيها إلى النشوة من مجرد الاتصال بينهما. ثم غادر اللويد غرفة النوم دون أن ينطق بكلمة واحدة.

مرت ستة أشهر قبل أن يكونا رسميًا معًا. وفي ذلك الوقت انفصل كلُّ منهما عن شريكه -أنجزت هين هذا الأمر بسهولة، بينما اللويد لم يكن الأمر معه سهلًا- وتركوا المنزل المشترك الذي يشبه المجمع في وينترل هيل، وانتقلا معًا إلى واحدة من المجمعات التي تتقاسم المنازل المنفصلة داخل مساحة معينة، وكانا أفضل قليلًا من ذي قبل. وبطريقة ما، مرت هين بوقت عصيب، فقد أفرغ اللويد بعضًا من كراهيته لنفسه -حيث كان يعصف به الذنب بشأن حبيبته السابقة- في وجه هين. ومرًا معًا بالكثير من المشاجرات وهما مخموران، ومارسا الكثير من الحب بجنون واضطراب، وفي بعض الأحيان كانا يمران بالحالتين في آن واحد. لم تكن هين سعيدة، لكنها، حتى الآن، يمكنها بوضوح استرجاع تلك الأوقات، بالطريقة التي لا يمكنها بها استرجاع ذكريات سنوات السعادة الحقيقية التي قضتها بعد ذلك، والتي شوهتها فقط نوبات الجنون والاكنتاب. كان للويد رجلًا صالحًا -دائمًا ما يفضل المواجهة ويبدو أحيانًا عدوانيًا- لكنه على استعداد دائم أن يأخذ بيد هين لتخرج

(1) نبيذ يُصنع في منطقة بوردو جنوب غرب فرنسا



من أزمته. وعند العودة إلى تلك الذكريات أيضًا، عندما كانا يمارسان الحب، كان هناك تلك اللحظة التي يتولى فيها للويد الأمر. كانت تشعر أنه يستغل جسدها، لكنها وبدلاً من أن يجعلها ذلك تشعر بالسوء، كان ذلك يجعلها تختبر شعوراً جيداً، كما لو أن شيئاً ما بينهما قد تحرر من وثاقه. لكن منذ أن هاجمتها أول نوبة اكتئاب جعلتها ترسب في جامعة ليزلي، اختفى ذلك الجانب من شخصية اللويد، وصار يتصرف كما لو أنه وصي عليها، ويفرط في وعيه وإدراكه بحالة هين. أما في هذه الأيام، صار لا يتجادلان، وعندما يمارسان الحب يبدو الأمر هادئاً. كانت هين قد ذكرت ذلك لصديقتها المفضلة تشارلوت، التي تزوجت وأنجبت أربعة أطفال حتى الآن، عندها ضحكت تشارلوت وأخبرتها بأن ممارسة الحب الرتيبة ليس لها أدنى علاقة بحالة هين العقلية، وأن الأمر يتعلق كلياً بمنظومة الزواج نفسها.

كانا ما يزالان جالسين في أويلز هيد، وبينما كان اللويد يفكر جيداً فيما سيقوله، تخيلت هين للويد الذي قابلته لأول مرة، وما الذي كان سيقوله لها. كان سيقول إنها جُنّت بالطبع وأنها بدأت تتخيل الأشياء. لكنه لن يقول هذه الكلمات الآن، حتى إذا حدّث بها نفسه. وعندما قرر الرد على كلامها، أردف قائلاً:

- قد يكون أفضل شيء تقومين بفعله الآن هو إجراء مكالمة مجهولة إلى الشرطة، وأن تذكري لهم شكوكك، وعندئذ تنتهين من ذلك. إما أن ينظروا في الأمر وإما أن يتجاهلوه تماماً. لكن الأمر لن يعود عليك أبداً بالنفع إذا حاولت التحري بنفسك فيما إذا كان جارنا مصاباً بجنون القتل.

- لقد فكرتُ في ذلك بالفعل.

- سيُجدي نفعاً فقط إن تركتِ الأمر وشأنه، بعدما تُجرين المكالمة.

- أعلم، وأعتقد أنه أفضل شيء يمكن فعله، ولكن ماذا تعتقد أنت؟ هل أنا مجنونة أم أنني بالفعل قد اكتشفت شيئاً ما؟ لقد كانا معاً في سوسكس هول، وكانت لديه كأس المباراة ثم تخلص منها بعد أن رأيتها.

عاد للويد لصمته مرة أخرى. ما زالت مباراة ريد سوكس متوقفة، بينما تُشكل الأمطار المتساقطة الآن نقوشاً على نوافذ الحانة. كان ينبغي لهما أن يُحضرا المظلات.

- سأحادثك بصدق، أعتقد أن كل هذا مجرد مصادفة يا عزيزتي. ربما ينقل الأشياء ويحركها في غرفة مكتبه طوال الوقت، لكن لك أن تُجري المكالمة إن أردتِ، ثم توقفي عن التفكير في الأمر، حسناً؟ فهذا الأمر لن يعود علينا بشيء.

# 8

في يوم الخميس التالي، سأل ماثيو ميشيل عندما كانا جالسين في استراحة المُدرسين إذا ما كانت ستذهب إلى مشاهدة فرقة صديقها هذا المساء.

- يا إلهي! لا، أمامي مهمة رصد درجات ستين ورقة. لماذا؟
- أنت تعلمين أن منزلي يقع بالقرب من أويلز هيد؟
- أعلم ذلك بالطبع، هل ستذهب؟
- كنت أفكر في ذلك.
- لماذا؟

قالتها ميشيل ثم ضحكت بينما يختبئ ثغرها خلف يديها التي تصعد إلى هناك بالفطرة عند الضحك، لاحظ ماثيو أنها تفعل ذلك عندما تضحك بعفوية.

- لا أقصد ذلك، حقًا... إنهم فرقة جيدة. إن الأمر فقط....
- ألا تعتقدين أنهم نوعي المفضل؟
- بلى أعتقد ذلك.

دلف ديلان هيمبري، أحد مُدرسي اللغة الإنجليزية، إلى الاستراحة ودخل مباشرة إلى طاولة القهوة. لاحظ ماثيو أن السحاب الأمامي

لبنطاله مفتوح حتى منتصفه، وتساءل إذا ما كان قد قدّم درسًا في أي من صفوفه على تلك الهيئة.

عاد ماثيو مخاطبًا ميشيل:

- إن الأمر فقط أنني كنت أفكر في تناول الطعام بالخارج الليلة، تعلمين أنني قضيت الأسبوع أطهو طعامي بنفسني، وعندئذ تذكرت أن فرقة سي-ببمز ستعزف في أويلز هيد.

سألت ميشيل:

- كيف يبدو مذاق الطعام هناك؟ فقد كنت أذهب هناك فقط من أجل المشروبات. رائع جدًا، إنني أحب تناول فطيرة الدجاج هناك.

- هل ستذهبان معًا إلى أويلز هيد لمشاهدة فرقة سكوت؟

كان هذا سؤالًا طرحه ديلان الذي أعد قهوته وقد اقتحم الآن محادثتهما.

- أعتقد أنني لن أذهب.

أجابت ميشيل في الوقت الذي وجّه ماثيو خطابه إلى ديلان:

- تفحص سحاب بنطالك يا ديلان.

- آه شكرًا لك يا صديقي.

وضع ديلان قهوته على أقرب حافة لطاولة الورق:

- يا إلهي! هذا مُخزٍ.

قال ذلك ديلان بينما يُغلق سحاب بنطاله.

عقبت ميشيل:

- لقد حضرت فصولي ليوم كامل وكان هناك بذرة من نبات الخشخاش بين أسناني الأمامية.

ثم وجه ماثيو حديثه إلى ديلان مباشرة:

- إنني ذاهب لتناول عشاءٍ مبكر في أويلز هيد، وأعرف أن فرقة صديق ميشيل ستعزف هناك، لذلك أردت أن أعرف إن كنت سأراها هناك.

- أتمنى لو كنت أستطيع الحضور يا صديقي ولكنني غارق في العمل.

قال ديلان ذلك كما لو أنه قد تمت دعوته إلى العشاء.

عقبت ميشيل:

- أنا أيضًا!

سأل ديلان:

- هل سيعزف في ليلة الجمعة القادمة؟

- يجب أن نذهب معًا، إنني لم أرَ سكوت منذ وقت طويل.

لم يكن يعرف ماثيو أن ديلان وميشيل أصدقاء ووجد نفسه يتراجع قليلًا. ولكن على الرغم من ذلك كان ماثيو مسرورًا أن الأمر يوحي أنه سيكون بمفرده الليلة لمشاهدة سي-بيمز.

وجهت ميشيل حديثها إلى ماثيو:

- إذا انتهى بك الأمر بالذهاب، عندئذ تعرّف إلى سكوت. أعتقد أنني قد حدثته عنك من قبل.

- سأرى ذلك.

تبدأ الفرقة في الساعة الثامنة، ولذلك تحمل ماثيو، الذي يتناول طعامه عادةً في السادسة مساءً، الانتظار قليلًا حتى السابعة قبل أن يسير إلى الحانة. كان الليل قد أسدل ستائره عندما غادر المنزل. يمكنه

سماع الريح التي تعصف بالأشجار على جانبي الطريق، لكنها لم تتمكن من الشعور بها. كان الطقس مثاليًا، ليس باردًا ولا حارًا، وتُوج كل ذلك بإحساس ماثيو النادر بالسعادة. كان يقضي وقته خارجًا بمفرده تلك الليلة، وحيدًا مع معرفته أن سكوت دويل (عرف ماثيو اسمه بالكامل من موقع سي-بيمز) قد يكون ضحيته الجديدة. كانت الفكرة تبهجه، وشعر أنه يسير أسرع من ذي قبل، كانت حافزًا له حتى للهولة إلى غايته، صارت الريح تصفع جسده الآن، فجذب طرفي سترته المفتوحة لتزريها. حدّث نفسه أن يبطن من خطواته قليلًا، لم تكن الليلة سوى مهمة استكشاف فقط، وفرصة لمراقبة صديق ميشيل الحميم حتى يمكنه البدء في اتخاذ القرار بشأنه. كان ماثيو في حاجة إلى أن يكون هادئًا. وفجأة حضر إلى ذهنه بيت من الشعر، إنه شيء تعلّمه في الجامعة عندما اختار دراسة إحدى المقررات الاختيارية في الشعراء الرومان: «ما الشعر إلا جناس من المشاعر المنظومة في سكينة». عادة ما كان يفكر في تلك المقولة ويطبّقها على حياته الخاصة. كانت السكينة هي غايته، ليس فقط بعدما يُنفذ جريمة القتل، ولكن قبلها أيضًا. تلك السكينة هي ما تجعل الأمر ذا معنى، وكانت أيضًا الحكمة التي ارتكز عليها عند اختيار ضحيته وتحديدها.

دلف إلى الحانة وجلس إلى طاولة صغيرة في القاعة الأمامية ومواجهًا لمؤخرة القاعة، لكنه يحظى برؤية جيدة لمنصة العرض. وعلى الرغم من أنه لم يكن سكيّرًا (كانت تلك هي عادة ريتشارد)، فإنه طلب جينيس<sup>(1)</sup> من النادلة الشابة ثم أضاف إلى طلبه فطيرة الدجاج. عندما قُدّم له الشراب، ارتشف منه رشفة بسيطة، جال بنظره في القاعة الصغيرة وباتجاه المشرب الخلفي، ووجد أن جميع الرجال جالسون

(1) نوع من الجعة الجافة الإيرلندية، وتتميز بنكهة الشعير المُحمص.

برفقة كؤوس الجعة الممتلئة حتى نهايتها، مثله تمامًا. بعضهم كان بمفرده والبعض الآخر كان برفقة زوجاتهم أو صديقاتهم، لكنهم جميعًا تعلقو وجههم تلك النظرة الخاوية والكتف المنحنية من ثقل الهموم، التي عادة ما تُصيب الرجال الذين بالكاد استطاعوا تحمل يومهم حتى آخره، ويكافئون أنفسهم الآن ببرجر الجبن والكحول. لم يُميز ماثيو أيًا من الجالسين في المطعم، ولم يقابل أيًا من جيرانه أو طلابه السابقين. كان الوقت سيمر خفيًا إذا كان برفقته شخص ما -لقد كان مُحببًا للأحاديث البسيطة- لكن شعوره بأنه مجهول كان أفضل ما يمكن أن يشعر به في هذا الوقت.

في أثناء تناوله العشاء، بدأت الفرقة التي تتكون من ثلاثة أفراد في نصب آلاتهم الموسيقية على منصة العرض. ميز ماثيو وجه سكوت من موقع الفرقة الإلكتروني، كان شابًا في منتصف العشرينيات يُزين رأسه شعر قصير وتُحد وجهه لحية كاملة تميل إلى الاحمرار. كان يرتدي بنطالًا من الجينز الداكن، وتعهد أن يرتدي فوقه قميصًا باليًا يحمل شعار أوكسفورد، محصورًا داخل البنطال بنصف ثنية. بينما كان يتأكد من ضبط الميكروفون، جرت نحوه امرأة قد أتت للتو من الخارج وعانقته. عرفتُها بقية الفرقة وحيثها بالإيماء والابتسامة، ثم اتجهت نحو المشرب. على الرغم من أن نيو إنجلاند كانت ما تزال في بداية فصل الخريف، فإن تلك الفتاة قد ارتدت تنورة قصيرة سوداء من الجلد، وقميصًا دون أكمام، كان شعرها أشقر داكنًا وتضع أحمر شفاه من اللون الزهري اللامع. هل هي من معجبات الفرقة؟ والأهم من ذلك، هل تحظى سي-بيمز بالمعجبات حقًا؟ كانت الفرقة على وشك البدء، وكان المكان مزدحمًا عن آخره، ولكن ربما كان ذلك لأن الناس قد أنهوا عشاءهم، يبدو الأمر وكأن عددًا قليلًا قد أتى حقًا لسماع الموسيقى.

بينما كانت النادلة ترفع الأطباق، سألت ماثيو:

- هل ستمكث من أجل سماع الموسيقى؟

أجاب ماثيو:

- ربما أنتظر سماع الموسيقى.

- أعتقد أنه ينبغي لك ذلك؛ إنها فرقة جيدة.

- هل عزفوا هنا من قبل؟

- مرة واحدة على ما أتذكر، لكنني استمعت إلى عزفهم عدة مرات

من قبل في لווيل حيث أقيم.

طلب ماثيو كأسًا أخرى من الجعة، وخطط لتناولها على مهلٍ بينما يستمع إلى عزف الفرقة. هل كانت النادلة أيضًا واحدة من معجبات فرقة سي-بيمز أو واحدة من علاقات سكوت الغرامية المحتملة؟ بدت النادلة متحمسة لأنهم يعزفون هنا، ولكن ربما كانت تجري حديثًا بسيطًا مع أحد الزبائن. وعندما عادت النادلة تحمل كأس الجعة، كان على وشك أن يسألها عن المكان الذي يعزفون فيه في لווيل بالضبط، لكنه لم يرد أن يبدو مهتمًا بالأمر ولم يُرد أن يُحفر في ذاكرة المكان. وبعدما وضعت النادلة كأس الجينيس الخاصة بـماثيو على الطاولة الخشبية، راقبها وهي تسير باتجاه منصة تقديم الخدمة، كانت مشيتها تُذكره قليلاً بمشية ميرا. وبينما يتابعها ماثيو بعينيه، تردد صوت ريتشارد الشجّي في رأسه -يا إلهي! ما هذه المؤخرة؟- وبالكاد نَدَّت عن ثغره ابتسامة. كانت النادلة جميلة لكنها لا يمكن أن تزيد على العشرين كثيرًا. كانت لعينيها تلك النظرة الفرعة لغزال خائف، جاحظتان يعلوهما القلق والتوتر. ربما كانت تُكنّ مشاعر إعجاب لأحد أعضاء فرقة سي-بيمز. ثم عاد لمراقبة الفرقة ثانيةً. كان الطَبَّال نظيفًا حليق الذقن وله أنفٌ أفطس



وكرش ناتئ قليلاً بسبب شرب الجعة، وكان لاعب جيتار الباس<sup>(1)</sup> نحيفاً إلى درجة الهزال ولديه واحدة من تلك التي يُطلقون عليها تَفاحة آدم، والتي يجد ماثيو أن النظر إليها مُربك ومزعج. إذا كانت النادلة تُكن مشاعر الإعجاب لأي فرد في هذه الفرقة، فربما يكون صديق ميشيل بلحيته الغريبة وعظام وجنتيه العاليتين. حاول ماثيو بجدّ أن يُدرك إذا ما كان وسيماً حقاً، لكنه وجد الأمر صعباً للغاية. فكل الرجال يبدو على نفس الهيئة في نظره، إما لهم وجوه مدببة أو وجوه مفلطحة. كان لسكوت وجه مدبب بينما كان الطَّبَّال ولاعب الباس كلاهما يمتلك وجهًا مفلطحًا.

بدأت الفرقة في عزف نسخة لائقة من «*Not Fade Away*<sup>(2)</sup>». ربما كان الطَّبَّال هو أكثر عازفي الآلات موهبة، لكن سكوت كان العضو النشط في الفرقة على الرغم من أنه يغني بتلك الخُنة المزعجة. كانت نادلة ماثيو تشاهد سكوت، بينما كانت الشقراء ذات التنورة القصيرة تحمل في يدها كأسًا من الفودكا<sup>(3)</sup> والتوت البري، وتقف على حافة منصة العرض تراقب الوقت وعيناها مركزتان على سكوت أيضًا. بعدما أنهت الفرقة عزف أغنية «*Not Fade Away*»، عزفت أغنيتين أصليتين

(1) جيتار الباس: آلة موسيقية وترية تُشبه الجيتار الكهربائي إلى حد كبير ولكن بحجم أكبر بأربعة أو خمسة أو ستة أوتار، وتتميز بحدتها المنخفضة. (المترجم)

(2) *Not Fade Away*: أغنية صدرت في أكتوبر عام 1957 من غناء Buddy Holly. (المترجم)

(3) الفودكا مشروب كحولي يتكون من الماء والإيثانول وبعض النكهات، يتميز بلونه الشفاف الذي يشبه الماء، وعادة ما تُشرب في فصل الشتاء لمنحها الدفء لشاربها. (المترجم)

ثم أتبعوهما بنسخة مقلدة من إحدى أغنيات جوني كاش<sup>(1)</sup>. حضر قليل من الناس للاستماع إلى الموسيقى، فامتلات الطاولات التي كانت فارغة بعدما غادرها المتعشون. كان واضحًا إلى ماثيو أن الفرقة أكثر براعةً في الأغاني الأصلية أكثر من غنائهم لما أنتجوه من أغانٍ. تأكد رأيه عندما أكملوا ألبومهم الغنائي. كانت أغانيهم الخاصة ذات ذوق رديء لا شيء يميزها، وفي كل مرة يعزفون إحدى أغانيهم، تنطفئ الأجواء في القاعة. لكنه كان من الواضح أن نسخهم المقلدة من أغنية «Paperback<sup>(2)</sup> Writer» وأغنية سبرينجستين<sup>(3)</sup> «Atlantic City» هم أشهر أغنياتهم، حتى إن ابتهاج بعض المعجبين قد بدا واضحًا عندما بدأت الفرقة في عزف تلك الأغنيات. وفي الوقت الذي كانوا يعزفون فيه نسختهم من مقطوعة «Positively 4th Street<sup>(4)</sup>»، كانت حانة أويلز هيد قد ازدحمت للغاية، وكان هناك عدد من الحاضرين -أغلبهم من النساء- يرقصون أمام منصة العرض.

اقتربت الساعة من منتصف الليل، وبعدها دفع ماثيو فاتورته نقدًا، خرج من الحانة عندما كانت الفرقة تُنهي عزفها. وفي خلال تلك الساعات الأربعة التي قضاها داخل المكان، انخفضت درجة الحرارة في الخارج على الأقل خمس عشرة درجة. كانت ليلة مظلمة لم يظهر بها القمر، إلا أن بعضًا من النجوم اللامعة كانت تضيء أعلى خط الأشجار.

(1) Johnny Cash: مغني وكاتب أغاني أمريكي، وواحد من أكثر المغنيين تأثيرًا في القرن العشرين. (المترجم)

(2) Paperback Writer: إحدى أغنيات فرقة The Beatles. (المترجم)

(3) بروس سبرينجستين: مغني وملحن وكاتب أغنيات أمريكي ولد سنة 1949 في ولاية نيوجيرسي الأمريكية. (المترجم)

(4) Positively 4th Street: إحدى أغنيات Bob Dylan. (المترجم)

أسرع ماثيو إلى البيت ليحضر سيارته بينما كان يفكر فيما إذا كان من الأفضل أن يُحضر سترة قبل أن يأخذ السيارة، لكنه اتخذ قرارًا بالأفضل. وبدلاً من ذلك، ذهب مباشرة باتجاه سيارة الفيات الخاصة به، وأشعل المدفأة ثم عاد أدراجه إلى أويلز هيد بسيارته، متخذًا موضعًا في أحلك الجوانب من ساحة انتظار السيارات. أوقف محرك السيارة وأغلق الأضواء وانزلق قليلاً أسفل المقعد المخصص لشخص واحد. كان يحظى برؤية جيدة لما يحدث أمام الحانة، حيث احتشدت مجموعة صغيرة من المدخنين من بينهم سكوت الذي ميزه ماثيو من بعيد، بسبب لحيته الكثة المائلة إلى الحمرة. ودون أي دهشة تقف بجانبه الشقراء ذات التنورة القصيرة. راقبها ماثيو بينما كانت تُخرج علبة سجائرها من أسفل حذائها، ثم شبكت ذراعيها حول جسدها حيث كانت ترتجف من البرد. بدا وكأن سكوت يتعمد تجاهلها بينما كان يتحدث إلى لاعب الباس النحيف، ثم ساعد الطبال في تحميل قطع معداته إلى مؤخرة الشاحنة المتهالكة. أشعلت الفتاة الشقراء سيجارة أخرى بينما يغادر زبائن آخرون الحانة ويستقلون سياراتهم ويتعدون كلُّ إلى وجهته. كانت ساحة انتظار السيارات فارغة، وشعر ماثيو أنه مكشوف بعض الشيء، على الرغم من أن الظلام كان دامسًا في الموضع الذي تقف فيه سيارته. لقد وصل إلى تلك النقطة بعد كل تلك الجهود، ويود أن يعرف إذا ما كان سكوت سيذهب مباشرة إلى المنزل أم سيذهب إلى مكان آخر أولاً.

بعدما حُملت الطبول إلى الشاحنة وقاد الطبال شاحنته بعيدًا إلى وجهته. ظل سكوت يتحدث إلى لاعب الباس ويدخان معًا، ولاحقًا غادرت الفتاة الشقراء بعد أن منحت سكوت عناقًا طويلًا. كانت سيارتها مصفوفة بالقرب من سيارة ماثيو، فاستطاع أن يراها بينما انتظرت في

سيارتها لبرهة من الوقت، وهي ما تزال تطيل النظر تجاه سكوت أمام الحانة، قبل أن تقود سيارتها خارج ساحة انتظار السيارات. وعندما غادرت سيارتها، ألقى سكوت نظرة عليها بينما تذهب بعيداً، ثم قال شيئاً إلى لاعب الباس فضحكا معاً. بعد ذلك بوقت قصير، تعانق الشابان -إنه أحد العناقات الخاصة بالرجال الذي يتضمن صفح كل واحدٍ منهما لظهر الآخر- وغادرا المكان ليذهب كلٌ منهما إلى سيارته المنفصلة. استقل لاعب الباس سيارته وغادر على الفور، لكن سكوت اتكأ على سيارته -من طراز دودج دارت «إنه يمتلكها منذ أن كان في المدرسة الثانوية» أخبرته ميشيل بذلك في إحدى المرات- وتفقد هاتفه فعكس الضوء الصادر عن هاتفه ملامح وجهه وأضاءه. وبعد قليل استقل سيارته ولكن بدلاً من الانطلاق على الفور، جلس منتظراً في كرسي السائق لخمس دقائق تقريباً.

لم يكن ماثيو متفاجئاً عند مشاهدة النادلة -الشابة التي تقيم في لوييل- تخرج من الحانة وتسير مباشرة بخفة ونشاط باتجاه سيارة سكوت، وتجلس إلى جانبه في كرسي الراكب.

بدأ محرك السيارة عمله بدوي صاحب ثم غادرت السيارة من ساحة الانتظار، بينما كانت إطاراتها تفرق الحصى الساكن.

# 9 مكتبة

t.me/t\_pdf

كانت هين تجلس في سيارتها على الجانب الآخر من حانة أويلز هيد وتساءلت ما الذي يخطط له ماثيو دولامور، الذي يجلس في سيارته أيضًا في ساحة انتظار السيارات. من الذي يراقبه ماثيو؟

كانت ليلة الخميس حيث تناول هين وللويد شطائر التاكو المحشوة بالسّمك على العشاء، ثم شاهدتا حلقتين من مسلسل «من الأفضل الاتصال بسول<sup>(1)</sup>» قبل أن يقرر للويد المكوث في الفراش للقراءة قبل النوم. على الرغم من أن الوقت كان ما يزال باكراً، قررت هين الذهاب إلى النوم أيضًا. كانت تُطالع كتاب مارجریت أتوود<sup>(2)</sup> الجديد على الرغم من أنه قد مرت أشهر طويلة منذ أن استغرقت في قراءة كتاب ما، فإنها ما تزال تحاول.

كانت غرفة النوم باردة، فقد فتحت النافذة صباحًا من أجل فينجر الذي يحب الجلوس في النوافذ المفتوحة، لكن درجة الحرارة قد انخفضت بشدة وأمست الغرفة قارسة البرودة. أغلقت هين النافذة بينما كان للويد ساهيًا عن أي اختلاف في درجة الحرارة، دخل غرفة النوم

(1) Better Call Saul: مسلسل كوميدي من إنتاج شبكة Netflix عام 2015. (المترجم)

(2) Margaret Atwood: كاتبة كندية وشاعرة وناقدة أدبية وناشطة في المجال النسوي والاجتماعي، من أشهر رواياتها The Handmaid's Tale. (المترجم)

حاملًا بين يديه كتابًا ورقيًا جديدًا. كان كتابًا عن الخيال العلمي، ثم لاحظت هين نظرة الذهول تلك التي تملو وجهه عندما يكون مستعدًا للذهاب إلى النوم. لقد تخيلت أنه بالفعل يغط في النوم، والذي يبدو أمرًا منطقيًا، حيث إنه بمجرد أن يضجع في فراشه سيغط في النوم بعد ثلاثين ثانية من إنهائه القراءة وإغلاقه المصباح. وعلى الجانب الآخر من الفراش، سترقد هين في الفراش خمسًا وأربعين دقيقة على الأقل، بينما يُعيد عقلها استعراض أحداث اليوم مرة بعد مرة مستحضرة ببطء جميع الأحداث، بدرجة كافية تحملها على قطع طريقها والولوج إلى حالة اللاوعي.

لكن الليلة كانت الأجواء مختلفة. قبل أن تضجع هين في الفراش بينما ترتدي منامتها الوبرية، كان للويد غارقًا في النوم. بدأت هين في قراءة كتابها، لكن عقلها وقف عاجزًا عن استيعاب الكلمات. كانت قد مرت ثلاثة أيام منذ أن اعترفت إلى اللويد بشكوكها حول جارهم. ومنذ ذلك الوقت لم تفعل أي شيء يزيد عن اعترافها. بالطبع لم يكن هذا الأمر صحيحًا كليًا، فقد قضت هين وقتًا أطول متصلة بالإنترنت، تبحث عن أي معلومات يمكن أن تحصل عليها بشأن ماثيو دولامور، ولم يكن هناك أخبار جديدة بشأن انتحار دستين ميلر أيضًا. لكنها لم تتصل بمركز الشرطة حتى الآن لتُدلي بشكوكها. ولم يسألها اللويد إن كانت قد فعلت أم لا، من الواضح أنه يأمل أن تُسقط الأمر برمته من تفكيرها.

وضعت هين الكتاب جانبًا غير مزعجة نفسها بوضع علامة مرجعية عند الموضع الذي توقفت عنده، فقد قطعت كل هذا الوقت حتى وصلت إلى الصفحة الثانية فقط، ثم أغلقت المصباح بجانبها. استلقت هين على ظهرها وحدقت إلى السقف بعينين مفتوحتين ومتيقظتين. يمكنها أن تسمع نقرات أظافر فينجر على الأرض الخشبية لغرفة النوم، الذي

أتى ليتأكد ما إذا كانت النافذة ما تزال مفتوحة. كانت النافذة مغلقة لكنه قفز إلى حافة النافذة على أي حال، ثم أدارت هين رأسها لتتابع ذيل فينجر ينتفض من خلف الستائر. في تلك الأثناء، حضرت إلى ذهنها فكرة -ربما قطعة فنية محتملة- لقط بحجم إنسان يستلقي على الفراش، وهناك تلك الفتاة الصغيرة العارية التي ترقد نائمة على حافة النافذة. وتخيلت أيضاً أن هناك خارج النافذة يربض على غصن شجرة مكشوف ذاك الفتى الصغير العاري بعينيه الجاحظتين اللتين تشبهان عيني القطط. هذا ما يحدث دائماً عندما تتخيل هين لوحة منقوشة، تصبح الصورة بأكملها واضحة في ذهنها، تماماً مثلما ستبدو، وتوحي تماماً بالشعور الذي من المفترض أن يكون. غادرت فراشها وهبطت إلى الطابق السفلي، ثم توجهت إلى غرفة المعيشة، ورسمت الفكرة مثلما تتصورها تماماً في عقلها. منحها ذاك شعوراً جيداً، فهي لم تلهم بأي فكرة من أجل أي لوحة أصلية جديدة منذ شهور، على الأقل كان ذلك قبل أن ينتقلا إلى ويست دارتفورد. لم تكن متأكدة ما إذا كانت فكرتها جيدة أم لا -لقد كان الأمر واضحاً... ذلك التبديل المكاني بين الحيوان الأليف وصاحبه- لكن شيئاً ما بشأن ترجمة فكرتها إلى لوحة كان مرضياً لها. لقد أرغمها على التسلسل خارج فراشها حتى تنظر إلى فكرتها بطريقة جيدة، فشعرت بالطنين المحبب إليها والحيوية داخل قلبها، كل ذلك قد خالج صدرها عندما خلقت قطعة فنية. وعلقت عليها قائلة: «عاد الفتى من جديد في الليلة التالية.» كانت تلك هي عاداتها، أن تضع عناوين واقتباساتٍ لأعمالها الفنية، كما لو أن الصور هي لوحات لكتاب غير موجود وجزء من قصة مستمرة.

وضعت كتاب الرسم الخاص بها جانباً، وهي تأمل رؤية اللوحة في اليوم التالي بأعين يقظة. المشكلة أنها كانت ما تزال متيقظة كلياً،

فكرت في العودة إلى الفراش ومحاولة القراءة مرة أخرى، لكنها تعلم أن ذلك لن يُجدي نفعًا. كان عقلها ما يزال مشوشًا بذاك الطنين.

عادت إلى غرفة النوم في الطابق العلوي، ارتدت جواربها وخفيها ثم أحضرت سترة صوفية سميكة لترتديها فوق منامتها. كان فينجر قد انتقل إلى الفراش وسكن بجانب قدمي اللويد. وعندما رأى هين، حذق إليها بارتياب، ثم هبطت إلى الطابق السفلي، وضعت الغلاية على النار حتى تصنع كوبًا من شاي الأعشاب. وبينما كانت تنتظر الماء حتى يغلي، وقفت في غرفة المعيشة تتطلع كيف يبدو الأمر في الخارج. كانت النجوم تُزين السماء، وهو شيء نادرًا ما تراه هين في كامبريدج، كانت النجوم تشبه كثيرًا الأضواء اللامعة في بوسطن. وفي ذاك الحين كان منزل عائلة دولامور ساكنًا في ظلام دامس إلا من ضوء خافت يأتي من ستائر غرفة المعيشة في الطابق الأرضي. كانت هين على وشك أن تدير ظهرها وتعود أدراجها عندما لفتت انتباهها حركة آتية من الشارع، وعندما أدارت رأسها، رأت رجلًا يسير باتجاه ممر سيارات منزل عائلة دولامور. ثم توهج ضوء مستشعر الحركة أعلى الباب الأمامي عندما مر الرجل، يمكن أن تخمن هين الآن أنه ماثيو. توقعت أن يدخل المنزل، لكنه بدلًا عن ذلك استقل سيارته. تفحصت هين ساعتها فوجدت أنها منتصف الليل تقريبًا. إلى أين يمكن أن يذهب؟ ومن أين أتى سيرًا على قدميه؟ إلا أن عقل هين كان لا ينطق إلا بكلمة /تبعيه. كان جليًا أنه يخطط لشيء ما، وربما كان بإمكانها أن تكتشف خطته. ودون تفكير، انتزعت هين بسرعة مفاتيح سيارتها من العُلَاقَة بجانب الباب الأمامي واتجهت إلى الخارج مسرعةً في المشي إلى سيارتها، بينما كان ضوء المصابيح الخلفية لسيارة ماثيو ينحسر عن الطريق وهو يسير في شارع سيكمور باتجاه وسط المدينة.



اعتقدت حين أنها قد فقدته، لكنها بعدئذ لمحت ضوء مكابح مركبة تستدير نحو ساحة انتظار السيارات لحانة أويلز هيد. أبطأت حين من سرعتها، وبدلاً من أن تتبعه، عادت إلى ممر السيارات في الجانب الآخر من الطريق، وعلى الفور أوقفت المحرك وأطفأت المصابيح. كانت تدرك أن توقفها هنا خطير، لكنها فكرت في أنه أقل خطراً من تتبع ماثيو إلى ساحة انتظار السيارات. ومن تلك النقطة كانت تحظى برؤية جيدة. صف ماثيو سيارته وأطفأ المصابيح، وانتظرت حين أن يترجل من سيارته، لكنه لم يفعل. كانت هناك حركة أمام الحانة على الرغم من انطفاء أضواء المصابيح المعلقة على لافتة أويلز هيد. يمكنها أن ترى مجموعة من الأشخاص واقفين حول المدخل، ولكنها لم تكن قريبة للحد الذي يجعلها ترى هياكلهم بوضوح. وعلى الرغم من ذلك، بدا وكأن الأشخاص القليلين خارج الحانة يمكن أن يكونوا أعضاء إحدى الفرق. وقد تأكد لها ذلك عندما رأت مجموعة الطبول التي تُحمل إلى مؤخرة الشاحنة. إلا أن حين كانت تصب جُل اهتمامها على ما يفعله ماثيو، الذي يجلس الآن في سيارته على أطراف ساحة الانتظار. كما لو أنه قد تعمد اختيار البقعة الأكثر ظلاماً في ساحة الانتظار. وكان جلياً لها أنه في ذلك المكان الآن ليراقب شخصاً ما، تماماً مثلما تفعل حين الآن. ولكن من يكون؟ ومن أين كان آتياً قبل أن يستقل سيارته عندما كان يسير على قدميه؟ خطر لها بالفعل أنه ربما كان عائداً من أويلز هيد - لم يكن المكان بعيداً عن منزله على أي حال - وأنه لا بد قد عاد ليأخذ سيارته حتى يتسنى له تعقب شخص ما.

خرجت الشاحنة من ساحة انتظار السيارات، ثم استقلت امرأة سيارتها بمفردها وغادرت. وكان هناك شخصٌ نحيف يتحدث إلى شخصٍ آخر له لحية كثة، قد استقل سيارة عريضة تشبه الصندوق.

ظل ماثيو ساكنًا في مكانه. بالكاد كانت هين ترى رأسه في السيارة المظلمة. خفتت أضواء الحانة وبينما كانت هين تتطلع إلى المكان حولها، شاهدت امرأة أخرى ذات شعرٍ طويلٍ تخرج من الباب الأمامي، وتسير تجاه السيارة العريضة وفتحت باب الراكب الجانبي، ثم دلفت إلى السيارة. خرجت السيارة من ساحة الانتظار واتجهت نحو الغرب. وبعد مرور عشر ثوانٍ، اشتعلت الأضواء الأمامية لسيارة ماثيو. وتحرك بسيارته وتبعهم.

أدارت هين سيارتها مسرورة بعمل المدفأة مرة أخرى، واتخذت طريقها خلف ماثيو لتتبعه. كانت المصابيح الخلفية لسيارته -التي على شكل دوائرٍ منحرفة- تبدو مثل الأعين المتباعدة على نطاقٍ واسع. كانوا يسيرون على طريقٍ أكتون متوجهين نحو ميدلهام، مدينة مجاورة تغلب عليها البيوت الريفية والغابات الصنوبرية. حاولت هين أن تتخلف عنهم لكن ماثيو كان يُبطئ من سرعته. هل يمكن أن يكون قد لاحظ أن أحدًا ما يتبعه وبخاصة أنه يتبع شخصًا ما بدوره؟ في الحقيقة يتبع شخصين، فقد رأت هين امرأة تستقل السيارة وتجلس في كرسي الراكب. قررت هين أن تخوض المغامرة، وكاد أن يفضحها صوت ضحكاتهما العالية من عبثية الموقف، حيث تتعقب جاراها في منتصف الليل! وفي حين أنها الآن تفعل ذلك بالفعل، ألحت عليها الرغبة في معرفة ما هذا الذي يحدث لها. وبدأت في وضع النظريات حول ما يحدث، إلا أنها تداركت الأمر سريعًا وتوقفت عن ذلك وركزت على القيادة، حتى تُبقي عينيها مركزتين على المصابيح الخلفية لسيارة ماثيو. استدارت السيارات إلى شارع جانبي متعرجٍ ممهد يتقاطع مع مناطقٍ مُشجرة، كان الظلام حالكًا حتى بدت المصابيح الأمامية لسيارة هين وكأنها بالكاد تُبدد الظلمة. اجتاح القلق صدرها وهي ترى مدى عزلة الطريق الجانبي -الذي لم تلاحظ اسمه-

وأن ماثيو سيدرك حقًا أن هناك من يلحقه. بدأ قلقها يزداد خشية أن تضل طريقها، لا سيما وأنها لم تحضر هاتفها معها. لقد مرت بالفعل سنوات منذ آخر مرة توجهت فيها إلى أي مكان دون استخدام نظام التموضع العالمي<sup>(1)</sup>. ولكن رغبتها في أن تعرف ما يُخطئ له ماثيو كانت ملحة حتى تفوقت على قلقها.

بعدما توغلت السيارات الثلاثة في منعطفات حادة عديدة، قادت هين سيارتها فوق تلة ثم خرجت إلى مناظر طبيعية مفتوحة. كانت السماء مقمرة وتنتشر الأراضي الزراعية على كلا الجانبين، وبعد وهلة استطاعت هين أن ترى المصابيح الخلفية لكلا السيارتين أمامها. أبطأت هين من سرعتها، وأمامها مباشرة رأَت السيارة الأولى تنعطف عن الطريق وقد أنارت أضواؤها مكانًا يشبه ساحة انتظار فارغة.

مر ماثيو بجانب تلك المساحة الفارغة وكذلك فعلت هين وقد أبطأت سرعتها بدرجة كافية، تجعلها ترى اللافتة الخشبية المثبتة، والتي تبدو كأنها تابعة لإدارة المتنزهات في ماساشوستس. كانت اللافتة عبارة عن خارطة طريق، وقد خمنت هين أن المنعطف كان يتجه إلى ساحة انتظار صغيرة من المحتمل أنها تؤدي إلى ممر للسير على الأقدام. ثم أدارت رأسها للخلف لترى ما إذا كانت السيارة التي يتبعها ماثيو قد توقفت في ساحة الانتظار أم لا، وكادت أن تصطدم بجانب سيارة ماثيو. لكنها انحازت فجأة إلى جانب الطريق بنحو مائة ياردة. دارت بسيارتها حوله وقادت نفسها مسافة مائة ياردة أخرى، ثم توقفت عند ممر سيارة أحد المنازل... ثم أطفأت محركها وأضواءها مرة أخرى.

جلست في سيارتها لبرهة، وضعت إحدى يديها فوق صدرها لتشعر بخفقان قلبها. هزت رأسها ثم دوت ضحكتها عالية. حدثت نفسها: ما

(1) يُقصد به نظام GPS. (المترجم)

الذي كانت تفعله؟ كان عليها أن تستدير بسيارتها وتعود أدراجها إلى المنزل. من الذي يعرف بشأن ما يحدث؟ ربما كان مثلث حبّ دنيء؛ ربما تورط ماثيو في علاقة مع المرأة التي في السيارة، أو ربما مع الرجل، وكان يتفقدهما الآن. لكن لا يبدو الأمر كذلك أبدًا. لقد بدا وكأنه يلحق بشخصٍ ما، ربما يبدو الأمر تمامًا مثلما لحق بدستين ميلر في كامبريدج قبل أن يقتله.

كانت تدري أن تصرفها أحرق، إلا أنها فتحت باب سيارتها وترجلت إلى الخارج في الليل البارد، ثم أغلقت الباب بسرعة خلفها حتى ينطفئ الضوء الداخلي. ظلت واقفة لبرهة بينما هبت ريح عاصفة ألصقت منامتها بجسدها. سمعت ضوضاء آتية، ثم رأت أحد الحيوانات يتحرك ببطء ويدور حول أحد أركان منزل المزرعة المظلم. حدق كلاهما إلى بعضهما بعضًا، لكن لم يتحرك أي منهما. وعندما اعتادت عيناها الظلمة، استطاعت أن ترى الذيل السمين والوجه الأبيض لحيوان الأبسوم<sup>(1)</sup>. وعندما فتحت الباب وعادت إلى السيارة، أصدر الأبسوم حفيفًا غاضبًا. كان الوقت قد حان للعودة إلى المنزل، لقد كانت فكرة غبية أن تفكر في التسلسل ليلاً لترى ما الذي يحدث في ساحة انتظار السيارات.

خرجت من الممر وعادت إلى الطريق الذي أتت منه. وعندما مرت بسيارة ماثيو التي ما تزال مصطفة على جانب الطريق، أشعلت الضوء الساطع، ثم أبطأت من سرعتها بينما كانت تقترب من ساحة انتظار السيارات. كان الطريق متعرجًا ولبرهة من الزمن أنارت الأضواء المنبعثة من مصابيحها الأمامية السيارة المصطفة في ساحة انتظار السيارات.

(1) Possum: الأبسوم هو رتبة من الثدييات التي تضم الفأر الجرابي أو الفأر الكيسي، يتميز بوجود كيس أو جيب ملتصق بالطبقة الخارجية للبطن، يحمل الحيوان صغاره بداخله.

يمكنها الآن بوضوح أن ترى ماثيو -لا بد أن يكون ماثيو- منحنيًا بجانب السيارة يراقب الجالسين في السيارة الأخرى من خلال نافذته.

استمرت هين في القيادة بينما كانت تبحث في حامل الأكواب لترى ما إذا كانت قد نسيت هاتفها في السيارة، على الرغم من تأكدها بالفعل أنها قد تركته في المنزل. هل كان ينبغي لها أن تتصل بالشرطة عندما سئحت لها الفرصة؟ هل كان يخطط لمهاجمة من كانوا في السيارة أم أنه يراقبهم فقط؟ وإذا كان الأمر مجرد مراقبة، هل كان ذلك بسبب أنه على معرفة بهم أم أنه مجرد شيء اعتاد فعله؟ هل هو من النوع الذي يتلصص على الغير؟

كان عقلها مشوشًا ويفكر بسرعة، حتى إنها قد أخطأت طريقها عندما وصلت إلى طريق أكتون، واضطرت إلى أن تتخذ دورانًا ثلاثيًا حتى تعود أدراجها. ولسبب ما بينما كانت عائدة إلى المنزل الآن، بدأت تشعر بأنها أكثر توترًا مما كانت عليه طوال الليل. صار الألم ينخر صدرها، ووجدت نفسها تقضم جانب إبهامها، كانت تلك عاداتها القديمة. لم تستطع اتخاذ القرار ما إذا كانت ستنتصل بالشرطة عندما تعود إلى المنزل أم لا. هل شهدت أي هجوم على وشك الحدوث؟ لم تعتقد حقًا أن الأمر يدور حول ذلك. إلا أن الأمر الذي كانت هين واثقةً منه هو أن ماثيو يتعقب شخصًا ما، لسببٍ خفي.

حينما كانت تسير في شارع سيكمور، استطاعت أن تلاحظ مصابيح الشرفة الأمامية لمنزلها مُضاءة عن آخرها.

عندما اقتربت من المنزل، رأت للويد يقف في الشرفة مرتديًا معطف النوم. دخلت بسيارتها إلى الممر ثم أنزلت نافذتها عندما وصل إليها للويد. كان وجهه ينضح بالغضب.

- أين كنتِ؟

- أنا آسفة، لقد كنت آخذ جولة بالسيارة. لم أعتقد أنك ستستيقظ.
- لقد تركتِ الغلاية على نارٍ مشتعلة.
- يا إلهي! لقد نسيْتُ ذلك تمامًا.
- ما زلتِ ترتدين منامتك أيضًا.
- أعلم، أعلم. دعنا نتحدث بالداخل إن البرد قارس هنا. أنا آسفة للغاية.

وفي الداخل احتضنت للويد واعتذرت له مجددًا، فقال لها إنه كان على وشك الاتصال بالشرطة في غضون ثلاثين ثانية، وأنه قد اعتقد حَقًّا أن شيئًا مريبًا يمكن أن يكون قد حدث لها.

- لم أكن لأغادر أبدًا لو علمت أنك ستستيقظ. لقد كنت سهرانة وكانت النجوم في الخارج لامعة ومضيئة، فقررت أن آخذ جولة تحت السماء الصافية.

سألها للويد:

- هذا الأمر لا يتعلق بجارنا، أليس كذلك؟
- نعم، لا شيء من هذا على الإطلاق، لقد كنت آخذ جولة في الجوار لأنظر إلى النجوم فقط.

كذبت هين، ولكن في الحقيقة لم تكن تعلم لما تكذب بشأن ذلك.

# 10

قضى ماثيو ليلته بين غرقه في النوم واستيقاظه كل برهة، كان المشهد الذي رآه في سيارة سكوت دويل يتردد في ذهنه، فيشعل حماسه ويثير سخطه.

أوقف ماثيو سيارته على جانب الطريق، تمامًا بجوار مدخل حديقة بوكيومتاك ستايت، ثم سار إلى مكانٍ يستطيع منه أن يرى سيارة سكوت المصطفة تحت شجرة قيقب كبيرة على امتداد حافة ساحة انتظار سيارات بوكيومتاك. كاد ماثيو أن يتراجع عما يفعله، لكنه قرر أن يخوض المغامرة ويتحرك إلى حيث تقف السيارة ليتأكد مما يحدث، هل يكون حديثًا حميماً؟ هل يتعاطون المخدرات معًا؟

حبا ماثيو على يديه وقدميه حتى وصل إلى السيارة، كانت نافذتها مغلقة ويغطيها الضباب قليلاً، لكنه استطاع أن يرى من خلال النافذة. نظر ماثيو إلى داخل السيارة لمدة ثلاث ثوانٍ، رأى خلالها سكوت وهو يعاشر الفتاة بينما تتأرجح سيارته قليلاً... احتقن حلق ماثيو بالمرارة مما يرى، ثم عاد إلى سيارته.

لم يكن مندهشًا مما رأى، بل ربما لكان أكثر اندهاشًا لو عاد سكوت مباشرة إلى منزله بعد الحفلة. لا يقتصر الأمر فقط على أن سكوت ذكر تقليدي شهواني، من البدهي أن يستغل أي قدر ضئيل من الشهرة

لإغواء جسد يرتدي تنورة، وربما كانت ميشيل هي أيضًا ضحية لتلك الشهرة. لقد كانت واحدة من تلك النساء اللاتي يؤمنن بالخير في نفوس الجنس البشري. لقد آمنت أن طلابها يهتمون بالتعلم، وآمنت أن منحى الكون يميل نحو العدالة، وصدقت أن صديقها غير الموهوب الذي يحمل وجهًا مدببًا سيكون صادقًا معها. ربما بسبب كل تلك المعتقدات، هلكت ميشيل، ولكن ماثيو قد سحنت له الفرصة الآن لإصلاح ذلك الوضع.

إذا استطاع أن يجد طريقة -طريقة لا يشوبها شائبة- لقتل سكوت دويل، عندئذ سيفعل ذلك بلا شك، وسينقذ ميشيل.

في صباح اليوم التالي، وقبل أن يذهب ماثيو إلى العمل، تحدث ماثيو وميرا في مكالمة فيديو من خلال تطبيق فيس تايم.

قالت ميرا:

- استيقظتُ هذا الصباح ولم أستطع تذكر أين أنا، لقد استغرق الأمر مني خمس دقائق حتى أتذكر.

- في أي وقت ستصل طائرتك؟

- ستصل متأخرة، أعتقد أنني سأكون بالمنزل عند منتصف الليل.

- إذا سألني مستيقظًا.

- لا تكن سخيًا، اذهب إلى النوم وعندما أصل يمكنني أن أتسلل مباشرة تحت الأغطية بجوارك.

- لا أطيق الانتظار حتى تصلي إلى المنزل.

في الوقت الذي نطق ماثيو تلك الكلمات أدرك حقيقة الأمر. هكذا يكون الوضع دائمًا، يتطلع إلى رحيل ميرا ثم يتطلع سريعًا إلى عودتها.

في ذلك اليوم، رأى ماثيو ميشيل في المدرسة مرة واحدة، عندما مرًا بجانب بعضهما بعضًا في أثناء استراحة الغداء. كانت تقبض بأصابعها



على حزمة سميكة من الأوراق مجمعة في مجلد لحفظ الأوراق. كان وجهها متورداً كما لو أنها على عجلة من أمرها. لكنها توقفت عندما رأت ماثيو.

سألت ميشيل:

- هل ذهبت إلى الحفلة ليلة أمس؟

- في الحقيقة، لقد ذهبت، أعتقد أن الفرقة ليست سيئة.

بدت عليها الدهشة.

- نعم إنها فرقة جيدة.

- لم أقل ذلك.

أجابها ماثيو ثم ضحكا معاً.

- لا، بل أعتقد أنها فرقة جيدة، وسكوت له صوت جميل. أخبرني،

هل كان هناك نساء يتقربن منه؟

- في الحقيقة، لم أنتبه كثيراً لذلك. لقد ذهبت من أجل العشاء،

ومكثت قليلاً للاستماع إلى الموسيقى، ولكن...

- لقد كنت أمزح. أنا أحياناً أمزح قليلاً، كما تعلم.

- حسناً، على أي حال، لم أر أي شيء.

- لقد أخبرني سكوت أن الحضور كان جيداً، وأن الناس مكثوا

يستمعون إليهم لوقت متأخر.

قال ماثيو:

- مهلاً، هناك موضوع آخر. لم أسألك عن والدك منذ وقت طويل،

كيف حاله الآن؟

- ليس جيداً، سأعود إلى المنزل لزيارته في العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس<sup>(1)</sup>، وأتساءل إذا ما كان من المفترض أن أذهب مبكراً عن ذلك.

- وما رأي والدتك؟

- تخبرني دائماً أنه سيكون بخير، وأنني من المفترض ألا أزعج نفسي بالعودة على الإطلاق.

لم يستطع ماثيو تذكر أي نوع من السرطان يُعانيه والد ميشيل، لكنه يتذكر فقط أن وضعه خطير.

- عليك أن تذهبي على أي حال، يمكنك أن تصطحبي سكوت معك.

- أتمنى، لكن أعتقد أن لديه عرضاً في عطلة الأسبوع القادم، وحتى إذا لم يكن هناك عرض، فإنه سيجد عذراً آخر.

بدأ الطلاب في الانتشار بين الممرات، وأدرك ماثيو أن استراحة الغداء قد أوشكت على الانتهاء. أنهايا حديثهما، وبينما يتجه نحو صفه قبل الوقت المتبقي الذي كان كافياً حتى يأكل شطيرة البيض والسلطة التي أعدها، هنا نفسه على حصوله على المعلومات التي يحتاج إليها. العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس! سيتصفح موقعهم الإلكتروني اليوم ليرى أين ستعزف فرقة سي-بيمز.

---

(1) Columbus Day: إجازة وطنية في العديد من الدول في الأمريكيتين وأوروبا وغيرها حيث يقام احتفالاً سنوياً بمناسبة اكتشاف كريستوفر كولمبوس لقارتي أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية لأول مرة في 12 أكتوبر 1492م.

# 11

لم تحصل هين على نومٍ كافٍ؛ لقد ظلت تتخيل ما الذي يمكن أن تشعر به إذا اطلعت على الأخبار صباح اليوم التالي لتكتشف أن هناك زوجين قد وُجدا مقتولَين في سيارتهما في ميدلهام. ثم حاولت إقناع نفسها أن الأمر لم يكن كذلك، وإذا كان الأمر كذلك، لا قدر الله، عندئذ ستكون على الأقل على علمٍ بمن فعلها. ولن يفلت بفعلته من العقاب هذه المرة على الأقل.

لكن في صباح اليوم التالي، لم تجد أي أخبارٍ قد نُشرت على المواقع الإخبارية التي تتفحصها بانتظام. ولتتأكد، فقد بحثت عن «جرائم في ميدلهام» لكن شيئاً لم يظهر في البحث. غلفها شعور بالطمأنينة بالطبع، لكنها حدّثت نفسها بأن ما رآته كان مشهداً من مشاهد المطاردة. وإن كان ماثيو لم يرتكب جريمة قتل في الليلة الماضية، فإن هذا لا يعني أنه لن يفعل ذلك فيما بعد.

بعدما ذهب للويد إلى العمل، اتصلت هين بمركز شرطة كامبريدج من هاتفها الأرضي وطلبت أن تتحدث إلى الضابط المُخوّل للتحقيق في قضية انتحار دستين ميلر.

- لم يصل المحقق مارتينيز بعد، يمكنني أن أوصلكِ بمحققٍ آخر.
- إنني أفضل التحدث إليه مباشرة، هل يمكنني أن أترك رقم هاتفي؟

عاود المحقق الاتصال بها بعد عشرين دقيقة، سألها:

- هل يمكنني أن أساعدك؟

وفكرت هين في أنه ربما كان يتناول طعام فطوره بينما يتحدث إليها.

- لديّ معلومات تتعلق بحادثة دستين ميلر.

- حسنٌ، هل يمكنك أن تخبريني باسمك؟

- هينريتا مازور، ولكنني أود أن أكون مجهولة. ليس لك بالطبع، ولكنني أود ألا يظهر اسمي إلى العامة بأي طريقة.

- سأفعل ما بوسعي، أعدك بذلك سيده مازور.

- يمكنك أن تنادينني هينريتا أو هين.

- أخبريني هينريتا، ما المعلومات التي لديك؟

أخبرته هين بقصة زهابها إلى العشاء في منزل جيرانها الجُد، ورؤيتها لكأس المباراة معروضة أمامها، وكيف أن ذلك قد أثار ذاكرتها حيال شيء قد قرأته عن قضية دستين ميلر التي قُيدت ضد مجهول. وأخبرته أنها ربما قد تمادت كثيرًا في التفكير في الأمر، إلا أن دستين كان طالبًا في مدرسة سوسكس هول، وهو نفسه المكان الذي يعمل فيه جارها ماثيو مدرسًا.

- ما الذي يجعلك تعتقد أن الكأس التي رأيتها لا تنتمي إلى جارك؟

- لأنني قد سألته إذا كان يمارس رياضة الشيش، وقد نفى ذلك،

وقال إنه فقط يحب الكأس. أتذكر أنه أخبرنا بشرائها من معرض

بيع.

- لكنك لم تصدقيه، صحيح؟

- هناك شيء آخر، لقد عدت لألقي نظرة على الكأس مرة أخرى، لكنها كانت قد اختفت.

- متى عدت إلى نفس المكان؟

- كانت حفلة العشاء ليلة السبت وعدت إلى منزلهم يوم الاثنين. كانت زوجته ميرا دولامور في المنزل، وقد أخذتني في جولة أخرى حول المنزل....

- وماذا أخبرتها؟

- تقصد ما الذي أخبرتها به عن سبب زهابي إليها مرة أخرى؟

- نعم.

- أخبرتها بأنني أود أن ألقى نظرة أخرى حول منزلها، لأتعرف على الكيفية التي زينت بها المنزل. لم يكن الأمر كذبًا تمامًا. أقصد أننا نمتلك منازل متشابهة، ولها نفس التصميم. ولكنني أردت حقًا أن أرى الكأس مرة أخرى. كان هناك نقش مكتوب على القاعدة لم أستطع قراءته في المرة الأولى.

- لكنك رأيت بعض الكلمات.

- إنني شبه متأكدة من أنني قد رأيت كلمتي «دورة الألعاب الأولمبية للشباب».

- لست متأكدة تمامًا.

- أنا متأكدة، لقد رأيتهم. لا أعرف لما قلت «شبه».

قال المحقق:

- حسنًا لا عليك. إذاً لقد عدت إلى نفس المكان من أجل أن تأخذي جولة في منزل جيرانك مرة أخرى، وأيضًا لأنك أردت أن تلقي نظرة أخرى على الكأس. وهل رأيتها؟

- كلا، لقد اختفت؛ نُقلت من موضعها.

- هل أنتِ متأكدة؟

- نعم متأكدة، لقد كانت الكأس في موضعها يوم السبت، ثم اختفت في صباح الاثنين. لقد نُقلت من موضعها أو تم التخلص منها، أنا واثقة من ذلك، لأنه رأى تلك الطريقة التي لاحظت بها الكأس.

- ليلة حفل العشاء؟

- نعم، أعتقد أنني حدقت إلى الكأس قليلاً، وسألته عنها، وقد لاحظ اهتمامي. يمكنني أن أشعر أنه لاحظ ذلك.

سعل المحقق، وبعدئذ استطاعت أن تسمع صوت رشفته لشرابٍ ما، ثم اعتذر عن ذلك.

- هل يمكنني أن أسألك لماذا لفتت كأس المباراة انتباهك في المقام الأول؟ إن الاحتفاظ بشيء كهذا أمر شائع. هل توصلتِ إلى الصلة بينهما على الفور؟ وكيف لك أن تعرفي أنه كان هناك كأس لدى دستين ميلر وأنها اختفت من مسرح الجريمة؟

- لقد نُشر ذلك في تقريركم، أليس كذلك؟

- بلى لقد نشرنا ذلك، ولكن هذا حدث منذ وقتٍ طويل. هل تذكرتِ قراءتك عنه في نفس لحظة رؤيته؟

أخبرته حين الطريقة التي اعتادت أن تكون عليها حياتها في كامبريدج، وأنها كانت مهتمة للغاية بالجريمة. لكنها قد أغفلت حقيقة أنها كانت تسكن في نهاية الشارع الذي كان يقيم فيه دستين - يمكنها أن تسترجع صوت اللويد وهو يقول إن ذلك سيكون مصادفة كبيرة أن نسكن في الشارع ذاته الذي يقطن فيه القاتل - وفي الحقيقة أغفلت أيضاً ذكر حقيقة هوسها بالجريمة وبدستين.

- أعتقد أن كل ذلك كان مُخزناً في ذاكرتي؛ كأس المباراة...  
سوسكس هول... ثم ربطتُ الأمور بعضها ببعض.

قالت هين ذلك بينما تنظر إلى الخارج من نافذة الطابق الثاني في  
غرفة الضيوف التي تقع في الطابق العلوي.

- إذاً لما قررتِ الاتصال بنا الآن؟ لماذا لم تتواصلي معنا يوم الاثنين  
أو على الفور بعد رؤيتك للكأس يوم السبت؟

كانت هين قد قررت بالفعل أنها لن تخبر محقق الشرطة عما رآته  
في الليلة السابقة. كانت تعلم أن تعقبها لجارها بسيارتها عند منتصف  
الليل سيجعلها تبدو مجنونة. قررت أنها يمكن أن تخبره بذلك لاحقاً، إذا  
اضطرت إلى هذا.

- إن الأمر هو أنني لا أعلم إن كنتُ قد انغمست في قراءة الكثير  
بشأن الموضوع، ولكن بمرور الوقت طوال هذا الأسبوع صرت  
أكثر اقتناعاً بالأمر. ولقد بحثت أيضاً عن بعض القصص بشأن  
القضية، وعرفتُ أيضاً أن دستين ميلر كان قد اتُّهم سابقاً  
بالاغتصاب عندما كان طالباً بالمدرسة الثانوية. لقد اعتقدت أن  
ذلك يمكن أن يكون له علاقة بالأمر.

- نعم فهمت.

قال المحقق ذلك ثم سألها:

- متى انتقلتِ من كامبريدج إلى دارتفورد؟

- ويست دارتفورد. في يوليو الماضي.

- وماذا تعملين هينريتا؟

- هين. يمكنك أن تنادينني هين.

- حسناً، هين. ماذا تعملين؟

شرحت هين للمحقق أنها تعمل رسامة لكتب الأطفال، وقد توقعت منه بعض التعليقات أو الأسئلة مثل (هذا يبدو ممتعًا، أو أخبريني عن الكتب التي قمتِ برسمها)، لكن المحقق اكتفى بأن يشكرها على ما قد قدمته لهم من مساعدة جليية، وأنه قد يعاود الاتصال بها مرة أخرى إذا احتاج إلى المزيد من الأسئلة.

سألت هين:

- هل ستقومون باستجوابه؟

فكرت هين في أن إجابته قد تكون غامضة بشأن هذا الأمر، لكنه قال:

- سنفعل، وسأقود التحقيق بنفسي. هل تعلمين ما إذا كان موجودًا في منزله اليوم؟

- على قدر معرفتي، أعلم أنه في منزله. إنه يعمل مدرسًا طوال اليوم، ولكن أعتقد أنه يعود إلى المنزل نحو الساعة الرابعة بعد الظهر.

- حسنًا، إذا سأقوم بزيارته، ولن أذكر اسمك أو من تكونين.

- حسنًا شكرًا جزيلاً.

بعد أن انتهت المكالمة، وقفت هين ثابتة في موضعها لبرهة وكانت ما تزال ممسكة بالهاتف في يدها، كانت تحاول أن تعرف ما إذا كان ما فعلته هو الشيء الصحيح أم لا. وبعدما هدأ جسدها قليلًا أوحى إليها أنها قد فعلت الصواب، فأغلقت الهاتف.



# 12

بينما كان ماثيو ينعطف إلى ممر سيارته بعد الساعة الرابعة بقليل، لاحظ سيارة فورد زرقاء داكنة مصطفة على جانب الشارع بين منزله ومنزل جيرانه الجدد. «إنها الشرطة» قال ماثيو مُحدثاً نفسه بمجرد النظر إلى السيارة. وفي الوقت الذي أغلق فيه باب سيارته الفيات خلفه، خرج من السيارة المصطفة رجلٌ يرتدي حُلةً أنيقة، وبدأ يسير ببطء متجهًا نحوه.

التفت ماثيو بينما يقترب منه رجل الشرطة الذي كان طويلًا هزيلًا، ثم قال:

- ماثيو دولامور؟

- أجل!

أجابه ماثيو وسمح لتعبير التساؤل والفضول أن يرتسم على وجهه.

- أنا المحقق مارتينيز من شرطة كامبريدج.

ثم عرض عليه شارته ليتأكد ماثيو منها.

قال ماثيو:

- شرطة كامبريدج؟

- أنا في مطاردة ميؤوس منها.

قالها المحقق مبتسماً، ثم تابع:

- هل لديك وقت للإجابة عن بعض الأسئلة؟

- أجل، بالطبع، ولكن عمّ تكون؟

- هل تمانع إذا جلسنا بالداخل؟

تبع المحقق مارتينيز ماثيو إلى داخل المنزل.

- لم آتِ إلى دارتفورد من قبل، إنها جميلة. أعتقد أنها أقل تكلفة من

العيش في المدينة، أليس كذلك؟

- لا أعتقد أنني أعرف إجابة ذلك، تفضل بالجلوس... هل ترغب في

تناول شيء ما؟

- لا، شكرًا لك.

وضع ماثيو حقيبته الجلدية على الأرض بجانب طاولة القهوة وجلس

على حافة أحد الكراسي، بينما جلس المحقق مارتينيز على الأريكة

وكانت ساقاه طويلتين للغاية، حتى إن ركبتيه كانتا على ارتفاع أعلى

من فخذه. أخرج المحقق مفكرة ذات إطار حلزوني وقال:

- من المفترض ألا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً سيد دولامور، ولكن

اسمك قد ذُكر في التحقيق وأحتاج إلى إجابتك عن بعض الأسئلة.

- أي تحقيق؟

- أنت تعمل مُدرّساً في مدرسة سوسكس هول، صحيح؟

- أجل.

- هل تذكر طالباً لديك كان يُدعى دستين ميلر؟ لقد تخرج منذ

سبعة أعوام في المدرسة الثانوية.

قال ماثيو:

- لقد قُتل.

أوماً المحقق برأسه موافقاً:

- صحيح، هل تذكره؟

- ليس كثيرًا. لقد درس في صفٍّ واحدٍ فقط من صفوفي. ولا أعتقد أنني كنت سأذكره إذا لم... إذا لم تُنشر قصته في كل الأخبار. هل ما زلتُم تحققون بشأن مقتله؟

- لم تُحل القضية بعد، لذلك نعم ما زلنا نُجري التحقيقات. وقد قادتنا بعض المعلومات إلى الاعتقاد بأن مقتله قد يتعلق بالوقت الذي قضاه في سوسكس هول، ولذلك كنت أتمنى لو استطعت أن تلقي بعض الضوء على تلك الفترة من حياته.

- إنني حقًا... إنني بالكاد أعرفه حتى أخبرك بأي حقيقة، إذ لم يكن طالبًا مميزًا.

- لِمَ لم يكن طالبًا مميزًا سيد دولامور؟

- يمكنك أن تتناديني ماثيو.

- حسنًا سأفعل، ويمكنك أن تتناديني إيجي.

كان ماثيو منزعجًا من وجود المحقق، لكن الأمر لم يقتصر على ذلك فقط، بل كان منزعجًا أيضًا من وجه المحقق. لم يكن وجهه مُدببًا أو مفلطحًا، لقد كان وجهه يتسم بصفة جديدة، كانت جمجمته مستديرة وعيناه غائرتين وذقنه صغير. هل كان وجهه يشبه وجه البوم؟

سأل ماثيو:

- ماذا كان سؤالك؟

- لقد قلت إن دستين ميلر لم يكن طالبًا مميزًا. إنني أتساءل لماذا تعتقد ذلك؟ لِمَ لم يكن طالبًا مميزًا؟

- حسنًا.

بدأ ماثيو حديثه وبطريقة ما لم يكن متوترًا من السؤال الذي طُرح عليه، ثم تابع:

- أنت تتذكر أفضل طلابك وتتذكر أسوأهم، وهو لم يكن واحدًا من أيّ من الفريقين، ولذلك قلت إنه لم يكن طالبًا مميزًا على نحو خاص، لم يكن من النوع الذي يتسبب بالمشكلات.

- ماذا عن أصدقائه؟ هل تتذكر أي نوع من الأصدقاء كان يرافقه؟  
عبس وجه ماثيو وهز رأسه نافيًا:

- كلا.

- هل كان يمارس أي رياضة؟

- أغلب الطلاب في سوسكس هول يمارسون الرياضة، ولكن لأكون صريحًا معك، أنا لا أهتم كثيرًا بذلك.

- إذا فأنت لا تعلم أي شيء بشأن ما حدث عندما التحق دستين ميلر بدورة الألعاب الأولمبية للشباب في سلاح الشيش؟

تظاهر ماثيو قليلاً بالتفكير، لقد كان أمر مشاركته واسع الانتشار حينئذ، لا سيما بسبب الإشاعات التي تناقلت بين المدرسين.

- لقد أحدث الأمر صدى كبيرًا. أعتقد أنه كان شيئًا سيئًا، صحيح؟

- لقد اتهمته طالبة زميلة له بالاعتداء الجنسي.

- أجل، الآن أتذكر.

- هل تتذكر كورتنى شيه؟

- مرة أخرى، ليس كثيرًا. أعتقد أنها كانت في فصل التاريخ العالمي للسنة الأولى الذي كنت أُدرّس له، وقد التحقت بحلقة دراسية معي في سنتها النهائية، عن روما القديمة.

- هل أكملت هذا الفصل في السنة النهائية؟

- كلا، الآن عندما فكرت في الأمر. لقد رحلت عن المدرسة في بداية العام وانتقلت إلى مدرسة «لينكولن سادبيري الثانوية». لقد كنت حزينًا لرحيلها عندما غادرت. كانت تتسم بجفونٍ ناصعة البياض، حتى لكأنها تبدو شفافة لما تحتها. كانت ضئيلة الحجم ذات منكبين نحيفين. وبعدها التحقت بمدرسة سوسكس هول، نما صدرها كثيرًا حتى لكأنها تبذل جهودًا مضنية في إخفائه. ربما كان ذلك هو السبب في تركها ملعب الهوكي وانضمامها للمبارزة، ربما بسبب الزي الموحد الذي لا يغطي الكثير من الجسم. لكنها صارت مبارزة بارعة وتأهلت ودستين ميلر وبراندون هسو لدورة الألعاب الأولمبية للشباب بعدما تفوق الثلاث في دورة نيو إنجلاند للمؤهلين. لقد أتت إليّ مفعمة بالحماس بعدما عرفت أنها ستخوض تلك الرحلة. أرادت أن تعرف المزيد عن تاريخ سانت لويس إذا كان الأمر يستحق الدخول إلى قوس جيت واي<sup>(1)</sup>. اغتصبها دستين في غرفة الفندق الخاصة بها. كان قد استطاع أن يُحضر مشروبات كحولية معه في تلك الرحلة وقد شربا معًا حتى الثمالة. وبعدها رحلت كورتنى عن سوسكس هول -كنت مندهشًا وفخورًا أنها استطاعت المكوث كل تلك الفترة- وبينما

(1) Gateway Arch أو قوس المدخل: هو نصب تذكاري على شكل قوس من الفولاذ غير قابل للصدأ في سانت لويس في ولاية ميزوري الأمريكية، من تصميم المهندس المعماري يويو سارينين.

كنت أسترق السمع إلى دستين وأحد أصدقائه سمعتهما يحاولان التفكير فيمن لها صدر كبير في المدرسة بعدما رحلت كورتنى.

- إذا ما الذي يمكنك أن تخبرني به بشأن الحادث الذي وقع في بطولة سلاح الشيش؟

- أعلم أنها قد حررت شكوى، ولكنني لست متأكدًا مما إذا كانت قد طالبت بتعويضات. أذكر أنني سمعت أنهما قد ثملا معًا.

- ألم يكن هناك أي مرافقين في تلك الرحلة؟

- أعتقد أن مُدرب المبارزين كان يرافقهم - إنه يفعل ذلك دائمًا - وربما أحد الوالدين فقط، ولكن كانت كورتنى تمتلك غرفتها الخاصة.

- أنت تتذكر أكثر مما تعتقد أنك تفعل.

ثغرت شففتا المحقق عن ابتسامة قصيرة لكنها لم تُغير من الحزن الذي يملأ عينيه.

- أعتقد ذلك، إنها واحدة من الأمور التي تتمنى أن تمحوها من الذاكرة.

- ما رأيك في ذلك الحادث؟

- لست متأكدًا أنني عرفت بالقدر الكافي الذي يجعلني أدلي برأيي في الأمر.

- لكن يجب أن يكون لك حُكم على ذلك الأمر، إذ إنك كنت مُدرّسًا لكلا الطالبين. إذا كان الأمر أشبه بالقييل والقال من الجانبين، عندئذٍ مَنْ ستصدق؟ هذا ليس استجوابًا رسميًا بالمناسبة، إنني مهتم برأيك في الأمر فقط.

- هل تعتقد أن ما حدث في سوسكس هول يتعلق بموت دستين ميلر؟

- لا أعتقد ذلك. لكي أكون صادقًا معك، إننا ننتبع الأدلة فقط، وكلما حصلتُ على المزيد من المعلومات عن ذلك الموقف، كان الوضع أفضل. وأوضح مجددًا، أنا لا أبحث عن إفادة رسمية، وإنما تقتصر رغبتني على الحصول على بعض الآراء في الأمر.

- لقد مر وقتٌ طويل على هذا الأمر.

قال ماثيو وهو يحك ذقنه بينما يحاول أن يبدو رصينًا:

- لا أود أن يؤخذ بحديثي، ولكنني أتذكر أن دستين كان ولدًا جيدًا. لقد تناولا الكحول معًا وربما كان عليه أن يكون أكثر حرصًا من ذلك، ولكن كان من المفترض أن تكون هي أيضًا أكثر حرصًا. إنه فقط واحد من تلك الأمور... التي تقع على أي حال. ولكنني لا أعتقد أن الأمر يستحق أن تُهدم حياة دستين جراء ما حدث.

ابتسم المحقق ثانية بشفتيه الرفيعتين وتطلع إلى ماثيو لبرهة من الوقت.

- شكرًا لك. كان هذا مفيدًا للغاية.

قال المحقق ذلك ثم وضع يديه على ركبتيه بينما يستعد للوقوف.

سأل ماثيو:

- هل هذا كل شيء؟

- هذا كل شيء. ما لم يمكنك أن تتذكر أي شيء آخر.

- مثلما أخبرتك، لا أتذكر عنه الكثير.

- لكنه كان ولدًا جيدًا، أنت تتذكر ذلك!

- حسنًا، فهو لم يكن ولدًا سيئًا، وهذا أقصى ما يمكنني أن أتذكره.  
وقف المحقق ونهض بسهولة من على الأريكة وكذلك ماثيو أيضًا.  
سارا معًا حتى الباب، وتساءل ماثيو في نفسه إذا ما كان المحقق  
مارتينيز سيطلب منه استعمال دورة المياه أو إلقاء نظرة حول المنزل.  
لا بد أن الأمر يتعلق بكأس المباراة، أليس كذلك؟ لا بد أن ذلك كله بسبب  
جارته الجديدة التي اتصلت بالشرطة وأخبرتهم عنه. كاد ماثيو أن  
يتمنى أن يطلب المحقق إلقاء نظرة حول المنزل، وفكر في أنه سيأخذه  
إلى مكتبه، ولكن بمجرد أن وصلا إلى الباب الأمامي، قدم المحقق يده  
ليصافح ماثيو فصافحه.

قال ماثيو:

- لقد قطعت مسافة طويلة من أجل القليل.  
- حسنًا، من يدري. وعلى الأقل إنه يوم جميل للتجوال.  
لم يلحظ ماثيو الطقس ذلك اليوم، ولكنه كان جميلًا، كان الهواء  
جافًا وباردًا والسماء غارقة في زرقتها الداكنة.

أردف ماثيو:

- إنه لطيف!  
- أنا أحب تلك المنطقة وكل تلك المنازل الرائعة. هل هناك الكثير  
من الأطفال في الجوار؟ أتعتقد أن المدارس هنا جيدة؟  
- أجل، المدرسة العامة جيدة، هذا ما أسمعه عنها.  
وقف ماثيو في الردهة لدقائق قليلة وتطلع إلى المحقق بينما يقود  
سيارته مبتعدًا.



# 13

بعدها أجرت المكالمة الهاتفية مع شرطة كامبريدج هذا الصباح، قطعت المنزل ذهابًا وإيابًا لأكثر من مرة، ثم أعدت لنفسها فنجان القهوة الثاني وحاولت الجلوس إلى كرّاس رسوماتها. ما زالت لم تبدأ في رسم اللوحتين المتبقيتين من أجل الفصل الجديد من الكتاب الذي تعمل عليه. كان عنوان الكتاب: *مدرسة المحاربين الأسطوريين: أعداء سانتا كلوز*. كان الكتاب الأول في السلسلة - كل كتب الأطفال تلك الأيام تُنشر في سلاسل - وكان يدور حول المدرسة العسكرية للمراهقين التي تعلمهم كيف يحاربون المخلوقات الخارقة. كانت الكثير من مهامها هذه الأيام تدور حول الظواهر الخارقة. ولم يكن هذا الكتاب من النوع المفضل لها، لأنه كان عليها أحيانًا أن تفكر فيما يمكن أن تكون عليه هيئة المخلوقات الخيالية، ولم يسعد المؤلفون أبدًا بما تتوصل إليه. دائمًا ما تفضل أن ترسم اللوحات من أجل كتب التشويق التي تستهدف الشباب الصغار، كتلك الكتب التي أحببتها عندما كانت مراهقة، مثل كتب لويس دنكان<sup>(1)</sup> وفي سي أندروز<sup>(2)</sup>. ولكن هذه الأنواع من الكتب لم تعد مشهورة في تلك الأيام.

(1) Louis Duncan: روائية وكاتبة أطفال أمريكية. (المترجم)

(2) V. C. Andrews: فيرجينيا أندروز هي كاتبة وروائية أمريكية تتخصص في كتب الملحمات العائلية والرعب القوطي. (المترجم)

عندما فتحت كُرَّاس رسوماتها، رأت تلك الصورة التي رسمتها الليلة الماضية. قطعة كبيرة تربض على الفراش وفتاة صغيرة تقف على حافة النافذة. لقد نسيت أمرها تمامًا وقد أفزعتهما اللوحة، وبخاصة عينا الولد الصغير الذي يجثم على غصن الشجرة. لقد أحببت اللوحة مثلما لم تحب أي شيء رسمته منذ سنين، وفجأة ودون أي تفكير مدفوعة بما يشبه القوة الجسدية، أرادت أن تذهب إلى الاستوديو، وتبدأ في عمل اللوحة. اندفعت إلى الطابق العلوي وانتعلت قبقابها الخشبي، ثم ارتدت سترة خفيفة قد نزلت مؤخرًا إلى رتبة سترات العمل بسبب ثقوبها الصغيرة المتعددة. وعندما هبطت إلى الطابق السفلي، أحضرت دفتر رسوماتها ومفاتيحها ثم هرعت إلى الخارج. شعرت هين بالذنب قليلًا لأنها من المفترض أن تقضي كل وقت عملها في الوفاء بعقدها من أجل الكتاب متعدد الفصول، إلا أنها حدثت نفسها أنها بمجرد الوصول إلى الاستوديو ستجد الوقت الكافي للعمل على المحاربين الأسطوريين أيضًا. سارت حتى وصلت إلى نهاية شارع سيكمور ثم اتجهت يمينًا إلى شارع كرين أفينو، وبعد ذلك اتجهت من أسفل التلة إلى استوديوهات بلاك بريك، حيث استأجرت مساحتها الخاصة التي كانت مصنع نسيج قديم بُني إلى جانب نهر سكيوتوت. كان المبنى من الطوب ومكون من أربعة طوابق تتسع لما يزيد على ستين استوديو. استأجرت هين مساحتها في القبو، واحدًا من أقل الأماكن التي يمكن أن تكون مرغوبة، بسبب افتقارها إلى واجهة تطل عليها. لكنه مزود بحوض تحتاجه هين في عملها، كان المكان واسعًا بما يكفي لاستيعاب كلِّ من آلتَي الطباعة اللتين نُقلا بتكلفة كبيرة من المرسم السابق الذي كانت تمتلكه في سومرفيل.

دخلت إلى المرسم من خلال المدخل الخلفي، فوجدت ملصقًا على الباب يُذكرها بأن فعالية الاستوديو المفتوح ستأتي قريبًا. كان

الحضور في أثناء العطلات الأسبوعية للاستوديو المفتوح واحدًا من المظاهر الضرورية لتكون فنانًا، والتي كرهتها هين بشدة. كانت جميع المصاييح في القبو منطفئة، والذي يعني أنها بمفردها في هذا المكان. دلفت إلى مرسمها واتجهت مباشرة إلى طاولة الرسم حيث أعادت رسم لوحة القطة على قطعة من الورق بنفس حجم اللوح، ثم بدأت في إعداد الفحم وتغطية الجوانب بالرمل، من أجل الصنفرة، ثم وضعت طبقة الشمع. وبينما كانت تعمل على تلك التجهيزات، استمعت إلى قرص مدمج بأغنيات آني دي فرانكو<sup>(1)</sup> على مُشغل أسطوانتها القديم. في المنزل عادة ما تستمع إلى الموسيقى من خلال خدمة الراديو، لكنها دائمًا ما تمتلك مُشغل اسطوانات في مرسمها، وكل اسطواناتها المدمجة كانت تمتلكها منذ وقتٍ طويل وكثيرًا منها كان بحوزتها حتى قبل أن تتعرف إلى اللويد، لأنها لم تشتري أي اسطوانة جديدة منذ خمس سنوات على الأقل. كان مُشغل الاسطوانات العتيق ذو الأقراص الخمس المدمجة (المزود أيضًا بمُشغل شرائط الكاسيت) أشبه ما يكون بآلة الزمن الشخصية الخاصة بها. ربما تكون قد تغيرت وكبرت وأصبحت تُنفذ لوحات للأطفال بدلًا من أن تُصمم لوحاتها الخاصة، لكن الموسيقى تظل كما هي. انغمست كثيرًا في عملها حتى إنها لم تلاحظ عندما تغيرت اسطوانة آني دي فرانكو إلى نيوترال ميلك هوتيل<sup>(2)</sup>، وكانت قد وجدت بالفعل قلم الرسام ذا السن الماسي وبدأت في الحفر على الشمع. في

(1) Ani Difranco: هي مغنية وكاتبة أغاني وشاعرة وموسيقية وسيدة أعمال وناشطة نسوية أمريكية، تشتهر بغنائها للروك. (المترجم)

(2) Neutral Milk Hotel: فرقة روك أمريكية نشأت في روستون، لويزيانا على يد المغني وعازف الجيتار وكاتب الأغاني جيف مانجوم في أواخر الثمانينيات. (المترجم)

تلك اللحظة التي بدأت عملها سمعت صوت صفع باب بعيد، ثم انطفت جميع المصابيح إلا مصباح طاولتها.

صاحت «مهلاً» ثم سارت إلى الباب. أومضت المصابيح جميعها مرة أخرى في وقت واحد، وصاح صوت ذكوري:

- آسف، اعتقدتُ أنه لا أحد هنا.

- لا مشكلة.

قالت هين بينما يقترب الرجل -الذي يبدو أصغر سنًا مما أوحى به صوته- من زاوية الممر. قد عرفته سابقًا من اجتماع الأعضاء الوحيد الذي حضرته ولكنها لا تتذكر اسمه.

قالت:

- مرحبًا، أنا هين.

- صحيح، أتذكر ذلك. أنا ديريك.

كان رجلًا قصيرًا جدًا وله حاجبان سميكان، وعادت تتساءل مثلما تساءلت من قبل في أثناء الاجتماع إذا ما كان قصيرًا فقط أم أنها حالة تتعلق بالتقزم الطفيف. ثم سألتها:

- هل تستعدين لفعالية الاستوديو المفتوح؟

- لا، إنني أعمل على شيء آخر. في صباح يوم فعالية الاستوديو المفتوح سأتي هنا عند بزوغ الفجر وأضع مجموعة من اللوحات.

حاولت هين أن تتذكر أي نوع من الرسامين كان ديريك. كانت ملابسه نظيفة وقد جعلها ذلك تعتقد أنه مُصور فوتوغرافي.

ثم أضافت:

- وسأحضر طبقًا من الحلوى.

- أنا أضع طبقًا كبيرًا من البسكويت المُمَلح المحشو بزُبدة الفول السوداني. في إحدى السنوات وضعت زجاجة من التيكिला<sup>(1)</sup> إلى جانب الملح وشرائح الليمون لأرى ما إذا كان أحدهم سيشرب كأسًا.

- وهل فعلوا ذلك؟

- بالطبع لقد فعلوا. إنه شرابٌ مجاني. لقد تحول مرسمي إلى حفل، لا أظنني سأفعل ذلك مرة أخرى مطلقًا.

تأرجح ديريك في الوقوف من إحدى قدميه إلى الأخرى، فظنت هين أنه على وشك المغادرة، لكنه سألها:

- هل لديك بعض الوقت؟ كنتُ أود لو أرى بعضًا من أعمالك.

- بالطبع!

هكذا قالت هين، وتبعها ديريك إلى داخل المرسم حيث فتحت صندوقًا يحوي بعض اللوحات التي خططت لعرضها في أثناء فعالية الاستوديو المفتوح. كانت أغلبها مطبوعات أصلية قد رسمتها قبل سنوات، وقليلٌ منها كانت اللوحات المفضلة من رسومات كتابها.

قال ديريك:

- رائع! إنها لوحات مذهلة.

- شكرًا لك.

- وسوداوية.

---

(1) Tequila: هو مشروب كحولي مقطر يُصنع بصورة عامة في المناطق حول قرية تيكِلا، وهي قرية في غرب ولاية جاليسكو المكسيكية. تصنع من نبات أكاف التيكِلا الأزرق، والتي هي أصلها مكسيكي. أغلب التيكِلا تحتوي على نسبة 35 % إلى 55 % من الكحول. (المترجم)

- أجل، إنني أمتلك شيئاً كانت أمي تُطلق عليه دائماً الخيال المكتئب.  
بعدما ألقى نظرة على جميع اللوحات، رمق ديريك آلة الطباعة الأكبر  
من بين أآتي الطباعة، ثم سأل:

- كم تزن آلات الطباعة؟

- في الحقيقة لا أدري أبداً، لكنها ثقيلة للغاية، وقد قررت أنني يجب  
أن أحب هذا الاستوديو لأنني لن أنتقل مرة أخرى أبداً.

- سيروق لك المكان هنا، إنه لا يميل كثيراً إلى تكوين الأحزاب. دائماً  
ما يتشجع الرسامون على الاندماج، ولكن إذا لم تُفضلي ذلك، فلن  
ينتقدك أحد... أوه، رائع، هل هذه لوحة جديدة؟

كان ديريك ينظر إلى اللوحة الأخيرة، تلك التي أطلقت عليها هين  
«الفتى الذي عاد مرة أخرى في الليلة التالية». أمعن النظر في اللوحة  
لوقتٍ طويل، وأدركت هين أن ذلك الولد الذي يقف على الغصن يشبه  
كثيراً رجلاً صغيراً، حقاً لقد كان يشبه القزم، وشعرت هين بالقلق قليلاً  
أنه ربما قد وجدها ديريك جارحةً له.

علق ديريك:

- إنها تبدو كما لو أنك تنظر إلى أحلام أحدهم، لقد اقشعر بدني  
حقاً.

- أنا أيضاً.

هكذا قالت هين ثم أضافت:

- هذا هو نوع الفن الذي أحبه، ذاك النوع الذي يفزعك.

قبل أن يغادر ديريك، وعدته هين أنها ستنتهز فرصة الاستراحة في  
أثناء الاستوديو المفتوح وتأتي حتى تُلقي نظرة على أعماله. لكنها ما  
زالت لا تعلم بالضبط ما هي أعماله. وعندما أصبحت مجدداً بمفردها

في المكان، استطاعت أن تُنهي النقش على لوحها، ويصدق الآن مُشغل الاسطوانات المدمجة ألبوم الموسيقى التصويرية لوست هاي واي<sup>(1)</sup>. وضعت اللوح في حمام حمضي ثم بدأت سريعًا في مطبوعات المحاربين الأسطوريين. لقد كان مشهدًا قبل بداية الكتاب، عندما خرج سانت كلوز الشرير من موقد المدفأة. رسمت هين الفكرة سريعًا، في إحداها يُخرج إحدى قدميه فقط، ثم رسمت نسخة أخرى تظهر فيها يد تشبه المخالب أيضًا وإلى جانبها يظهر وجه لامع للمخلوق. لم تكن اللوحة بذلك السوء. لقد استغرقت كثيرًا في الرسم حتى إنها شعرت بالقلق؛ لربما قد تركت اللوحة لمدة طويلة. ولكن بعد إزالة الشمع وإضافة الحبر، ثم طبعت اللوحة الأولى على الطابعة، سار الأمر على نحو جيد، فقد كانت واحدة من أفضل المطبوعات التي أنتجتها منذ وقتٍ طويل. نفذت عدة لوحات أخرى مطبوعة، ثم رسمت فكرة سريعة من أجل اللوحة الثانية التي وعدت بها الناشر. ولكن قبل أن تُدرك ذلك، كان صوت فرانكو يصدق من جديد، ومضى الوقت بينما ينتقل المُشغل من اسطوانة إلى أخرى حتى انتهت الاسطوانات الخمسة، وأدركت هين أخيرًا شعورها بالجوع. لقد كان يومًا حافلًا بالعمل. أغلقت باب المرسم وأطفأت المصابيح بعد أن صاحت لتتأكد مما إذا كان هناك أحد، ثم خرجت مرة أخرى إلى شمس النهار الساطعة.

---

(1) Lost Highway ألبوم الموسيقى التصويرية لفيلم David Lynch الذي يحمل اسم Lost Highway أيضًا والذي صدر عام 1997. (الترجم)

# 14

بعدما غادر المحقق، دخل ماثيو إلى المنزل مرة أخرى. كان قد خطط لإعداد حساء الدجاج مع التوابل الهندية الذي تفضله ميرا، حتى يكون هناك شيء جاهز لتأكله إذا كانت جائعة عند عودتها إلى المنزل. وبدلاً من ذلك، بعدما وقف أمام المُجمد ليستخرج مكونات العشاء، اهتدى تفكيره إلى إعداد بعض قطع من خبز البييتزا الفرنسية.

في أثناء تناول الطعام بدأ يفكر كيف سيتوصل إلى معرفة كل شيء يمكن أن يعرفه عن جارته. من الجليّ أنها أو ربما زوجها قد اتصل بالشرطة. كانت هين (التي لا تشبه أبداً الدجاجة مثلما يوحي اسمها، بل ماكرا مثل الثعلب، كانت نقيض ما تُدعى تماماً) هي الوحيدة التي لاحظت الكأس، وبطريقة ما عرفت بشأن علاقته مع دستين ميلر. والآن وقد جلبت له الشرطة حتى باب منزله، وهو الشيء الذي لم يحدث له طوال حياته. لقد اعتقد أن الأمور تسير على ما يرام، بل على أفضل حال يمكن أن تكون عليه. وتساءل بالطبع لِمَ لم يطلب منه المحقق إلقاء نظرة حول المنزل، أو يسأله عن أي شيء يتعلق بالكأس. لقد توقع أن يكون ذلك بسبب الرغبة في إخفاء الدليل القاطع على أنه قد سُلّم للشرطة عن طريق جارته. وبالطبع كان لماثيو أن يرفض التفتيش أو يطالب بإحضار إذن التفتيش. كلا، من الواضح أن الأمر لا يزيد على



كونه رحلة صيد استطلاعية. ولكن مع اختفاء الكأس، لن تجد الشرطة أي دليل يربط بينه وبين دستين ميلر.

كتب ماثيو على محرك البحث كلمات «هينريتا» و«للويد» و«حفل زفاف» وعلى الفور ظهرت صفحة حفل زفاف هينريتا مازور وللويد هاردنج، حيث كُتب اسماهما كاملان. كان على وشك أن يبحث عن «هينريتا هاردنج» لكنه أدرك أن هناك دافعاً أفضل أن تظل هين محتفظة باسم عائلتها دون تغيير، وبدأ بحثه عن «هينريتا مازور» بدلاً من ذلك. وبسبب لوحاتها، كانت أخبار هين منتشرة على صفحات البحث. كانت تمتلك موقعها الإلكتروني الخاص، بالإضافة إلى حساباتها على مواقع تويتر وفيسبوك وإنستجرام. اندهش ماثيو من وجود قليل من الصور لها، لكن هناك العديد من الصور لأعمالها الفنية: كان نقشها سوداويًا ومُبهمًا، حتى إن ماثيو وجدها مثيرة للاهتمام. وكانت الكثير من لوحاتها من كتب للأطفال، ولكنه وجد معرضًا في بوسطن يُقدم مجموعة صور مختصرة لبعض من أعمالها الفنية الأصلية، وبدأ ماثيو في دراستها. لم يكن على دراية كافية بالفن، لكنه اعتقد أن لوحاتها باهرة، وتكاد تصل إلى حد العبقرية. كانت المفضلة لديه هي نقشٌ لعائلة تتناول طعام العشاء؛ الأم والأب والفتيات الجميلات الثلاثة. وُضع على الطاولة طبق كبير من اللحم المشوي وكان جميع أفراد العائلة يأكلون بشراهة، وتتقاطر العصارة من أسفل ذقونهم. ويظهر في الرسم أسفل الطاولة فتاة مبتورة إحدى ساقيها من عند ركبتها وبدت مُضمدة حديثًا، على الرغم من أن تلك الملاحظة لم تكن واضحة تمامًا عند النظرة الأولى. وأسفل المطبوعة كُتب «حلت أعياد الميلاد هذا العام ورحلت بسرور».

بدت لوحات هينريتا مازور الفنية ممتعة، حتى إن ماثيو قد نسي لبعض الوقت السبب الذي يجري من أجله بحثًا حولها، ووجد نفسه

يمعن النظر والتدقيق في العديد من قطعها الفنية، وهو يتساءل كم ستكلفه قطعة فنية مطبوعة تحمل توقيعها، لقد تخيل اللوحة بالفعل في مكان ما معلقة داخل مكتبه.

قبل أن يُغلق حاسوبه، أجرى بحثًا آخر عن «هينريتا مازور» ليرى ما إذا كان هناك أي مواضيع إخبارية عنها. كان هناك إعلان واحد عن معرض منذ ثمانية أعوام، ثم وجد قصة حول هينريتا مازور التي تورطت في حادث قد وقع في كلية كامدن منذ نحو خمسة عشر عامًا مضت. كاد ماثيو أن يتخطى ذلك الخبر معتقدًا أنهما شخصان مختلفان، حتى وقعت عيناه على «الآنسة مازور التي تمتهن الفن وحازت العديد من الجوائز منذ أن كانت في المدرسة الثانوية عن رسوماتها ولوحاتها الزيتية السوداوية والأسرة للانتباه»، فأدرك جليًا أنها جارته. لقد اتهمت بالاعتداء الجنائي بسبب مهاجمتها لطالبة زميلة لها في الكلية. قرأ ماثيو جميع القصص التي استطاع أن يجدها. لم توضح كليًا ما حدث بالضبط، ولكن الروايات التي اتفقت عليها جميع الأخبار، أن هينريتا قد عانت نوعًا من الانهيار العصبي، الذي جعلها تعتقد أن زميلتها تحاول قتلها. وقد ناقشت تلك الظنون مع كلٍّ من المرشد الأكاديمي والشرطة المحلية، ولكنها بعد ذلك قد توجهت بالهجوم على الطالبة الأخرى بنفسها، ثم انتهى بها الحال في مستشفى الأمراض النفسية ثم بعد ذلك إلى المحكمة. وبينما كان ماثيو يقرأ تلك المقالات، تعاضم لديه شعور غريب بأنها قد تكون على حق، على الرغم من أنه من الواضح أن هينريتا الصغيرة كانت تعاني الانفصام عن الواقع. كانت إحدى المقالات مرفقة بصورة للفتاة الأخرى في القضية -دافني مايرز- وقد لاحظ ماثيو وجود شيء في عيني دافني القاتمتين، على الرغم من أن الصورة المعروضة على الشاشة لم تكن واضحة.

صارت الآن هينريتا مازور تتعقبه وترسل الشرطة خلفه، وربما تتجسس عليه أيضًا. وخطر لماثيو أن ماضي هينريتا الإجرامي قد يساعده إذا وصل الأمر إلى ذلك. وشعر فجأة بهدوء أعصابه، كان شعورًا غريبًا بالصفاء، يشوبه بعض الإثارة، لما تراءى له من أن جارته الجديدة قد صارت تضعه في موضع شك، ومن أنها تشتبه في هويته الحقيقية. اتصل شقيق ماثيو في ذلك المساء.

سأل ريتشارد:

- متى ستعود ميرا؟

- في وقت متأخر من الليلة.

- هذا سيئ للغاية، لقد كنت أنوي المرور عليك مرة أخرى، لدي شيء أود أن أريك إياه.

المرّة الأخيرة التي نطق فيها ريتشارد تلك الكلمات، عرض على ماثيو موقعًا إلكترونيًا مزعجًا حقًا.

سأله ماثيو حينذاك:

- لماذا تُريني هذا؟

- اطمئن؛ إنهم ممثلون فقط. إنني أريك ذلك لتتخيل كيف سيكون الحال إذا كان والدنا ما زال على قيد الحياة عند انتشار الإنترنت! كان سيعيش يومه مزهوًا بتلك الأشياء، ألا تعتقد ذلك؟

- يبدو الأمر وكأنك أيضًا تعيش يومك على الزهو بهذه الأشياء.

- هذا هراء، ليس تمامًا. إنني أريك ذلك فقط لأنني كنت أفكر في والدنا. هل تتذكر عندما كنا نعتقد أنه كان شخصًا فريدًا من نوعه؟ كأنه المخلوق الأول من جنسه، مثل دراكيولا أو فرانكنشتاين.

- إنني حقًا لا أتذكر ذلك.

- حسنًا، لقد فكرت في ذلك، والآن بات من الواضح أن هناك الكثير من الرجال يفكرون مثل والدنا. كثيرون بما يكفي لدعم موقع إلكتروني كهذا. إنه عالم مليء بالغرائب يا ماثيو.

كان ريتشارد مستغرقًا في التفكير في تلك الليلة، وشرب الكثير من الخمر في ذاك المساء، ووجده ماثيو وهو يضع الحاسوب النقال على فخذه، وعلى وجهه نظرات الخجل والسعادة في آن واحد.

سأله ماثيو على الهاتف:

- ما الذي تود أن تريني إياه؟

- لقد تعرّفت إلى امرأة ما.

- حقًا؟! وهل قابلتك بعد؟

- لم نتقابل وجهًا لوجه، لكننا تبادلنا القليل من الرسائل. لقد أردت أن أريك بعضًا من الصور التي تنشرها.

- اعفني من ذلك، شكرًا لك.

- أنت لا تعرف ماذا سيفوتك. متى سترحل ميرا مرة أخرى؟

- ليس قريبًا، ريتشارد، ستكون أمورك على ما يرام، أليس كذلك؟

صاح ريتشارد ضاحكًا لكنه قال:

- سأكون بخير.

وكان ذلك ختام حديثهما. على الرغم من أن ماثيو دائمًا ما يشعر بالاشمئزاز من أخيه، فإن شعور القلق عليه يُلازمه طوال الوقت. لم يكن القلق فقط مما قد يحدث لشقيقه، لكنه كان قلقًا مما يمكن أن يفعله شقيقه. إنه يعرف أكثر من أي شخصٍ آخر ما يستطيع آل دولامور أن يفعلوا.

عندما عادت ميرا إلى المنزل في تلك الليلة، كان ماثيو بالفعل قد ذهب إلى النوم.

- اهدأ وعد إلى النوم.

هكذا قالت ميرا بينما كانت تتسلل إلى جانبه في الفراش، ثم عقدت إحدى يديها حول صدره وجذبتة نحوها.

قال ماثيو:

- مرحبًا بعودتك.

- قلبك يخفق بشدة، هل أنت بخير؟

- أنا فقط سعيد لرؤيتك.

استدار نحوها وقبّل رقبتها، ثم دفع وجهه في الوسادة التي بجانب رقبتها. كان يفكر في جارته. كان يفكر فيما يمكن أن تكون عليه إذا كان يفعل معها ذلك، ثم طرد الفكرة من رأسه سريعًا.

- كان هذا مفاجئًا.

هكذا قالت ميرا بعدما استدار بعيدًا عنها، وعادا لنفس الوضع الذي كانا عليه من قبل، تلتصق ميرا بظهره وتحيط صدره بيديها.

قال ماثيو:

- لقد افتقدتك.

- وأنا افتقدتك أيضًا.

قال ماثيو:

- كانت رحلة طويلة.

ضحكت ميرا.

- ليس تمامًا، لكنني سعيدة أنك ترى ذلك.

سألها:

- ماذا ستفعلين في العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس؟

- لا أعرف بعد، لماذا؟

- هل تريدان أن نقضي وقتًا بعيدًا عن المنزل؟ ربما نهرب بعيدًا إلى

ذاك الفندق في بورتسموث؟

- أتقصد المكان الذي يُعد صلصة البطليينوس؟

ضحك ماثيو، ثم قال:

- أجل، المكان الذي يُقدم صلصة البطليينوس<sup>(1)</sup> الشهية. تتذكرين

هذا الجزء فقط.

- أتذكر كل شيء. أجل أود ذلك.

قال ماثيو:

- حسنًا، سأحجز غدًا.

وقبل أن يذهبا في النوم، همست ميرا:

- عاد خفقان قلبك إلى طبيعته مُجددًا.

---

(1) Clam Dip: صلصة البطليينوس هي صلصة غمس وتوابل محضرة بالمحار والقشدة الحامضة أو الجبن الكريمي والتوابل كمكونات أساسية. (المترجم)

# 15

اتصل المحقق مارتينيز بينما كان للويد الذي عاد من عمله يبحث في الثلجة.

- هل يمكنك الانتظار لحظة؟

هكذا قالت هين، ثم وجَّهت كلامها إلى اللويد تُخبره بأن وكيلها على الهاتف وتحتاج إلى التحدث معه في مكتبها. أسرعت هين إلى الطابق العلوي، متسائلة إذا كان قد بدا على صوتها الكذب. وعند دخولها إلى مكتبها الضيق -المكان الذي تصارع فيه جميع أشكال أوراق العمل- أجابت على الهاتف قائلة:

- لقد عدت.

- لقد أردت أن أطلعك على زيارتي لجارك وأخبرك أننا قد تحدثنا معًا.

- وماذا بعد؟

توقف المحقق عن الحديث واستمر في صمته، فأدركت هين أنه على وشك أن يخبرها أن لا شيء سيحدث في تلك القضية.

- وإنه شخص مثير للاهتمام، هذا جُل ما يمكنني قوله الآن.

أجابت هين:

- أجل، هل تعتقد أنه مذنب؟

ضحك المحقق مارتينيز وأردف:

- كلا، أنا لم أقل ذلك. بصراحة لم تُسفر المقابلة عن شيء حَقًّا، لكنه كان على علم بالواقعة التي حدثت بين دستين ميلر وكورتني شيه، لذلك فقد قدمتِ إلينا بعضًا من المعلومات القيمة. إنني أتصل بكِ لأشكركِ على تلك الملاحظات.

- لم تكن مجرد ملاحظات، إنه مذنب، أنت تعلم ذلك.

- حتى إذا كان يحتفظ بكأس المباراة، فإنه يمكن أن يكون....

- لم يقتصر الأمر على ذلك فقط.

هكذا قالت هين وهي تدفع قدمها تجاه باب المكتب لتتأكد من إغلاقه تمامًا، ثم تابعت:

- لقد تعقبته في الليلة السابقة، وكان يلاحق أحدهم. كان يطارده. سألتها المحقق:

- متى كان ذلك؟

أخبرته هين بالقصة كاملة، أخبرته بشأن تعقبها لماثيو بينما كان يلاحق الزوجين في السيارة.

سألها المحقق بعدما أنهت قصتها:

- ما الذي جعلك تعتقدين أن مثل هذا التصرف يمكن أن يتعلق بما قد حدث مع دستين ميلر؟

- أعتقد أن ذلك يثبت أنه ربما يكون قاتلاً متسلسلاً، أو على الأقل مُلاحقًا متسلسلاً. هناك شيء خاطئ بشأن هذا الرجل، إنه غريب الأطوار.



- ثقي بي عندما أخبرك بأن هناك الكثير من الأشخاص غريبي الأطوار، لكن الكثير منهم ليسوا سفاحين.

قالت هين:

- أنا متأكدة أنك على حق، لكن بعضهم قتلة، أليس كذلك؟

طغى الصمت فجأة إلا من صوت أنفاسهما، واستمر الصمت لمدة طويلة، فاعتقدت هين أن المُحقق قد أغلق الخط، إلا أن صوته أتى قائلاً:

- هناك الكثير من الأسباب التي من أجلها يمكن أن يتعقب أحدهم شخصًا ما، ولكن القليل من الأسباب يمكن أن يكون له أي علاقة بما حدث مع دستين ميلر.

- أجل، أعلم ذلك، ولكن الأمر مدعاة للشكوك.

حلت برهة أخرى من الصمت، ثم قال:

- هل يمكنني أن أطلب منك معروفًا هين؟

أجابت هين وكانت على دراية بما سيكون:

- بالتأكيد.

- دعينا نتولى نحن الأمر، حسنًا؟ إذا كان جارك مذنبًا بالقتل، عندئذ

سنثبت ذلك، ولكن لن يُجدي الأمر نفعًا أو يعود علينا بأي مساعدة

إذا استمرت مراقبتك له، وستكون مخاطرة كبيرة عليك.

أجابت هين:

- بالتأكيد، أتفهم ذلك.

- إذًا هل تعديني بذلك؟

ضحكت هين، ثم قالت:

- أقسم بخنصري أن ذلك وعد مني.

- إنني جاد في ذلك، إن الأمر لا يتعلق فقط بسلامتك، لكنه من الممكن أن يكشف عن سرية التحقيق. أنتِ تتفهمين الأمر، أليس كذلك؟

قالت هين:

- أتفهم الأمر.

- حسنًا، أشكرك كثيرًا، ولا تتردد في الاتصال بي في أي وقت، إذا تذكرت أي شيء آخر. سأطلعك على أحدث المستجدات أيضًا إذا ظهر أي شيء جديد.

- شكرًا لك.

عندما عادت إلى الطابق السفلي، سألتها للويد:

- من كان على الهاتف؟

- لقد أخبرتك، إنه وكيلي. يُطالبني بثمانية مطبوعات بالإضافة إلى الغلاف، والآن وصل عددها إلى اثنتي عشرة مطبوعة.

- هل انتهيت منها جميعًا؟

- تقريبًا.

- هل سيدفعون لك مقابلًا لذلك؟

- أجل، إن الأمر يتعلق كثيرًا بالالتزام الزمني. من المفترض أن أكون قد بدأت في الكتاب الثاني بالفعل، وأنا لم أبدأ في قراءته بعد. أخبرني؛ كيف كان يومك؟

أجابها اللويد برده المعتاد:

- كان جيدًا للغاية.

أحضرت لنفسها كأسًا من النبيذ، واستلت صدور الدجاج بالإضافة إلى قطعة من البروكلي لتحضير العشاء.

- هل فكرتِ مرة أخرى بشأن العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس؟  
هكذا سأل اللويد، ولبرهة من الزمن شعرت هين بالهلع وحاولت أن  
تستعيد حديثهم السابق، ثم تذكرت. قالت:

- حفلة روب.

- أجل، صحيح.

عقبت هين:

- أمم، أعتقد أنني لن أستطيع الحضور للويد، إذا كان ذلك مناسباً.  
كان روب هو الصديق الأقرب إلى اللويد منذ الجامعة. يعيش بالقرب  
من خط ولايتي ماساشوستس ونيويورك، على بعد ساعتين ونصف  
تقريباً، ويُقيم حفل تخييم حول النار في كل عطلة لعيد كولمبوس.  
حضرت هين ذلك الحفل كثيرًا من المرات في السابق، واستمتعت بوقتها  
في مرات قليلة من تلك الأوقات، ولكن روب كان مُدخناً شرهًا للحشيش،  
وقد أقلعت هين عن التدخين منذ عشرة أعوام. ومن وقتٍ لآخر تشعر  
بالحنين إلى الطريقة التي كان يتفجر بها عقلها بالأفكار الجديدة،  
عندما تستل سيجارتها وتشعلها، لكنها بالتأكيد لا تشعر بالحنين إلى  
جنون الارتياب الساحق، أو المحادثات الغبية.

قال للويد:

- لا بأس.

سألت هين:

- ستقضي الليلة هناك، أليس كذلك؟

- بلى.

- سأذهب العام القادم.

- لست مضطرة إلى فعل ذلك. أعلم أن روب ليس شخصك المفضل.

- ليس لدي أي مشكلة مع روب. إنني فقط ليس لدي أي شيء أخبره به حقًا. وأفتقد جوانا أيضًا.

كانت جوانا صديقة روب لفترة طويلة، كانت النسخة الأكثر مرحًا وذكاءً وسخرية من روب. لم تندهش هين عندما انتقلت جوانا من منزلها الريفي، المعرّض للتيارات الهوائية، وأعدت منزلها الخاص في بايونير فالي، ولكن هين ما زالت تفتقد وجودها. ودون وجودها يتطرق للويد وروب بسرعة إلى ذكريات الجامعة، وتلبسهم الشخصيات والسمات التي كانوا عليها أيام الجامعة، وتبدأ هين في شعورها بأنها تقف خارج حقيبة مليئة بدخان الحشيش، وتلقى النكات السخيفة بينما تنظر إليهما من الخارج.

قال للويد:

- إننا جميعًا نفتقد جوانا. هل تريدني مني أن أفعل شيئًا لأجلك؟

أخرجت هين بعضًا من البروكلي الطري، وناولته إلى اللويد ثم طلبت منه أن يقطعه.

بعد العشاء عندما كان اللويد يشاهد مباراة ريد سوكس، اتجهت هين صوب حاسوبها المحمول، وبحثت عن الموقع الإلكتروني لفرقة سي-بيمز مرة أخرى. أصبحت الآن بطريقة ما مقتنعة أن المغني الرئيسي في تلك الفرقة -التي كانت تعزف في أويلز هيد في تلك الليلة التي تتبعت فيها ماثيو- هو الشخص ذو اللحية الذي كان يُطارده ماثيو. لقد صار الأمر منطقيًا الآن. من الواضح أنه جزء من الفرقة -فقد شاهده وهو يساعد الطبال في تحميل الآلات على شاحنته- أو على الأقل يمكن أن يكون مرتبطًا بهم لسبب ما. كانت هين تفترض أن ماثيو قد ذهب إلى أويلز هيد لمشاهدة عزف فرقة سي-بيمز، ثم عاد إلى المنزل، استقل

سيارته وعاد أدراجه لمطاردة المغني الرئيسي، الذي كان واحدًا من آخر المغادرين للحانة. وبالتأكيد اهتدى عقلها إلى السؤال الأهم وهو: لماذا؟ اسمه كان سكوت دويل، حاولت هين أن تعرف المزيد عنه. وطُرحت التساؤلات في ذهنها إذا ما كان له أي علاقة بمدرسة سوسكس هول على سبيل المثال. هل كان طالبًا سابقًا فيها؟ ربما كان ماثيو يرى نفسه حامياً وحارسًا، قد أوكله القانون لقتل أكثر طلابه شغبًا، وأشدهم سفالة بعدما يغادرون المدرسة. ولكن جُل ما استطاعت أن تعرفه عن سكوت هي المعلومات التي تتعلق بفرقته. كان لديه حساب تويتر ولكن جميع تغريداته هناك هي روابط لأغنياته أو منشورات من أجل عرضه القادمة. وجدت هين مصادفة أن عرض فرقة سي-بيمز القادم في ليلة سبت العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس، نفس الليلة التي سيُقيم فيها روب حفل التخميم حول النار. لن يُقام الحفل في أويلز هيد، ولكنها ستكون في حانة تُسمى راستي سكوير في نورث شور. ربما ستستقل سيارتها إلى هناك في تلك الليلة وتُلقي نظرة خاطفة. ستمنحها رحلتها إلى هناك شيئًا تفعله في تلك الليلة بمفردها. وإذا سنحت لها فرصة للتحدث إلى سكوت دويل، عندئذ ستسأله إذا كان قد التحق بمدرسة سوسكس هول، أو إذا كانت له أي علاقة بـماثيو دولامور. لأنه إذا كانت له أي علاقة بأي من هذين الأمرين، ستُصدق حدسها أخيرًا أنه في مأزق بالفعل.

وماذا إذا كان ماثيو نفسه هناك؟ ماذا إن رآها؟ حسنًا، وماذا إذن؟ ستكون مصادفة. وربما ستجعل جارتها يتوقف عن ارتكاب المزيد من جرائم القتل.

صاح للويد في التلفاز:

- تحرك من هنا!

نمت إليها تأوهاتة على الفور بعد ذلك، فأخبرها بأنه قد شاهد لتوه ضربة عالية في الهواء بدلًا من إحراز هدف.

# 16

قالت ميرا:

- لقد تناولتُ كثيرًا يا ماثيو.

- إننا لم نأتِ كل تلك المسافة حتى نمكث في غرفتنا. يمكننا تناول بعض الحلوى، إذا كنتِ تحبين.

- آخ، لا يمكنني تناول قضمة أخرى. أتفضل شرابًا آخر؟

طلب ماثيو راستي نيل<sup>(1)</sup> لأجل ميرا، وكأسًا أخرى من غينيس لنفسه. كانا جالسين في حانة بورتسموث أرمز، فندق من أربعة طوابق في شارع حجري جميل في بورتسموث، نيو هامشير. بدأت العطلة الأسبوعية لعيد كولمبوس برياح باردة وأمطار غزيرة آتية من المحيط الأطلنطي، ولكن بحلول الساعة الرابعة بعد ظهر السبت، انقشعت الغيوم وأشرقَت الشمس في كبد السماء قليلًا، حتى تلونت المدينة بضوء زهري رقيق. ذهب ماثيو وميرا في جولة سير بجانب ضفة النهر، ثم عادا أدراجهما إلى الفندق ليتناولوا بعض المشروبات، وصلصلة البطليينوس التي يتميز

---

(1) Rusty Nail: مشروب كحولي عبارة عن خليط من Drambuie و Scotch whiskey.

(المترجم)

بها مطعمه. تقاسما معًا طبق برايم ريب<sup>(1)</sup> وزجاجة من النبيذ قد أنهتها  
ميرا أولًا، والآن ترتشف رستي نيل.

- ماذا يوجد في هذا المشروب؟ إن مذاقه رائع!

هكذا سألت ميرا وكان صوتها مكتومًا ونائمًا. لم تكن ميرا مدمنة  
خمر، إلا أنها قد أحبت مذاق الكحول، ودائمًا ما كانت عاداتها أن تحتسي  
كأسين كحد أقصى.

- مزيج من سكوتش ودرامبيو<sup>(2)</sup>.

هكذا قال ماثيو وهو يرتشف كأس الجعة أيضًا مخطئًا أن يُلقبها  
في أصيص الزرع المعلق القريب من طاولته إذا سنحت له الفرصة.  
كان قد قرر أنه سيستقل سيارته إلى نيو إسكس الليلة، ويحتاج إلى أن  
يكون يقظًا ومنتزًا.

- حسنًا، الآن قد انتهيت.

هكذا قالت ميرا وهي تُنهي شرابها وتُطقطق قطع الثلج بين أسنانها.  
- وأنا أيضًا.

ناول ماثيو كلا الكأسين إلى ساقى الحانة، وطلب فاتورة الحساب.  
لم تلحظ ميرا قط أن كأس الجعة الخاصة به ما زالت ممتلئة بأكثر من  
نصفها.

في غرفة الفندق أنزلت ميرا بنطالها الجينز إلى الأسفل حتى كاحليها،  
وجلست متناقلة على الفراش المُرتب، ثم قالت:

(1) Prime rib special: وجبة مكونة من قطعة من لحم البقر من الضلع البدائي تم  
طهيه بالشواء. (المترجم)

(2) Drambuie: مشروب كحولي ABV ذهبي اللون بنسبة 40٪ مصنوع من الويسكي  
الإسكتلندي والعسل والأعشاب والتوابل. (المترجم)

- إن الغرفة تدور.

ساعدها ماثيو في خلع بقية ملابسها ودثرها تحت الأغطية جيدًا، متأكدًا من أن يجعل الشراشف فضفاضة عند نهاية السرير. لم يعتقد أن ميرا قد تستيقظ أبدًا، ولكن إذا كان هناك شيء سيوقظها فلكي تحرر قدميها من أسفل الأغطية.

شرع ماثيو النافذة قليلاً - كان مُبرد الغرفة يُصدر صفيراً وطققة، وكانت الغرفة شديدة الحرارة - ثم أحضر حقيبته وسحب القليل من الأشياء التي اعتقد أنه قد يحتاج إليها: المسدس الصاعق، والعصا المبرومة، وسكين الجيب، وجوارب الفينيل، وقبعة من الصوف ستغطي شعره بأكمله. كان مجرد لمسها لأي قطعة من أدواته يزيد من ضربات قلبه. «اهدأ»، قالها لنفسه مطمئنًا قلبه، «ربما لن تحدث الليلة، والأكيد أنها لن تحدث الليلة». لكنه يعلم أنه إذا أُتيحت له الفرصة أن ينفرد بسكوت دويل... أدى رقصة صامته مغلَقًا قبضته، ثم بسطها عدة مرات حتى يتخلص من الانفعال والتوتر الذي يسيطر عليه. ثم أخذ أنفاسًا بطيئة وارتدى معطفه.

قبل أن يغادر، انحنى وهمس في أذن ميرا وقال:

- سأذهب في جولة سير يا عزيزتي.

فأجابته:

- لا يمكنني النوم.

كان صوتها مبوحًا بفعل الخمر، كان جوابها أشبه كثيرًا بالسخط منه بجواب عادي. فكر ماثيو أن يوقظها ويُخبرها مُجددًا، ولكنه قرر أنه لا حاجة إلى فعل ذلك. كان كل ما يقلقه أن تحتاج ميرا إلى التبول، وعندئذ سيجبرها ذلك على النهوض من الفراش. هل يجب عليه أن يترك



ملاحظة للحيطه؟ كان الفندق قد وفر دفترًا ورقياً وقلماً على المكتب في الغرفة، وكان كلاهما منقوشاً باسم الفندق. خطً بالقلم ملاحظة يقول فيها إنه ناهب إلى جولة سير وإنه سيعود سريعاً. ووضع كوباً من الماء فوق الملاحظة حاجباً بعض الكلمات حتى يمكنه عند عودته أن يعرف ما إذا كانت ميرا قد قرأتها أم لا.

غادر غرفة الفندق وهبط مستخدماً الدرج الخلفي الذي يؤدي مباشرة إلى مؤخرة ساحة انتظار السيارات التابعة للفندق. حث خطواته إلى الخارج في الليل قارس البرودة، وارتدى قفازاته. لم يرَ ماثيو بعينه أي شيء يتحرك في ساحة انتظار السيارات، لكنه من بعيد يستطيع سماع صياح مجموعة من الأشخاص تسير في الشارع متنقلة من حانة إلى أخرى.

استقل سيارته «الفيات» وبدأ رحلته إلى نيو إسكس. وفي طريقه كان يفكر في ميرا، إنها آمنة في فراشها في غرفة الفندق المغلقة عليها. لا يمكن لأحد أن يؤذيها حتى إذا حاول فعل ذلك. ثم فكر في ميشيل التي تزور والدها المحتضر، في الوقت الذي يقضي فيه صديقها وقته في ممارسة الحب مع النادلة على قارعة الطريق. واجتاحت موجة من الغضب العارم صدر ماثيو. إذا مُنح الرجل ذرة من القوة -الوجه الحسن والقدرة على الغناء والقليل من المال- فإن أول ما يفعله بتلك القوة هو تدمير امرأة أو ربما اثنتين إن استطاع. ثم سمح لذكرى والده أن تغزو عقله قليلاً، وبدأ يُحلل في تلك الطريقة التي جعل بها والده جُل العالم في قبضته، فيصبح هو بنفسه حاكمه المستبد، ووالدته التي لم تملك خياراً قط إلا أن تحيا بإمرة قوانينه. لم يملك ماثيو خياراً أيضاً، وكذلك ريتشارد... لم يملك أي منهم خياراً في تلك الحياة.

أومضت اللافتة الخضراء بفعل مصابيحه الأمامية، وأشارت إلى أن مخرجه على بعد ميلين تقريباً. فتح نافذته وملاً رئتيه بالهواء المشبع بالملح. كان قد حفظ عن ظهر قلب إرشادات الطريق إلى رستي سكوبر، وقرر ترك هاتفه في غرفة الفندق.

في طريقه مرَّ بإشارتي مرور وعبر الجسر القصير الذي يصل بين حافتي المصب، ثم اتجه يميناً إلى حارة سيجراس، ذاك الطريق الذي يؤدي مباشرة إلى الحانة. وصلت إلى أذنيه صفقات الجمهور من نافذة سيارته، بينما كان يمر على ساحة انتظار السيارات التابعة لרستي سكوبر. صار الهواء خانقاً الآن يعبق برائحة المياه الراكدة والرطوبة الشديدة. التقطت أنفه الرائحة الحادة للماريجوانا تنبعث من أربعة أشخاص مكდسين حول شاحنة نقل سلح.

استمر في القيادة لمائتي ياردة أخرى وصف سيارته في ساحة الانتظار الخلفية لووكالة تأمين صغيرة. لقد درس خارطة المكان من تطبيق خرائط جوجل، وعرف أن هناك ممر مشاة يمتد بمحاذاة نهر نيو إسكس باتجاه مؤخرة الحانة. كان من السهل عليه إيجادها - فقد دلته لافتة صغيرة أشارت إليه باسم ممشى نهر نيو إسكس - وخطا ماثيو خطواته بعفوية على الممر الخشبي باتجاه الحانة. وفي أثناء سيره اخترقت إحدى الأسماك سطح النهر ثم سقط شيء ما في الأعشاب المحيطة. وعندما اقترب من الحانة، كل ما استطاع سماعه هو الصوت المألوف لفرقة سي-بيمز يعزفون نسختهم من أغنية «Positively 4th Street». وإذا اتخذنا العرض السابق بمثابة دليل الحفل، فإنهم قد شارفوا على إنهاء مجموعة معزوفاتهم. نظر ماثيو إلى ساعته وقد كانت منتصف الليل تقريباً.

سار نحو ساحة انتظار السيارات وفحص السيارات بعينيه سريعاً،  
باحثاً عن سيارة سكوت «الدودج دارت» فوجدها مصطفة تجاه مؤخرة  
الحانة، أسفل الباحة الخلفية التي يُدخن بها الزبائن. كانت تقف بجانب  
شاحنة أخرى، تذكر ماثيو رؤيتها، فقد كانت تنتمي إلى طبّال الفرقة.  
كانت سيارة ماثيو مصطفة في الموقع المثالي، حيث تقف في الظلام،  
ولم يستطع ماثيو أن يحكم جماح صوته الداخلي، الذي يُخبره بأن  
الأمور ستسير الليلة تماماً كما هو مُخطط لها. كانت جُل الأمور مُرتبة  
لتخدم رغبته ونياته في تلك الليلة.

ألقي نظرات عابرة ليطمئن من عدم وجود أي شخص في مرمى  
بصره، ثم التقط سكين الجيب الخاصة به ونفضها ليفتحها، ثم أحدث  
ثقباً في الإطار الأيسر الخلفي لسيارة سكوت. علقت السكين لوهلة وبدأ  
الهواء العفن ينبعث بالفعل، مُحدثاً حفيفاً متقطعاً. انتزع ماثيو سكينه  
ثم عاد أدراجه إلى ممشى النهر. كانت هناك أريكة في مواجهة النهر،  
ولكنه إذا التفت بجسده يمكنه أن يرى ما يواجهه مؤخرة الحانة، وأن  
يلقي نظره على سيارة «الدودج دارت». جلس منتظراً. لم يمر من أمامه  
سوى رجل في منتصف العمر يُدخن سيجارة ذات رائحة قذرة. أسقط  
ماثيو ذقنه على صدره ليتظاهر بالنوم، آملاً ألا يكون المُدخن من أولئك  
الذين يتأهبون لصنع الخير، فربما يتفحصه ليرى ما إذا كان على ما  
يرام. لكنه لم يفعل.

توقفت الموسيقى التي كانت تصدر عن حانة رستي سكوير، وتابع  
ماثيو الزبائن بينما يشقون طريقهم إلى الخارج ويسيرون أفواجاً نحو  
سياراتهم. كان الجميع يتحدث بصوت مرتفع، وعرفت بعض المقتطفات  
من محادثاتهم النافهة طريقها إلى أذن ماثيو، بينما يجلس على أريكته.  
كان ماثيو يُريح عينيه أحياناً من متابعة مخرج الحانة، فيديرها ليُلقي

نظرة إلى النهر الذي يغطيه السواد القاتم أسفل السماء العارية من النجوم. وعلى الرغم من الظلام كان يستطيع الشعور بمجرى النهر الذي يتخبط سريعًا وتنجذب مياهه بانحسار المد تجاه المحيط. انطفأت أضواء من نوافذ الطابق الثاني لحانة رستي سكوبر. صارت الآن ساحة انتظار السيارات فارغة تقريبًا. ووقف زوجان في منتصف العمر بجانب إحدى الشاحنات يتجادلان من منهما سيتولى القيادة من أجل العودة إلى المنزل. وارتفعت مجموعة من الأبواب المزدوجة في مؤخرة المبنى متأرجحة لتُفتح مُحدثة جلبة تنتج عن ارتطام المعدن، وتذكر ماثيو عضوي فرقة سي-ببمز الآخرين الذي يحملون معداتهم على الشاحنة، وبدأ الطَّبَّال في تحميل الآلات على نفس الشاحنة التي رآها ماثيو تلك الليلة أمام أويلز هيد. كان عازف الباس يساعد الطَّبَّال في تحميل أدواته. ولكن أين سكوت؟ ربما يتفحص بقية المعجلات في الحانة ليرى من ستكون ضحيته التالية. وعلى الرغم من ذلك كان من حسن الحظ أنه لم يكن هناك. كان ماثيو يأمل أن يُغادر أعضاء فرقته أولًا، وأن يضطر إلى تغيير إطار سيارته بمفرده. كان يعلم أن هناك فرصة ضئيلة أن يكون سكوت بمفرده في ساحة انتظار السيارات المظلمة، ولكن إذا جرت الأمور كما يريدونها وكان سكوت بمفرده، عندئذ فإن ماثيو مستعد.

مرت عشرون دقيقة أخرى وغادر كلُّ من الطَّبَّال وعازف الباس. وبعد ذلك بقليل خرج سكوت من المدخل الخلفي للمبنى لكنه لم يكن بمفرده. خرج بصحبة إحدى الفتيات، وعلى الرغم من أنها كانت ترتدي ثيابًا مختلفة - فستانًا ضيقًا يُشبه القميص - فإنه من الواضح أنها كانت تلك النادلة التي رآها ماثيو برفقة سكوت عند أويلز هيد. لم يكن ماثيو متفاجئًا أنها قد حضرت ذلك الحفل لكنه كان مُحَبِّطًا. رمى سكوت حقيبة جيتاره في المقعد الخلفي لسيارته، ثم استقلا السيارة معًا.

أدار المحرك واستدارت الإطارات بسرعة بجانب الإسفلت، ثم توقفت في محلها بسرعة. قفز سكوت خارج سيارته وتفحص إطارها الخلفي. سمع ماثيو سيلاً من اللعنات يتطاير إليه، ثم صوت الباب الآخر للسيارة يُغلق. خرجت النادلة من السيارة أيضاً وربضت بجانب سكوت. يمكنه أن يسمع صوتيهما -سخطه وتذمرها- ولكن لم تصله الكلمات. فتح سكوت صندوق سيارته وأخرج الإطار الاحتياطي وشيئاً آخر يمكن أن يكون الرافعة. جثم بجانب السيارة مرة أخرى بينما وقفت النادلة على بعد قدمين منه وعقدت ذراعيها حول جذعها. ومن مسافة بعيدة، يمكن أن يرى ماثيو ارتجافها من البرد. أما سكوت الذي كان مرتدياً سترة من الجينز مبطنه بالصوف، قد بدأ في رفع سيارته باستخدام الرافعة.

قالت النادلة شيئاً -إلا أن الكلمات ما زالت غير واضحة- وأجابها سكوت دون أن يُدير رأسه مُركزاً على إنهاء مهمته بتغيير الإطار. عادت النادلة مرة أخرى إلى الأبواب المزدوجة الثقيلة وطرقت عليها. وبعد خمس ثوانٍ، فُتحت الأبواب ودلفت إلى الداخل.

شعر ماثيو باندفاع الأدرينالين في دمه، وأدرك أنه حتى تلك اللحظة لم يكن معتقداً حق الاعتقاد بأن الفرصة ستحين، لكنها قُدمت له على طبق من ذهب.

وقف ماثيو وسحب قبعته ليغطي مقدمة رأسه وأذنيه، ثم تفحص ساحة الانتظار. كانت ما تزال هناك القليل من السيارات المصطفة، لكنه لم يرَ أحداً. هوى بالعصا المبرومة حتى تتمدد إلى طولها الكامل، إحدى وعشرون بوصة من الفولاذ الصلب. سار ماثيو تجاه سيارة «الدارت» حاملاً العصا إلى أسفل بجانب ساقيه، والمسدس الصاعق في يده الأخرى للاحتياط، إلا أنه لم يُسرع الخطى، ثم التف حول السيارة ليقف خلف سكوت. كانت السيارة مرفوعة وكان سكوت يحاول برم مفتاح ربط

البراعي. وعلى الرغم من أن ماثيو كان واقفًا مباشرةً خلفه، فإن سكوت لم يلحظ وجوده أو يسمع وقع خطواته. ولمدة خمس ثوانٍ، ثبت ماثيو في محله حاملاً عصا الفولاذ في يده متلذذًا بالقدرة الهائلة التي يتمتع بها أمام تلك الحشرة الرابضة أمامه. ثم تراجع للخلف ووقف متمايلًا عازمًا بكل قوته أن يُوقع العصا الفولاذية على الجزء العلوي من رأس سكوت. نُدَّ عن سكوت صوت حلقي ثم سقط على جانبه فاقدًا وعيه.

انحنى ماثيو على إحدى ركبتيه رافعًا عصاه مرة أخرى، ثم هوى بها بأقصى شدته على تلك البقعة التي أصابها في رأس سكوت. وبدلاً من صوت الارتطام الصلب، أحدثت الضربة تلك المرة صوتاً أشبه بصوت التهشم. وقف ماثيو سريعاً واستعد للقفز إلى الخلف في حالة إذا سالت الدماء. تمنى كثيراً أن لو كان قد أحضر معه كيساً بلاستيكيًا وشريطه اللاصق، على الرغم من أنه لم يعتقد أنه كان سيُمنح الوقت الكافي لذلك. إضافة إلى ذلك، كان سكوت على الأرجح ميتاً الآن. وكان الاعتقاد نفسه إرضاءً كافياً لقلبه. تساءل في نفسه إذا كان من المفترض أن يهوي على رأسه مرة أخرى حتى يتأكد من موته، لكنه قلق بشأن الإفراط في ذلك وربما تعلق بعض الأنسجة العظمية في عصاه. ولن تُطبق نفسه حدوث هذا الأمر أبداً.

ربض على الأرض مرة أخرى مقوضاً العصا بدفعها تجاه الرصيف. فحص الجسم بحثاً عن أي من علامات للحياة، مذكراً نفسه أن يُقفل عائداً باتجاه الممشى النهري إذا سمع الأبواب المزدوجة خلفه تُفتح.

وقف ماثيو مرة أخرى بعدما اطمأن من موت سكوت، الذي لقي مصرعه بضربتين قويتين. وعلى بُعد عشرين قدم، وقفت امرأة ترتدي قبعة مُحَاكة بالتريكو في منتصف ساحة انتظار السيارات ترنو إليه مباشرة. والتقت أعينهما للحظة.

# 17 مكتبة

t.me/t\_pdf

حاولت هين أن تصيح على ماثيو دولامور، لكن الكلمات اختنقت. رنا طويلًا إليها - واعتقد أن عينيه تُحذراها من أنه قد عرفها - ثم التفت وسار بعيدًا على عجل. لقد فقدت أثره في الحال واختفى في الظلال المظلمة لحانة رستي سكوبر.

«مهلاً!» استطاعت أن تصرخ عاليًا، فبدا صوتها غريبًا وعاجزًا في أذنيها، ثم هرعت نحو سيارة «الدودج دارت» والتفت حولها لتصل إلى مؤخرتها. كان سكوت دويل راقدًا على الرصيف متكومًا على نفسه كما لو أنه يغط في نوم عميق. هزت كتفيه على الرُغم من معرفتها أنه لن تصدر عنه أي استجابة، لكنه استدار إليها وعيناه مفتوحتان تُحدقان فيها. استطاع أن ينطق بضع كلمات استغاثة، فخرجت منه كما لو أن حلقه مختنق من سائل قد سُكب فيه.

أخرجت هاتفها النقال من جيب بنطالها الجينز واتصلت بالشرطة. لقد استمتعت حقًا بعزف فرقة سي-بيمز. فقد مر وقتٌ طويل منذ أن استمعت إلى فرقة جيدة تعزف في الحانات، كانت الفرقة تحت زبائن الحانة بالفعل على الرقص على إيقاع موسيقاها. كانت قد وصلت إلى حانة رستي سكوبر بعدما بدأت الفرقة عزفها ببرهة ووجدت لها مكانًا بالقرب من المشرب بين أربعة أزواج كل اثنين على أحد جانبيها.

طلبت مشروب «ديرتي مارتيني»<sup>(1)</sup> -ربما لم تكن أفضل حانة تحصل فيها على مشروب المارتيني، لكنها كانت تشتهي أن تشرب كأساً منه - وأدارت كرسيها حتى تتمكن من مشاهدة الفرقة. ألقت نظرة حولها متفحصة الوجوه لتعرف ما إذا كان ماثيو جالساً في مكان ما، لكنها لم تستطع أن تراه. لم تكن قد قررت بعد ما الذي ستفعله إذا اتضح أنه هنا بالفعل. ربما ستكتفي بمراقبته فقط. وستحاول أن تبذل قصارى جهدها حتى لا يراها. كان مظهرها مختلفاً قليلاً، ارتدت بنطالها الجينز وحذاء راعي البقر ذا الرقبة الطويلة وقميصاً صوفياً. وغطت رأسها بقبعة بائع الصحف المغزولة بالتريكو، كانت قد ابتاعتها منذ عدة سنوات ولم ترتديها قط.

وصل مشروبها أخيراً، كانت الكأس ممتلئة حتى الحافة، فأحنت رأسها وارثفت من المشروب الملحي المثلج. انتابها شعورٌ جيد بتنكرها، فبدت كما لو أنها شخص مجهول تماماً. ما الذي سيراه أي شخص إذا ما نظر إليها؟ لقد تساءلت في نفسها بالفعل، فلم تكن تملك أي إجابة عن هذا. كانت تعلم كم هي جذابة، لكنها كانت تعلم أيضاً أن هناك شيئاً منفراً فيها، شيئاً يجعلها تبدو باردة كالمشروب المثلج الذي ترتشفه، فلا يتفاعل معها الآخرون. رفعت كأسها وسكبت في فمها جرعة كبيرة. وفي الجهة المقابلة من المشرب الذي يشبه رأس شوكة رنانة، جلست امرأتان، إحداهما ترتدي قميصاً من الصوف يحمل شعار فريق باتريوتس، بينما ترتدي الأخرى بنطالاً ضيقاً من الجينز وفوقه قميص أسود براق. لاحظت هين أن إحداهما تسترق النظر إليها. في مرحلة ما من مراحل حياتها كانت هين مفتونة بالعلاقات المثلية.

(1) Dirty Martini: هو مشروب كحولي من الفورموث الأبيض والجن (أو الفودكا) مُضافاً إليه عصير الزيتون، ظهر عام 1863 م. (المترجم).



ودون أي سبب مقنع أحياناً ما كانت تعتقد أنها إذا كانت مثلية، ربما كانت حياتها أكثر متعة مما هي عليه الآن. وعلى الرغم من أنها مستمتعة بحياتها غير المثيرة في الوقت الحالي، فإنها ما زالت تعتقد ذلك.

كانت الفرقة تعزف أغنية لم تعرفها هين واعتقدت أنها أغنيتهم الخاصة. كانت حانة رستي سكوبر ذات منصة صغيرة وأرضية الرقص فيها ضيقة المساحة، لكن على الرغم من ذلك كان الناس حولها يرقصون حتى مع تلك الأغنية الأصلية للفرقة. كان ما تراه هين مشهداً غير اعتيادي، فقد صارت معتادة على الذهاب إلى حفلات الفرق التي يفضلها للويد، وكانت أغلبها حفلات فرق «لوفي»<sup>(1)</sup> الفنية التي تجذب الرجال أصحاب السراويل الجينزية والقمصان السوداء الذين يخطون خطواتهم الأولى في منتصف العمر ويقدرون الموسيقى ويقفون دائماً مكتوفي الأيدي. وأحياناً يهز البعض رؤوسهم مع إيقاع الموسيقى لكنهم لا يتحركون للرقص أبداً. أما هنا الآن، ترى زوجين يرقصان معاً ومجموعة أخرى من نساء قد انتصفت أعمارهن كان من الواضح أنهن يقضين ليلة رائعة. وهناك امرأة وحيدة على هامش أرضية الرقص ترتدي فستاناً يشبه القميص مُخططاً بلوني الرمادي والأبيض وتنتعل حذاءً أسود ذا رقبة طويلة وكعب عالٍ. كانت تبدو يافعة لتكون واحدة من زبائن الحانات، لكنها كانت تُمسك بزجاجة ميلر هاي لايف<sup>(2)</sup> في يدها بمحاذاة فخذها، واستطاعت هين أن ترى أنها كانت تتمم بكلمات الأغنية. بالتأكيد هي واحدة من صديقات أعضاء الفرقة، وتساءلت هين إذا ما كانت هي نفس

(1) Lo-fi bands: نوع من الفرق الموسيقية التي تعتمد دائماً تسجيل أغنياتها في المنزل بدلاً من الاستوديوهات المعدة للتسجيل. وتشير أيضاً إلى موسيقى البوب/الروك. (المترجم)

(2) Miller High Life: نوع من الجعة الأمريكية رخيصة الثمن، تُنتج منذ عام 1855م. (المترجم)

الفتاة التي رأتها تستقل السيارة مع المغني الرئيسي للفرقة في تلك الليلة في ساحة انتظار السيارات أمام أويلز هيد. على الأرجح هي نفس الفتاة.

احتست هين مشروب المارتيني الخاص بها - نغد مشروبها أسرع مما توقعت- وطلبت كأسًا من الفودكا مضافًا إليها ماء التونيك الغازي مقررةً في نفسها أن تتأنى في تجرعه. ومن وقتٍ لآخر كانت تُلقي نظرة حول القاعة وتتفحص الوجوه فربما يقابلها وجه ماثيو. وعندما نهضت لتذهب إلى دورة المياه، عبرت من قاعة أخرى منفصلة بها طاولتا بلياردو فتجولت فيها حتى تتأكد من أنه ليس هناك. وفي طريقها سألها أحدهم إذا ما كانت تود لعب البلياردو فأخبرته بأنها فقط تبحث عن أحدهم في الأرجاء.

- حسنًا، بالطبع سيأتي من أجلك.

قال الرجل ذلك. كان مرتديًا قبعة فريق لويل سبنسرز، إلا أن هين ودت لو أخبرته أنه ليس من المفترض أن يرتدي قبعة بالداخل، لكنها تذكرت أنها أيضًا كانت ترتدي واحدة.

عندما عادت إلى المشرب، شعرت بدوار خفيف فسألَت النادل إذا ما زالوا يقدمون الطعام حتى ذلك الوقت.

- لقد أغلق المطبخ، لكن لدينا شرائح البطاطس المقلية.

طلبت هين عُلبة دايت كولا واثنين من شرائح البطاطس بالملح والخل. ثم تذكرت فينجر، قط للويد، الذي يقبع في المنزل، على الأرجح يكون نائمًا الآن على كرسي اللويد في غرفة المعيشة. ثم جال اللويد بخاطرها وهو في حفل تخييم روب حول النار. سيكون مليئًا بالانتشاء ويتحدث بسرعة وحيوية مع روب أو صديق آخر من أصدقاء الجامعة.

عم سيتحدثون؟ لو كان اللقاء منذ سنوات مضت، لتحدثوا عن الموسيقى أو عن بدء للويد فيلمه الوثائقي الذي يريد العمل عليه، فيلم وثائقي موسيقي سيكون بمثابة ملفٌ تعريفي بإحدى الفرق دون السماح للجمهور بالاستماع إلى أي من أغانيها. أو ربما شيئاً كهذا. أما الآن فربما يدور حديثهم حول السياسة والطرق التي من خلالها يمكنهم إصلاح العالم.

- هل تودين مشاركتنا في بعض الشراب؟

كانت واحدة من زوجي المثليات، تلك الفتاة التي ترتدي قميصاً براقاً. أدارت رأسها لتُشير إلى صديقتها المترجلة بقميصها الصوفي الذي يحمل شعار باتريوتس.

- بالتأكيد.

أجابتها هين ثم تبعتها بعدما استدارت حول أضلاع المشرب الذي يشبه الشوكة الرنانة.

- ماذا ستطلبين؟

سألت المرأة هين بعدما قدمت نفسها وصديقتها إلى هين. كانت الفرقة تعزف نسخة روكابيلي<sup>(1)</sup> سريعة من إحدى أغنيات فرقة «بيتلس»، ولم تتمكن هين من سماع اسميهما. فكرت في أنهما قد تكونان ستيفاني ومالوري، ولكن لا يتناسب أيهما مع المرأتين اللتين تجلسان أمامها.

- تبدو جعة نارجانسيت<sup>(2)</sup> جيدة.

(1) Rockabilly: أحد الفروع الأولى من موسيقى الروك آند رول، ويرجع تاريخها إلى أوائل الخمسينيات في الولايات المتحدة، ويمزج هذا الصنف أنماطاً موسيقية مثل الكانتري مع موسيقى البلوز. (المترجم)

(2) Narragansett: العلامة التجارية الأولى لشركة بيرة أمريكية تأسست عام 1890م. (المترجم)

أجابت هين، فطلبت ستيفاني / مالوري ثلاث كؤوس.

قضوا ثلاثتهم الوقت معاً في الحديث، بينما كانت الفرقة تُنهي عزف مجموعة أغانيها -خرج نصف الزبائن تقريباً لتدخين سجائرهم في شرفة الطابق- ثم عادوا مرة أخرى لعزف «November Rain» ثم أغنية بوب ديلان التي تحبها هين، لكنها لم تتمكن من استدعاء اسمها في الذاكرة. ورقصت هين مع صديقاتها الجدد على أنغام المقطع الأخير من الأغنية وسط ازدحام أرضية الرقص. كان الجميع تفوح منه رائحة الدخان والعرق وبدأ الجميع يغني «أنت تتمتع بجرأة كبيرة<sup>(1)</sup>»، وغفلت هين تماماً عن السبب الذي من أجله قد قطعت كل تلك المسافة إلى هنا. كانت مستمتعة بوقتها وحظت بأصدقاء جدد.

عندما عادت إلى المشرب كان بعض الهدوء قد عم المكان وأنهت الفرقة عزفها، أخبرت هين المرأتين بأنها قد قطعت كل تلك المسافة من ويست دارتفورد إلى رستي سكوبر.

- لماذا؟

- لقد رأيت تلك الفرقة في حانة قريبة مني، وكنت سأقضي الليلة بمفردي لذا فكرتُ في المجيء إلى مكان جديد للاستمتاع بعزفهم، أنا سعيدة أنني فعلت ذلك.

كانت هين ترتشف الزَبَد من حافة عُلبة الجعة الجديدة التي طلبتها.

- ستقطعين طريقاً طويلاً في العودة.

هكذا قالت ستيفاني (إنها ستيفاني بالتأكيد؛ لقد سمعت هين تلك

الفتاة التي ترتدي قميص باتريوتس تدعوها بذلك).

(1) كلمات الأغنية كما هي مذكورة في النص الأصلي: You got a lotta neerve.

(المترجم)

- إننا نقيم في نهاية الشارع إذا كنت تودين النوم على أريكتنا.

- كلا كلا، حسنًا، إنني بخير.

- إننا لا نتحرش بكِ.

- بلى، أعلم ذلك. إن الأمر فقط... يجب أن أعود إلى المنزل.

- يمكننا أن نطلب لكِ سيارة أجرة.

إذ فجأة أدركت هين أن كل ما يريدونه هو ألا تستقل سيارتها وتغادر.

فوضعت عُلبة الجعة على الطاولة وقالت:

- سأكون بخير، لكني ربما لن أكمل تلك الجعة.

اشتعلت المصابيح، فأدركت هين أن الحانة ستُغلق أبوابها، وألقت

نظرة حولها فوجدت المكان فارغًا تقريبًا، وتحت سطوع المصابيح

العلوية بدا كل شيء شاحبًا. استدارت لتُلقي نظرة على المنصة، فوجدت

أن الفرقة قد حزمت أغراضها وغادرت، فسألت:

- كم الساعة الآن؟

في ساحة انتظار السيارات، ودعت هين المرأتين ومنحت كل منهما

عناقًا بالتناوب. وطلبت من مالوري سيجارة لتُشعلها مالوري لها قبل

أن تُغادر الفتاتين. مرت سنوات طويلة منذ آخر سيجارة أشعلتها هين.

سحبت من سيجارتها نفسين عميقين، فشعرت بالدوار ثم سحقتها

تحت قدميها على أرض ساحة الانتظار الممهدة. استقلت سيارتها

محاولةً أن تُقيِّم مدى ثمالتها. ربما يكون من الغباء أن تقود سيارتها

بتلك الحالة. وبدلًا عن ذلك، أغلقت عينيها لوهلة، فغطت في النوم، ثم

فتحتها مرة أخرى. غطى الضباب نوافذ السيارة من الداخل، ففتحت

هين الباب لتسمح لبعض الهواء بالولوج إلى الداخل. كان هناك القليل

من السيارات المصطفة الآن في ساحة الانتظار. أزاحت جسدها عن

مقعد السائق ووثبت على أصابع قدميها لتقف في الهواء الرطب لبعض الوقت. منذ ساعة واحدة فقط، كان رستي سكوير مكتنًا بالزبائن والموسيقى والشراب والرقص، وأصبح الآن كتلة من الطوب مظلمة غير ملحوظة ترتفع في موضعها لطابقين. وفي الظلال باتجاه مؤخرة ساحة الانتظار، كانت تقف سيارة عريضة ذات صندوق خلفي قد بدت لها مألوفة. اتخذت هين بضع خطوات باتجاهها كما لو أن قوة خفية تجذبها في ذلك الاتجاه. سمعت صياحًا مكتومًا يأتي من هذه الناحية، وبدت السيارة مرفوعة قليلًا. سرى داخلها شعور بخوفٍ حقيقي فأفاق عقلها من سباته. حثت نفسها لتسير خطوتين إضافيتين إلى الأمام ثم ظهر أمامها شيء خلف سيارة «الدارت» يقف ثابتًا باستقامته ثم تحرك بسرعة مختلفًا عن الأنظار. سمعت صوتًا أشبه بضربة إرسال قوية في التنس ثم صوتًا آخر، صوت تصدع المضرب عندما يرتطم بكرة البيسبول. كادت أن تفقد الشعور بقدميها من أسفلها، وعلى الرغم من ذلك خطت خطوتين إضافيتين في نفس الاتجاه. كان ذلك الشيء ثابتًا خلف السيارة، منغمسًا في الظلال. كيف لها أن تتأكد من أن ذلك الشيء المائل أمامها رجل؟ إلا أن بعض الضوء قد أتى من مكان ما وسقط على عينيه اللتين تحدقان فيها. كان ماثيو دولامور، ثم التفت وركض في الظلام.

مباشرةً بعدما طلبت الشرطة، دوى صوت الأبواب المنفتحة خلفها عاليًا وخرجت امرأة - أشبه بفتاة شابة - بدا على محياها الاضطراب ثم ركضت باتجاه سكوت دويل الذي يرقد الآن على الأرض.

قالت هين:

- لقد طلبت الشرطة.

- هل هو... ماذا حدث؟

- كان هناك شخصٌ ما للتو، أعتقد أنه قد ضربه بشيء ما.

فُتحت الأبواب مرة أخرى وخرج رجلان كان كلاهما من أصل لاتيني. وبدأ أحدهم في إشعال سيجارته بينما وقف الآخر بجانب هين وقال:

- هل هو بخير؟

قالت هين:

- لا أعلم، لقد اتصلت بالشرطة.

كان سكوت ما يزال واعياً متمتماً بكلمات مشوشة إلى الفتاة التي ترتدي الفستان الضيق. لقد تذكرتها هين الآن، إنها تلك الفتاة التي كانت تقف على حافة أرضية الرقص في أول الحفل.

قالت الفتاة:

- ستكون بخير، عليك فقط أن تظل ثابتاً.

أجابها سكوت بشيء ما، فقالت:

- أمام رستي سكوبر، في نيو إسكس.

اقتربت هين منهما أكثر لترى إذا كان بإمكانها أن تسترق السمع لكلماته في الوقت الذي أضاءت فيه المصابيح أعلى الأبواب المزدوجة غامرةً ساحة انتظار السيارات بالوميض الساطع. عاد الرجل الآخر إلى الداخل، ربما لإضاءة المصابيح. وتحت بريق الضوء الأصفر الحاد، استطاعت هين أن ترى مدى خطورة إصابة رأسه، كانت تستقر بجانبه مساحة ملطخة بالدماء الداكنة ومادة بيضاء قد تكون جزءاً من الجمجمة أو الدماغ. وبحركة لا إرادية ارتفعت يداها لتغطي فمها الذي كان مشدوهاً من هول ما رآته.

- في أي ولاية؟

وجه سكوت سؤاله إلى الفتاة الرابضة بجانبه وبدا صوته كما لو أنه مكتوم بمنشفة مُبللة.

- ماساشوستس عزيزي سكوت. إنها الولاية التي تقطن فيها، أليس كذلك؟

أجابها سكوت:

- كنت أتمنى لو كانت مين.

وعلى الرُغم من أن هين كانت تبعد عنه بمقدار خمسة أقدام، فإنها رأت سر الحياة يُغادر جسده.

بدأت الفتاة في العويل مُحركة أكتافه بكلتا يديها، ثم سمعت هين صافرات الإنذار والتقطت عيناها نبضات الضوء الأحمر البعيدة.

كان رجال الإسعاف أول الواصلين ثم تبعهم ضباط الشرطة بزيهم الموحد في سيارة الشرطة، ثم سأل أحدهم هين إن كانت شاهدة على ما رأت.

فأجابته:

- بلى، وأود أن أتقدم ببلاغ رسمي، إنني أعرف جيدًا من قتله.



# 18

كانت قد مرت أكثر من ساعة وماثيو جالس في غرفة الاستجواب عندما وصل محاميه، سانجيف مالك، مرتديًا حُلة مَجعدة قليلاً ويحد وجهه لحية بعُمر اليومين.

- آسف.

قال مخاطبًا ماثيو بينما يعتدل في جلسته على الكرسي المجاور له.

- لم تصلني رسالة ميرا إلا منذ ساعة واحدة فقط، أخبرني كم مضى على وجودك هنا؟

- لقد عدنا من بورتسموث عند الظهرية وكانت الشرطة بانتظاري هنا. ماذا أخبرتك؟

- كل شيء تعرفه والذي على ما يبدو ليس كثيرًا، هل قُبض عليك؟

- لقد وافقت على الحضور مع الشرطة من أجل الاستجواب، وعندما أخبرتهم برغبتي في الرحيل، عندئذ قُبض عليّ. لقد قالوا إن هناك

شاهدًا قد تعرف بشكل إيجابي على صورتني في مسرح الجريمة.

هذا حقًا أمرٌ مثير للسخرية، لقد كنت نائمًا بجانب ميرا طوال

الليلة الماضية، و.....

- لقد قدمت بلاغًا رسميًا. لن تظل هنا لوقتٍ طويل. لقد ارتكبوا خطأً ما وهذا كل ما في الأمر.

- إنني لا أعرف حتى... أخبرني مُجددًا؛ من الذي قُتل؟

ألقي سانجيف نظرة على ملاحظاته. كانت له صلة قرابة بعيدة بميرا من جانب والدها على الرُغم من أن ماثيو كان دائم التشكك من أن ميرا قد قُدمت إليه بصفتها عروسه المستقبلية تقريبًا في ذلك الوقت الذي كان ماثيو وميرا يتواعدان.

- المغني الرئيسي في الفرقة التي قدمت عزفها في رستي سكوبر تلك الليلة. إنها فرقة تُدعى سي-بيمز.

- صحيح، لقد أخبروني. إنني بالفعل أعرف تلك الفرقة لأنهم قد عزفوا في مكان بالقرب من منزلي يُسمى أويلز هيد.

قال سانجيف:

- حَقًّا؟!

- أقصد أنني لا أعرفهم بشكل شخصي، ولكنهم كانوا يعزفون في إحدى الليالي التي كنت أتناول فيها عشاءي هناك، كانت تلك مصادفة. والسبب الوحيد الذي يجعلني أتذكرهم هو أن أحد زملائي في العمل يعرف أحد أعضاء الفرقة.

- أيهم؟

- أعتقد أنه نفس الشخص الذي قُتل، ولكنني لست متأكدًا من ذلك. لقد قال ضابط الشرطة إن اسمه كان سكوت.

- سكوت دويل.

- أعتقد أنه هو نفسه، ولكنني لم أعرف اسمه الأخير قط. من الذي قال إنه رأيته هناك؟

- لا أعلم بعد، ولكنني سأكتشف ذلك.

بالكاد استطاع ماثيو النوم في الليلة الماضية، ظل مستلقيًا في فراشه بينما كان يسترجع الأحداث التي وقعت خارج الحانة من ذاكرته ويُعيد رسمها في ذهنه مرارًا وتكرارًا. كانت هين على بُعد عشرين قدمٍ منه. استطاع أن يرى وجهها بوضوح، لكنه كان ثابتًا في مكانه في الظلام الدامس ومن المحال أن تتمكن من التعرف عليه أو أن تُقرر أنه هو. والأهم من ذلك أن معه الغطاء الذي يستظل به، الحجة الدامغة على وجوده. ستقول ميرا إنه كان بجوارها طوال الليل. تلبسه الشك من أن تذكر ميرا إصرافها في الشراب تلك الليلة. وبالتالي سيذهب أي دليل مادي على حديثه مع الريح. كان قد عاد أدراجه إلى بورتسموث من خلال الطرق الخلفية وتوقف عند محطة وقود مهجورة على حافة أحد المستنقعات المالحة. ألقى العصا في المياه بعد أن أزال بصمات أصابعه وطمر سكين الجيب والمسدس الصاعق إلى جانب قبعته وقفازاته وحذائه أسفل قطعة متصدعة من الأسفلت في مكان كان ساحة انتظار سيارات من قبل. وبعد ذلك، عاد إلى غرفته في الفندق - لم يره أي أحد في طريق عودته - واغتسل ثم ذهب إلى فراشه ولم يُكلف نفسه حتى عناء إيقاظ ميرا.

كان الجزء الأصعب من اليوم هو محاولته ارتداء قناع المفاجأة عند عودتهم إلى المنزل في شارع سيكمور ومواجهة اثنين من المحققين له بأمر تفتيش ممتلكاته.

سأل سانجيف:

- ماثيو، هل تفكر في أي شخص؟ هل هناك أي شخص تعلم بنيته في العبث معك؟

كان سؤالًا لم يوجهه إليه أي من المحققين الاثنين بعد.

التقط ماثيو نفسًا عميقًا، ثم قال:

- في الحقيقة أعتقد أن هناك شخصًا ما.

ثم تابع حديثه ليُخبره بشأن جارته التي يعتقد أنها قد أرسلت إليه محقق شرطة بالفعل من كامبريدج حتى منزله ليُحقق معه في قضية قديمة.

سأل سانجيف:

- لماذا تعتقد أنها الفاعلة بالضبط؟

- حسنًا، يبدو الأمر محرّجًا قليلًا، ولكنني بحثت عنها عبر محرك البحث جوجل، فقد كان مجرد فضولي بشأن جارتِي الجديدة وكل ذلك، ووجدت أن لها ماضيًا من اتهام الآخرين بالجرائم التي لم يرتكبوها. ولذلك يُعد ذلك احتمالًا - أعلم أن الأمر سخيّفٌ جدًّا - لكنني لسبب ما حضرت جارتِي تلك في ذهني مباشرة عندما رأيت الشرطة هذا المساء أمام منزلي.

- ما هو اسمها؟

قال ماثيو:

- هينريتا مازور.

- سيتوجب عليك أن تُخبر الشرطة بكل شيء قد أخبرتني به للتو، مثلما أخبرتني به تمامًا. حسنًا؟

أجاب ماثيو:

- حسنًا!

أطلق سراحه قبل الساعة الخامسة. حضرت ميرا لتُقله إلى المنزل وعندما مرا بمنزل هينريتا، بدت النوافذ مظلمة بفعل مغيب الشمس

الذي بدأ زحفه في السماء، التف ماثيو برقبته ليرى إذا ما كان هناك أي من إشارات الحياة في المنزل.

سألت ميرا:

- علام تنظر؟

- أريد أن أرى إذا ما كان جيراننا في المنزل.

- لماذا؟

- أعتقد أن هين هي الشاهد الذي قال بأنني كنت في الحانة ليلة أمس.

- ماذا!

في داخل منزلهما بعدما تجرعا كأسًا من دايت بيبسي التي كانا في حاجة ماسة إليها، أخبر ماثيو ميرا بشكوكه.

قالت ميرا:

- لقد أتت إلى هنا.

- ماذا تقصدين؟

- لم أخبرك قط بذلك لأنني كنت في ذلك اليوم سأسافر إلى تشارلوت، لكنها مرت بمنزلنا وطلبت إن كان بإمكانها أن تأخذ جولة في المنزل مرة أخرى وتلقي نظرة حول جميع الغرف.

- بماذا أجبتها؟

- ماذا تقصد بماذا أجبتها؟ بالطبع لقد وافقت. لقد كنت متحمسة لرؤيتها مرة أخرى.

- إذا فقد تجولت بجميع الغرف؟

- أرجوك، لا تغضب مني. ليس وكأن الأمر أنني قد تركتها تتجول بمفردها في المنزل. لقد ألقينا نظرة على الغرف معًا مثلما فعلنا في أثناء حفل العشاء.

- هل أرادت أن تُلقي نظرة على غرفتي؟

- ماذا؟ غرفة نومنا؟

- لا، أقصد غرفة مكنتي.

- لقد قمنا بقياس مساحة مكتبك لأنها أخبرتني أنها تفكر في شراء واحد أيضًا. لم يخطر ببالي قط أن...

- إنني لا ألومك، أعلم ذلك. الأمر كله أنني ما زلت مذعورًا. وأعتقد أنها مجنونة يا ميرا. أعتقد أنها قررت أنني القاتل والآن هي في الخارج تبحث عن دليل لإدانتني. ربما قد أخفت لنا دليلًا من نوع ما في المنزل.

عبست ميرا ثم قالت:

- إنني أصدقك ولكنني لا أستطيع تفهم الأمر. لماذا أنت؟

- أعتقد أنها قد ربطت بيني وبين دستين ميلر. فقد كان طالبًا سابقًا في المدرسة وقد قُتل منذ عامين.

- عندما كان في سوسكس؟

- لا، لا، بعد تخرجه في سوسكس هول بسنوات عديدة. كي أكون صادقًا معك إنني لا أعلم الكثير بشأن تلك القضية، لكنها ما زالت قيد التحقيق. وقد أتى ضابط شرطة من كامبريدج إلى هنا وتحدث معي بشأن تلك القضية.

- متى؟ ولماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

- لم أكن أريدك أن تشعرني بالقلق، وقد كنت أيضاً في رحلتك إلى تشارلوت. لم يكن هناك داعٍ لذلك، فقد كان شيئاً بسيطاً. على الأقل اعتقدتُ أنه شيء بسيط.

- وتعتقد أن هين هي من أرسلت الشرطة إليك؟

- أعرف أنها هي من فعلت ذلك.

لم يرد ماثيو أن يذكر كأس المباراة لعلمه بأن تخلصه من الكأس سيبدو أمراً غريباً.

- لا أعتقد أنه أمر شخصي. أعتقد أنه مجرد... مشكلة تعانيتها. شيء يشبه الاستحواذ العقلي. إنها ترى الآخرين قتلة في الوقت الذي لا تكون تلك حقيقتهم.

- حسناً، هذا ليس حقيقياً تماماً يا ماثيو. هناك قتلة بالفعل، على الأقل هناك شخص ما قد قتل ذلك المغني بالأمس.

- صحيح، وأعتقد أنها تتعلق بشخص ما وتبدأ في تحفيز اعتقادها بأنه شخص مذنب.

- لكن لماذا كانت هناك؟ أقصد أنها قد شهدت الجريمة. ألا تعتقد أن ذلك غريب بالنسبة لك؟

نهضت ميلا واتجهت صوب النافذة التي تواجه منزل جيرانها، ثم أزاحت الستائر بمقدار بوصتين على جانب واحد.

سأل ماثيو:

- هل أضيئت المصابيح؟

- أبداً.

- ماذا كنتِ تقولين؟

استدارت ميّرا ثم قالت:

- ربما تكون لها علاقة بالأمر. أقصد هل ينظرون في أمرها أيضًا؟  
لقد كانت حاضرة هناك، على عكسك أنت. ربما تُحاول إصّاق  
الجريمة بك.

- لا يبدو الاستنتاج منطقيًا.

- لمَ لا؟ إنها تعتقد أنك قد قتلت شخصًا ما ونجوت بفعلتك، إذاً ربما  
تكون هي قد قتلت شخصًا ما وقالت إنها قد رأتك أنت ترتكب  
جريمة القتل تلك.

- هذا هراء. ولكن إذا كان هذا ما حدث عندئذ ستكتشف الشرطة  
ذلك.

- هل يمكنك أن تُريني ذلك المقال الذي يتحدث عن الحادث الذي  
وقع معها في الجامعة؟

في مساء تلك الليلة عندما عادا إلى فراشهما، استرق ماثيو السمع  
إلى أنفاس زوجته عند تباطؤها ثم بدأ صوت شخيرها يعلو قليلاً. كان  
قد فكر أنها غطت في سبات عميق عندما بادرت به سؤال:

- في أي وقت تتوقع أن يصل محققو الشرطة إلى عملهم في  
الصباح؟

- ليس لديّ فكرة.

- سأتصل بالشرطة عندما أستيقظ من النوم. أنت لا تدري، قد  
يصلون إلى العمل مبكرًا.

بعد خمس دقائق أردفت قائلة:

- أواثق من أنك قد أغلقت الباب بالمزلاج من الداخل؟



- نعم أنا متأكد، ولكن يمكنني أن أفحص الأمر ثانية إذا كنتِ تريدين ذلك.

- لا، أنا أصدقك، يا لها من عاهرة!

قالت ميرا كما لو أنهم كانوا يديرون مناقشة حول جارتهم. كان وصفاً لم يسمعه ماثيو من زوجته من قبل قط.

- دعينا لا نستبق الأحداث أيضاً، ربما يكون الأمر مجرد سوء فهم كبير، وربما تكون قد اعتقدت حقاً أنها رأنتني هناك.

- سأفكر في ذلك أيضاً، ولكن ماذا عن ذلك المقال الذي يتحدث عما فعلته مع تلك الفتاة في الجامعة؟

- أعلم ما تفكرين به.

قال ماثيو ذلك. والآن قد حطمت كل شيء. كنت أحميا حياتين قبل أن أقابل هينريتا مازور، كانتا بسيطتين وأحظى في كليهما بالراحة والفوز العظيم. ثم ظهرت هينريتا من العدم وقلبتهما إلى حياة واحدة، حياة معقدة تجتاحها الفوضى. لم أعتقد قط أنني قد أستلقي في فراشي يوماً وأستمع إلى حديث ميرا عن القتل، ولكنني هنا الآن. أود أن أطلق على هين عاهرة أيضاً، ولكن هذا بالضبط ما كان سيطلقه عليها والذي لكنها ليست عاهرة، إنها تتمتع بذكاء خداع متقد. أشعر وكأنني محمول على قارب صغير في وسط عاصفة جامحة. وأنني في حاجة إلى ركوب الموج والانتظار حتى تنقشع تلك الغيوم.

قبل أن تغط في النوم أخيراً، قالت ميرا:

أحبك يا دُبي الصغير.

اسم لم تنادِ ميرا به منذ عام على الأقل. فتكور على الفور بجانبها مُقلصاً جسده حتى يمكنه أن يُحرك جسده بين ذراعيها.

- أنا أحبكِ أيضًا.

قال ذلك مخبئاً رأسه في رقبتها.

- اهدأ.

قالت ميرا ذلك وحاولت أن تحيطه بذراعيها وتقربه من صدرها كما لو كان يرتجف من البرودة وهي جذوة النار الوحيدة حوله.

- اهدأ، سيكون كل شيء على ما يرام.

سألها بصوت هامس:

- هل تعدين بذلك؟

- أعدك بذلك يا دُبي الصغير، أعدك بذلك.

# 19

فتحت ميرا عينيها عند بزوغ الفجر. كانت تعرف أنها قد غطت في النوم على الرُغم من أن جسدها وعقلها لا يشعران بالراحة. تهادت خارج الفراش وهي تتحرك ببطء شديد حتى لا يستيقظ ماثيو الذي كان ما زال متكورًا على جنبه.

ارتدت ثوبها المنزلي وهبطت إلى الطابق الأرضي، أعدت لنفسها القهوة ثم تجرعت كأسًا من الماء. كانت ما تزال متعطشة للمياه من آثار الثمالة التي عانتها في اليوم السابق، بعدما أفرطت في الشراب في بورتسموث أرمز. كانت تشعر بالغثيان والألم يضرب في أصدائها، تمامًا كأعراض واحدة من نوبات الصداع النصفي التي تصيبها، لكنها تعلم أنها من آثار الكحول والقلق. سارت إلى غرفة المعيشة وفكرت في الاستلقاء على الأريكة لكنها قررت بدلًا عن ذلك أن تُجرب ممارسة بعض تمارين التأمل. كانت تلك هي عادة والدها التي ورثتها منه، عشر دقائق من التأمل في كل صباح قبل أن يتناول قهوته. كان يُقسم دائمًا على مدى جدواها معه، أما هي فقد وثقت فيه، لأنه، وبخلاف ذلك التأمل، كان والدها أكثر شخص عملي على الرغم من كبر سنه، قد رأته في حياتها. أحضرت سجاد اليوجا الخاص بها وجلست القرفصاء على الأرض، أمعنت التركيز في تنفسها ورننت إلى رقعات نور الصباح المبكر التي

تصنع شكل مُعين على الأرض الخشبية. لقد أفلح الأمر تقريبًا، لكنها لم تستطع حجب أحداث الأمس الغريبة، وبخاصة عندما علمت أنها هين، جارتهم الجديدة، هي التي ادعت أنها شاهدت ماثيو في مسرح الجريمة. بدا الأمر مضحكًا (في الحقيقة كان كل شيء مثيرًا للسخرية) لكن ميرا كانت تحاول جاهدة أن تفسره كي يكون منطقيًا بالنسبة لها. فقد أخبرتها هين أنها تعاني الاكتئاب وقد ذكرت أنها لا تود إنجاب أي أطفال لأنها لا تريد أن تنقل إليهم بالوراثة عقلها المعطوب. ربما كانت تنزع الغطاء عن حياتها وتنتفتح معها في الحديث، ولسبب ما قررت هين أن ماثيو هو قاتل متسلسل، على الأقل هذا ما يعتقد ماثيو بطريقة ما. إن الأمر فقط هو أن... هين قد بدت سليمة العقل. كانت إنسانة لطيفة على الرغم من أن ميرا تعلم الآن أن هين لم تأتِ بعد حفل العشاء إلا لرغبتها في البحث عن دليل أو ربما لدس الدليل في المنزل. اعترافها بالخوف فجأة وتساءلت إلى أي مدى ستستمر هين فيما تفعله. واستعادت ذكريات تلك الليلة التي تقابلوا فيها جميعًا بعد حفل سكان الضاحية، وكيف أن ميرا كانت قد قررت بالفعل أنها تحب جارتها الرسامة الجديدة بشعرها العجري ومجوهراتها المميزة، كيف أنها قد أخبرت ماثيو برغبتها في أن تستضيفهم على العشاء.

قال ماثيو حينئذ:

- إنهم غرباء علينا تمامًا.

أجابته ضاحكة:

- أنت تعلم جيدًا يا ماثيو أن الغرباء هم الأصدقاء الذين لم نقابلهم بعد.

لم تكن ترغب في خوض ذلك النقاش - في الحقيقة، الجدل - حول أمر الأصدقاء. وطوال بضع سنوات، كانت ميرا ترغب في المزيد من الأصدقاء بينما رغبت ماثيو في الحقيقة في القليل منهم.

قال حينئذ:

- افعلي ما تريه مناسباً.

وقد فعلت ما رأته مناسباً فانظر ماذا حدث؛ تقطن بجوارها الآن جارة مريضة بالجنون تُطارِد زوجها للإيقاع به.

لكن في ليلة السبت تلك كانت هناك جريمة قتل، لقد قُتل أحدهم.

أدت ميرا بعض تمارين التمدد. كانت الأجواء متوترة بالكثير من الأمور التي يجب أن تفكر بشأنها وصار عقلها مشوشاً. فهمست لنفسها ببعض الكلمات أن: اهدئي... فكري بما حدث بالأمس، حاولي أن تضعي الأمور في نصابها.

فقبضت على أصابع قدميها بيديها وبدأت تفكر فيما حدث باليوم السابق. كانت تعاني ثمالة هي الأسوأ على مر السنوات الماضية، ربما أسوأ حال قد شهدته على الإطلاق. لماذا أفرطت في الشراب إلى ذلك الحد؟

أرغمكِ زوجك على ذلك.

كان ماثيو قد شجعها على الإفراط في الشراب، وكانت تلك حقيقة واضحة. إذا كان الأمر كما هو أمامها الآن، فإنه ماثيو الذي يكتب في بمشروبي كحول فقط في العام. لقد وردا على ذلك المشرب الرائع في الحانة التي كانت جدرانها الخشبية مطلية بالأسود وتتلاً لأضواء الشموع بوميض زاهٍ، وذاك النبيذ طيب المذاق، ثم تجرعت كأساً من السكوتش حلو المذاق والذي استحسنته خلايا التذوق في فمها. بينما تفكر في

الأمر تذكرت: لقد كان يحاول أن يجعلني أُفرط في الشراب، حاول ماثيو أن يجعلني أُفرط في الشراب. تساءلت في نفسها عن السبب واهتدت إلى أنه ربما كان الأمر متعلقًا بممارسة الحب بينهما، ربما كان يود أن يُجرب شيئًا جديدًا في غرفة النوم. لم تكن الفكرة مرفوضة البتة، لكنها لم تكن مقنعة تمامًا. لقد كانت آخر مرة طلب فيها ماثيو شيئًا غريبًا بعض الشيء - كان ذلك منذ أكثر من عام مضى - عندما طلب منها أن تُبقي على جواربها السوداء بينما يمارسان الحب. كان هذا الجزء جيدًا - في الحقيقة تغمدها شعور بالإثارة والمتعة - لكن ما لم يكن منطقيًا - ما كان بشعًا للغاية - هو ما حدث بعد ذلك. عندما استدارت لتنظر إليه، كان على وجهه تعبير واضح بالاشمئزاز والغثيان، كانت مسحة سريعة الانقضاء، لكنها بالتأكيد بدت على وجهه. ثم تضرع وجهه بالحمرة، ولم يستطع الالتقاء بعينيها.

- كان هذا ممتعًا.

هكذا قالت ميرا آملّة أن تنقذ الموقف، لكنه كان بالفعل قد توجه إلى دورة المياه للاغتسال.

لقد توقعت بالتأكيد، حتى قبل أن يغرقها بصلصة البطليونس والنبيد، أنه ربما كان قد اقترح الذهاب في عطلة إلى بورتسموث أرمز، حتى يُجرب شيئًا آخر جديدًا بينهما في الفراش. وعندما اهتدت إلى استنتاجها هذا، تعمدت ميرا نسيان الجوارب السوداء في تلك الرحلة. لم تُرد قط أن ترى تلك النظرة الكريهة تعلو وجهه مرة أخرى.

وكما اتضح لها بعد ذلك، فعندما عادا إلى غرفتهما جلست على حافة السرير، وبدت لها الغرفة بأكملها وكأنها تقف على جانب واحد مثل القوارب عند اشتداد العاصفة. تذكرت أن ماثيو قد دثرها جيدًا تحت

الأغطية، وتساءلت إذا ما كان سيتسنى لها النوم بينما تتمخض الغرفة من حولها بتلك الطريقة، ولكن هذا جُل ما تذكرته عن تلك الليلة.

استيقظت مبكرًا في اليوم التالي، تمامًا مثلما فعلت هذا الصباح، وذهبت إلى دورة المياه. تناولت أربعة أقراص من الأيبوبروفين، وجرفتهم إلى حلقها مع ثلاث كؤوس ملأتها من صنوبر المياه الصغير في غرفة الفندق. كانت معدتها مضطربة لكنها تمكنت من النوم ثانيةً. عندما استيقظت في المرة التالية، كان ماثيو قد ارتدى ملابسه مُبلل الشعر من آثار اغتساله ويحمل صينية الفطور التي أحضرتها خدمة الغرف. كان قد طلب من أجلها طبقها المفضل من البيض المخفوق بالطماطم والجبن، وبعد قضمها الأولى التي كانت هزيلة، ابتلعت بقية الطبق مع ثلاث شرائح من الخبز المحمص بالزبد وقررت أنها ستنجو من أزمة الثمالة.

عندما عادا من بورتسموث مبكرًا بعد ظهر ذلك اليوم، وجدا محققي الشرطة بانتظارهما. كان واحد منهم داخل سيارة مجهولة غير مرقمة والآخر يستند إلى جانبها. لقد سُرقنا، كان هذا ما فكرت به ميرا بينما قال ماثيو بصوت رخيم «حسنًا!».

لكن منزلهما لم يُسرق. وافق ماثيو على الذهاب إلى مركز الشرطة من أجل الاستجواب، على الرغم من أن ميرا استمرت في إلحاحها عليهم حتى يخبروها المزيد عما يدور بالضبط. فقال:

- لا بأس، أنا لم أقترف أي خطأ، لذا لا داعي للقلق.

بدا لها رجلًا واقعيًا مثل أبيها، على الرغم من أن واقعية والدها كانت ستدفعه ليقول عكس ذلك، فأشْرعتك المنبسطة ليست ضمانًا لسلامتك.

سألته ميرا عندما كان يستقل المركبة مع المحققين.

- هل يجب أن أتصل بسانجيف؟

- لا تزعجيه.

أجابها ماثيو، لكنها اتصلت بالمحامي الخاص بهم على الرغم من كل شيء، وكانت سعيدة بما أقدمت عليه. وبعدها وافق ماثيو على الذهاب إلى مركز الشرطة، حضر محقق آخر إلى المنزل، تلك المرة لاستجواب ميرا، وطرح عليها أسئلة بشأن الأماكن التي ذهب إليها زوجها في الليلة الماضية.

قالت ميرا:

- لقد كان معي طوال الليل، لماذا تسأل؟

- هل غادرك إلى أي مكان آخر في أي وقت في أثناء الليل؟

بدا هذا المحقق شابًا يافعًا على نحو لا يصدق، كان رجلًا من أصحاب البشرة السمراء الفاتحة مرتديًا حُلة فضفاضة كما لو أنه قد فقد الكثير من الوزن مؤخرًا.

- لا، لقد قضينا الليل بأكمله معًا في حانة في بورترسموث. ومهما يكن ما تعتقد أنه قد ارتكبه، فإنه لم يفعل.

ذهبت ميرا إلى مركز الشرطة وبعدها انتظرت قرابة الساعتين، أخيرًا قابل ماثيو محاميه سانجيف، بدا ماثيو هادئًا تغطيه السكينة بالنسبة لشخص متهم بجريمة قتل كما اتضح الأمر. أخبرها بكل شيء عن جارتهم هين التي اتهمته بالجريمة، ولا يوجد أي داعٍ للقلق لأن الشرطة لم تصدقها، فقد كان لها تاريخ مسبق من التعدي على الغير بالتهم.

مع ذلك، لماذا كان يحاول أن يجعلني أفرط في الشراب؟

طردت ميرا الفكرة من عقلها. كانت تعلم جيدًا إلى أين سيذهب بها التفكير، ولم تكن تريد قط أن تفكر في كل ذلك. على الأقل ليس الآن،



ليس في الوقت الذي يختنق فيه عقلها بالكثير من الأحداث الأخرى التي تجري. هناك أشياء كثيرة جعلت زوجها - ماثيو - مختلفًا دائمًا. كيف أمكنه أن يكون طبيعيًا على الرُغم من طفولته التي عاشها؟ على الرُغم من عائلته التي كان جزءًا منها؟ وبالتفكير فيما كانت عليه عائلته، كان شخصًا طبيعيًا للغاية، طبيعيًا بشكل لا يُصدق، كان مجرد شابٍ عادي يمتهن وظيفة جيدة وكان دائمًا يعاملها بلُطف. أفضل مما يكون. لقد كان حصنها الآمن ومنقذها الشجاع. لقد أنقذها من إساءة المعاملة التي عايشتها على يد دچاي سارفان لمدة طويلة.

كيف كانت طريقته في إنقاذك بالضبط، ميرا؟

أخرست صوتها الداخلي وأقنعت نفسها أنه قد أنقذها بأن كان إلى جانبها عندما مات جاي، كان إلى جانبها ليعيد شمل تلك القطع المبعثرة ويعيد تشكيلها من جديد. كان هذا كل شيء قد حدث.

ماذا لو لم يكن هذا كل ما في الأمر؟

إذا ما زال منقذي أيضًا، فكرت ميرا: ما زال منقذي الشجاع، ثم.....

أحدثت شاحنة تمر بشارع سيكمور صوت فرقة، فنهضت ميرا واتجهت صوب النافذة. كانت جميع باحات المنازل ضبابية بفعل رطوبة الصباح المبكر.

- لقد استيقظت مبكرًا.

كان المتحدث هو ماثيو واقفًا أسفل الدرج وقد ارتدى ملابسه بالفعل عدا حذائه، وإلا كانت قد سمعت وقع خطواته على الدرج آتيًا من الأعلى. قالت ميرا بعدما استدارت نحوه:

- لقد استيقظت ولم أستطع النوم مجددًا.

- كل ما حدث بالأمس كان غير معقول قليلًا.

- قليلًا؟!!

- يبدو وكأنك قد صنعتِ قهوة.
- أجل، وقد صنعت إبريقًا كاملاً. اعتقدتُ أننا قد نحتاج إليها.
- تبع ماثيو ميلا إلى المطبخ، وقبل أن تفقد رباطة جأشها، ألقت عليه ذلك السؤال الذي أرادت أن تلقيه عليه في الليلة الماضية.
- هل كان هناك أي مشكلة حيال كأس المباراة في تلك الليلة التي حضرت فيها هين وزوجها إلى العشاء؟
- ماذا تقصدين؟
- في تلك الليلة، عندما كنت أتجول معهم حول المنزل، تصرفت هين بغرابة عندما رأت كأس المباراة. واعتقدت أنه ربما يكون هناك شيء ما حياله يتعلق بما حدث لذلك الطالب الذي تخرج من سوسكس هول ثم قُتل.
- على ما يبدو.
- بدأ ماثيو حديثه مطيلاً في نطق الكلمة قليلاً.
- كان دستين ميلر قد اتُّهم باغتصاب إحدى طالبات سوسكس هول عندما كانا في رحلة إلى بطولة الشيش. اعتقد أنها قد ربطت الأمرين بتلك الطريقة.
- أي علاقة ستكون بينهما؟
- أعتقد أنه هكذا قد قررت أن لي علاقة بموت دستين ميلر. ربما كانت رؤيتها للكأس بمثابة الحافز الذي أثار في ذاكرتها تلك القصة، ثم ربطت الأمرين ببعضهما بطريقة ما. لا أعلم حقاً كيف يفكر عقلها.
- ربما اعتقدت أن الكأس تنتمي إلى دستين ميلر، وأنت قد أخذتها عندما قتلتها؟
- لن يُفاجئني هذا التخمين مطلقاً.

سألت مييرا وقد حاولت ألا تبدو مبالية بالأمر:

- لكنك قد تخلصت من الكأس، أليس كذلك؟

كان ماثيو قد انتهى من إضافة الكريمة والسكر إلى قهوته ثم أخذ  
رشفة منه عندما قال:

- بلى.

سألت مييرا:

- لماذا؟

تجرع ماثيو رشفة أخرى كبيرة:

- إن الأمر هو... إن الأمر هو أنني لم أرغب قط في أن يحضر جيراننا  
للعشاء.....

- لماذا لم.....

- لم يكن الأمر بتلك الأهمية، إنني فقط... إنك تعرفيني جيدًا. أنا  
سعيدٌ بحياتنا على ما هي عليه الآن، وعندما حضرا، كان الأمر  
جيدًا تمامًا، ولكن عندئذٍ عرفت أن هناك شيئًا ما غريبًا قد حدث  
عندما كانت هين في مكتبي. لقد رأيت النظرة التي ألقتها على  
الكأس. أعني أننا جميعًا قد نظرنا إليه، صحيح؟ لكنها بدت كما  
لو أنها على وشك أن تغيب عن الوعي. لم يكن لدي أي فكرة لما  
تصرفت على هذا النحو، ولكنني لاحظتُ ما حدث وقد أزعجني  
ذلك الأمر. أعتقد أنني لم أرغب قط أن يتجولوا في مكتبي، لأنني  
أعده بمثابة مساحتي المقدسة بطريقة ما. لذا في اليوم التالي  
عندما كنت أتخلص من بعض الأغراض، قررت أن أتخلص من  
الكأس أيضًا. لقد كان وجوده مجرد نزوة.

سألت مييرا:

- أين وضعتها؟

رفع ماثيو نظره إلى السقف كما لو أنه يفكر، ثم أخبرها أنه قد وضعها في مكب النفايات في سوسكس هول.

- كان هذا اليوم الذي أعدت فيه مجموعة من الكتب القديمة وجلبت معي بعض الأشياء القديمة من هنا للتخلص منها أيضًا. أنتِ لا تعتقدين أنني.....

- لا، لقد خطر على بالي للتو أنه شيء ربما تُستجوب عنه في يومٍ ما. وإذا اعتقدت هين أن كأس المباراة تنتمي إلى دستين ميلر، عندئذ يمكن للشرطة أن تُخرج أمر التفتيش، ثم.....

- هذا لن يحدث، ولا أعتقد أنهم سيثقون بأي شيء تقوله على الإطلاق. لقد فعلت مثل هذا بالضبط من قبل.

- إنني أشعر باليأس تمامًا. إنها تُقيم في المنزل المجاور لنا، ويمكنها أن تقول بشأننا أي شيء يخطر ببالها. هذا أمر فظيع، ربما يجب علينا أن نحصل على أمر تقييدي.

- لن يوقفها هذا الأمر من أن تقول أي شيء عنّا.

- بلى، أعلم ذلك، ولكن ربما سيوقفها عن المجيء إلى منزلنا ومن الاقتراب منّا. لا أعلم إذا كان الأمر سيُجدي نفعًا، ولكنه لن يُسبب أي ضرر.

- حسنًا! من يدري، ربما سيضطرون إلى المغادرة وتعود الأمور لطبيعتها حالها.

- فلنأمل ذلك.

- أجل، فلنأمل ذلك.

ردد ماثيو كلماتها عندما كان يفتح باب الثلجة ليُعيد الكريمة إلى أحد الأرفف.

# 20

- أطلقتم سراحه؟!

قالت هين ذلك وهي تحاول أن تكبح جماح غضبها فلا يظهر في صوتها.

- لقد كانت معه حجة.

كان اسم المحققة تلك المرة هو شاهين، امرأة تبدو في عِقدِها الثالث بشفاهِ نحيفة وعينين عابستين.

قالت هين:

- أوكدُ لكِ، إنه هو بنفسه.

كانت قد راجعت أحداث الليلة الماضية سبع مراتٍ على الأقل حتى الآن. وقد صرحت أيضًا بتفاصيل تلك الليلة التي تبعت فيها ماثيو إلى أويلز هيد، تلك الليلة التي كان يُطارَد فيها ضحيته التالية. كانت قد قررت أن تُصرح بالحقيقة عن كل شيء تعرفه على الرُغم من أنها تعرف أن هذا سيجعلها تبدو مخبولة قليلًا.

- هل أنتِ متأكدة تمامًا أنكِ قد رأيتِ ماثيو؟

- بلى. لقد التقت أعيننا مباشرةً.

- لقد كان الظلام حالًا خلف الحانة، وقد شهد شهود آخرون أنه كان من الصعب أن تستوضح أي شيء في ظلام كهذا.

- كان الظلام مخيمًا، لكنه لم يكن مظلمًا بتلك الدرجة التي لا أستطيع معها رؤية عينيه. بالمناسبة، ماذا تقصدين بشهود آخرين؟

- ليسوا شهودًا على الجريمة، لكنهم أشخاص آخرون قد أجرينا معهم مقابلة، أشخاص ممن كانوا خلف الحانة في الليلة الماضية. وأعضاء فرقة سي-بيمز الآخرون وجيليان دونوفان.

كانت هين قد علمت أن جيليان دونوفان هي نفسها الفتاة التي كانت ترتدي الفستان الضيق، صديقة سكوت دويل.

قالت هين:

- كان ضوء القمر لامعًا.

انفتح الباب الذي يؤدي إلى غرفة الاجتماع على مصراعيه. كانت هين قد أجرت مقابلاتها في ثلاث غرف مختلفة. في المرة الأولى كانت في غرفة الاستجواب المزودة بكاميرا لتصوير المقابلة، ثم في مكتب المحقق ويتني. بدا وكأنه المحقق الرئيسي في القضية على الرغم من أنه يبدو أيضًا أكبر سنًا من أن يكون مستمرًا في الخدمة. كان أصلع إلا من شعرات قليلة على رأسه وكان الشيب قد احتل لحيته الصغيرة فبدت بيضاء ناصعة. وفي كل محادثة له مع هين كانت تعتقد أنه يبدو مرهقًا للغاية.

أما الآن فتقبع هين في غرفة الاجتماع التي يبدو وكأنها لم تُستخدم منذ عدة أشهر. أطالت هين النظر إلى فنجان كان قد ترك على طاولة الاجتماع الخشبية، ورأت دائرة سوداء داكنة من بعض القهوة المتحجرة، تغطيها بقع بيضاء صغيرة من العفن.

- أود أن أناقش معك سريعًا موضوعًا آخر سيدة مازور، وأن أسألك  
عن شيء آخر.

قالت هين:

- حسنًا!

- ماذا يمكنك أن تُخبريني بشأن عامك الأول في كلية كامدن؟

لم تصدم هين تلك المفاجأة عند سماع السؤال -في الحقيقة كانت تتوقعه في أي لحظة- إلا أن الكلمات ما زالت تُصيبها بشعور كما لو أن لكمة قد أصابت صدرها.

- هل تُشير إلى تلك الواقعة التي اعتُقلت فيها بسبب الاعتداء؟

- أجل.

- أنا أعاني مرض اضطراب ثنائي القطب، وقد أصابتنى نوبة

الجنون الأولى عندما كنت في العام الأول في كلية كامدن. لم أكن

على طبيعتي حينئذ.

- لكنك قد اتهمت إحدى زميلاتك بمحاولة القتل، أليس كذلك؟

- بلى، لقد فعلت.

- ثم اعتديت على تلك الطالبة بنفسك؟

- مثلما أخبرتك، لم أكن بخير في ذلك الوقت. وليس هناك أي علاقة

بين تلك الحادثة وما نحن بصدده الآن.

- لكنك... هل ما زلتِ تعانين اضطراب ثنائي القطب؟

فكرت هين أن تحرص دائمًا على أن تكون كلماتها هادئة ومُحددة.

- أجل، وسأكون هكذا دائماً، لكن العقاقير التي أتناولها تؤتي مفعولها، ولا أعاني حالياً أي نوبات جنونية. إن ما أقصه بشأن ماثيو دولامور ليس من نسج خيالي.

بسّطت المحققة إحدى يديها على الطاولة على بُعد بوصة واحدة تقريباً من الموضع الذي تبسط هين يديها عليه.

- أنا أصدقك سيدة مازور، ولكنني أحتاج أيضاً إلى النظر في جميع الاحتمالات.

- حسناً، إنني أتفهم الأمر، لكن الأمر مختلف هذه المرة، مختلف تماماً.

قالت المحققة وهي متكئة على كرسيها قليلاً إلى الخلف:

- لكن إذا كنتِ تختبرين نوبة من اضطراب ثنائي القطب الآن، ليس بالضرورة أن تكوني على علم بذلك. هذه واحدة من السمات الأساسية لانفصالك عن الواقع، أليس كذلك؟

فكرت هين في أن المحققة إما أنها قد أجرت بحثاً عن الموضوع مباشرة قبل إبرام تلك المناقشة، أو أن لها تجربة شخصية مع شخصٍ ما يعاني مرضاً عقلياً.

أجابتها هين:

- أجل.

وقررت ألا تُضيف شيئاً آخر. كانت تُدرك جيداً أنها كلما ازداد اعتراضها بدا الأمر في صورة أسوأ.

أطبق الصمت عليهما لوهلة، ثم نهضت المحققة شاهين قائلة:

- شكراً لكِ سيدة مازور. إن زوجك هنا أيضاً بالمناسبة.



لم تكن هين قد اتصلت بزوجها للويد لتُخبره بما حدث حتى بعد الظهرية. لقد أرادت أن تمنحه صباحًا هادئًا بعد حفل التخيم حول النار الذي ربما عاد منه متأخرًا. كما أن شعورًا بالقلق قد اعترأها حيال ردة فعله، كانت قلقة من أنه ربما يعتقد، مثلما تعتقد الشرطة، أنها تختبر إحدى نوبات الانهيار العقلي.

لم يكن الأمر سهلًا عندما تبعت هين المحققة شاهين إلى غرفة الانتظار في قسم شرطة دارتفورد، فعَلت وجهه للويد نظرة القلق، نظرة أقرب ما تكون إلى الشفقة.

سألها بعدما تبادلا العناق:

- كيف تشعرين؟

كان مرتديًا ذات الثياب التي ربما كان يرتديها الليلة الماضية في الحفل، كانت تفوح منها رائحة عرق قديم والكثير من مزيل العرق.

- أنا بخير للويد، ولكننا نعيش بجوار قاتل لعين.

- دعينا نتحدث عن الأمر في السيارة، حسنًا؟

على الرُغم من أن التعب قد أصابها من سرد القصة مرارًا، أَلقت القصة مرة أخرى على مسامع اللويد مستحضرة كل تفاصيلها، فبدأت سردها عندما كانا في السيارة وانتهت منها في المنزل. استمع للويد إليها بهدوء وأناة وبالكاد قاطعها بأي تعليق. فكرت في أنه يبدو متعبًا من رحلته، فقد انتشرت الهالات السوداء تحت عينيه وبدت بشرته شاحبة عليه. عندما انتهت من سردها، سألته:

- هل تصدقني؟ وأخبرني الحقيقة.

صمت للويد لوهلة حتى كادت تتمنى أن يقول إنه لا يصدقها. وفكرت في أنها تفضل أن يساوره الشك حيال حديثها من أن تشعر بإشفاقه على حالها.

- يبدو أن لديه حجة دامغة، فهو لم يكن هناك.

- هل تعتقد أنني أخلق الأحداث؟

- لا، أنا أعتقد أنك تعتقدين أنك رأيت، ولكنه قد يكون شخصاً آخر.

- هل يمكنك أن توضح لي كيف لهذا أن يحدث؟ كيف يمكن أن

يكون الشخص الذي أعتقد أنه ربما قتله جارنا قد قتله شخص

آخر؟ ما هي احتمالات حدوث ذلك؟

- لا أفهم ما تقصدين.

- لقد رأيت ماثيو يتعقب ذلك الشخص؛ سكوت دويل. أنا آسفة

لأنني لم أخبرك بهذا من قبل حينئذ، ولكنني أعلم مدى القلق الذي

ستشعر به. ولأجل هذا ذهبت بالأمس لأشاهد تلك الفرقة. أردت أن

أعرف إذا كان ماثيو موجوداً أيضاً.

- قالت الشرطة إنك كنتِ ثملة.

- أجل، نوعاً ما، أنا أعترف بذلك، ولكن على الرغم من كل شيء، فكر

قليلاً في الأمر. ما هي احتمالات أن يُصادف قتل سكوت دويل من

قبل شخص آخر، أي شخص بخلاف جارنا؟

- لكن... وفقاً لما قالته الشرطة، فقد قتله شخص آخر.

ضغطت هين على أسنانها وتجرعت رشفة كبيرة من الماء ثم تابعت:

- هل تعتقد أنني مجنونة؟

- أجل أعتقد ذلك. هين، أنا آسف لكنك تتصرفين مثلما فعلتِ في

المرّة السابقة، إنك مهووسة بالأمر.

- إذا فأنا أبدو مجنونة إليك؟

أطرق للويد مفكرًا لوهلة ثم قال:

- كلا، في الحقيقة لا تبدين هكذا. تبدين طبيعية تمامًا، لكن تصرفاتك... أنا لا أعرف فيما يجب أن أفكر. إنني قلق بشأنك هين. وفي الوقت الذي ذهبنا فيه معًا إلى الفراش، كانت هين قد وافقت على تقديم موعدنا السنوي مع طبيبها المسؤول عن متابعة آثار الدواء النفسي عليها لفحص مستوياته في دمها، ووافق للويد أيضًا على احتمالية أن تكون هين مُحقة تمامًا فيما تحكيه عن كل شيء.

- ماذا كنت ستفعل إذا صدقتني عن ظهر قلب؟

- ماذا تقصدين بما كنت سأفعله؟

- هل كنت ستواجه ماثيو دولامور؟ أم كنت ستقرر الرحيل عن هذا المنزل؟

- أعتقد أنني كنت سأتغافل الأمر وأتمنى أن تصل الشرطة إلى الحقيقة.

- أنا متأكدة أن ميرا تعلم كل شيء.

- مَنْ؟

- ميرا، زوجته. أنا متأكدة أنها تعرف كل شيء وإلا ما كانت ستمنحه تلك الحجة الدامغة على حضوره.

- لا يمكنك أن تتورطي في ذلك. لقد أخبرت الشرطة بالفعل بكل شيء تعرفينه. كل ما عليك فعله الآن أن تدعي الأمر وشأنه.

بعدما غط للويد في نومه العميق، انسلت هين بهدوء شديد من فراشها وهبطت إلى الطابق السفلي. كانت تعلم أن فرصتها في النوم

تلك الليلة منعدمة تمامًا. ثم فكرت في تناول قرص المنوم لكنها أعرضت عن الأمر وفضلت أن تظل متيقظة بكل وعيها.

في غرفة المعيشة، أمعنت النظر باتجاه منزل عائلة دولامور. سمعت هين وقع أقدام تنقر على الأرض بينما يتبعها فينجر عند الزاوية، ليتوقف ثم يربض على قوائمه ويحدق إلى هين. فحدقت هين بدورها مباشرة إلى عيني القط الدائريتين. كانت هين تعتقد أحياناً أن فينجر يشبه طائر البوم أكثر من شبهه بالقطط. هبت ريح عاصفة بالمنزل، والتفت فينجر ناحية النافذة المرتجة. انتقلت هين إلى الأريكة، تمددت بجسدها وحلقت بالسقف. لا تفعلني شيئاً، استمري في قول الحقيقة عندما يطلبونها لكن لا تفعلني شيئاً، وإلا لن تؤول الأمور إلى خير أبداً. هكذا حدثت نفسها.

عند بزوغ الفجر، دثرت جسدها بالغطاء وتكورت حول نفسها ثم غطت في النوم.

استيقظت عندما رن جرس الباب، لكنه كان جرساً معلقاً أعلى برج عالٍ تتسلقه هين في أحلامها. كانت الريح تعصف بقرميد البرج وتتساقط الحجارة مثل أوراق الشجر في خريفها. كان دستين ميلر محتلاً قمة البرج أيضاً، لمحت شفثيه تتحرك بالحديث لكن كلماته تطايرت مع الريح. وصلت هين أخيراً إليه. لقد نسيتُ كم كنت جميلاً، فكرت هين، ولكن عندما رن الجرس مرة أخرى، استيقظت على حين غرة ثم نهضت. كان للويد يهرول هابطاً الدرج، بيد أن جرس الباب قد أيقظه من نومه أيضاً.

سألت هين بينما تقف خلف الباب:

- من الطارق؟

كان الطارق ضابطي شرطة يرتديان الزي الرسمي: كان أحدهما أشبه بلاعب كرة قدم في الجامعة، بينما كان الآخر امرأة جميلة في الثلاثينيات من عمرها بشعرها الأشقر والفرجة بين ضواحكها. سألت ضابطة الشرطة إن كان بإمكانها أن تتحدث مع هين قليلاً على انفراد.

قالت هين دون أن تفسح الطريق:

- حسناً.

- بالداخل؟

- بالتأكيد.

جلسوا جميعاً في غرفة المعيشة، وهرعت هين إلى الطابق العلوي لتُبدل ثيابها إلى بنطالٍ من الجينز وكنزة. كانت رائحة صنع القهوة قد بدأت تعبئ المكان عندما عادت هين واتخذت مجلسها أمام الضابطين.

قالت ضابطة الشرطة التي قدمت نفسها باسم الضابط رولاند:

- هذه زيارة ودية قبل كل شيء. وأود أن أطلعك على أن ماثيو وميرا دولامور قد حررا شكوى رسمية بالمضايقة ضدك هذا الصباح، وسيسعيان للحصول على أمر حماية.

- مضايقة؟

قالت هين ذلك فوضع للويد إحدى يديه على ساقها لتلزم الصمت.

سأل للويد:

- ماذا يعني هذا؟ أقصد أمر الحماية.. هل هو أمر تقييدي؟

- في الحقيقة هما متشابهان تماماً، ووفقاً لمعرفتي، لن يطلبنا منكما إخلاء العقار، لكنهما يطلبان قطع أي اتصال بينكما وألا تقتربا من منزلهما....

قالت هين:

- إننا نعيش في المنزل المجاور.

- وألا تتجسسا عليهما أو تتبعاهما في أي مكان.

سأل للويد:

- هل هذا طلب رسمي؟

قال الضابط الآخر (الذي لم تستطع هين التقاط اسمه):

- مثلما أوضحت الضابطة رولاند، هذه زيارة ودية، وستحل تلك

المشكلة دون اللجوء إلى أي أمر تقييدي. إننا نأمل منكما الامتثال

إلى طلبهم. وقد عايشت بنفسني أفتك النزاعات بين الجيران والتي

قد خضعت للتسوية الودية.

انزلت هين إلى مقدمة الأريكة وسحب للويد يديه من فوق ساقها.

- هذا ليس نزاعاً بين الجيران، لقد شاهدت ماثيو دولامور يرتكب

جريمة قتل. وبالتالي لن أغير شهادتي بسبب أمر تقييدي.

وجه الضابط كلتا يديه صوب هين باسماً راحتيه:

- إنني أتفهمك تماماً، ولسنا هنا لنناقش جريمة القتل. لقد جئنا فقط

لإعلامك بأن جيرانك قد بدؤوا في إجراء تطبيق الأمر التقييدي.

- حسناً، حسناً! كم سيستغرق هذا الأمر؟ أقصد إصدار الأمر.

- عادة ما يستغرق القاضي أربع وعشرين ساعة لاستعراض الأوراق،

لكنها غالباً ما تُعتمد قبل نهاية تلك المدة. قد يصدر الأمر في وقتٍ

مبكر اليوم.

- لا بأس. أشكركما على تحذيرنا.

- أما فيما يتعلق بما حدث هذا الصباح، فإن عائلة دولامور لم تُقدم كل الأوراق اللازمة رسمياً، لذا نأمل أن تظل تلك المحادثة.....
- اللعنة عليهما! دعهم يقدمون أوراقهم. لم أعد أعبأ بذلك.
- ربت للويد بيديه على ظهر هين ثم نهضت.
- شكراً لكما أيها الضابطان على أدائكما لمهامكما.
- بعدهما غادرا قال اللويد:
- يا إلهي! ما هذا يا هين؟
- ماذا؟ لقد كنت أعني ما أقوله تماماً. يمكنهم أن يحصلوا على جميع الأوامر التقييدية التي يشاؤونها، ولن يغير ذلك ما رأيته أبداً.
- دعينا نتناول بعضاً من القهوة ونسترسل في المزيد من الحديث عن هذا الأمر.
- لا أريد أن أتحدث عن هذا الأمر مجدداً. أعلم جيداً أنك لا تصدقني، ولا أدري كيف أجعلك تغير رأيك في هذا، كيف أجعلك تصدقني؟
- أنا أصدقك، ولكنني أعتقد أنه ربما قد أخطأت في الحكم. هل تُقرين أن ذلك احتمال وارد؟
- كلا، لا أقر أبداً أن هذا احتمال وارد. سأقر أن كل شيء رأيته حتى ليلة السبت تلك كان رأيي الشخصي. ربما لم تنتم كأس المباراة إلى دستين ميلر. وربما كان لدى ماثيو دولامور سبب آخر حتى يتعقب الآخرين في كل مكان عند منتصف الليل. لكنني رأيته في مسرح الجريمة، بعينيَّ المجردتين.
- لقد كنتِ ثملة.
- لم أكن ثملة إلى الحد الذي يجعلني أتخيل أموراً.

- لم يكن هذا ما سمعته.

- وأين سمعتَ ذلك؟

- لقد تحدثتُ مع أحد المحققين، بالأمس وقبل أن نغادر إلى المنزل،  
أخبرني أنكِ كنتِ في ثمالة تامة.

- لم أكن كذلك. لقد كنتُ أشرب بالفعل، ولكن...

- لقد أجروا مقابلة مع ساقى الحانة، وقال إنكِ قد تناولتِ خمسة  
مشروبات كحولية على الأقل، بما في ذلك مارتيني.

- لا أعلم إذا كنتُ قد تجرعتُ خمسة مشروبات بالضبط.

- أنتِ تعلمين أن الأمور تتضاعف مع العقاقير التي تتناولينها كما  
لو أنكِ قد تجرعتِ عشر كؤوس. هل تناولتِ عشاءك حتى في تلك  
الليلة.

- لا أدري. انظر، توقف عن الصراخ في وجهي. نعم لقد كنت ثملة،  
ولكنني أعلم جيدًا ما رأيته. هل أخبرتهم عن عقاقيري؟

- مَنْ؟ الشرطة؟ لقد سألوني إذا كنتِ تشربين الكحول كثيرًا،  
فأخبرتهم بأنكِ لا تفعلين. لقد قلتُ إنه بسبب العقاقير التي  
تتناولينها، كنتِ حريصة للغاية ألا تحتسي أكثر من كأسين.

- رائع!

- إنني إلى جانبك، وقلقُ بشأنك.

- ألا يجب أن تذهب إلى العمل؟

- إنه عيد كولمبوس.

- نعم، صحيح.



- إن لدي بالفعل عملاً لأنجره، ولكن يمكنني أن أنتهي منه في المنزل. لا أريد أن تكوني بمفردك.

وجدت هين نفسها تجز على أسنانها ثم توقفت.

- كنتُ أنوي الذهاب إلى المرسم اليوم، لا يمكنني أن أكون في المنزل طوال اليوم. لا يمكنني و... وهذا الشخص في الجوار.

- حسناً! من الأفضل أن تذهبي إلى المرسم. يبدو هذا منطقيًا.

احتست هين بعض القهوة وحاولت تناول بعضًا من الخبز المحمص، لكن الطعام في فمها جعلها تشعر كما لو أنها تريد التقيؤ. أبدلت ملابسها ثانيةً وأخبرت للويد، الذي كان جالسًا أمام حاسوبه الآن في غرفة المعيشة، بأنها زاهبة إلى المرسم.

سأل للويد:

- هل يمكنك أن تُسدي إليّ معروفًا؟

أجابت:

- أجل.

- عديني أنك ستذهبين إلى المرسم فقط. عديني أنك لن تفعلي أي شيء أحمق.

- أعدك.

قالت هين ذلك ثم توجهت إلى الباب الأمامي حابسةً نظراتها عن منزل عائلة دولامور بينما كانت تستقل سيارتها.

# 21

اتخذ ماثيو وميرا قرارهما بمتابعة الأمر القضائي على الرُغم من أنهما قد أُخبرا من قبل الشرطة بالزيارة التي أجروها إلى هينريتا مازور وحديثهم معها. كان القاضي قد منحهم الأمر في الثالثة بعد الظهر، وقد أُخبرا أن مُحضر المحكمة سيُسلم الأمر القضائي مباشرة إلى هينريتا إما هذا المساء أو، على أقصى تقدير، في الصباح التالي.

- لن أستطع منعها من الاستمرار في القول بأنها قد شاهدتك في موقع الجريمة.

أخبرت المحقق شاهين ماثيو بذلك عبر الهاتف.

- أعلم ذلك. إن الأمر فقط هو أنني لا أريدها أن تتعقبني، ولا أريدها في منزلي، ولا أريدها أن تتحدث مع زوجتي. وقد هاجمت أحدهم في آخر مرة قد حدث فيها ذلك.

- أعلم، وسنفعل كل ما في وسعنا لكيلا يتكرر الأمر ثانيةً.

ذهبت ميرا إلى غرفة النوم وهي تعاني الصداع النصفي، محصنةً نفسها ضد ضوء الشمس، اتجهت نحو النافذة لإسدال الستائر. لم تكن نوبات الصداع التي تجتاحها متكررة، لكن عندما تغزو رأسها فإنها تفتك بها ليومٍ كامل، ودائمًا ما اعتقد ماثيو أنها تحدث بسبب القلق لكن ميرا تنكر ذلك. أما ماثيو فلم تكن معدته على ما يرام، لذا فضل تناول

رقائق الذرة على العشاء. وأدرك أنه منذ ليلة السبت لم يختلِ بنفسه لبرهة فيُعيد حقًا استرجاع ما شعر به عندما أسقط تلك القطعة من المعدن على جمجمة سكوت دويل، أن يشعر بذلك الاشتجاج في رأسه يعني أن حياته أصبحت قاب قوسين أو أدنى من فراق جسده. إلا أن هينريتا قد أفسدت عليه تلك اللحظة الفريدة عندما ظهرت مثل الشبح في ساحة انتظار السيارات وتقابلت أعينهما. حاول أن يفصل الحديثين عن بعضهما وأن يُقر بإمكانية أن يفعل شيئًا ساميًا ومتهورًا في الوقت ذاته. وعلى الرغم من ذلك، استطاع أن يفلت منها بطريقة ما. لقد كانت تلك هي أفكاره عما يمكن أن يحدث. لم تكن هينريتا مازور شاهد عدل يمكن الاستناد إليه. ربما أسوأ من ذلك. كانت شاهد باطل. إنها امرأة مريضة عقليًا لا يمكنها أن تفصل الخيال عن الحقيقة، وبطريقة ما سار الأمر على أفضل مما يُرام.

عندما حل المساء -بات ماثيو محمومًا يقرأ كل شيء قد نُشر عبر الإنترنت بشأن مقتل سكوت دويل- وجد نفسه يفكر في هينريتا أعمق من تفكيره في القتل ذاته. وظل يستعيد تلك اللحظة الحابسة للأنفاس التي تلاقت فيها أعينهما، فبدت كما لو أنها تيار كهربائي مباشر يسير بينهما، عندما كان سكوت راقداً بجانب قدمي ماثيو. أعادت له تلك الذكرى أحداثًا أخرى... أعادت له ذكرى والدته بالفعل مع أنه لم يكن متأكدًا من رغبته أن يتعمق تفكيره في ذلك بالأخص. لكنه أطلق العنان لذكرياته، تلك المرة فقط. تلك النظرة -تلك النظرة الخاوية العارفة بكل شيء- كان الشيء الذي تمرست فيه ناتاليا دولامور في نهاية حياتها. استطاع أن يجسدها أمام ناظريه الآن، تلك النظرة على وجهها عندما كانت تنظف أطباق العشاء وتلتقط فضلات طعامها من على الأرض... في إحدى تلك الليالي عندما أجبرها والده على الأكل بينما كانت رابضة على يديها ورجليها على مُشمع أرضية في المطبخ، وقد فُتت طعامها

كله في طبق الكلب. لقد فعلت ذلك بالطبع لأنها تعرف العواقب إذا لم تفعل، لكن وجهها استتر خلف قناعٍ خاوٍ مستعصٍ على المذلة. لم تكن النظرة على وجهها سوى نظرة الشاهد الذي يراقب ما يحدث له. ليس وكأنها تعيش الحدث، بل تراقبه من بعيدٍ فقط.

كانت تلك هي النظرة التي بدت على وجه هينريتا أمامي. كانت ترتدي قناع الشاهد أيضًا، ولم يستطع ماثيو في تلك اللحظة إلا أن يشعر بأنها قد رأت كل شيء. ليس فقط ما يحدث أمامها، لكنها رأت كل شيء كان عليه ماثيو منذ أن كان يافعًا بالقدر الذي يجعله يحتفظ بذاكرته. لقد رأت وحشية أبيه وهشاشة أمه وحُسنها. لقد رأت شقيقه أيضًا متحولًا إلى وحشٍ هو الآخر. لقد تابعت ذلك الباب الذي انفتح في صدر ماثيو عندما شاهد أحدهم يموت أمامه لأول مرة، لقد رأت أنه يحبو إلى عالم الدم الذي لم يتخيل ولوجه من قبل قط. لقد رأت دجاي سارافان فاقداً وعيه في المقعد الأمامي من سيارته التي تعبأت بالعدم. وبالطبع فقد رأت دستين ميلر مقيدًا إلى كرسيه ملقيًا مصرعه ويأخذ ماثيو كأس المباراة من أعلى مكتبه. حتى إنها قد رأت في عينه رغبته القاتلة في امتلاك الكأس، شوقه في أن يدعي امتلاكها. وعاصرت الهوس الأحمق الذي أجبره على عرض الكأس في غرفة مكتبه.

لقد أخبرت الشرطة بكل ذلك أيضًا. الكأس التي رأتها عندما أتت إلى منزلي من أجل العشاء. وعلى الرغم من ذلك كان يشعر بالأمان. لكن الكأس اختفت، وإذا سأله أحدهم عنها، سيضطر إلى إخباره فقط ما أخبر به ميرا من قبل هذا الصباح، سيُخبرهم بأنه قد تخلص منها، وأنه قد حصل عليها من معرض بيع السلع وكانت غرفة مكتبه فوضوية حتى إنه اضطر إلى كبها في القمامة. ستبدو إجابته مريبة ولكن ما الذي يمكنهم فعله؟ إن الكأس مدفونة بعيدًا في مؤخرة خزانة الإمدادات في سوسكس هول خالية من بصمات الأصابع، مقحمة خلف الكراسي الإضافية وأدوات

المائدة القديمة. وإذا قررت الشرطة البحث عن الكأس، هل سيبحثون في مكان كهذا في الأصل؟ يمكنهم أن يفتشوا منزله وربما سيبحثون في غرفته الدراسية ولكن ليس هناك في تلك البقعة، أليس كذلك؟

تقلصت معدته إذ راودته تلك الفكرة. ربما سيبحثون عنها هناك، وربما سيجدونها. ثم فكر في الذهاب إلى المدرسة على الفور في تلك اللحظة واستعادة الصندوق، ثم يحفظه في مكان ما حيث لا يعثر عليه أحد. إلا أن هذه الفكرة قد جعلت تقلصات معدته تتفاقم. ليس الآن، هذا من نفسه. هذا أمرٌ محفوفٌ بالمخاطر.

عاد إلى حاسوبه يعيد تحميل نتائج بحثه، ليرى ما إذا كان هناك أي شيء جديد بشأن سكوت دويل. كانت إحدى القصص تشير إلى سكوت على أنه موسيقار صاعد «نجم روك المستقبل». «حسنًا، على الأقل أنا من منحه ذلك، فكر ماثيو في نفسه. لقد انتقل سكوت من كونه واجهة متدنية لفرقة أغلفة غنائية، إلى نجم روك المستقبل في عطلة أسبوعية واحدة. لكن لم تشر أي من القصص إلى ميشيل براين. فكر في أن الأمر غريبٌ بعض الشيء لكنه تذكر أنهما لم يكونا يسكنان معًا، لقد كانت صديقته الحميمة فقط، والله يعلم كم واحدة منهن كان يواعدها. وتساءل إذا ما كانت تعرف ما حدث، ووضع في حسابه احتمالية أنها لم تعرف بعد. لقد كانت في زيارة إلى والدها المحتضر. هل تعرف الشرطة أنها موجودة في الأصل؟ بالطبع، لقد حاولت الاتصال به في يوم الأحد لتسأله كيف سار عرضه. كم من قلقٍ ساورها عندما لم تسمع أي شيء عن أخباره؟ بالطبع ستعود الآن لتمنح نفسها وقتًا كافيًا حتى تستعد لعمل الأسبوع القادم. ربما عليه أن يتصل بها، أن يخبرها أنه سمع عما حدث. لكن لا داعي لذكر أنه مشتبه به قدر ما أمكن. على الأقل لم تُحررَّ ضده التهم ولم يُذكر اسمه في التقارير.

دق هاتفها الخليوي.

قالت مجيبة:

- كنت سأتصلُ بك.

يمكنه أن يشعر من صوتها أنها قد علمت بما حدث.

- أنا آسفٌ من أجلك. لقد سمعت للتو بالخبر. أخبريني ماذا حدث.

التقطت نفسًا متحشرجًا. بيد أنها كانت تبكي لوقتٍ طويل.

- حاولت الاتصال به يوم الأحد لأعرف كيف سار العرض لكنه لم

يُجب قط. كان أمرًا غريبًا لأنني حينئذٍ علمتُ أن هناك شيئًا مريبًا

قد وقع. لقد شعرتُ بذلك. ثم هاتفتني جيرمي وأخبرني بكل شيء.

لقد كنت في طريق عودتي من منزل والدي.....

- مَنْ جيرمي؟

- أعذر؛ إن حديثي ليس منطقيًا. جيرمي هو واحد من أعضاء فرقة

سكوت، إنه الطبال. هاتفتني وأخبرني أن سكوت قد مات، وكدتُ

أخبره «أعلم»، شعرتُ أن الأمر حتمي. لا أعلم... ربما فقدتُ عقلي.

- لا لم تفقدني عقلك، ربما كانت الصدمة هي من فعلت هذا.

- الأمر هو أننا انفصلنا مباشرة قبل أن أغانر يوم الجمعة. فكرتُ أنك

لتكون فخورًا بي. لقد سألته مرة أخرى إن كان يريد أن يرافقتني

إلى زيارة والدي - كانت حالته تزداد سوءًا - فاعتذر بسبب حفلته

ومدى أهميتها في مرحلته القادمة. لذا اقترحت عليه أن يرافقتني

ليلة الجمعة لزيارة قصيرة، ثم يمكنه أن يأخذ سيارتي للعودة بعد

ظهر السبت. وأخبرته أنني سأستقل القطار. في الحقيقة لقد قال

إنه في حاجة إلى أن يكون صافي الذهن من أجل أدائه. فأخبرته

أن يغرب عن وجهي... حسنًا! ليس هذا بالضبط، لكنني أخبرته

أنه يجب علينا الانفصال ثم تشاجرنا... قليلًا على أي حال، ولكننا

فعلناها بعد ذلك. لقد انفصلنا.

فكر ماثيو أنها قد بدت فخورة بذلك لوهلة، تبدو كما لو أنها قد نسيت أن سكوت ميت الآن، ولكنها أطلقت زفيرًا مفاجئًا كما لو أن أئينها صار مسمومًا وعاودت البكاء مرة أخرى.

- ربما...

استأنفت حديثها ثم توقفت.

- هل تعلمين ماذا حدث؟ هل تعتقدين أنها سرقة؟

أخذت أنفاسًا عميقة ثم قالت:

- حدث ذلك بعد العرض. وُجد إطار سيارته مثقوبًا وبينما كان يُصلحه أتى شخصٌ ما وضربه على رأسه. ثم ذهبتُ إلى مركز الشرطة، لقد أرادوا أن يعرفوا إن كان له أي أعداء، وما إذا كان مخلصًا لي في أثناء علاقتنا، وأرادوا أيضًا أن يعرفوا سبب انفصالنا. كانت تتحدث وقد عاد صوتها طبيعيًا مرة أخرى.

سأل ماثيو:

- أخبرتهم أنكما تشاجرتما ثم انفصلتما يوم الجمعة؟

- أجل، لقد أخبرتهم بكل شيء. لا يبدو الأمر وكأنني موضع شك، فقد كنت في بيتسفيلد طوال عطلة الأسبوع.

- إذا، وكيف تشعرين الآن؟

- لا أعرف حقًا. انكر أي شعور قد يخطر ببالك وستجده يختلج بصدري. لقد كنت سعيدة حقًا في تلك العطلة، كنت سعيدة لأنني أخيرًا قد خلّصت نفسي من سكوت. أقصد أنني لم أكن سعيدة بالضبط لأن حالة والدي كانت أسوأ مما أخبرتني به أمي، لكنني شعرت بالارتياح. والآن لا أدري بالضبط ما أشعر به. هل من المفترض أن أحزن عليه؟ إن الأمر يُربكني للغاية.

- عليك أن تأخذي إجازة هذا الأسبوع.

- كلا، كلا. هذا آخر شيء أريد فعله الآن. فإذا اضطرتت إلى قضاء المزيد من الوقت بمفردي هنا في شقتي، أظن أنني سأجن. مهلاً، لا أدري إذا كان من المفترض أن أطلب شيئاً كهذا أم لا، ولكن لا أهتم حقاً بذلك الآن. هل أنت متفرغ الآن؟ هل يمكنك أن تأتي لزيارتي، أم أن ما أطلبه شيءٌ غريبٌ؟

تفكر ماثيو على عجلٍ في الخيارات التي أمامه. فإذا كان سيُخبر ميشيل أنه قد اتُّهم بالقتل من جارته الخرقاء، سيكون الآن هو الوقت المناسب. ولكنها لم تسمع بالأمر بعد، وربما لن تسمع به أبداً. ومن الواضح أن الشرطة لم تهتم قط بأن تعرض عليها صورة لي. لقد كانت إشارة جيدة أنهم لم يأخذوا شهادة هينريتا مازور على محمل الجد. ولذلك فقد قرر ألا يخبرها عن الأمر، وإذا اكتشفته بعد حين، فسيخبرها بأنه لم يُرد قط أن يُزيد من غضبها.

قال ماثيو:

- في الحقيقة، إن ميرا مريضة الآن.  
- يا إلهي! حسناً. أنا آسفة من أجلك.  
- ليس أمراً خطيراً، لكنها مصابة بالصداع النصفي الذي يطرق رأسها الآن.

- كلا، كلا، إنني أتفهم جيداً، انس الأمر.  
- إذا انتهى بك الأمر إلى الذهاب إلى المدرسة غداً، دعينا نجتمع بعد إنهاء صفوفنا الدراسية. يمكننا أن نحتسي بعض القهوة ونتحدث.

قالت:

- بالطبع.  
- وأرجو أن تعاودي الاتصال بي لاحقاً إذا احتجتِ إلى شخصٍ للتحدث معه. حسناً؟ لا تترددي في ذلك.



بعدما أنها المكالمة، كان يعلم جيداً أنها لن تعاود الاتصال مُجدداً. ظل جالساً في مقعده لوهلة بينما يمدّه عقله بصورٍ لما يمكن أن يحدث إذا ذهب إلى منزل ميشيل. كانت تعيش في إحدى العمارات السكنية التي تحمل اسمًا مثل كورتلي إيستاتس أو شيء كهذا. كيف سيكون شعوري عندما أحاول تهدئة امرأة قد تعرض صديقها (صديقها السابق) للمطاردة والقتل؟ وكيف سيكون شعوره عندما يخبرها بأن عليه الرحيل، فتجذبه إلى عناقها وتحتضن شفثيه بين شفثيها؟ سبح عميقاً في خياله حتى سمح لنفسه أن يتخيلها تستلقي على فراشها معه. أصابت جسده قشعريرة طفيفة من جراء الصورة التي اجتاحت عقله وفكر في ميرا التي ترقد في شرنقتها المظلمة. لم يحدث قط أن خانها مع امرأة أخرى ولن يفعل ذلك أبداً. كانت الخيانة هي سمات والده، وأراد هو أن يتبرأ منها.

مثلما كان التفكير في زيارة ميشيل باعثاً للإغراء، وتحررها إلى الأبد من التجسد المادي لسكوت دويل، انتبه ماثيو إلى نفسه أنه ما زال يفكر في هينريتا مازور. كيف سيكون شعوره عند زيارتها؟ ماذا ستقول له إذا طرق بابها؟ لن تكون هي من يُجيب النداء، ربما سيكون زوجها للويد الذي سيلكم وجهه. وعلى الرغم من ذلك، لم يستطع التوقف عن التفكير فيها وعن رغبته في معرفة ما الذي تفكر به. كان يعلم جواب ذلك جيداً: كانت تفكر به أيضاً، وبلا توقف، وفي وقتٍ ما خلال الأربعة والعشرين ساعة القادمة ستُخطَر بالأمر التقييدي الذي يمنعها من التعامل معه أو مع ميرا. هل ستغادر الضاحية؟ ساوره الشك في ذلك. واجتاحه الشك أيضاً في أنها ستتوقف عن التدخل في شؤونه. ومن ثمّ ملأته نشوة منحرفة لم يتمكن من إدراك سببها تماماً.

# 22

في صباح الثلاثاء، بعد استلام الأمر التقييدي من مُحضر المحكمة قوي البنية الذي بدا غير مبالٍ بما يفعله، اتصلت هين بزوجها للويد لتخبره بما حدث.

قال للويد:

- اللعنة، هذا حدث بالفعل!

- أجل.

- كيف تشعرين؟

قالت هين:

- لا أعرف. أشعر كما لو أن ما قصصته قد ثبت، بعض الشيء.

- لكنك لن تفعلي أي شيء آخر، صحيح؟

- ماذا تقصد؟ أتقصد أنني سأذهب لاقتحام منزلهم؟

- أجل.

- كلا، لقد اكتفيت. لقد قلت كل ما عندي من قبل. وسأذهب لفحص

مستويات دمي لأرى إن كانت العقاقير التي أتناولها تُجدي نفعًا

أم لا، وسأكتفي من هذا الأمر وأبتعد عنه تمامًا. إنني بخير يا

للويد. لا تقلق، أنا لستُ مجنونة.

- أنا أصدقك.

لقد استنفدت هين كل قدراتها على الإقناع حتى يعود للويد إلى عمله في ذاك الثلاثاء. لقد أقسمت له أنها تشعر بتحسن وأنها ستهاثفه أيضًا كل ساعتين حتى يطمئن عليها.

- سأخبرك ذلك مرة أخرى. إذا لم يحدث أي جديد في تلك القضية... إذا لم يُلَقَ القبض على ماثيو، عندئذ ربما يجب علينا التفكير في الانتقال من الضاحية. إنه قاتل.

- حسنًا.

أجابها بذلك للويد، ثم أمكنها الشعور بكم صوت الهاتف عندما وضع للويد إحدى يديه عليه وتحدث قليلًا إلى شخص ما في مكتبه.

- أجل، أنا موافق. لا بأس.

- سأعاود الاتصال بك بعد قليل.

سارت حتى النافذة الكبيرة وتطلعت بعينها إلى الخارج في شارع سيكمور. كانت قد أغلقت ستائر جميع النوافذ التي تواجه منزل جيرانها. منذ أن تأكدت بنفسها بحقيقة أن ماثيو هو القاتل، ومنذ أن تأكدت أيضًا من أنه يعلم أنها تعرف حقيقته، تساءلت كثيرًا لماذا لم تعد تشعر بالخوف. ألن يسعى لإيذائها في وقت ما؟ لكنها لا تعتقد أن ذلك قد يحدث. كان أحد الأسباب التي خطرت ببالها هو أنه إذا تعرضت لأي أذى، سيكون جليًا أن ماثيو قد وقع في موضع الاشتباه على الفور، ذاك الرجل الذي اتهمته بالقتل. لكن لم يقتصر الأمر على ذاك السبب. كان هناك سبب آخر قد خطر على بالها، وهو أنها لا تعتقد أنها نوعه المفضل. إنه يُفضل قتل الرجال. ربما لا تعرف السبب الآن، لكن هذا بالتأكيد ما يفعله.

مرت إحدى الأمهات التي تقطن في الحي مرتديةً بنطال اليوجا وتحمل أثقالاً في كلتا يديها. التفتت وألقت نظرة تجاه المنزل، فجعلت هين تتخذ خطوة للخلف لتختفي في ظلام الغرفة. هل تعرف تلك المرأة أي شيء؟ لا تعتقد هين ذلك؛ لم يُذكر اسم ماثيو أو اسمها في أي من التقارير التي صدرت عن جريمة القتل التي حدثت في نيو إسيكس. ومع ذلك، ما زالت تساورها التساؤلات.

كان نهارًا مشرقًا في الخارج بسماؤه المغلفة بالأزرق الداكن، وشجرة القيقب التي تنمو في الجهة المقابلة لمنزلها قد صارت الآن مكتملة الحُمره ولم يسقط سوى بعض من وريقاتها. كانت هين تهيم بالطقس في جميع أحواله، لكن هناك شيئًا ما حيال شهور التغيير الكبير - أكتوبر وأبريل - يجعل قلبها ينقبض بالحزن، حزينًا لا يمكنها أن تصيغه بالكلمات. جال والداها بخاطرها، وأنعشت ذاكرتها بالعودة إلى ريف نيويورك والرحلة النهرية التي استمرت ثلاثة أسابيع في نهر الراين. كان والداها سيهيم بحديقة المنزل والأوراق المتساقطة، وستُخطط والدتها للرحلة القادمة إلى أوروبا. قررت هين مهاتفهم لاحقًا بعدما تأخذ جولة إلى المرسم. تقرر أن يكون الاستوديو المفتوح في عطلة نهاية الأسبوع هذه، وأمامها الكثير من العمل لتُنجزه.

ظل الطقس مثاليًا طوال الأسبوع، سماء صافية من السحب وطبيعة خضراء نضرة، اعتادت هين الالتزام بروتين قاسٍ، فكانت تسير كل يوم إلى المرسم بعد تناول الفطور، وتعمل طوال فترة الصباح على اللوحات المتبقية من كتاب *المحاربون الأسطوريون*، ثم تتناول غداءها في المقهى الصغير بجانب النهر الذي يقع في نهاية الشارع من مبنى المرسم. وعندما تعود، تقضي طوال فترة ما بعد الظهر في الاستعداد إلى عطلة نهاية الأسبوع. اعتنت بنظافة المرسم واختارت خمس

عشرة لوحة - بما فيها تلك اللوحة الأخيرة التي ترض فيها القطة على الفراش وتسكن الفتاة على حافة النافذة - حتى تعرضها على الحائط. وقد استقلت سيارتها إلى الماركت حتى تشتري واحدة من تلك السلال البلاستيكية الكبيرة من أصابع البسكويت المملح المحشو بزبدة الفول السوداني. كانت وجبتها السريعة المفضلة، ولم تكن تسمح لنفسها قط في أي وقتٍ مضى أن تشتريهم إلا في عطلات الاستوديو المفتوح، فتقدم الإناء للزوار، إلا أنها في الحقيقة كانت مكافأة صغيرة لنفسها أمام مأساة استقبال الغرباء الذين يتجولون في مكان عملها ويصدرون الأحكام عليها.

كان أسبوعًا جيدًا، في الحقيقة كان جيدًا بشكل غريب، على الرغم من كل تلك المرات التي انتبهت فيها إلى تفكيرها العميق في ماثيو دولامور وما رأته يفعله من قبل. وطوال مساءات ذلك الأسبوع، كانت وللويد يطهيان الطعام معًا. كان فريق ريد سوسكس قد تراجع في الجولة الأولى من التصفيات، مما أحال للويد إلى الاستياء الصامت لمدة أربع وعشرين ساعة، لكنهما الآن صارا متفرغين لمتابعة الموسم الأخير من مسلسل صراع العروش<sup>(1)</sup>.

ظلت جميع الستائر التي تواجه منزل عائلة دولامور مُسدلة تمامًا. لا شك أن للويد كان قد لاحظ ذلك، لكن لم يُرد إلقاء تلك الملاحظة أمام هين.

وفي صباح يوم السبت، سار كلٌّ من للويد وهين إلى المرسم في مبنى بلاك بريك ليرى ما فعلته هين بمساحة عملها. كان حدث الاستوديو

(1) Game of Thrones: مسلسل فنتازيا ملحمي من تأليف ديفيد بينيوف ودانيال وايز لصالح قناة اتش بي أو وهو اقتباس من رواية لعبة العروش التابعة لسلسلة روايات أغنية الجليد والنار لمؤلفها جورج آر. آر مارتن. (المترجم)

المفتوح يستمر من الظهر حتى الساعة الخامسة طوال يومي العطلة الأسبوعية، إلا أن المكان كان مفعماً بالنشاط كما لو أن الحدث كان مستمرًا طوال الأسبوع. احتسى للويد قهوته ثم اطلع على اللوحات التي اختارتها هين حتى تُعلقها على الحائط من أجل العرض. كانت هين تعلم أن معظم اللوحات مألوفة لزوجها - لوحة «اللكمات العظيمة» التي تظهرها دائمًا من أجل العرض - لكنه لم يرَ بعد أحدث لوحاتها، فقد حملق طويلًا فيها قبل أن يسأل:

- هل رأيتُ هذه من قبل؟

- لقد أنهيتها للتو.

- لقد أعجبتني، وأعجبتني غرابتها. عما تتحدث؟

كان هذا أحد الأسئلة التي تبغض هين أن تُلقى عليها، سؤال كان من المفترض أن يعلم للويد جيدًا أنها تمقته، لكنه أحيانًا لا ينفك يُلقيه. كان يحب لوحاتها الفنية، على الأقل كان هذا ما يقوله دائمًا، لكنه كان يشعر أيضًا بالحاجة إلى تفسيره كثيرًا.

قالت هين:

- إنها تتحدث عن ماثيو دولامور.

زرع للويد المكان زهابًا وإيابًا يعتريه القلق، فبرزت عيناها نحوه ثم قالت:

- إنني أمزح، لا أعرف بالضبط ما تعنيه. لقد قفزت الفكرة إلى رأسي فجأة.

ظل للويد بجانبها طوال الصباح يأكل من البسكويت المملح، حتى طلبت منه أن يتوقف.

سألها:

- ماذا وفرتِ من الشرابِ إلى جانب البسكويت؟

- نبيذ التفاح.

- رائع! ربما عليكِ تدفئته قليلاً، وإضافة بعض البهارات إليه. سيُغلف المكان برائحة جميلة.

رأت هين أنها فكرة جيدة. كانت تمتلك طبقاً للطهي في المرسم وأرسلت اللويد لجلب الوعاء وبعض من نكهات نبيذ التفاح. في الحقيقة، كانت سعيدة للتخلص منه بعض الوقت. كانت تعلم أنه سيغادر حالما يبدأ الناس في التجول داخل المرسم، لكنها أرادت قضاء بعض الوقت بمفردها. لقد أعدت نحو ثماني صفائح من النحاس يمكنها أن تبدأ في طباعتهم بعد الظهيرة، فقد وجدت أنه من الأفضل أن تظل منشغلة طوال الوقت، طريقةً فكرت فيها للتخلص من تفكيرها في الوقت الذي تمقت فيه هذا الوقوف لمتابعة الغرباء يلقون نظرة على لوحاتها الفنية. عاد اللويد قبل الظهيرة مباشرة. كان قد جلب معه وعاء الطهي الهولندي خاصتهم وخفنة من البهارات وجالوناً من بوربون مايكرز مارك<sup>(1)</sup>.

قالت هين ضاحكة:

- هل تعتقد أنني يجب أن أُغير نبيذ التفاح؟

- اعتقدتُ أنه من الأفضل أن يكون هناك المزيد من الشراب للضرورة.

وضع اللويد نبيذ التفاح على نار هادئة، فصار المرسم عبقاً برائحة التفاح والقرنفل. واحتسى اللويد وهين فنجاناً ممتلئاً من نبيذ التفاح المضاف إليه البوربون، ثم اقشعر جسدها بشعورٍ مفاجئ، شعور جارف بالكينونة وبأن الأمور ستنتهي على خير ما يُرام. وعندما وصل أوائل الزوار إلى المرسم -زوجان في منتصف العمر، كان الرجل عابساً

(1) Maker's Mark: عبارة عن ويسكي بوربون صغير يُنتج في لوريتو، كنتاكي. (المترجم)

لا يبالي، وتتخلل شعر المرأة خصلة أرجوانية، وتُزين معطفها بدبوسين مزخرفين مصنوعين باليد- غادر للويد.

كان يومًا حافلًا، فقد جلب الطقس الجيد أطنانًا من الزوار، ونفذ نبيذ التفاح عند حلول الثالثة بعد الظهر، لم يبق منه سوى سائل هلامي داكن في قاع الإناء. كانت هين قد خفضت من أسعار لوحاتها حتى انتهى بها الأمر ببيع نحو خمس عشرة لوحة منهم. كانت قد اعتادت إقامة فعاليات الاستوديو المفتوح، فقد كانت تُقيمها منذ أعوام في سومرفيل، لكن الزوار مختلفون قليلًا بين الضواحي. كان الزوار يلقون الكثير من الأسئلة وينفقون الكثير من المال. وبحلول الخامسة مساءً، كانت منهكة القوى حتى إنها هاتفت للويد ليمر عليها ويصطحبها. أخبرها بأنه قد قضى فترة ما بعد الظهر في تحضير طبق اللحم مع الفلفل الحار «التشيلي الحار» ومشاهدة مباراة كرة القدم الجامعية.

اختلف الطقس كثيرًا يوم الأحد، كان الصباح معتمًا ملبدًا بالغيوم والهواء الرطب. استقلت هين سيارتها خوفًا من أن تعلق في المطر إذا سارت على قدميها حتى المرسم. وبدأ معه يومها الشاق. عند الظهر، فتحت السماء أساريها وهطل وابل مستمر من الأمطار الغزيرة. لم تتمكن هين من رؤية المطر من نافذة المرسم في القبو، لكن القليل من الزوار الذين أتوا قد أخبروها عن المأساة التي تقع في الخارج، بينما كانت المياه تتقاطر من ملابسهم على أرضية المرسم.

ونظرًا لهطول الأمطار وأيضًا لمباراة باتريوتس التي انطلقت بعد الظهر، أتى أقل القليل من الزوار. إلا أن الطقس السيئ قد جعل فنانيين آخرين يرغبون في مغادرة الاستوديو الخاص بهم للمغامرة، وأجرت هين جولة سريعة في طابق القبو لتلقي نظرة على ديريك، أحد الفنانين القلائل الذين تتذكر أسماءهم.



قال عندما دلفت من الباب:

- مرحبًا، هين!

سألت:

- كيف حال فعالية الاستوديو المفتوح لديك؟

- اليوم هادئ قليلاً، لكن الأمس كان يوماً حافلاً وجنونياً.

ألقت نظرة على صورته الفوتوغرافية، كانت تبدو مثيرة للاهتمام قليلاً، جميعها في نمط الأبيض والأسود، كانت معظمها صوراً التقطت للمباني -مناطق وسط المدن والمراكز التجارية ومجموعة من البيوت التي تتميز بها الضواحي- لكن بعضها قد التُقط بشكل مائل فبدت السماء طاغية على المشهد. تساءلت في نفسها إن كان المنظور الذي اعتمده في أثناء تصوير تلك اللقطات يتعلق بقصر طوله، وكاد أن يخطر ببالها سؤاله عن ذلك الأمر، لكنها منعت نفسها. كان نوعاً من تلك الأسئلة التي تكره أن تُلقى عليها. ما العلاقة التي تربط بينك وبين هذا النوع من الفن؟ كانت تعرف أن لوحاتها الفنية نوع من الفن غير المألوف في ثقافة مهووسة بالفردية، لكن أحياناً ما يكون الفنان وفنه

كيانين مستقلين. **مكتبة**

إلا أنها بدلاً من ذلك أردفت سائلة:

- هل بعت الكثير؟

- واحدة فقط بالأمس.

وباندفاع مفاجئ أخبرته هين أنها تريد شراء صورتها الفوتوغرافية المفضلة من المجموعة، لقطة جميلة بنمطٍ فضي اللون لتلّ من فاكهة اليقطين فيما يبدو أنه احتفالٌ بالخريف، وطفل يجلس القرفصاء بجانب

اليقطين يرسم بعصاه على الأرض العارية. كانت السماء فوقه ملبدة بالغيوم.

# مكتبة

t.me/t\_pdf

قال ديريك:

- ليس عليك القيام بذلك.

- أعلم أنني لستُ مجبرة على ذلك، لكنني أحببت تلك اللقطة. ستمنحني الإلهام الذي أحتاجه من أجل الكتاب القادم الذي أرسمه. عادت راكضة إلى مرسمها لتجلب بطاقتها الائتمانية، ثم عادت لتشتري اللوحة قبل وضع الإطار حولها. لكنها بمجرد أن صارت بين يديها، أحببت تلك اللقطة بالفعل، وفكرت أنها يمكن أن تُعلقها فوق رف الكتب المنخفض في غرفة المعيشة.

عندما حلت الساعة الرابعة والنصف، بدأت هين في تنظيف المكان متأكدةً من أنه لن يأتي المزيد من الزوار. سكبت لنفسها بعضًا من البوربون في كأس الماء وقامت بتشغيل مقطعًا موسيقيًا من فيلم *الستار المطلي*<sup>(1)</sup> على مُشغل الموسيقى الخاص بها. وبينما كانت تغسل يديها في الحوض الصناعي الكبير، شعرت بأحدهم يدخل المرسم. التفتت وكانت يداها مبتلتين. كان ماثيو دولامور يبعد عنها مسافة خمسة أقدام، ويدها منزلقتان داخل جيوب بنطاله الجينز، وسترته مبللة بمياه الأمطار. سرت القشعريرة في جسد هين وتحركت عيناها باتجاه الباب، فأخذ ماثيو خطوة للخلف.

قال ماثيو:

- لم آتِ إلى هنا لإيذائك.

(1) The Painted Veil: فيلم دراما أمريكي من إخراج جون كوران سنة 2006، وبطولة كلٌّ من نعومي واتس وإدوارد نورتون وييف شرايبر. (المترجم)

- إذن لم أنت هنا؟

كانت هين مشدوهة بالطمأنينة التي غلفت كلماتها.

هز كتفيه قليلاً للاستهجان، ثم قال:

- أريد التحدث معك، وأردتُ أن أرى لوحاتك الفنية.

دار بعينه حول المكان وما زالت يداه مدسوستين في بناطله الجينز،

فأدركت هين توتره، لذا حثت نفسها بخطوة واحدة إلى الأمام.

- أفضل أن تغادر، فكما تعلم، لقد قدمت أمرًا تقييداً ضدي، ولا أود

أن أنتهكه.

- لقد كنتِ تتجسسين علي.

قالت هين:

- لأسباب معقولة.

- اسمعي...

قال ماثيو ذلك لكنه توقف عن الحديث فجأة.

قالت هين:

- أريد منك بالفعل أن تغادر... في الحال.

- ألا تريدان أن نتحدثي؟ هذا كل ما أتيت لأجله، لم آتِ إلى هنا

لإيذائك أو تهديدك.

أردفت هين:

- أو قتلي.

ندت شفتاه عن ابتسامة وفكرت هين أنه يشبه طفلاً صغيراً قد التقط

شيئاً قذراً من الحديقة. قال ماثيو:

- كلا، لن أقتلك أبداً.

- لكنك قتلت سكوت دويل. وقتلت أيضًا دستين ميلر.

ألقى ماثيو نظرة إلى الخلف من فوق كتفيه ليرى ما إذا كان هناك شخص ما بالجوار، ثم قال:

- أجل، لقد فعلت.

عاد الخوف يطرق قلب هين، لا بد وأنه قد بدا على صفحة وجهها، حتى إن ماثيو قد سحب يديه من جيوبه وعقدتهما رافعًا إياهما إلى الأعلى.

- من المستحيل أن أتعرض لكِ بالأذى مهما حدث. أعدكِ بذلك.

سألت هين:

- ماذا تريد مني؟

ندت عن شفتيه ابتسامة أخرى أكثر خجلًا، ثم قال:

- لا أعلم بعد، ولكن أعتقد أنني أود إخبارك الحقيقة.

## ريتشارد

يساورني شكُّ بأن أخي ليس على الطبيعة التي يُبديها. وليس الأمر وكأنني ألومه على ذلك، فأني شخص قد مررنا به في طفولتنا يحق له أن يفعل ما يحلو له.  
إننا نستحق ذلك، أنا وأخي.

لقد كنت أعاني بعضاً من الدوافع ذاتها، سأعترف بذلك، لكنني أفخر بأن أقول إنني لا أسلك سلوكي بناءً عليها. إن العالم مكان آمن في وجودي على الرُغم من أنني أحب اللهو قليلاً. بالطبع ليس اللهو نفسه الذي يساورني شكُّ بأن أبي قد اعتاده. لقد عاد إلى المنزل ذات مرة من إحدى رحلات عمله وتبعته إلى غرفة النوم بينما كان يُفرغ حقيبته. ظلت أمي بالطابق الأرضي، فقد كانت تطهو وجبته المفضلة، مشوي القدر، وأرادت أن تطمئن ألا يحترق الطعام. مكث أبي في سفرته أسبوعاً على الأقل (بدت المدة أطول بالنسبة لي، ولكن يبدو كل شيء وكأنه يستغرق وقتاً أطول عندما تكون طفلاً صغيراً) وتبعته بعيني بينما يُخرج الملابس من حقيبته، خصوصاً تلك القمصان التي تشبه الفساتين، ثم أخرج ملابس داخلية وجوارب. كان قد ألقاهم على الأرض حتى تلتقطهم أمي بعد ذلك، لكنه بعد ذلك أخرج زوجين من الملابس الداخلية النسائية الشريطية رملية اللون، تلك التي تكون رقيقة في بعض الأماكن. أمسك بها عاليًا حتى أراها وعلت صفحة وجهه ابتسامة كبيرة كافية حتى أرى

جميع حشواته، ثم وضعها برفق أعلى نقوش غطاء السرير، في الجزء السفلي منها تقريبًا. ثم أخرج حمالة الصدر ووضعها على بعد قدمين من السروال الداخلي، حتى تثبت أقماع حمالة الصدر السميقة المحدبة إلى الأعلى. لقد كنت كبيرًا إلى الحد الذي يكفي أن أتخيل ما الذي كان أسفل حمالة الصدر تلك، وأتذكر أن شهوتي قد ثارت حينئذ. كان أحد قوالب حمالة الصدر داكن اللون عن الآخر فأمعنت النظر فيه. وكانت دماءً داكنة، بنية اللون كما لو أنها دماء جافة، قد لطخت ما بداخل حمالة الصدر.

كان أبي يشاهدني، ثم رفع حاجبيه وخفضهما قائلًا:

- لم تُرد أن تخلعها، لكنني أقنعتها.

سألت على الرُغم من يقيني التام أنهما لا يعودان لأمي.

- هل هما لأمي؟

تصدعت الأرجاء بضحكة أبي عندما سمع ذلك حتى ألقى برأسه إلى

الخلف. أجبني:

- لن تستطع أمك أن تملأ حمالة الصدر هذه، ثق بي، لكنني أحضرتها

إليها كهدية مني، حتى تعرف أنني كنت أفكر فيها طوال سفري.

وبالطبع، فقد أحضرت لك أيضًا هدية أيها الرجل الصغير.

كان هذا السبب الحقيقي الذي تبعثُ أبي لأجله إلى غرفة النوم. لقد

كنتُ أمل أن أحصل على هدية (كان دائمًا ما يُحضر معه شيئًا، حتى لو

كانت تلك الزجاجات الصغيرة من غسل الشعر ومرطب الجسم). غاب

قليلاً للبحث في أحد جيوب حقيبته، ثم أخرج مجموعة من البطاقات

ورماها تجاهي. قال:

- إنها هدية من صديقي العزيز بيل، هذه بعض البطاقات الخاصة، لا تدع أمك تراها بحوزتك.

أخرجت البطاقات المهترئة من الصندوق الذي أتت به، كانت ترسم على خلفيتها صور لنساء عاريات تظهر كل أجزائهن.

- فقط احتفظ بها لنفسك، حسنًا؟ إذا عرضتهم على الأولاد الآخرين في المدرسة، سيقرر أحدهم أن يسرقها منك. فقط احتفظ بها في مكان خفي في غرفتك.

لا أتذكر ما حدث بقية الليلة، أو ما فعلته أُمي عندما وجدت الملابس الداخلية الملطخة بالدماء على جانبها من الفراش. كل ما أتذكره هو اعتقادي أنها خدعة، مثل ذلك الوقت الذي يتظاهر فيه أبي بخلع أحد أصابعه من يده، أو ذلك الوقت الذي كنا نخرج فيه للصيد ويتظاهر أبي أنه على وشك إلقائي من فوق الحافة. لكنني ما زلت أمتلك البطاقات، حتى إنها أصبحت مهترئة أكثر من ذي قبل. كانت ورقتي المفضلة هي الفتاة التي على ظهر ورقة اللعب ثمانية من أوراق البستوني، كانت تربض على أطرافها الأربع، وتنظر إلى الخلف من فوق كتفها. في البداية اعتقدت أن ما رأيته مجرد ظل، لكنه يبدو وكأن هناك ندبة داكنة بحجم كف اليد تقبع على ردفها الأيسر.

تكرر الحُلم ذاته مرة وراء أخرى. أزور منزلًا في مكان ناءٍ في أعماق الغابة، وأتجول في الطابق الأعلى إلى حيث ينبغي ألا أكون. كان هناك رواق طويل حالك السواد تصطف على جانبيه الأبواب التي تؤول إلى الكثير من غرف النوم، لكن معظمها غير مستخدم تنبعث منها رائحة العفن. وفي نهاية الرواق يقف شيء تكسوه الظلمة يراقبني وينتظر ليرى إلى أين سأذهب. ينتابني ذات الشعور دائمًا في كل مرة أراه فيها. أريد أن أعرف من هذا الشيء. ولكن في كل مرة أقترب منه، يلج إلى

داخل إحدى الغرف وأعجز عن إيجاده. دائماً ما يملكني الخوف مما قد أراه داخل تلك الغرف ولكنني أحتاج إلى فتح الأبواب. أريد أن أجد هذا الشيء.

منذ ثلاثة أيام، خرجت إلى وسط مدينة وينسلو في طقس رائع، كنت أعلم أنهم سيكونون جميعاً بالخارج، تلك الأفواج من طلاب جامعة وينسلو يرتدون فساتينهم القصيرة وزيهم الموحد الذي يرتدونه عند لعب الهوكي. كنت قد اشتريت طبقاً من سلطة شرائح اللحم التايلاندية من سوق وينسلو وانتزعت طاولة على جانب الطريق. وفي الوقت الذي كدتُ أنهي فيه طبقي - كان الطباخ قد أفرط في طهي شرائح اللحم حتى بدت كالمطاط - وقعت عيناى عليها. كانت تسير بمفردها، أعتقد أنها بدت أكبر سناً من أن تكون طالبة، لكنها ما زالت في ريعان العشرينيات. كانت ترتدي بنطال يوجا أسود وحذاءً بلون برتقاليّ زاهٍ وقميصاً كُتب عليه المرأة هي المستقبل. كانت آتيةً من المقهى على الجانب الآخر من الشارع - الذي يحمل اسم لاتبه دا - وتحت خطاها قاصدةً وسط المدينة. تركتُ طبق السلطة وبدأت في تتبعها إلى أعلى المنحدر، لكنني عدتُ أدراجي عندما رأيتها تفتح قفل سيارتها من الموديل بريوس التي تصطف على منحدر مائل في شارع ماين. كانت سيارتي تقف على بعد مائتي ياردة إلى الخلف، وعدتُ أدراجي أسير بأقصى سرعتي دون أن ألفت الانتباه بركضي. وعندما دخلت إلى شارع ماين، كانت قد رحلت، ولكن على قمة التل قد لمحت سيارة البريوس الخضراء تتجه يساراً نحو شارع ريفر. تتبعتها وتركت مسافة سيارتين بيننا. سارت بسيارتها مسافة ميل واحد فقط قبل أن تدخل بسيارتها إلى مجمع سكني جديد يطل على نهر والتهام، مبنى من أربعة طوابق، لكل شقة منها شرفتها الخاصة. صففت سيارتي في ساحة انتظار سيارات الزوار وتبعتها



بعينيَّ بينما كانت تعبر ساحة انتظار السيارات منكسة الرأس تتفحص هاتفها وتحمل حقيبة جلدية كبيرة ترتطم بعظمة فخذها الجانبية.

تصفحت هاتفني وذهبت إلى حسابي المزيف على موقع إنستجرام ونقرت على وسم #لاتيهدا، لم أكن أتوقع حقًا أن تظهر أي نتائج، لكنني لم أتفاجأ عندما كانت أحدث المنشورات، التي كانت صورًا مُقربة لرغوة فنجان القهوة بالحليب المُشكلة على صورة قلب، من قبل حساب باسم haleypetersen. أكدت لي صورها (التي كانت أغلبها صورًا أمامية) أنها تلك الشقراء التي سألتبعها إلى شقتها الآن. أطلقت على نفسها ألقابًا مثل ناشطة وكاتبة ومُدرّبة يوجا. وكانت الأوسمة التي ذكرتها على الصورة التي نشرتها منذ نصف دقيقة فقط تتضمن #شوب\_لوكال و#جيرل\_بوص و#يوجا\_لايف و#ذا\_فيوتشر\_إز\_فيميلو\_ذا\_هابي\_ناو<sup>(1)</sup>.

كانت مواقف السيارات في المجمع مُرقمة، لذا سرتُ إلى الموقف الذي اصطفت فيه سيارتها. الموقف 17.

وبتلك الطريقة استطعت امتلاكها. كنت أمتلك كل شيء يتعلق بها، اسمها وصورها الشخصية والمحل الذي تُقيم فيه وطرّاز السيارة التي تقطنها. ودون شك علمتُ أنني أستطيع قتلها في الساعات الأربعة والعشرين القادمة ولن يُكشف أمري قط. ستنقل من مرحلة الفتاة المفعمة بالحياة ذات الجمال الجلي الذي مكنها من أن تحصل على ألفي متابع على حسابها على إنستجرام، إلى فتاة مقتولة ذات جمال جليّ حتى تصير حديث الأخبار الوطنية.

(1) الأوسمة الأصلية باللغة الإنجليزية: #shoplocal, #girlboss, #yogalife, #thefutureisfemale, and #thehappynew (المترجم)

قُدْتُ سيارتي إلى المنزل أفكر في تلك التفاصيل التي سأحتاجها حتى أنفذ رغبتي. كانت الأفكار التي جالت بخاطري كافية حتى الآن، واعتراني شعورٌ جيد جعلني أفضل مما كنت عليه هذا الصباح. ولكنني شعرتُ أنها ضحية سهلة، سهلة للغاية وفكرت، كما أفعل أحياناً؛ أن أطور الخطة، وأن أنفذها بالفعل.

أينما يذهب أخي، يلحقه الموت. هل لاحظ أحدٌ آخر شيئاً كهذا؟ هذا الطالب الذي كان زميل دراسته في الجامعة، الذي كان يُدعى دچاي أو شيئاً كهذا، شخص أخرج يحمل فوق فمه شارباً أجعد داكن اللون، كان قد حضر بسيارة بي إم دابليو في عامه الدراسي الأول ثم قتل نفسه في العام التالي. كانت تلك هي المرة الأولى التي ساورني فيها الشك. وعندما سألت ماثيو عن الأمر، قال إن دچاي استحق الموت، لكن الأمر لا يتعلق به أبداً.

وقصة أخرى مشابهة.

في أيام الصيف الحارة، كانت تأخذنا أمي إلى مسبح على بعد مدينتين. كنا نُجذف حول المنطقة المُخصصة ذات القاع الصخري كثيف العشب، بينما كانت تجلس على كرسي الحديدية الذي أحضرته معها تقرأ المجلات وتُدخن السجائر المعبأة بطارد الرائحة، فكانت رائحة النعناع تفوح منها طافيةً على صفحة الماء.

في بعض الأحيان كان يأتي رجل كثيف شعر الصدر ويجلس بالقرب منها. لم يتحدث قط، ولكن عندما تذهب أمي إلى دورة المياه - يقول لنا: ابقيا في مكانكما، ستعود أمكما سريعاً - كان يتبعها إلى هناك.

في إحدى المرات سألتها ماثيو الذي كان جالساً في المقعد الخلفي من السيارة العائلية عندما كنا عائدين إلى المنزل:

- هل هذا الرجل صديقك؟

- أي رجل؟

- لقد رأيتكما معًا في الغابة.

التزمت الصمت لوقتٍ بدا طويلًا، وكنتُ أقضم من مثلجات الشوكولاتة خاصتي وخذرت أسناني من برودتها.

- إذا أخبرت والدك عنه سيقتلني. أتفهم ذلك؟

أجابها ماثيو أنه يفهم ذلك.

في الحُلم الآخر الذي يغزو مخيلتي في أثناء نومي، كنتُ أقود السيارة بمفردي في الليل، وأسير في طريق كالح وكانت المصابيح الأمامية تُضيء مسافة من الطريق على شكل قمعٍ من الضوء الأبيض. ويلوح أمامي رجلٌ يركض هربًا. كان هو نفس الرجل الذي رأيته في المنزل متعدد الغرف. لقد كنتُ متأكدًا من ذلك. ومهما كانت السرعة التي أسير بها على الطريق، يستمر في هربه مني، ودائمًا ما كان خارج نطاق الضوء الذي يصدر من مصابيح الأمامية.

لقد أخبرت أخي بأنني قد رأيت هينريتا مازور في شرفتها الأمامية. كان حديثي معه صادقًا، لكنها لم تكن المرة الوحيدة التي رأيته فيها. أحيانًا ما كنتُ آتي إلى منزل ماثيو عندما لا أكون مدعوًا، وأصف سيارتي على بعد عدة مبانٍ سكينه ثم أسير إلى حيث يقع منزله. أعلم أن ميرا -تلك الساقطة المغرورة- لا تود رؤيتي، لكنني أحيانًا ما أود رؤيتها أو رؤية أخي برفقتها، أحب أن أرى تلك الطريقة التي يساعدها بها عند تحضير العشاء وتمسيد قدميها في نهاية اليوم.

أعتقد أنه يتظاهر بذاك الاهتمام.

والآن يمكنني أن أرى هينريتا أيضًا.

لقد تتبعتها بعينيّ من خلال الأبواب الزجاجية المنزلة في الجانب الخلفي من منزلها. تقف هينريتا في مطبخها تتراقص مع أنغام الموسيقى التي لا أستطيع سماعها. لقد رأيتها ذات مرة ترتدي قميصًا قصيرًا مُزّررًا من قماش أوكسفورد وسروالًا داخليًا أسود.

كانت صغيرة البنية، يُزين رأسها شعر داكن يقصر قليلًا عن ذوقي المفضل، وتتحرك كما لو أنها راقصة. أتخيل أن جسدها مرن، حتى لكأنك إذا أمسكت بكاحليها، يمكنك أن تدفع ساقها حتى تصل إلى أي من جانبي رأسها. لقد تصفحت موقعها الإلكتروني ورأيت لوحاتها ونقوشها - تلك الأغراض المريضة غير المتزنة - ويمكنني أن أتخيل جيدًا ما يدور في رأسها. أحيانًا ما أتخيلها عارية كتلك المرأة التي كانت على أوراق اللعب، وأحيانًا ما أتخيلها حليقة تمامًا. هذا بالضبط ما تفعله الفتيات هذه الأيام، أليس كذلك؟

وقعت جريمة قتل في نيو إسكس خارج إحدى الحانات، وتحطمت رأس المغني الرئيسي في الفرقة. لم أبالِ بالأمر كثيرًا حتى رأيت اسم الفرقة. فرقة سي-بيمز.

ألم يخبرني ماثيو عن إحدى الفرق الموسيقية التي استمع إليها في إحدى الحانات بالقرب من منزله، قائلًا إنه يعرف صديقة المغني الرئيسي لتلك الفرقة، وأخبرني عن خيانتها لها التي لا تدري عنها شيئًا؟ دقت الأجراس في رأسي. لم أذهب إلى منزل ماثيو كثيرًا تلك الأيام على الرغم من أن ميرا دائمًا ما تكون في سفراتها (وأحيانًا ما أتساءل ما الذي تحصل عليه في كل رحلات عملها التي تُجريها)، وأحيانًا ما أفرط في الشراب حتى أنسى فيما كنا نتحدث. دائمًا ما كنت أعتقد أن ماثيو سيُلح عليّ حتى أبيت ليلتي عنده، وأنام على إحدى الأرائك بعدما أفرط

في الشراب، لكنه لم يفعل قط. وكل ما يفعله هو أن يدعني أذهب في طريقي وحدي.

الحب الأخوي.

تُعلن هيلي بيترسين عن صف لممارسة اليوجا على صفحتها على إنستجرام. وتعد دروس اليوجا في شقتها الخاصة صباح السبت، وكدت أفكر في الذهاب إلى هناك. كانت الفكرة التي تنبض في رأسي بالإثارة هي أن أتحدث إليها وجهاً لوجه بينما أعلم عنها الكثير بالفعل. كنت قد اطلعت على كل صورها التي نشرتها على إنستجرام وفحصتها جيداً (إنها تحب أن تستعرض جسدها بأي طريقة تستطيعها، وخصوصاً عندما تتخذ وضعيات اليوجا وهي ترتدي سراويل داخلية شريطية) وقرأت كل تغريداتها على تويتر (كانت تعاني الاكتئاب طوال الشتاء، وذهبت إلى لشبونة في الربيع) وتصفحتموقعها الإلكتروني (إنها تكتب شعراً سيئاً جعلني أعتقد أنها ربما كانت تتعرض للعنف).

أتخيل أنني أمكث في شقتها - يبدو كل شيء ناصع البياض إذا كانت صورها المنشورة تحكي الحقيقة - وأتخيل قدرتي على الانتشاء من رائحة قطرات العرق على جسدها. ماذا لو كنتُ الشخص الوحيد الذي حضر؟ فعلت الفكرة بي أكثر مما ينبغي فعله، ولذا تصفحت موقع كريجزليست وبحثت عن قسم النساء اللاتي يبحثن عن رجال في منطقة المدن التي تقع غرب بوسطن، وكدت أن أكتب بريداً إلكترونياً إلى إحداهن التي أطلقت على نفسها HuNgRy for BaD DaDDy وتتقطن في بيلاريسا. لقد رأيت منشوراتها من قبل (بالطبع لا يوجد صور لها)، لكنني لم أستطع حمل نفسي على مراسلتها. ولا أعلم إن كان يمكنني الوثوق بنفسني.

علم أبي بأمر أمي وذلك الرجل في حوض السباحة. علمت ذلك عندما أجبرها على ارتداء ثوب السباحة حول المنزل لأسابيع. وكانت ترتدي تلك الملابس عندما كانت تأكل وجباتها على أرضية المطبخ. ويقول ماثيو إنها اعتادت أن تأكل رابضة على قوائمها الأربع مثل الكلاب، ولكنني لا أتذكر الأمر بتلك الطريقة. لكن ماثيو لا يتذكر ذلك الوقت عندما عادت أمي إلى مقعدها القديم حول طاولة المطبخ، عندما كان أبي يجري مكالمة هاتفية خارج الغرفة. لم تلتقط أذناها خطواته عند عودته إلى المطبخ، ولما رآها ضرب وجهها بطبق العشاء الذي كان أمامها على الطاولة حتى تحطم. لقد رأيت كل ما حدث، ولم أعلم قط كيف لأبي أن يكون بتلك السرعة في أفعاله. بعد ذلك، ظلت أمي جالسة في محلها تميل رأسها إلى الأمام، وتسيل الدماء من أنفها على أرجاء سطح الطاولة المصنوع من البورسلين المنقوش بالزهور الصفراء. لا يتذكر ماثيو ذلك المشهد لأنه كان يخاف الدماء، ولكنني أتذكره جيدًا. لم تحاول أمي إيقاف الدماء السائلة، ولم تضمّد جروح وجهها بمنديلها، وأتذكر كيف كنت أفكر أنها قد أملت لو أن الدماء تستمر في سيلانها ولا تتوقف أبدًا.

ما زلت أطلع على المقالات التي كُتبت بشأن موت سكوت دويل. وفي المقال الأخير الذي قرأته ذُكر أنه كان يواعد إحدى المعلمات اللاتي يُدرسن في مدرسة سوسكس هول حيث يعمل ماثيو. والآن، إنني أتساءل بحق إذا ما كانت له أي علاقة بموت سكوت دويل. كان اسم المعلمة ميشيل براين، ولم تكن تمتلك صفحة فيسبوك أو إنستجرام أو تويتر، لكن هناك صورة لها على صفحتها بموقع لينكد إن. كانت نحيفة الوجه ذات شعر بني خفيف وشفاهٍ شاحبة، تخلو من أي لون مهما كان إلا من لون دماؤها، لكن لها رقبة رشيقة هيفاء، وسيبدو الأمر فقط كما لو أن

أخي كان منقذها من الذئب الجسيم المتوحش. تبدو كشخص يحتاج إلى الإنقاذ.

عندئذ قررتُ ألا أذهب إلى صف اليوجا وألا أقابل هيلي بيترسين، وألا أرسل البريد الإلكتروني إلى تلك الفتاة من بيلاريسا، وقررت أن أُكرس كل طاقتي ومصادري حتى أكتشف كل شيء عن ميشيل براين. كانت تبدو تحدياً كبيراً بالنسبة لي، فتاة كهذه لا تجعل كل شيء عنها متاحاً. إنها شخص لا يعتقد أن هناك من يراقبه.

يمكنني بسهولة أن أسأل أخي عنها، لكن لا أعتقد أنني سأفعل ذلك. سيجعله سؤالي شخصاً دفاعياً، تلك الطريقة التي يكون عليها دائماً. في الحقيقة، لم يُهاতفني أخي منذ مدة طويلة على الرغم من أنني أعلم بعودة ميرا إلى سفراتها مجدداً. ربما أمر بمنزله، فلا يمكنه الاختباء مني إلى الأبد.

**الجزء الثاني**

**من الحياة إلى الموت**





# 23

قال ماثيو:

- أعتقد أنني أريد أن أخبرك بالحقيقة.

وبدت دقات قلبه النابضة في صدره أعلى صوتًا مما كانت عليه عندما قتل سكوت دويل.

تغضن وجه هين ثم علت ضحكتها قبل أن تُجيبه ثانية:

- أرجو منك أن تغادر الآن.

قال ماثيو:

- حسنًا.

ثم تراجع خطوتين إلى الوراء حتى يكون واقفًا أمام الباب المفتوح لمرسمها في القبو. ثم أردف:

- ولكن إذا تغير رأيك، فإنني أود أن أتحدث معك في وقتٍ ما.

حدقت إليه بناظريها، فأدرك أن تراجعها للوراء كان خطوة صحيحة.

سألت هين:

- لِمَ قتلت سكوت دويل؟

هز كتفيه ببعض الاستهجان وأجابها:

- كان شخصًا حقيرًا يستحق ذلك. أنا أعرف صديقتك، إنها شخص جيد، أما هو فلا. «لم يقتصر الأمر على ما فعله فقط، وإنما كان منتشياً بنفسه. لقد قتلته لأنه كان شخصًا متعجرفًا معتدًا بنفسه له وجه مدبب حاد الملامح، وإذا تهيأت لي الفرصة سأفعلها مرة أخرى».

ندت عن هين ضحكة حقيقية مدوية:

- وما الذي يجعلك تعتقد أنني لن أذهب مباشرة لأخبر الشرطة بعد تلك المحادثة؟

- هيا اذهبي، سأنكر ما تقولينه.

- أنت تقف في مكان عام، وقد يأتي أي شخص ليرى أنك أتيت إلى هنا بنفسك.

- لن أنكر مجيئي إلى هنا. سأخبرهم أنني أتيت حتى أحظى بحديث منطقي معك، ولأسألك عن السبب الذي دفعك إلى مقاضاتي، ولأطلب منك احترام الأمر التقييدي. سأقول إن هذا كل ما تحدثنا بشأنه. أخبريني الآن من سيصدقون؟

راقب وجهها بينما تفكر في الأمر.

- ما زلت لا أفهم السبب الذي أتيت إلى هنا من أجله.

- إذا مررتِ بذات الظروف التي مررتُ بها... عندما تكون الاحتياجات التي تنتصر عليك هي نفس الاحتياجات التي تنتصر عليّ...

كانت دقات قلبه المتسارعة مرة أخرى تضطرب في أثناء حديثه، فبدأ كما لو أنه في موعد لم يسر على ما يرام.

- أنتِ تدركين أنني لا أستطيع التحدث إلى أي شخص، لا يمكنني حتى التحدث إلى طبيب نفسي...

- أنا لستُ طبيبِك النفسي اللعين.

- يا إلهي! كلا، لا أقصد ذلك. إنني أحاول فقط توضيح تلك الطبيعة الخاصة التي شكلت علاقتنا. يمكنني أن أخبركِ بأي شيء، ولا يمكنكِ أن تفعلي شيئاً حياً ما أخبركِ به. ويمكن أن يكون الأمر متبادلاً أيضاً. تذكرين تلك الفتاة التي اعتديت عليها عندما كنت في الجامعة؟ هل كانت تلاحقك حقاً؟

- دافني مايرز؟ كلا، لم تكن تلاحقني. لقد كان عقلي غير مستقر حينئذٍ وكنت أعاني الارتياح. اسمعني جيداً، أنا سعيدة للغاية أنك ترى تلك العلاقة الخاصة بيننا، لكننا لسنا كذلك في الحقيقة. أنا أعلم حقيقتك جيداً، وستعلم الشرطة أيضاً في أقرب وقت. والآن عليك أن تغادر قبل أن أطلب الشرطة.

لمح ماثيو إيماءتها نحو حقيبة قماشية يُحتمل أنها تحتفظ فيها بهاتفها الخلوي، فأجابها:

- حسناً. ولكن إذا تغير رأيك، أعتقد أن الأمر سيكون ذا جدوى بالنسبة لك. لن تكوني في خطر أبداً، فأنا لا أقتل النساء. ولن أتعرض إليك بالإيذاء أبداً. حتى لو كان التهديد الذي ألقاه هو من جانبكِ أنتِ.

التفت ماثيو مغادراً ثم سار مباشرة في الممر خافت الإضاءة بكلمته الأبيض، ثم صعد الدرجات المعدنية واتخذ طريقه إلى الخارج تحت سماء ما بعد الظهر الغائمة. كانت الأمطار قد توقفت، لكن ساحة انتظار السيارات الوعرة التي تقع إلى جانب المبنى كانت مغطاة ببرك المياه وتموجاتها، وكانت قطرات المطر ما زالت تتساقط من جنبات الشجر وتلحقها الأوراق من الثقل. ملأ ماثيو صدره بالهواء البارد الرطب، وغزاه ذاك الشعور كما لو أنه يتجرع الهواء الرطب ولا يستنشقه. كان

فمه جافاً ويضيق ظهره بالألم. استقل سيارته وخرج من ساحة انتظار السيارات ثم اتجه نحو وسط دارتفورد. كان قد أخبر ميرا بأنه سيذهب إلى المكتبة لإحضار كتاب كان قد حجزه سابقاً، وكان هذا صحيحاً. كان قد سألها آنفاً إن كانت ترغب في المجيء معه لجولة بالسيارة، لكنه شعر بالارتياح عندما أخبرته أنها تفضل المكوث في المنزل والاستعداد لرحلتها التالية إلى مدينة ويشيتا لأجل مؤتمر إقليمي سيستمر طوال الأسبوع.

وبينما كان يستعد للخروج، قالت:

- كما تعلم، إن فعالية الاستوديو المفتوح ستكون طوال عطلة هذا الأسبوع.

- هل ترغبين في الذهاب؟

- لا يمكننا الذهاب، أليس كذلك؟ لا يمكننا مع وجودها هناك.

كانت ميرا قد بدأت بالإشارة إلى هين بكلمة «هي» أو أحياناً «تلك المرأة».

- يمكننا الذهاب إلى الفعالية وتجنب الدخول إلى مرسمها.

- أعلم ذلك، لكنها قد تتجول في الأنحاء، أو قد يكون للويد بالجوار. لا يمكنني...

- أتفهم الأمر، ولا أريد الذهاب أيضاً.

عاد المطر ينهمر ثانيةً عندما توقف ماثيو إلى جانب المكتبة، وصف سيارته تحت شجرة كستناء الخيل في شارع مونريو. ترجل من سيارته ثم توقف للحظة يتطلع إلى الأرض حول شجرة الكستناء متساقطة الأوراق. ودهس بقدمه أحد أغلفة الكستناء الشوكية والتي كانت منفلقة

بالفعل إلى نصفين، فتحررت حبة الكستناء الصلبة الزاهية من غلافها. التقطها بيديه وحشرها في جيب بنطاله الجينز.

أما في المكتبة فقد استلم كتابه الذي كان قد حجزه من قبل، والذي ظهر على غلافه عنوان الغابة المسكونة<sup>(1)</sup>، يتحدث عن أعمال الجاسوسية التي نفذها الاتحاد السوفيتي في أثناء الحرب الأمريكية الباردة، ثم أخذ الكتاب واتجه به نحو أحد الكراسي الجلدية المحشوة في غرفة القراءة. أراد ماثيو أن يجلس لبعض الوقت ويتفكر في الحديث الذي دار بينه وبين هين، ويسترجع كل كلمة قيلت في حديثهما. وكان الأمر قد سار على نحو أفضل مما توقع أن يكون، لقد تخيل أن زيارته لها في المرسم ستُصيبها بنوبة هلع، تخرج على إثرها من الغرفة لتتجه مباشرة إلى الشرطة. كان القلق قد اعترأها بالفعل عندما رأته، لكنها لم تكن قلقة للغاية. وكان يعلم أنها تؤمن في أعماقها بالأمان في وجوده، وكان يأمل أن يسمح لها هذا الشعور بالأمان إلى معرفته من كذب. أما ذلك الشعور الذي غمره، فقد جعله منتشياً بطريقة لم يشعر بها منذ أعوام مضت.

كانت أمنيته الوحيدة ألا تُخبر هين زوجها عن مواجهتهما، على الرغم من أنه يعرف أنها ستفعل. ويمكنه الآن أن يتصور في عقله اقتحام اللويد لمنزله، ومطالبته بالابتعاد عن زوجته وتركها وشأنها. ولكن حسناً، إذا حدث ذلك، سيتخلى عن فكرة تطلعه إلى معرفة المزيد عن هين، ولكنه لن يُغير أي شيء يتعلق بما يحدث مع الشرطة. بالطبع لن يصدقها أحد، إذ كان لها ذلك الماضي المشين، وبخاصة في الوقت الحالي الذي علمتُ فيه كم كانت ثملة في ليلة القتل. كانت المحققة ويتني قد أخبرتني -«إنها لم تكن تشعر بأي ألم في تلك الليلة، لذا مَنْ يعرف ما الذي رأته

(1) الاسم الأصلي للكتاب هو The Haunted Wood، وترجمة الاسم اجتهاداً من المترجم، فلا يوجد نسخة مترجمة من الكتاب بعد. (المترجم)

بالفعل»- وقد أرست تلك الكلمات شعور الطمأنينة في صدر ماثيو، وأنه قد نجا بفعلته مرة أخرى، حتى ولو كان هناك شاهد عليه في مسرح الجريمة.

تنقل بين صفحات الكتاب الذي كان ساكنًا على ركبتيه، ثم تخيل للويد يقتحم منزله ويُلقِي بالتهديدات هنا وهناك، وأدرك حينئذ أنه من الأفضل أن يكون حاضرًا إذا حدث ذلك، فليس من العدل أن تتعرض ميرا لهذا بمفردها.

استقل سيارته إلى المنزل متفاديًا إشارة الوقوف، ثم دخل إلى المنزل ليجد ميرا مستلقية على الأريكة تشاهد حلقة من مسلسل العازبة.

قالت ميرا بشعور ندمٍ على مشاهدتها بمفردها:

- لقد أمسكت بي.

- استمري في المشاهدة، سأذهب للبدء في قراءة كتابي في غرفة المكتب.

- كيف هو الطقس بالخارج؟

- بارد وممطر، لا أنصحك بالخروج.

أجابت ميرا:

- لم أكن أنوي ذلك على أي حال.

دلف إلى مكتبه وأغلق الباب. كان قد فكر في إخبار ميرا مقدمًا بذهابه لرؤية هين، والسبب الوحيد حتى يفعل ذلك أن يكون تصرفه ضربة وقائية، في حالة إذا تقدمت هين بالفعل بشكوى إلى الشرطة أو أتى إليه للويد قارعًا باب منزله في عنف. لكنه قرر المخاطرة بكل شيء. ولسببٍ ما، لم يعتقد أن هين ستُخبر أحدًا بزيارته، بل فكر بالفعل أنها ربما تقبل عرضه لها. لقد فحص جميع لوحاتها الفنية ويعرف جيدًا

كيف تفكر. ويعلم جيدًا أنها تعاني الفضول المرضي، لذلك فقد كان عرضه لها مغريًا. لقد كان يعرض نفسه عليها.

وبدلاً من تصفح كتابه الجديد، بدأ ماثيو في الولوج إلى الإنترنت. وبحث مرة أخرى عن بعض من لوحات هين الفنية، ثم بحث عن زوج هين، للويد هاردنج، لأنه لم يكن قد أجرى ذلك البحث من قبل. لم يجد الكثير من الأخبار عنه، كان اسمه مُدرجًا ضمن قائمة موظفي الشركة التي يعمل بها، وكان هناك حسابه الشخصي على موقع لينكد إن. وعلى الرغم من ذلك فقد وجد مُدونة قديمة لم يُنشر بها أي تحديث منذ خمسة أعوام. كانت تُسمى *مذكرات اللويد* وقائمة من المراجعات القصيرة ذات سمات وثائقية كان يغلب عليها التحذلق في التعبير. وفي صفحة المعلومات الشخصية، أشار للويد إلى نفسه أنه صانع أفلام وثائقية طموح. ما كان من ماثيو إلا أن يتساءل عما حدث لهذا الحلم. لم يكن يحب اللويد، ولم يحبه قط منذ تلك الليلة التي تسبق العشاء. كان يبدو رقيقًا وكسولًا وبالكاك استطاع أن يُخفي ضجره من جلوسه على طاولة العشاء برفقة جيرانه. وتذكر ماثيو أيضًا أنه لم يُشر بأي مجاملة بسيطة إلى طهي ميرا. أما هين فقد أعربت لعدة مرات عن إعجابها بالطعام الذي أعدته ميرا، بينما بالكاك يُحرك زوجها رأسه لدقيقة موافقًا على حديثها، مُحدثًا صوت همهمة تأكيد. وتذكر ماثيو أيضًا أنه كان يتطلع إلى الجانب الآخر من الطاولة ليرى للويد ويتخيل الكيفية التي سيبدو عليها إذا أحاط رأسه بغطاء بلاستيكي.

اتخذ ماثيو قراره بإجراء المزيد من البحث عن اللويد هاردنج لاكتشافه. مع الأسف، لم يكن هناك شيء مهم على الأرجح، لكنك لا تعرف أبدًا ما يمكن أن تجده.



بعدهما تناول ماثيو عشاءه في تلك الليلة -حساء العدس الرائع الذي تُعده ميرا- استرخى أخيراً مُدركاً أنه إذا كانت الشرطة أو للويد سيأتيان لقرع بابه، كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك من قبل. إذن، لم تُخبر هين أي شخص عن زيارته لها، ولكن هذا لا يعني أنها ستوافق على مقابلته. أيًا يكن، على الأقل هذا يعني أنها فضلت إخفاء الأمر.

كان هذا سرهما، تشاركاه معاً، وليس هناك طريقة أفضل لبدء الصداقة من مشاركة الأسرار.

لم يصل إلى ماثيو أي خبر من هين تلك الليلة أو اليوم التالي. وغادرت ميرا باكراً صباح الاثنين لتلحق بالطائرة، وذهب ماثيو إلى المدرسة.

عادت ميشيل إلى مدرسة سوسكس هول، بعدما انقضت إجازتها من التدريس التي استمرت أسبوعاً كاملاً، وقبل أن تصل ميشيل إلى المدرسة، كان هناك اجتماع في الصباح الباكر لجميع أعضاء هيئة التدريس، والذي أخبر فيه دونالد هوجييم، رئيس قسم التاريخ، بأن ميشيل قد أشارت إلى أنها تُفضل عدم الحديث عن وفاة صديقها. وتُفضل قضاء وقتها في تعويض غيابها الأسبوع الماضي.

افتترض ماثيو أنه مُستثنى من ذلك الطلب الخاص، لا سيما وأنهما قد تحدثتا على الهاتف بالفعل. لم يكن متفاجئاً بالطبع حين مرت ميشيل بصفه في نهاية اليوم وأغلقت الباب خلفها بعد دخولها.

سألت ميشيل:

- ماذا يقول الناس؟

- لا شيء على الإطلاق. لقد جمعنا دونالد هذا الصباح قبل وصولك وأخبرنا ألا نتحدث معك بهذا الأمر.

هزت رأسها بحركة عصبية وقالت:

- يا إلهي! لا أعرف إن كان هذا هو الخيار الصحيح. لم أكن أريد أبدًا أن أضطر إلى التوضيح للجميع أننا لم نكن مرتبطين، وأنني لا أعلم شيئًا عما حدث له، وأنني....

- ماذا حدث له؟ هل ألقوا القبض على أحد؟

- لم أسمع أي شيء عن الأمر. لقد قاموا باستجوابي بالفعل، لكنه لم يتعدَّ الخمسة عشرة دقيقة. سُئلت فقط عن علاقتنا وإن كان لديه أي أعداء... لقد أخبرتك بذلك بالفعل، أليس كذلك؟

- لقد فعلتِ، ولكن لا بأس.

- حسنًا، هذا آخر ما سمعته من الشرطة. أعتقد أنه قد أزعج شخصًا ما في الحانة بمغازلة صديقه.

أردف ماثيو محاولًا التخفيف عنها:

- لقد كان رجلًا سيئًا، وأنتِ تعلمين ذلك.

بدلًا من ذلك، عبس وجهها وارتجفت شفتها السفلى ثم بدأت في النحيب. اتجه ماثيو نحوها واصطحبها إلى كرسي قريب وجلسا.

استطاعت أخيرًا أن تتحدث بعد بكائها، فقالت:

- أعلم أنه لم يكن مناسبًا لي، لكنني لست متأكدة إن كان هذا يعني أنه شخص سيئ.

- يُعرف الناس بأفعالهم. ما يفعلونه هو نتاج ما يكونون عليه.

- أعلم، وأنا سعيدة أنه لن يكون جزءًا من حياتي بعد الآن، ولكنني ما زلت متفاجئة مما حدث له، لقد كان شابًا يافعًا.

كان ماثيو يعلم جيدًا متى يلتزم الصمت ولا ينطق ببنت شفة. ولكن بعد لحظات، ملأت ميشيل صدرها بنفيس عميق، وقالت:

- أعتقد أن طلابي يعلمون بما حدث معي. ولم أعانِ أي لحظات عصبية مع أي أحد، حتى بين جيمبل.

قال ماثيو:

- هذا جانب مضيء من الأمر.

فابتسمت ميشيل. ثم قالت ميشيل وهي تعتدل في جلستها:

- أما الأمر الآخر هو أنني قد تفاجأت من أنه ليس لدي ما أفعله في حياتي. عندما كنت على علاقة بسكوت، إن كان حقاً معي أم كان بعيداً عني، كان عقلي مشغولاً به دائماً، وأتساءل إن كان يخدعني أم لا. وطوال تلك الأربعة والعشرين ساعة التي مرت بعدما انفصلنا، قبل أن أسمع عن خبر موته، كان عقلي منشغلاً بنفس القدر، يتساءل إن كنتُ اتخذت القرار الصحيح أم لا، إن كان يفتقدني أم لا، إن كان برفقة إحداهن أم لا. ولكن الآن... الآن لا أملك شيئاً. إنه ثقب كبير.

قال ماثيو:

- ستقابلين شخصاً آخر.

- هل تعتقد ذلك؟

- في نهاية الأمر سيحدث.

ندت عنها ضحكة عالية تلك المرة.

- تلك الطريقة التي تخبرني بها لا تبدو مقنعة تماماً. لكن هناك من يتعقبني، على الرغم من كل شيء وهذا شيء آخر.

- ماذا تقصدين؟

- لقد وصلني بريد إلكتروني ليلة أمس من شخصٍ ما يخبرني عن مدى أسفه بشأن خسارتي، وأنه قد رأى صورة لي ولا يستطيع فعل شيء سوى التفكير في. أليس ذلك غريباً؟

- من هذا الشخص؟

- لا أعلم، أحد الشباب. وقال إن اسمه هو ريتشارد.

ضاق صدر ماثيو بما فيه من الهواء وحاول ألا يُبدي الأمر على وجهه.

- هل أجبت رسالته؟

- يا إلهي! كلا. لقد تجاهلتها.

- هل اتصلت بالشرطة؟

- لماذا؟

- لا أعلم، ربما يكون له علاقة بما حدث مع سكوت.

- لا أعتقد ذلك. أقصد أنه ربما قرأ أحد المقالات ورأى اسمي، ثم

بحث عني عبر جوجل، ثم...

- كيف وصل إلى بريدك الإلكتروني؟

- لقد كان بريدي الإلكتروني التابع لسوسكس هول. إذا بحثت عن

اسمي عبر جوجل، سيظهر لك محل عملي. هل أنت بخير يا ماثيو؟

- أجل، أعتذر عن تطفلي. إنني قلق فقط من أن هذا الشاب قد أرسل

إليك بريداً من العدم، هذا كل ما في الأمر.

- إنني ضحية مشهورة.

ضحكت ميشيل، ثم تابعت:

- سيأتي جميع الرجال الغرباء ويتوددون بالرسائل. وربما يكون

أحدهم مناسباً ليصبح زوجاً.

- حسنًا، لا تُجيبني رسائله.

قالت ميشيل:

- لن أفعل.

ثم أضافت:

- يا حارسي.

واحمرت خجلًا.

هاتف ماثيو شقيقه تلك الليلة. وفكر أن يطلب منه المجيء إلى منزله هذا الأسبوع، إذ إن ميرا في رحلة عمل، لكنه وبمجرد أن سمع صوته، خرج من حالة الحنين التي يشعر بها وسأله:

- لا أعتقد أنك -بالمصادفة- قد أرسلت بريدًا إلكترونيًا إلى ميشيل براين، أليس كذلك؟

أجاب ريتشارد:

- مَنْ؟

- ميشيل براين، تلك الفتاة التي أعمل معها. لقد أخبرتني بأنها قد وصلها بريد إلكتروني من شخص يُدعى ريتشارد.

- ليس لدي فكرة عما تتحدث.

قال ماثيو:

- حسنًا.

بدا ريتشارد مُقنعًا في حديثه، لكنه دائمًا ما يبدو كذلك.

- مَنْ تلك الفتاة؟ صديقة أخرى من صديقاتك تُخفيها عن ميرا؟

- كلا.

- ولماذا تخبرك بشأن الرسائل الإلكترونية التي تصلها؟

- إنها صديقة في العمل، وليست صديقة حميمة. أنت تعلم جيداً أنني مخلص لميرا.

- في الحقيقة لست كذلك يا ماثيو. ليس لأنك لا تُقيم علاقة مع النساء اللاتي تصير صديقهن، هذا لا يعني أنك شخصٌ مخلص. دعني أُخمن: تُخبرك تلك المرأة ميشيل بكل شيء عن حياتها الشخصية، وأحياناً ما تمنحها عناقاً، وأحياناً أخرى، يتطرق الأمر إلى ما هو أبعد قليلاً...

- أنا لستُ في مزاج جيد يا ريتشارد.

- حسناً! اللعنة عليك، وعلى ميشيل براين أيضاً. شخصٌ ما عليه أن يفعل ذلك.

استلقى ماثيو في فراشه تلك الليلة متسائلاً إن كان حديثه مع ريتشارد خطأً قد ارتكبه.

# 24

ظلت هين تُفكر في ماثيو دولامور.

لم تُخبر للويد بعد عن زيارته في أثناء فعالية الاستوديو المفتوح. ليس تمامًا، فالأمر أنها لم تستطع أن تُخبر للويد، لأن إخباره سيكون خسرانًا في كل الأحوال. إما أن يواجه ماثيو بنفسه -وماذا سيجني من ذلك؟- أو أن تذهب هين إلى الشرطة وتُبلغهم بكل شيء، وسيجعلها ذلك تبدو أكثر عتًها. كان ماثيو مُحققًا بشأن ذلك؛ إن أي شيء ستقوله في حقه سيبدو كذبًا. وقد كان هذا هو السبب الآخر الذي جعلها لا تُخبر للويد عن تلك المواجهة. ماذا لو أن زوجها لم يُصدقها؟ ماذا لو اعتقد أنها كانت تختلق الأمر برمته؟ سيود إيداعها بالمشفى، أليس كذلك؟ أو تغيير العقاقير التي تتناولها على الأقل. ربما كان هذا ما ستفكر فيه إن كانت في محله.

ولأنها لا تستطيع إخبار أي شخص عما حدث، أطالت التفكير في ماثيو. إنه الآن الشخص الوحيد الذي يُصدقها. تبدو الفكرة التي راودتها الآن مضحكة بطريقة ساخرة. كانا معًا يمثلان الشخصين الوحيدين اللذين يعلمان بالحقيقة الكاملة. لن يُخبر ماثيو أي شخص، لأنه إذا فعل فسيقضي بقية حياته خلف القضبان. أما هي فلم تستطع إخبار

أحد، لأنه لن يكون هناك من يصدقها، ولأن الجميع سيقرر أنها تعاني نوبة جنونية أخرى.

ربما علينا أن نتقابل.

ظلت الفكرة تراود عقلها على الرغم من أن هذه الفكرة ني حد ذاتها قد أزعبتها. ربما عليّ أن أستمع إلى ما يريد قوله.

استمرت هين في تقليب الفكرة برأسها، وكانت تعتقد أنه يجب أن يكون مكانًا شبه عام، مكانًا لا يمكنه أن يتعرض لها بالإيذاء فيه. يمكنهما أن يتقابلا في مركز بيرلينجتون التجاري ويتناولوا بعضًا من لفائف السينابون ويتجولا أمام واجهات المحلات، وأن يُخبرها ماثيو عن حياته كقاتل مجنون. وتعتقد أنهما يمكن أن يتقابلا أيضًا بالقرب من المنزل وأن يتناولوا شرابًا في أحد الأيام بعد الظهر في حانة أويلز هيد ويختارا طاولة مُريحة. لكن المشكلة أن تصوراتها ستبدو وكأنهما على علاقة حميمة، قد يراهما أحد الجيران معًا. ثم فكرت في أنهما قد يذهبان إلى حانة أخرى معًا في أي مدينة أخرى.

يمكنك أن تذهبي إلى منزله، وتجلسي في مكتبه. لقد كان محتفظًا بواحدة من هداياه التذكارية هناك - كأس المباراة - لذا فقد يحتفظ بالمزيد أيضًا. يمكن أن يجري الحديث كما لو أنه عرض تقديمي للنقاش والعرض.

الحقيقة هي أن هين كادت تُصدق ماثيو عندما أخبرها أنه لن يؤذيها. لم تعرف بالضبط سبب تصديقها لكنها فعلت. وعندما أتى إليها في المرسم لم تكن زيارته لتهديدها أو إخافتها. لقد بدا وكأنه في الأصل يريد شخصًا ليتحدث معه. وإذا كانت تلك الحقيقة بعينها، ألن يكون الشيء الصحيح، الجانب الأخلاقي من الأمر، هو أن تستمع إلى قصته؟ ربما يُفصح عن شيء ما، أو يخبرها بتفاصيل تُمكنها من الذهاب إلى



الشرطة. وربما تستطيع مساعدته أيضًا، وأن تجعله يُدرك أنه يحتاج إلى تسليم نفسه إلى الشرطة. وكلما تعمقت إلى ذلك الحد من المنطق، ازداد اقتناعها بأنه من واجبها الأخلاقي أن تستمع إلى ماثيو دولامور وتحدث معه. ليس هناك خيار آخر، فهي تعلم أنه شخصٌ خطير، لكن ليس هناك طريقة أخرى لإقناع الشرطة (أو زوجها اللعين) بتلك الحقيقة.

عادت إلى المرسم في فترة ما بعد الظهيرة بسيارتها، فقد كان المطر الذي بدأ في الانهيار يوم الأحد، واستمر تساقط قطرات المطر الباردة إلى يوم الاثنين. كان الجو هادئًا في القبو، وكانت هين سعيدة أن الباب الخارجي مغلق خلفًا لما كان عليه بالأمس. وعندما دخلت إلى المرسم، بدأت في ترتيب المكان مُحاولةً ألا تفكر كثيرًا في زيارة ماثيو في اليوم السابق. كانت تأمل لو أنها تستطيع إنجاز بعض العمل؛ أن ترسم اللوحات الرئيسية التي تعتمد على التخطيط الذي استلمته من أجل كتاب المحاربون الأسطوريون، الذي يُسمى بشكل مؤقت مدرسة المحاربين الأسطوريين: العرَّابات المروعات. لكنها وجدت نفسها ما زالت تفكر في مقابلتها مع ماثيو وتتساءل إن كان لديها نية أخرى أكثر من محاولتها البحتة لفعل شيء جيد مثل إيقاف مجرم. أكان هناك جزء بداخلها يتوق قليلًا إلى سماع التفاصيل عما فعله؟ أجل، كانت تتوق إلى ذلك، فعلى الرغم من كل شيء، لقد عُرض عليها شيء لن يُعرض على الكثير من الناس: أن تُلقي نظرةً على أفكار شخصٍ ما. نظرة على أفكار الوحش. بالطبع، هذا شيء يتوق إليه أي أحد. ربما كان هذا هو السبب الذي لأجله يشاهد الناس مسلسلات الجرائم الحقيقية، ويقرؤون الكتب التي تتحدث عن القتل المتسلسلين. هذا هو السبب وراء إعجاب الآخرين بأعمالها الفنية. كانت مُدركة تمامًا أنه كلما كانت لوحاتها مُربكة، حظت باهتمامٍ بالغ.

كانت على وشك المغادرة من المرسم عندما راسلها اللويد: يومٌ ممل،  
سأصل إلى المنزل مبكرًا.

كانت هين تعلم أنه ربما لم يكن يومًا مملًا - لا شيء في شركته  
ممل- وأن الأمر أنه سيأتي إلى المنزل مبكرًا لأجل ذلك القلق الذي يعتريه  
بشأنها. فراسلته قائلة: أراك لاحقًا. ثم أضافت رمزًا تعبيرياً مبتسمًا.

غادرت المرسم وأغلقت الباب الخارجي خلفها ثم استقلت سيارتها.  
إذا غادر اللويد العمل الآن، لن يصل إلى المنزل قبل ساعة تقريبًا من  
الآن. كانت هين ما تزال تفكر في المكان الذي ستقابل فيه ماثيو. يجب  
أن يكون مكانًا عامًا. ثم تذكرت أنها قد مرت بمكان يشبه حانة رياضية  
جيدة الإضاءة على بعد مدينتين في ويكفورد، تقع على امتداد الطريق  
117. كانت قد مرت بها عدة مرات لأنها كانت تقع في طريقها إلى  
أفضل متجر لمعدات الرسم في المنطقة. لم يكن بعيدًا - على بعد خمس  
عشرة دقيقة بالسيارة- وغادرت هين المرسم ثم توجهت إلى الطريق  
117.

استغرق الطريق منها ما يقرب من عشرين دقيقة، بسبب ازدحام  
ساعة الذروة الذي قد بدأ في التكدس. كانت الحانة تُسمى وينرز  
سيريكل، وكانت واحدة من المؤسسات التجارية الأربعة التي تقع في  
مجمع تجاري من طابق واحد بعد أن دخلت إلى ويكفورد. وتعرض  
النوافذ إعلانًا عن لعبة كينو ويانصيب ماساتشوستس وفورتي-سنت  
وينجز في أثناء جميع مباريات فريق باتريوتس. صفت هين سيارتها  
بجانب شاحنة صغيرة مُزينة بملصق بروينز مضاد الصدمات وترجلت  
من السيارة. أرادت أن تُلقي نظرة على الحانة من الداخل، لترى ما إذا  
كانت مظلمة أم لا، ولترى إن كان هناك أي أحد بالداخل. وتساءلت ما إن  
كان بإمكانها الدخول والتظاهر بالبحث عن شخص ما، لكنها لم ترغب

حقاً في جذب الانتباه إليها. كانت سعيدة أنها لم تكن الزبون الوحيد في المكان، وبخاصة في فترة ما بعد الظهر يوم الاثنين. كان هناك رجل جالس أمام الجهة المقابلة من المشرب يتجرع زجاجة من كوورز لايت<sup>(1)</sup> ويركز عينيه على واحد من أجهزة التلفاز المتعددة التي كانت تعرض جميعها برنامجاً حوارياً مُخصصاً للرياضة. وفي الجهة الأخرى من المشرب، كان يجلس زوجان من الشباب في واحدة من المقصورات. وبينهما هرم من رقائق الناتشوز المكسيكية في حجم كرات البولينج. أتى ساقى الحانة، أشقر مفتول العضلات ببنتاله الجينز الأسود وقميص أبيض بلا أكمام، وطلبت هين شوك توب<sup>(2)</sup>، نوع الجعة الوحيد الذي يمكنها أن تقرأ اسمه من المكان الذي تجلس فيه.

- هل تريدين فيه برتقالاً؟

- عفواً؟

- هل تريدين شريحة برتقال، في الجعة؟

- كلا، شكراً.

وصلت الجعة، ودفعت هين الحساب نقدًا ثم تركت بقشيشًا، ثم عاد ساقى الحانة إلى الطرف الآخر من المشرب وبدأ في تصفح هاتفه. ارتشفت هين رشفة كبيرة، ثم أُلقت نظرة حولها. كان المكان مناسباً لمقابلتها مع ماثيو. وكانت المقصورات ذات خلفيات عالية، واعتقدت هين أنها ستحظى بمحادثة دون تنصت. لم يكن المكان مُضاءً بشدة، لكن حوائطه كانت مغلقة بشاشات التلفاز، لذا لم يكن مظلمًا أيضًا. ثم اعتقدت هين أن لا أحد يعرفها.

(1) Coors Light: نوع من الجعة الخفيفة ذات التركيز 4.2%.

(2) Shock Top: نوع من الجعة البلجكية صُنعت في 2006م.

اعتقدت هين أيضًا أن فترات ما بعد الظهيرة ستكون جيدة لمقابلتها مع ماثيو. إنه مُدرّس في المدرسة، لذا قد يُنهي عمله مبكرًا. لأنه ببساطة لم يكن هناك أيّ سبيل تستطيع هين التسلل له مرة أخرى ليلاً. لن يُسامحها للويد على ذلك.

تجرعت ما تبقى من زجاجة الجعة، ودوى في جسدها طنين خفيف من أثر الثمالة، فارتخت عضلاتها، ثم تطلعت إلى الساعة. كان عليها أن تغادر الآن إن أرادت أن تصل قبل اللويد إلى المنزل.

في اليوم التالي، لم تذهب هين إلى الرسم. كان الطقس قد عاد مشمسًا بعد يومين من الأمطار المنهمرة، وصارت الأوراق التي كانت متمسكة بالشجر نابضة بالحياة أكثر من ذي قبل، وعادت جميع الأشجار في شارع سيكمور تُومض بالألوان. بعد الغداء، أخرجت ملابسها الشتوية من حاوية التخزين البلاستيكية التي كانت مُخرنة بها منذ الشتاء الماضي في كامبريدج، وأخرجت سترتها الصوفية الدافئة ذات الرقبة الطويلة المصبوغة بلون يُحب للويد أن يُطلق عليه «لون الفطر»، وخرجت إلى شرفتها الأمامية تُدْفئ يديها بفنجان كبير من الشاي وتحمل معها دفتر رسوماتها. كانت الشمس قد بدأت في المغيب وتظهر على استحياء من خلف الأسطح المقابلة لها في الشارع، لكنها حافظت على الدفء في شرفتها. حركت هين كُرسياها إلى أكثر البقع عُرضة للشمس ورفعت قدميها إلى المنصة التي صارت تُستخدم كالطاولة وحدقت ببصرها إلى الطريق.

كان الليل قد أسدل ستائره بالفعل عندما دخلت سيارة ماثيو الفيات إلى شارع سيكمور ثم ولجت إلى ممر السيارة. تجمدت أوصال هين. في الحقيقة، كانت تنتظر رؤية جارها حينما يعود إلى المنزل بحماس، حتى إنها لم تُقرر بعد ماذا ستفعل عندما تراه.

صف سيارته في منتصف ممر السيارات وترجل منها. نهضت هين وأجبرت نفسها على أن تشق طريقها خلال الباب الزجاجي، ثم نزلت ثلاث خطوات حتى تقف على حافة ممر سيارتها مثبتة نظرها باتجاه ماثيو.

التفت إليها وسارت هين نحوه منكسة الرأس قليلاً، غير راغبة في التقاء أعينهما حتى يتحادثان. انتظرها ماثيو حاملاً في يده اليسرى حقيبته الجلدية.

قالت عندما كانت على مسافة قريبة منه:

- دعنا نلتقي.

قال:

- حسناً! الآن؟

لم تكن هين مستعدة لذلك، فهزت بالنفي رأسها سريعاً.

- كلا، دعنا نتقابل غداً. هناك حانة في ويكفورد تسمى وينرز

سيريكل في الطريق 117. هل تعرفها؟

هز رأسه نافيّاً:

- كلا، لكنني سأجدها. لِمَ تريدان أن نتقابل في حانة؟

أجابته هين:

- لن أقابلك بمفردي.

- صحيح.

أردف بذلك ماثيو، كما لو أنه تذكر للتو السبب الذي سيتقابلان من أجله في المقام الأول.

- متى يمكن أن تصل إلى هناك؟

- يمكنني أن أصل إلى هناك في الثالثة والنصف.

- هذا جيد. الثالثة والنصف. ستجد مقصورات على اليسار عندما تدخل إلى الحانة.

أوماً برأسه:

- حسنًا!

استدارت هين وسارت عائدة نحو منزلها قبل أن يلحظ ارتجاف أوصالها.

# 25

صف ماثيو سيارته أمام متجر الأدوات الرياضية المستعملة بجانب حانة وينرز سيريكل. لم ير سيارة هين من الطراز جولف في ساحة انتظار السيارات، وتساءل إن كان قد سبقها إلى هنا، أو ربما قد غيرت رأيها.

أطفأ المحرك وترجل من سيارته. كانت الشمس مشرقة على الرغم من العواصف، وامتلأت ساحة انتظار السيارات بالأوراق المتساقطة التي تتمايل مع الريح العاصفة.

دلف إلى داخل وينرز سيريكل من الباب الأمامي. كان هناك امرأتان في منتصف العمر يجلسان أمام المشرب، وكانت المقصورات خالية إلا من الكراسي المترصة. وتعرض مباريات لكرة القدم على شاشات التلفاز كافة. سار نحو المشرب محاولاً أن يبدو في حالة عادية وطلب شراب الزنجبيل الغازي مضافاً إليه قطع الليمون. سدد الحساب وأحضر شرابه معه إلى المقصورة في الزاوية البعيدة، وجلس حتى يمكنه مشاهدة الأبواب.

تركت إحدى المرأتين كرسيها المعدني واتجهت نحو صندوق الموسيقى الكلاسيكي، وأدخلت قطعة نقدية ثم ضربت عدة أرقام. كانت الأغنية الأولى التي صدعت في الأرجاء قصيدة غنائية من نوع هارد

روك، فعرفها ماثيو على الرُّغم من أنه لم يستطع تذكر اسم الفرقة التي عزفتها. فكر أن الأغنية تُسمى «Every Rose Has Its Thorn» وقد أكد الكورس الذي يُكرر الأغنية في الخلفية أنه كان على حق. كانت المرأة التي اختارت الأغنية تختلس النظر إلى ماثيو بينما تُعزف المقطوعة، ربما كانت تبحث عن إثبات على ذوق ما اختارته. حدق بنظره إلى مشروبه، فوجد نقطاً بُنية داكنة منتشرة على شريحة الليمون التي تطفو على مشروب الزنجبيل الغازي.

انفتح الباب الخارجي ودخلت هين أذنةً لموجة عاصفة منعشة بالدخول حتى شعر بها ماثيو في مكانه خلف المشرب. نهض من كرسيه لتحتيتها، لكنها اتجهت مباشرة إلى المشرب دون أن تلتقي أعينهما، لذا عاد جالساً في مقعده. جلبت زجاجة من الجعة إلى المقصورة وجلست في مقعدها أمامه. كانت ترتدي السترة ذاتها التي كانت ترتديها في اليوم السابق عندما دعته إلى اللقاء في تلك الحانة. سترة سميقة عالية الرقبة بلونها البني المائل للاحمرار والذي قد بدأ في الزوال قليلاً.

قالت هين:

- مرحباً!

- عليّ أن أقوم بتفتيشك، هل تدركين ذلك؟

كانت تلك هي الكلمات التي خطط أن يقولها أولاً. وقد تفاجأ من اندهاشها بطلبه.

قالت:

- ماذا؟

- وإلا، لا يمكننا الحديث. تفهمين ما أقصد، أليس كذلك؟

- هل تبحث عن جهازٍ لا سلكي؟ لأنني لا أملك واحداً.



هكذا قالت وقد أبدا وجهها تعبيرًا ساخرًا.

- أصدق ما تقولين، لكن يجب أن أتأكد.

- حسنًا، كيف؟

- سأقف جانبك لدقيقة، وسنبدو وكأننا نتعانق للترحيب.

قالت هين:

- لا أعلم.

- الأمر عائدُ إليك بالطبع، لكنني أحتاج إلى أن أتأكد.

قالت هين:

- حسنًا.

انسل ماثيو من الجانب الذي يجلس فيه في المقصورة. وعادت المرأة التي اختارت الموسيقى من قبل إلى المشرب الآن مع صديقتها. وبينما تصدع أغنية «Under My Thumb» التي تُغنيها فرقة رولينج ستونز، وقف إلى جانب هين.

- أعتذر عن ذلك.

ممرًا يديه على جانبي سترتها الضخمة. ثم سألها:

- ماذا ترتدين أسفل هذه السترة؟

- قميصًا صوفيًا.

وضع يديه أسفل سترتها معتقدًا أنها ستعترض على فعله، لكنها رفعت ذراعيها، ومرر يديه على جانبي القميص الصوفي الناعم، من أسفل إلى أعلى، ثم حرك يديه على ظهرها ومررها قليلًا فوق بطنها. لم يشعر بوجود أي شيء سوى أضلع قفصها الصدري وتسارع أنفاسها. كانت ترتدي بنطالًا من الجينز أسفل سترتها، فمرر يديه على قدميها

بأقصى ما يمكنه من اللياقة. وأمكنه أن يشعر بحافة هاتفها الخلوي في جيبها الأمامي.

- هل يمكنني أن أفحص هاتفك لأتأكد أنك لا تُسجلين حديثنا؟

أجابت:

- حسنًا.

ثم قدمت هاتفها إليه بعدما فتحت قفله ببصمة إصبعها، وقلبت بين التطبيقات المختلفة. لم يكن ماثيو متأكدًا عما يبحث بالضبط، لكنه لم ير أي شيء يستدعي الشعور بالقلق. لم يعتقد من قبل أنها ستأتي بجهاز لا سلكي، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا سوى القلق.

قال ماثيو:

- شكرًا لك.

ثم عاد إلى جانب المقصورة الذي كان يجلس فيه. حاول أن يُضفي بعض النكات على الموقف، فقال:

- الآن وقد انقشع الجزء الأكثر غرابة...

عبس وجهها وهي تسمع حديثه، فأجابته:

- لا تحاول أن تبدو هزليًا، فهذا لا يليق بك حقًا.

- أجل، أعلم ذلك.

سألته:

- هل وجدت الحانة مناسبة لك؟

- على الأقل لم أحاول أن أبدأ أحاديث صغيرة مع الزبائن.

ندت عن شفيتها ابتسامة:

- صحيح، والآن أخبرني لم قتلت سكوت دويل؟

- اعتقدت أنك ستكونين أكثر فضولاً عن دستين ميلر.
- أعتقد أنني أعلم بالفعل لمَ قتلته. لقد اعتدى على إحدى الفتيات عندما كان طالباً في سوسكس هول، أليس كذلك؟
- ارتشف ماثيو من شرابه، ثم أجاب مندفعاً قليلاً بكلمات هين:
- لم تكن مجرد شخصٍ ما، بل كان اسمها كورتنى شيه.
- لم أكن أعلم ذلك. أقصد أنني لم أكن على علم باسمها.
- كانت واحدة من تلك الطالبات التي تنتظر بعد انتهاء الصف لتطرح عليك الأسئلة فيما كنت تشرحه، وربما كانت تفعل ذلك لأنها كانت من هؤلاء الطلاب الذين يخجلون من طرح الأسئلة في أثناء الدرس، لكنها على الرغم من ذلك، كانت تتمتع بفضولٍ فكري رائع.
- هل هي... مينة؟
- كلا، أعتذر عن ذلك. أعتقد أنني دائماً ما أشير إلى طلابي بصيغة الماضي. لكنها بخير حسبما أعرف. لم تأتِ عند إقامة حفل التجمع بعد خمس سنوات، لكن إحدى صديقاتها قالت إنها تدرس في كلية الحقوق في واشنطن دي سي وتسير أمورها على ما يرام. تُعجبني فكرة أنها ستصبح مدعياً عاماً وستُطارد هؤلاء الرجال الذين يشبهون دستين ميلر.
- لن تُضطر إلى مطاردته، لقد توليت الأمر جيداً.
- أجل، لقد توليتُ الأمر. وقبل أن يموت رددتُ أمامه اسم كورتنى حتى يعلم السبب الذي يموت لأجله.
- غمره شعور بالرضا التام عندما تفوه بتلك الكلمات بصوتٍ مرتفع، وبذل جهوداً مضنية حتى لا يظهر على وجهه، حتى لا تظهر ابتسامة الانتصار على وجهه.

- وهل تعتقد أنه فهم في تلك اللحظة؟ هل تعتقد أنه لم يكن مرتعد الأوصال حينئذ؟

انحنى ماثيو إلى الأمام قليلاً.

- إذا كان كل ما شعر به هو الفزع التام، عندئذ أكون قد أتممت مهمتي. لقد كان رجلاً سيئاً، وكان سيستمر في نشر التعاسة بين الكثير والكثير من النساء اللاتي كُنَّ سيمرنن في حياته.

- ولكن ألم يكن هناك احتمال بأن يتغير؟ وأن ما حدث مع تلك الطالبة في مدرستك بكل فظاعته وبشاعته، لم يكن سوى خطأ عابر؟ وربما قد استمر في حياته ليتزوج ويُربي أطفاله ويصير إنساناً صالحاً.

- أولاً، ذاك الأذى الذي أحله على كورتنى كان كافياً، ولهذا استحق الموت. أتعلمين أنني قد استرقتُ السمع إليه يحكي نكاتٍ عنها بعدما غادرت المدرسة؟ كان يتحدث مع صديقه عن أي الفتيات ذات صدرٍ أكبر بعدما غادرت كورتنى الآن. لم يستخدم كلمة صدر بالطبع، كلا، ثقي في حديثي. لقد كان شخصاً فاسداً. لا تتغير الشخصيات مهما يكن. ولكن أتذكرين تلك الليلة التي أتيت فيها للعشاء مع زوجك؟ لقد طرحتِ عليَّ سؤالاً عن التدريس وأخبرتكَ شيئاً عن مدى روعة أن تشاهدي طلابك يكبرون أمام ناظريك، والتغييرات التي تحدث بين السنة الأولى والسنة النهائية.

- أتذكر ذلك.

- كان حديثي صحيحاً إلى حد ما. لقد شاهدت هؤلاء الطلاب يكبرون، لقد شاهدتهم ينتقلون من مرحلة المراهقة الغربية إلى مرحلة الرشد، ولكن ما لم أره قط هو تغير شخصياتهم. تظل

شخصياتهم على ما هي عليه. إذا كانت سماتهم طيبة في سنتهم الأولى -حتى إذا تكاثرت أخطاؤهم أو تورطوا في المشكلات- عندئذ سيظلون على طبيبتهم حتى السنة النهائية. والعكس بالعكس أيضًا. كنت أعلم أن دستين ميلر سيكون معتديًا على النساء طوال حياته، حتى قبل أن أسمع بما فعله لكورتنى في سانت لويز. لقد كان فعله متأصلًا فيه، بنفس الطريقة التي رأيتها في أبي؛ كان يعتدي دائمًا على الضعيف.

شعر ماثيو بارتفاع صوته، فملأ رئتيه بهواء عميق وحدث نفسه أن يتكلم بصوتٍ منخفض.

- ليس هناك ما قد يُغير تلك الحقيقة أبدًا، لقد كان على الطبيعة التي جُبل عليها.

- وهل غيرته؟ هل ساعدت في تغيير دستين ميلر؟

- أجل، لقد فعلت. لقد ساعدتُ في تغيير حالته فنقلته من الحياة إلى الموت.

- أجل، هذا تغيير جسيم. ربما يفكر الكثيرون مثلما تفكر، لكن لا يتصرف الكثيرون مثلما تفعل.

- لكنني لستُ مثل الكثيرين.

لم تقرب زجاجة الجعة التي طلبتها منذ أن جلست، لكنها نظرت إليها الآن وارتشفت منها القليل.

- هل تعتقد أنه يمكنك التوقف؟

- التوقف عن قتل الناس؟

- أجل.

- لهذا أتيتُ إلى هنا؟ لأنك تعتقدين أنه يمكنك إيقافني؟

# مكتبة

t.me/t\_pdf

- لقد أتيتُ لأنك طلبت أن نتقابل، لأنك قلت إنك تريد الإدلاء بالحقيقة إلى شخصٍ ما. أعتقد أنه ربما أردت أن تُزيح الذنب عن كتفك، وربما أجد طريقة لإيقافك عما تفعل.

- يمكنني أن أرى لما خطرت ببالك تلك الأفكار، لكن لم يكن ذلك ما أردت الحديث بشأنه معك. اعتقدتُ أنك قد تفهمين ما أفعله. لقد رأيت لوحاتك الفنية، واعتقدتُ....

- أعتقد أنك أيضًا فنان بشكلٍ آخر؟

- كلا، لا أعتقد ذلك، لكنني أعلم جيدًا أنني إذا قتلتُ أحدهم -عندما أُلبي بلاءً حسنًا- أن ما أشعر به بعد ذلك يشبه كثيرًا ما أشعر به عندما أنظر إلى قطعة فنية مثالية.

- لماذا تشعر على هذا النحو؟

- لا بد أنك تعرفين ذاك الشعور جيدًا. عندما تُبدعين شيئًا، مثل تلك اللوحة التي قمتِ برسمها لفتاة مراهقة تنظر إلى المرأة فترى انعكاسها بهذا... بهذا...

- بقرني الغزال.

- أجل! عندما رسمتِ تلك اللوحة في بادئ الأمر -أو قمتِ بنقشها، أو أيًا تكون الطريقة التي تفعلينها- كيف كان شعورك؟ لم يكن هذا الشعور حاضرًا إلا بعدما انتهيتِ منها، أليس كذلك؟ لقد أحدثتِ شيئًا جديدًا إلى العالم من العدم. وهذا أيضًا ما أفعله ولكن بالاتجاه المعاكس. إنني أحصد أرواح الأحياء، وأستأصلها من الوجود. وعندما أنتهي من عملي معه، أختبر ذاك التغيير التام -أقصى ما يمكن للشخص الوصول إليه من تغيير- وهذا عمل أثري. عليك أن تتفهمني ذلك.

- أتفهم أن هذا عمل أثري، لكنني لا أفهم الأمر الجيد الذي تراه في هذا.

- ألن تعودي بالزمن إلى الوراء لقتل هتلر إذا سنحت لك الفرصة؟

- لا أعتقد أن هذا الأمر ينطبق على ما نتحدث بشأنه.

- حسناً، إذن هل ستعودين بالزمن لقتل تيد باندي إذا سنحت لك الفرصة؟

- هل تقول إن دستين ميلر كان ليصير قاتلاً متسلسلاً؟ أو سكوت دويل؟ كيف يمكنك أن تتنبأ بذلك؟

- إنني أقول إنهم كانوا لينشروا التعاسة، ولجعلوا من حيوات الآخرين نبعاً من المأساة. وباستئصالهم من العالم، فقد أضفت إلى العالم المزيد من السعادة.

بدت هين مرتابة لما سمعته، وقرر ماثيو التوقف عن الحديث لبرهة على الرغم من أنه كان على وشك البدء، وشعر وكأن لديه الكثير ليقوله. لم تتحدث هين أيضاً، لذا بادر ماثيو:

- هل يمكنك الاعتراف على الأقل أنني ربما أكون على حق؟

- أعترف أنك قد تتمتع بالحق في قتلهم؟ كلا، لا يمكنني الاعتراف بذلك. لا يحق لك اتخاذ قرار كهذا. هذا الأمر لا يعود إليك، ولا يسير الأمر بتلك الطريقة.

قالت هين ذلك وهي تعتدل في مقعدها، ثم أضافت:

- اسمعني، أعتقد أن المجيء إلى هنا كان خطأ، ولا أعلم ما الذي كنتُ أتطلع إليه بالضبط. ولكن أعتقد أنك في حاجة إلى مساعدة متخصصة، وأعتقد أنك في حاجة إلى التوقف عما تفعله. أنت

لستَ فنانًا، ولستَ سوى مجرم قاتل. لقد شاهدت سكوت دويل يموت، أتعلم ذلك؟

- هل تقصدين أنكِ قد رأيتَه عندما كان ميتًا؟
- كلا، لم يكن ميتًا عندما وصلتُ إلى هناك. لقد رأيتَه يموت.

قال ماثيو:

- صفي لي هذا.
- كان مشهدًا مريعًا. لقد كان مرتبًا وخائفًا، وكانت أجزاء مخه تخرج من رأسه.
- طرقت تلك الكلمات مسامعه فغثت معدته. كان قد انتابه القلق بشأن ذلك، وغزاه خوفٌ من أن يكون قد كسر جمجمته في المرة النهائية التي أصاب فيها رأس سكوت دويل. طرد الشعور المخيف الذي طغى عليه وأردف:

- ثم كانت أمامه ثانيتان من الخوف والاعتراف. لقد عايشت ميشيل براين شعورًا أسوأ من ذلك.
- مَنْ تكون ميشيل براين؟

علّق ماثيو لسانه عن التفوه بالمزيد، وكان قد حدّث نفسه قبل لقائه مع هين عن حاجته إلى الحرص وتوخي الحذر فيما يخبرها به من معلومات، يمكن أن تستخدمها لإثبات أن شهادتها صحيحة. لم يكن متأكدًا من أن تقع ميشيل في تلك الفئة من المعلومات، لكنه أراد أن يتوخي حذره على الرغم من كل شيء.

- لا يهم ذكرها.

نطق أخيرًا بتلك الكلمات، ثم سرعان ما أضاف:



- أعتذر لك بشدة أنك قد شاهدت ما شاهدته. ما كنت لأفعل ذلك لو  
أني أعلم أن هذا ما سيحدث. تفهمين ما أقصد، أليس كذلك؟
- ليس تمامًا!
- لست شخصًا سيئًا، وما كنت لأتسبب لك في أي أذى.
- ماذا لو قررت فجأة أنني شخص سيء؟ هل سيغير ذلك من  
خطتك؟
- ما كنت لأؤذيك أبدًا، ما كنت لأؤذي امرأة أبدًا.
- ندت عنها ابتسامة عفوية وتغضن حاجباها. لوهلة فكر ماثيو أنها  
ستسخر منه.
- ألا تعتقد أن هناك امرأة سيئة بدرجة كافية تجعلك ترغب في  
قتلها؟
- كلا، لن يكون. بالطبع لا. أعلم فيما تفكرين، أنني ربما أعاني  
عقدة المُنقذ، وأنني سأنقذ جميع النساء البريئات في العالم من  
الذئاب العملاقة الفاسدة. أنا لستُ أحقق، وأعلم جيدًا أن هذا جزءٌ  
مما يحدث. كان والدي وحشًا كاسرًا وأمي ضحيته، ولهذا أفكر  
بالطريقة التي ترينها الآن. لقد أجريت على نفسي تحليلًا نفسيًا  
أوسع وأعمق مما يمكن أن تفعله أو يفعله أي شخصٍ آخر. أعلم  
جيدًا ما أنا عليه.
- لكن...
- لكن الحقيقة هي أن الرجال تُسيء إلى النساء بأبعد ما يمكن أن  
تُسيء المرأة إلى الرجل أبدًا. تلك هي الحقيقة المُجردة، و... وما  
كنتُ لأتسبب في إيذائك أبدًا، ليس فقط لأنك امرأة، لكن لأنك أيضًا  
إنسان مهذب. أعلم ذلك.

- إذن، إذا كنتَ تعتقد ذلك، إذا كنتَ تعتقد أنني إنسان مهذب، عندئذٍ ربما ستستمع إليّ. أعتقد أن عليك أن تُسلم نفسك إلى الشرطة، وتتعترف بجرائمك. أخبرهم بما أخبرتني به.

- لِمَ أفعل ذلك؟

- ألا تريد أن تتوقف عما تفعله؟ أليس لهذا السبب أتيتَ إلى هنا، لتتحدث معي؟ لا بد أنك ينتابك شعورٌ بالذنب.

- لم ينتابني شعورٌ بالذنب. لقد أتيتُ لأتحدث معك لأنني اعتقدتُ أنك قد تفهميني.

- كلا، لا أفهمك. أنا آسفة، لكنني أعتقد أنك قد تبنيت قانونًا أخلاقيًا مزيّفًا، قصة تُطمئن بها دواخلك، حتى تتمكن من فعل ما تحبه. أنتَ تُحبُّ قتل الآخرين، وهذا أمرٌ واضح.

قال ماثيو:

- أجل، أحب أن أقتل الآخرين.

فسرت القشعريرة في جسده وموجة من التشنج بدأت من أسفل ظهره حتى وصلت إلى مؤخرة رأسه. كان شعورًا جيدًا غلفه عندما نطق تلك الكلمات.

- لن أظاهر أبدًا أن هذا ليس جزءًا من الحقيقة، لأنني لست متوهمًا. صدرت عنها تنهيدة، ثم قالت:

- أعتقد أنني يجب أن أذهب.

- ألا تُحبين ذاك الشعور الذي يغمرك عندما تُبدعين في قطعة فنية جديدة؟ شيءٌ مختلف يزلزل كيائك. ألا يمنحك هذا شعورًا بالنشوة الجائحة؟

- الأمر مختلفٌ تمامًا، لأن لوحاتي الفنية لا تتسبب في إيذاء أحد.  
إنه مجرد فن.

- ليس فنًا فقط، أليس كذلك حقًا؟ إنه يكشف جزءًا من كينونتك.  
هزت هين رأسها سريعًا وأردفت:

- كل ما يكشفه هو خيالي، شيءٌ منفصلٌ تمامًا عن الواقع. يمكنني  
أن أفصل بين الاثنين، أما أنت فلا يمكنك. وهذا هو الفارق بيننا.

- حسنًا! على الأقل فكري فيما أخبرتك به. وربما تُحبين القتل إذا ما  
استطعتِ إلى ذلك سبيلًا.

- لن أفعل، ثق في كلامي جيدًا.

- هل ستُخبرين الشرطة بما أخبرتك به اليوم؟

- لم أقرر بعد.

- لن يصدقوا ما تقولين.

- أعلم هذا، ولكنني أعتقد أنه عاجلاً أم آجلاً، سيُلقي القبض عليك.  
وعندما يفعلون ذلك، سأذهب إلى الشرطة وأخبرهم بكل شيء.

- هل يعلم زوجك بمقابلتنا اليوم هنا؟

قالت هين:

- ربما سأخبره عن ذلك.

وفكر ماثيو أنها المرة الأولى التي كذبت فيها منذ أن جلست أمامه  
على هذا المقعد. قال ماثيو:

- إنه لا يستحقك.

ثم لمح نظرة القلق تعلقو ملامح وجه هين، وأضاف:

- كلا، لا تقلقي، ليس لدي أي خطط بشأن اللويد، لكن على الرُغم من ذلك، إنه لا يستحقك.
- أنت بالكاد تعرفه.
- لقد أتى إلى العشاء في منزلي، وتابعته بناظري، ويمكنني أن أقول إنه لا يتمتع بأي بوصلة أخلاقية حقيقية. متى ما غادرت ميلا غرفة العشاء أو دخلت إليها، يتابع بعينيه تلك الطريقة التي تتحرك بها. ربما قد أشعل أحلام يقظته بتصوراتهِ عما تكون عليه العلاقة معها.
- يا إلهي! حسناً، يجب أن أذهب.
- تحركت هين على امتداد المقصورة.
- هل يمكنني أن أسألك سؤالاً واحداً؟ عندما ارتبطتما بعلاقة أول مرة، هل كان مع شخصٍ آخر؟
- هذا ليس من شأنك.
- من الواضح أنه كان كذلك. هين، اسمعيني، الناس لا يتغيرون. إنه يخدعك، لكن ربما أنتِ تعلمين هذا بالفعل.

# 26

غمرت هين مشاعر متضاربة منذ أن جلست إلى تلك الطاولة في وينرز سيريكل مع ماثيو دولامور، اتقد الغضب في أوصالها، بسبب كل هذا الهراء الفلسفي عن أعمالها الفنية، والآن بدا وكأنه يتهم للويد بالخيانة (أو يُهدده؟).

نهضت قائلة:

- اللعنة عليك يا ماثيو. أنتَ لستَ منقذًا لأحد، ثق بي عندما أخبرك ذلك.

- لم أقل إنني منقذ، لم أقل سوى إنه ربما لا يكون زوجك على تلك الحقيقة التي يظهرها لك.

- وما علاقتك بهذا؟

- لا شيء، أعذر أنني قد تحدثت عن حياتك الخاصة.

غادرت الحانة دون أن تُدرك كم من الوقت قد مضى وهي بالداخل حتى دفعت بيديها الباب الخارجي وحثت خطاها إلى ضوء الأصيل. كانت الريح تعصف بالأوراق والقمامة الورقية حول ساحة انتظار السيارات. استقلت سيارتها واندفعت إلى الطريق 117. عادت الأغنية التي كانت تستمع إليها عندما صفت سيارتها أمام الحانة - «Shiver»

التي تُغنيها لوسي روز- إلى البدء مجددًا. خففت من صوت المذياع لتصفي عقلها لبرهة وتحلل أحداث تلك المحادثة التي دارت بينها وبين ماثيو. استعادت ذاكرتها كلمات ماثيو، وظلت تتساءل إن كان قد منحها أي شيء، أي معلومة صغيرة تستحق أن تذهب بها إلى الشرطة. كانت على علم بأن الشرطة لن تُصدق حديثها مطلقًا إذا أخبرتهم بما قصه عليها، لكن ماذا لو كانت تملك دليلًا قاطعًا؟ لكنها لم تجد. وكلما تعمقت بالتفكير في الأمر، تُدرك أنه لم يتحدث سوى عن أسبابه الفلسفية في القتل. ليتهى قد وجدت طريقة حتى تُسجل حديثه -لقد فكرت في الأمر بالطبع- لكان كل شيء منتهيًا الآن. لقد أراد أن يتحدث إلى أحد، ومن الواضح أنه أراد إثارة إعجابها أيضًا، أراد أن يفتنها ربما ليجعلها ترى الحياة بعينيه. وما هذا الهراء الذي قاله عن اللويد؟ وعادت تفكر في تلك الليلة التي اجتمعوا فيها على العشاء، محاولةً استرجاع الذكريات لترى إن كانت قد لاحظت أن اللويد يتتبع خطوات ميرا من وإلى الغرفة. لكنها لم تستعد أي ذكرى عن هذا. كانت تعلم بالفعل أنه يسترق النظر إلى نساء أخريات، ولم تكن تمنع هذا مطلقًا. كانت تشعر بالمزيد من الراحة عندما يخبرها بانجذابه إلى نساء أخريات أكثر مما لو أخبرها أنه لم يكن منجذبًا لأي امرأة أخرى قط. ولكن على الرغم من ذلك، لم كان ماثيو واثقًا في حديثه من خيانة اللويد؟

علا دوي أبواق التنبيهات خلفها، فأدركت أن إشارة المرور انتقلت إلى الضوء الأخضر. تحركت قدمًا لاحقًا بحركة المرور البطيئة. كانت الطرق مزدحمة على الرغم من أن الخامسة لم تكن قد حانت بعد. أخرجت هاتفها لترى ما إذا كان اللويد قد راسلها بمغادرته من العمل بعد، ورأت أنه بالفعل قد راسلها بتأخره في العمل وأنها ستتناول العشاء بمفردها تلك الليلة.

من الواضح أنه يخونني. فكرت في نفسها ثم علت ضحكتها في السيارة. لم تحب تلك النبذة التي خرجت بها ضحكتها، فقد بدت وكأنها مقطوعة الأنفاس.

عندما وصلت المنزل، استقبلها فينجر عند الباب وهو يموء. قادها إلى القبو وإلى وعاء طعامه الفارغ، فملأته بالطعام معتذرةً عن نسيانه. عادت إلى المطبخ، تفحصت ثلاجة الطعام لبعض الوقت، وحاولت أن تقرر إن كانت تريد زجاجة أخرى من الجعة. كانت ترتعش قليلاً على الرُغم من أنها كانت هادئة في الحانة وهي تجلس أمام شخص مجنون، شخص صار فجأة مهتمًا بحياتها الخاصة. كانت كل زجاجات الجعة في الثلاجة من النوع الذي يفضله للويد؛ لاذعًا للغاية. وكانت هناك زجاجة من عصير التوت البري، إلا أنها أحضرت لنفسها كأسًا من زجاجة الفودكا التي يحتفظون بها في المبرد مع الكثير من قطع الثلج. تجرعت رشفة كبيرة ثم ركزت على أنفاسها. كان عقلها يقفز من فكرة إلى أخرى، حاولت أن تفكر فيما قاله ماثيو عن دستين ميلر وسكوت دويل، لكنها وجدت نفسها تفكر في اللويد بدلاً من ذلك، إذا كان يخدعها بالفعل، فإنها تعتقد أن ذلك سيكون سهلًا عليه للغاية. فهو يعمل في بوسطن، وهي عالقة هنا في الضواحي. وبين حين وآخر يعمل لوقت متأخر، كما يفعل الليلة، لكنه دائمًا ما يعود متلهفًا ليُخبر هين عن تلك الحملة الجديدة التي تنفذها شركته. إذا كان كاذبًا، فإنه كاذب بارع، ولا تعتقد هين أن اللويد كاذب بارع من تلك الناحية. لذا إن كان يخدعها، فمتى يفعل ذلك؟ كانت فرصته الأخيرة هي حفل روب الذي يقام حول النار، وكانت متأكدة أن الأشخاص الوحيدين الذين سيحضرون هم زملاؤه الرجال من الجامعة، ربما يصطحب أحدهم صديقته حينئذ أو

زوجته. وبالكاد يبدو وكأنه حدث جذاب، إنها مجرد مجموعة من الشباب يتناولون المخدرات ويلعبون بجذوات النار.

وضعت هين كأسها على منضدة المطبخ واتجهت نحو الدرج. أثار التفكير في ذلك الحفل ذكرى مفاجئة داخلها، تحديداً في ذلك اليوم الذي قُتل فيه سكوت دويل، عندما أتى للويد إلى مركز الشرطة وضمها بين ذراعيه. كان قد أتى مباشرة من منزل روب في ذلك اليوم. لقد تذكرت الرائحة التي كانت تفوح منه، رائحة العرق العطن التي لم تتفاجأ بها قط. لكن كان هناك شيء آخر، شيء بالكاد قد لاحظته بسبب كل ما كان يدور في ذلك الوقت. لم تبدُ رائحته كرائحة السجائر. فهي قد ذهبت إلى حفلات تخيير روب حول النار كثيراً، وليست هذه هي رائحة المكان! فإن الرائحة التي تنضح دوماً في المكان هي رائحة الخشب المحترق، التي تتغلغل في ملابسك وخصلات شعرك، إنها تقتمح فتحتي أنفك وتعلق هناك.

في غرفة نومهم، تطلعت هين إلى سلة الغسيل المكتظة، كومة من الملابس تساوي أسبوعين من الغيارات، بدأت تدس يديها في تلك الكومة وتبعثر الملابس على الفراش المهمل حتى وجدت ما كانت تبحث عنه - الثياب التي كان يرتديها للويد في عطلة التي قضاها بالخارج - أفضل سراويله الجينز وقميص مطبوع بعلامة «نايك» ذو الياقة المرتخية. دست وجهها في القميص وأخذت نفساً عميقاً. لم يكن هناك أي أثر لرائحة الدخان على الإطلاق. ولتأكد مما حدث، أخرجت ملابس للويد من سلة الغسيل وتتبع رائحتهم جميعاً، لكنها لم تجد شيئاً.

عندما عادت إلى الطابق السفلي، التقطت هاتفها الخلوي وبحثت في قائمة الاتصال الخاصة بها عن روب بويد، وتفاجأت من أنها ما زالت محتفظة برقمه على هاتفها. حامت بإبهامها حول زر الاتصال. ما



الذي ستقوله لروب بالضبط؟ لا يمكنها أن تسأل مطلقاً إن كان للويد قد حضر إلى حفلة التخيم حول النار، لأنه إن كانت إجابة روب هي كلا، فيمكنها أن تتأكد تمامًا من أنه سينبه للويد إلى تلك المكالمة مباشرة. اعتصرت عقلها لتأتي بسبب لتلك المكالمة ثم نقرت زر الاتصال قبل أن تُغير رأيها.

أتى صوت روب على الفور:

- هين؟

قالت هين:

- مرحبًا روب!

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل، أجل. كل شيء بخير تمامًا. أريد أن أطلب منك شيئًا فقط.

- خيرًا؟

بدا صوته وكأنه يأتي من غرفة خاوية يتردد بها صدى صوته. فاعتقدت هين أنه مستقل سيارته.

- إنني أعمل الآن على رسم لوحة الغلاف من أجل كتابي الجديد، ويتحدث الكتاب عن مجموعة من الساحرات ويريدون صورة لحلقة حول النار على الغلاف.

أجاب روب:

- رائع!

- بحثت كثيرًا عبر الإنترنت عن صور من أجل حلقات حول النار لكنني لم أجد شيئًا... وكنت أتساءل إن كان...

- أجل، في الحقيقة لدي بعض اللقطات الفوتوغرافية الرائعة. هل تريدون أن أرسلها إليكم؟

- أجل، سيكون هذا رائعًا ومفيدًا للغاية.

- ليس هناك مشكلة.

- كيف حالك؟ لقد مضى وقتٌ طويل منذ أن تحدثنا.

- إنني بخير، وأتقدم في العمر كما ترين. لقد افتقدتكم في حفل هذا العام يا رفاق.

شعرت هين بقشعريرة تسري في سائر جسدها.

- أجل، أعتذر عن هذا... لقد انتقلنا حديثًا إلى هذا المنزل، ثم...

- أجل، لقد أحاطني اللويد علمًا بكل أعداركم السخيفة، ولم أقتنع بأي مما قاله ولن أقتنع بما تقولينه.

- مَنْ حضر الحفل هذا العام إذن؟

بدأ روب في حصر قائمة الأسماء والتي لا تعني أكثرها أي شيء بالنسبة إلى هين. وتظاهرت بالاستماع إلى ما يقوله، لكن كل ما أرادت فعله هو إغلاق الهاتف واستيعاب تلك الأخبار التي أخبرها بها للتو. لم يذهب اللويد إلى حفل روب، مما يعني أنه قد ذهب إلى قضاء عطلة أسبوعية رومانسية بعيدًا مع شخصٍ آخر مرتبط به، ليس هناك أي احتمال آخر، أليس كذلك؟

كان روب يُنهي سرد قائمته...

- وبالطبع حضر جاستين الذي لم يُفوت أي حفل قط.

- حسنًا، أعتذر مجددًا. وبالطبع سنحضر العام القادم.

- سأصدق ما تقولين عندما تحضرون بالفعل. يا إلهي! اللعنة...  
الإشارة الحمراء يا امرأة.

سمعت هين دوي البوق، ثم استأنف روب:

- اسمعي، عليّ أن أذهب الآن. وسأرسل إليك بعض الصور الجميلة  
لحلقة النار.

- أشكركَ كثيرًا روب.

أسقطت هين يدها على فخذها وارتخت قبضتها عن الهاتف، ثم  
جلست على حالها تلك لخمس دقائق. لم يكن للويد متورطاً في علاقة  
عابرة، بل كان يُنظم قضاء عطلاته الأسبوعية بعيداً. كانت الفكرة  
التي خطرت ببالها بعيدة كل البعد عن مخيلتها، كغرابة أن تسمع  
يوماً أن اللويد كان امرأة عابرة جنسياً أو أنه موظفٌ سري لدى وكالة  
الاستخبارات المركزية. شعرت بوابل من الألم يجتاح أوصالها، تركت  
تلك الأخبار الجديدة فمها فاغراً وعقلها مخدرًا. إلا أن جزءاً من دهشتها  
كان بسبب تلك الفكرة التي كانت تؤمن بها، وهي أن اللويد لم يكن قط  
من هذا النوع الذي يُخفي أموراً عنها، لم يكن شخصاً يتمتع بالدهاء  
والفطنة الكافية حقاً حتى تجعله يُفلت بهذه العلاقة الغرامية الكبيرة.  
وفجأة سيطرت عليها رغبة المعرفة، فأرادت أن تعرف المزيد عن علاقته  
أكثر من أي شيء آخر. أرادت أن تعرف كل شيء.

كان حاسوب اللويد النقال في مكبس الشحن على طاولة المطبخ،  
فذهبت وأحضرتة. حاولت فتحه فكان محمياً بكلمة مرور، لكن هين  
تعرف تقريباً كل كلمات المرور التي يمكن أن يفكر بها للويد. وما  
لم يكن حسابهم البنكي أو حساب بطاقة الائتمان، فإن للويد عادة ما  
يستخدم كلمة ASDFJKL (كانت هين قد أصابته بالصداع ذات مرة  
بسبب مدى سهولة تخمين كلمة المرور تلك، لكنه أبقى عليها على الرغم  
من ذلك). كانت كلمة المرور صحيحة، فذهبت هين مباشرة إلى تاريخ  
بحث الإنترنت الخاص بللويد. ووجدت أنه قد مسح في الليلة السابقة،  
وأن تلك المواقع التي قد زارها هذا الصباح هي مدونة ريد سوكس، التي  
كتب تعليقاً عليها، وبريده الإلكتروني. أُلقت نظرة متفحصة سريعة

على بريده الإلكتروني تبحث عن أي شيء مُرسل إليه من أي امرأة لا تعرفها، لكنها بحثت أيضًا عن مراسلته مع روب بويد. لم تجد أي شيء في صندوق الوارد الخاص به، ولكن عندما ذهبت إلى ملف رسائله المرسلة، وجدت محادثة متبادلة مع روب يقول فيها للويد إنهما لن يتمكنوا من الحضور إلى حفل التخميم حول النار هذا العام («فما زال أمامهما أكوام كثيرة من الأغراض لتفريغها») وأنهما سيحضران في العام القادم بالتأكيد.

استمرت هين في العودة إلى الرسائل القديمة باحثة في كل رسائل البريد التي أرسلها للويد، كانت أغلبها رسائل متبادلة مع والديه أو أخيه في شمال كاليفورنيا. وعندما عادت إلى الرسائل القديمة لأكثر من عام، وجدت محادثة كان قد أجراها مع جوانا جريميلوند، صديقة روب السابقة التي ما زالت تعيش في ماساشوستس.

كانت الرسالة الأولى مُرسلة من اللويد إلى جوانا: «مرحبًا، لقد قضيت وقتًا ممتعًا حقًا في تلك العطلة». كانت الرسالة قد أرسلت العام الماضي في شهر أكتوبر أيضًا. وكانت هين قد فوتت أيضًا حضور حفل التخميم ذاك.

وفقًا للتوقيت المذكور، فإن جوانا قد أجابت رسالة اللويد بعد خمس دقائق: «وأنا أيضًا. أشعر بالسوء من وجود روب في حفلاته الخاصة، فبدونه ستكون رائعة. أمزح بالطبع!».

كانت الرسالة التالية من اللويد في اليوم التالي يقول فيها خمس كلمات فقط: «هل يمكنكِ مهاتفتي اليوم؟».

لم تُجب رسالته، أو ربما أجابت لكنه حذفها. المهم هو أيًا كان ما بدأ في تلك العطلة، من الواضح أنه قد استمر دون مراسلة إلكترونية.

فتحت هين نافذة رسالة جديدة في حساب بريد زوجها، ووضعت العنوان البريدي لجوانا، ثم كتبت: «نحتاج إلى إنهاء ما بيننا». حامت

بالمؤشر على زر الإرسال لكنها لم تنقره على الرُّغم من أن الفكرة قد حفزت خروج قهقهة خفيفة غريبة من حنجرتها. حذفت الرسالة غير المرسلة وخرجت من المتصفح ثم أغلقت الحاسوب النقال. سيصل للويد إلى المنزل في أي لحظة، وتحتاج إلى اتخاذ قرار بشأن ما ستفعله بتلك المعلومات التي عرفتتها. إذا بدأت في اتهامه عند وصوله إلى المنزل وأخبرته بأنها تعلم عن عدم زهابه إلى حفل روب في عطلة الأسبوع، عندئذ سيُفضح كل شيء. وبالطبع إذا لم يحاول بطريقة ما اختلاق أي عذر، فسيخبرها بكل شيء. سيخبرها أنه يُقيم علاقة غرامية مع جوانا جريميلوند. وربما كان مغرماً بها، وربما قد فكر في ترك هين. في الحقيقة، ربما سيكون سعيداً من أن هين هي من ذكرت الأمر، وسينتهي عذابه أخيراً.

كانت هين تتجول في المنزل ووجدت نفسها تقف في غرفة المعيشة تنتظر من النافذة تجاه منزل جيرانها. على الأقل صارت الآن لا تفكر في كل شيء قد قاله ماثيو من قبل. لقد انطمس حديثه بطريقة ما عندما تلقت تلك الأخبار التي ظل للويد يكذب بشأنها طوال عامٍ كامل. لِمَ لَمْ يتركها وحسب؟

رن هاتفها في بنطالها الجينز فوجدت رسالة للويد يقول فيها إنه في طريقه إلى المنزل.

وضعت الهاتف في جيب بنطالها مرة أخرى، وأدركت فجأة أنها لن تواجه تلك الليلة. وشعرت بضرورة الاحتفاظ بتلك المعلومات لبعض الوقت، الانتظار سيمنحها معرفة أكثر مما يمكن أن يخبرها به.

عندما دخل للويد إلى المنزل، طبع قبلة روتينية على جبين هين، ثم ذهب مباشرة إلى الثلاجة لإخراج زجاجة من الجعة، راقبته هين وشعرت لأول مرة كما لو أنها تنتظر إلى شخصٍ آخر.

# 27

وصل ماثيو إلى المنزل قبيل الغروب. كان المنزل من الداخل مظلمًا، لكنه لم يُشعل الأضواء. سار إلى غرفة مكتبه وفكر في ذاك الحديث الذي دار بينه وبين هين. لقد سار الأمر على أفضل مما توقع. واستطاع أن يخبرها أشياء عن نفسه لم يُصرح بها إلى أي شخص قط، والأهم أنها ظلت جالسة في مقعدها تستمع إليه وتُحدق بعينيها البنيتين فيه مباشرة. شعر وكأن كل كلمة قالها قد أزالَت عبئًا ثقيلًا عن كتفيه، إنه يشعر الآن وكأنه بخفة جناحي فراشة، وبطمأنينة لم يشعر بمثلها منذ سنوات طويلة.

أعاد عرض المحادثة على نفسه مرارًا وتكرارًا، وبدأت رثتاه في الانبساط. ربما كان عليه ألا يذكر أمر اللويد أمامها -لقد غادرت المكان بمجرد أن ذكر شيئًا عنه- لكنه أرادها أن تعرف جيدًا أنها ليست منيعة أمام ما يفعله الرجال بالنساء، وأن اللويد مليء بأفكار تغلفها الشهوة مثل أي شخصٍ آخر. بالطبع لم يكن متأكدًا من خيانتها لها، لكنه احتمالٌ وارد. إنه رجل على الرُغم من كل شيء، وهذا بالضبط ما يفعله الرجال.

أما الاسم الذي لم يرغب قط في ذكره هو اسم ميشيل. لماذا أخبرها عن معاناتها على يدي سكوت دويل؟ لقد أراد حقًا أن يكون صادقًا مع هين -ألم تكن تلك هي الخطة؟- لكن ذلك لا يعني أن يخبرها بكل شيء

على الفور. كلا، بل السبب الذي من أجله كان عليه ألا يذكر اسم ميشيل هو أن تبحث هين عنها إن أرادت ذلك، وتقرر الحديث معها. بالطبع لن يؤدي هذا إلى أي نتيجة، لكن الفكرة بذاتها جعلته يشعر بالدوار، الشعور ذاته الذي خالجه عندما عرف أن شقيقه قد أرسل رسالة بريد إلى ميشيل. يا إلهي! لقد نسي هذا الأمر تمامًا. وتسربت فجأة كل تلك الأحاسيس الندية التي خالجتها من حديثه مع هين -من جسده دفعة واحدة.

وحتى يعود إليه بعض التحسن، هاتف ميشيل من هاتفه الخليوي ليتأكد أنها بخير.

- مرحبًا ماثيو. هذا غريب، لقد كنتُ على وشك الاتصال بك.

- حقًا، لماذا؟

- اسمع، لقد تحدثت مع دونالد، وقررتُ أن أقضي بقية الفصل الدراسي الحالي في إجازة. وأخبرني أن بإمكانه إيجاد بديلٍ دائم، وأنه سيحتفظ بالوظيفة من أجلي إن أردت العودة إلى العمل في يناير.

- حقًا؟

- إن الأمر فقط هو... مع كل شيء يحدث حولي الآن، ومع كل ما حدث مع سكوت وما يحدث مع أبي، لا أعتقد أنني أملك الجهد والوقت للتركيز على العمل. لذا أخطط إلى العودة إلى المنزل والإقامة مع والديّ لفترة... يا إلهي! عندما تلفظت بتلك الكلمات عاليًا جعلني هذا أشعر... كلا، إنه الشيء الصحيح الذي عليّ فعله، ويخالجني شعورٌ جيد لهذا القرار.

- حسنًا، هذا كل ما يُهم في الأمر.

- نعم أشعر بالارتياح لهذا القرار.
- إذن أعتقد أنكِ تفعلين الصواب.
- هل تعتقد ذلك حقاً؟ يسعدني سماع هذا منك.
- أجل، هذا هو الصواب ما دمتِ ستعودين إلى العمل في النهاية.
- وإن لم يكن في يناير القادم، عندئذ أتمنى أن يكون العام القادم.
- أنتِ معلمة تاريخ جيدة.

قالت ميشيل:

- حسناً، الآن سأبدأ في البكاء.
- متى ستغادرين؟
- سأذهب بالسيارة إلى منزل والديّ صباح الغد.
- ماذا؟
- أجل، أعلم أن هذا مفاجئ. لكن دونالد قد وجد البديل بالفعل، إنها نفس المعلمة التي تولت الوظيفة عندما كانت ماندي في إجازة الأمومة ورعاية الطفل، هل تتذكرها؟
- تخيل ماثيو مُعلمة من مدرسة حكومية على وشك التقاعد بشعرها الفضي وفساتينها الأرجوانية.
- أجل، أتذكرها. لا تقلقي على طلابك.
- سيكونون بخير، أليس كذلك؟
- لا أكاد أصدق أننا لم نحظّ بفرصة للوداع.
- هل تريد القدوم إلى منزلي الليلة؟
- سألته ميشيل عن ذلك فخرجت كلماتها باندفاع سريع كما لو أنها قد خططت لها من قبل.



ثم أضافت:

- أعلم أننا نخطط في اللحظات الأخيرة، لكن ميرا ما زالت في سفرها، أليس كذلك؟ سيكون من الرائع رؤيتك.

قال ماثيو:

- إنني مشغول، لكن بالطبع يمكنني. متى سيكون الوقت المناسب للقدوم؟

- الآن؟ أو أي وقت. على الأرجح سأظل مستيقظة طوال الليل لحزم الحقائب وتنظيف الأغراض. فقط تعال في أي وقت.

بعدما تناول طبق الرقائق الخفيفة، وتحادث مع ميرا عبر مكالمات الفيديو، استقل ماثيو سيارته إلى مباني كونتري سكوير، امتدادًا من المباني التي تحوي شققًا رخيصة مزودة بعوارض خشبية زائفة تتقاطع على الجانب الخارجي. كانت اللافتة الموضوعة على المدخل من اللون الأخضر الشجري، وكُتبت كونتري سكوير بحروف من نقوش القرون الوسطى. صف ماثيو سيارته في ساحة انتظار سيارات الزوار بجانب المسبح، والذي يُغطى بقماش القنب بسبب فصل الشتاء، وقد امتلأ قماش القنب بمياه الأمطار البنية والأوراق المتساقطة، وكان غارقًا من المنتصف. فاجأت ماثيو عاصفة من الأفكار جعلته يغير رأيه فيما هو مقدم على فعله. كان يعلم أن ميشيل تحتفظ بخيالات رومانسية عنه، ومجيئه إلى هنا لتوديعها لن يُفيد سوى في تشجيعها على ما تُكنه تجاهه. وعلى الرغم من ذلك، ما زال يُقدر كونها زميلةً له، وربما صديقه أيضًا. لقد أراد حقًا توديعها. لكنه عندما شعر بعدم قدرته على اتخاذ قرار فيما يجب أن يفعل، ألقى على نفسه بعض الأسئلة: ما هو أفضل شيء أفعله من أجل ميشيل؟ ما هو أفضل شيء أفعله من أجل ميرا؟ ثم قرر العودة إلى المنزل.

عندما عاد إلى المنزل، كانت الأضواء ما زالت مشتعلة. وقف أمام النافذة لمتابعة أي إشارات على وجود جارته. كانت أضواء غرفة معيشتها مشتعلة أيضًا، ومن حين لآخر كان يرى شبكًا عابرًا من الستائر الشفافة للنافذة الجانبية. لا يستطيع تصديق أن هناك شخصًا آخر على وجه الأرض قريبًا منه إلى الدرجة التي يعرف معها كل أسرارها أكثر منها. بالطبع ليس جميع أسرارها، لكنها تعرف حقيقته. ضغط بإحدى يديه على زجاج النافذة وشعر بألم الحنين، شيء لم يشعر به منذ سنوات مديدة. رن هاتفه فخرج من شروده بمكالمة من أخيه، ريتشارد.

قال ماثيو:

- لقد تأخر الوقت.

- صحيح؟

- أنت تعلم أن الوقت متأخر. وإذا كانت ميرا هنا، لكنت أيقظتها من النوم بمكالمتك.

قال ريتشارد:

- أعلم أنها مسافرة.

- لماذا تهاتفني يا ريتشارد؟

- لقد أردت الحديث معك فقط.

قال ريتشارد ذلك ولكن بدت كلماته ثقيلة متداخلة قليلًا، فاعتقد

ماثيو أنه قد أفرط في الشراب.

- هل تعتقد أن أمي تعلم بأمرنا؟

- هل أفرطت في الشراب؟

- كلا، أنا جادٌ جدًّا. هل تعتقد أن أمي تعلم؟

- ما الذي أعتقد أن أمي تعلمه؟

- أننا مثل أبنينا، وأننا نفكر مثله ونتصرف مثله.

تلك النبذة التي أكد بها ريتشارد على كلمة نتصرف أثارت غضب ماثيو إلى زمرته. قال ماثيو:

- هل فعلت شيئاً ما؟

- لا أريد أن أتحدث عما إذا فعلتُ شيئاً أم لم أفعل. بل أريد أن أتحدث عن أمي. هل تتذكر سالي ريزبيل عندما كُنَّا في المدرسة الثانوية؟ هل تتذكر ما فعلناه بها؟

- إننا لم نفعل شيئاً بها، بل أنت من فعل.

- لقد كانت مغرمةً بك أنت. وكنتَ أنتَ من أغراها.

لم يفكر ماثيو في سالي ريزبيل منذ سنوات. كانت زميلة ماثيو في نادي التنس وتصغره بعامٍ واحد فقط، فارعة الطول ذات وجه مُضيء. وكان ماثيو يقضي فترة ما بعد الظهر في مساعدتها على التدريب على أداء الضربات الخلفية، وبعد ذلك صارت مُغرمة به تُهاتفه كل يوم بعد الظهر، ودائماً ما تقابله في الممرات بين الصفوف وتنفجر ضاحكةً على كل شيء يقوله. وعندما استجمعت شجاعتها أخيراً لتطلب منه مرافقتها إلى الحفل الراقص الذي يقيمه طلاب السنة الثانية، ذهب ماثيو إلى منزلها حتى يخبرها برفضه بلطف. جلسا جنباً إلى جنب على أرجوحة في القاعة الرياضية، وأوضح لها أنه مغرم بشخصٍ آخر («إنها ابنة صديق لوالديّ وتعيش في مدينة أخرى». بالطبع كان كذباً). ويود لو أنه وسالي ظلا صديقين. بكت سالي من كلماته، لكن بكاءها لم يدم طويلاً، وكان ماثيو يعلم جيداً في هذا الوقت أنه قد منحها زكري

درامية تحتفظ بها. وجلس كلاهما على الأرجوحة يتحدثان عن الحب مثل البالغين.

كان عليه ألا يخبر ريتشارد عن سالي، لكنه في النهاية قد أخبره، ربما كان السبب هو أن ريتشارد في ذلك الوقت كان مفعماً بخيالاته المنحرفة الخاصة به، ودائماً ما كان يحاول تجربتها على ماثيو، وقد أراد ماثيو منه أن يصمت لبعض الوقت.

في ليلة الحفل الراقص الذي يقيمه طلاب السنة الثانية، هاتف ريتشارد سالي على هاتف غرفتها الخاصة - فقد قررت المكوث في المنزل - وأخفى صوته بالهمس وتظاهر بأنه ماثيو وقال إنه قد غير رأيه، وسألها إن كان بإمكانه أن يأتي إلى منزلها لاحقاً، ويتسلل من خلال نافذة غرفة نومها، فقد كان يتحرق شوقاً لتقبيلها.

لم يعرف ماثيو قط ما فعله ريتشارد بالضبط مع سالي في غرفة نومها المظلمة قبل أن تكتشف أنها مع شقيق ماثيو وليس ماثيو نفسه، ولكن ما عرفه كان كافياً. أيقظت صرخاتها المريعة والديها اللذين طاردا ريتشارد. وفي اليوم التالي ذهبت والدة سالي مباشرة إلى والدة ماثيو وريتشارد وأرادت توضيح الموقف دون تدخل السلطات. أفلت ريتشارد من فعلته بسهولة، وكل ما انتهى إليه الأمر هو وعده بعدم التقرب إلى سالي مرة أخرى أبداً.

قال ريتشارد:

- أحياناً ما أتساءل عما كانت تعتقده أُمِّي بشأنني بعدما حدث، أتساءل إن كانت تعرف حقيقتي حينئذ. في الحقيقة لا أعتقد أن أُمِّي قد عاودت التفكير في الأمر. لقد كانت لديها مشكلاتها الخاصة، وأنت تعلم هذا. لذا فلا أعتقد أن ما فعلته بسالي يعني شيئاً بالنسبة إلى أُمِّي... ما فعلناه معاً بسالي.

- يمكنك أن تقول ما تريد، لكن هذا لن يُغير الحقيقة.

- لم تختلف حقيقتك حينئذ عن حقيقتك الآن. وتعلم أنك لا تحب شيئاً أكثر من أن تجعل النساء يغرمن بك ثم تتخلى عنهن. إنها طريقتك المفضلة. فلماذا تعد طريقتي مع سالي سيئةً لتلك الدرجة؟

- لأنها لم تكن تريدك أنت يا ريتشارد، بل لم يكن هناك أحدٌ يريدك قط. لقد أرادتني أنا، أما ما فعلته أنت، فلم يكن سوى فعلٍ قذر.

بدأت معدة ماثيو تؤلمه، وود حقاً لو أنه لم يستقبل تلك المكالمة قط.

- مهلاً، إنني لم أهااتفك حتى ندخل في شجار.

- إذن لماذا هاتفتني؟

- هل تعتقد أن بإمكانني القدوم إلى منزلك وقضاء الليلة عندك؟

تفاجأ ماثيو بصوت ريتشارد وقد أتى منخفضاً ومستعظفاً.

- لماذا؟

- سأنام على الأريكة في غرفة المكتب. ولن تلحظ ميلا وجودي أبداً،

أعدك بذلك. اسمع، يمكنك أن تذهب للنوم الآن، وسأجد طريقة

لدخول المنزل. لن تلحظ وجودي أبداً.

ما زال صوته يبدو إلى ماثيو مثيراً للسخرية، يُذكره كيف كان

ريتشارد طفلاً فوضوياً مذعوراً طوال الوقت.

تنهد ماثيو ثم قال:

- حسناً، الليلة فقط.

كان ريتشارد صادقاً في كلمته، ولم يره ماثيو حتى صباح اليوم

التالي. كان ريتشارد قد أعد لنفسه القهوة وجلس على طاولة المطبخ،

كان رأسه منتصبًا قليلًا وتتأرجح إحدى ساقيه إلى أعلى وأسفل، وتمتد الأخرى على الأرض الفلينية المصمتة. بدا وكأنه يشبه والدهما، ثم قال:

- انهض، انهض، حان وقت الفطور والشاي<sup>(1)</sup>.

قالها بصوت متعجرف صاحب.

سأله ماثيو:

- هل نمتَ جيدًا؟

- كما الأطفال. دائمًا ما أنام نومًا هنيئًا على تلك الأريكة. فالنوم في منزلي مثل النوم داخل قوقعة، تبدو وكأن مجموعة من الأشياء تسكن فيها.

- حسنًا، لكن لا تعدد هذا هنا.

قبض ريتشارد على راحتي يده، ثم قال:

- ثق جيدًا أنني أعلم هذا. لقد أوضحت شعورك جيدًا تجاه هذا الأمر.

- شكرًا لك على القهوة، ريتشارد.

- لا مشكلة على الإطلاق. سأغادر منزلك الآن، لكنني تركت هدية صغيرة لك. شيئًا ستقدره حتمًا.

لم يشعر ماثيو بالارتياح لتلك اللهجة التي تحدث بها أخوه. وبينما يفكر سكب القهوة في فنجانته والتفت إليه ثم قال:

- ماذا فعلتَ؟

- شيئًا قد فعلته أنت الكثير من المرات. ثق بي، فعليًا أن أذهب الآن.

لقد تركتُ لك مظروفًا في غرفة مكتبك.

---

(1) النص الأصلي: Wakey, Wakey, eggs and bakey. وتُعد طريقة لطيفة لقول استيقظ حتى تأكل البيض واللحم المقدد، حيث إنهما أشهر أطعمة الفطور في ثقافة الكاتب. (المترجم)

بعدها غادر ريتشارد، تجمدت أوصال ماثيو لدقيقة فتسمر في مكانه، وطلعت مرارة القهوة في فمه، وانتفخت بطنه مثل كرة صلبة. طرح فنجان القهوة من يده وشجع قدميه حتى تدعماه للوصول إلى غرفة مكتبه. وجد مظروفًا أبيض مُسنَدًا إلى رف المدخنة أمام النسخة المقلدة من حجر رشيد. حث خطاه حتى وصل إليه، وعندما لمسها شعر بشيء صلب بداخله. مرر إصبعه أسفل الشريط اللاصق ومزق المظروف. وجد بداخله حلقة مفاتيح بها مفتاحان فقط، حلقة زهرية اللون من البلاستيك على شكل حرف *M*. شعر ماثيو بمرارة القهوة تعود إلى حلقة، أغمض عينيه وسحب نفسًا عميقًا حتى زالت تلك المرارة. لقد عرفَ حلقة المفاتيح. إنها تنتمي إلى ميشيل براين.

# 28

عندما عادت ميرا إلى غرفتها الواسعة في الفندق، خلعت حذاءها وجلست على الفراش الملكي، وفركت قدميها. يتمثل جزءٌ من ترقيتها الأخيرة في حضور عرضين تجاريين فقط كل عام بدلاً من أربعة أو خمسة عروض. لقد كانت نعمة ونقمة في آن واحد، فالوقوف طوال اليوم في المقصورة لتقديم عروض برامج التشغيل هو عمل شاق، لكنها الآن بعدما صارت تحضر القليل من تلك الفعاليات، وجدت أن ألم قدميها قد ازداد. اعتقدت أنها قد فقدت ليونتها لقلة ممارسة الرياضة، لكن ربما كان الأمر هو تقدمها في العمر.

اهتز هاتفها مظهرًا رسالة من جون ماك أليز، يرى إن كان لديها أي خطط في موعد العشاء. منذ سنوات، كان جون يعمل لدى شركتها. وقد حضرا معًا في مدرسة الضاحية كلارك كونتي، وبعد يومين طويلين من العروض التقديمية، ذهبا إلى العشاء معًا في مطعم لو سيرك في بيلاجيو. وبعد ذلك ذهبا لتناول شراب واحد، بعد إلحاحه، في حانة الفندق عندما عادا من موعد العشاء. توقعت أن يغازلها - فلن تكون المرة الأولى التي يغازلها فيها في أثناء رحلة عمل على أي حال - لكنها لم تتوقع قط أن يصارحها بوقوعه في غرامها، وأن زواجه قد انتهى بعد نصف سنة فقط وأنه أكثر الرجال شعورًا بالوحدة في العالم. لقد بكى



أمامها بالفعل حتى كادت ميرا أن تقترح أن يعودا إلى غرفة أي منهما في الفندق لاستكمال حديثهما، والذي سيكون حدثًا كارثيًا بالطبع. ولكن بدلًا عن هذا، أخبرته أن بإمكانهما استكمال الحديث في الصباح، وغادرت الحانة مباشرةً إلى غرفتها في الفندق. وعلى مائدة الفطور أمطرها بوابل من الأسف والاعتذار لكنه لم يتراجع عن مشاعره التي أخبرها أنها لم تتغير. لقد كان واقعًا في حبها وهذا لن يتغير أبدًا، لكنه لن يتحدث في الأمر ثانية، وسيبدأ في البحث عن وظيفة جديدة. وقد كان صادقًا في كلمته. لم يتحدث في الأمر ثانية، وبعد ستة أشهر ترك شركة ميرا ليعمل في واحدة من شركات الكتب المدرسية الكبرى. وبعد ثلاثة أشهر، وصل إلى مسامعها أنه قد أنهى زواجه.

أما الآن فهو في ويشيتا قد مر ليلتقي بميرا في طابق المعارض. كان قد اكتسب وزنًا إضافيًا وفقد بعضًا من شعره، حياها بكثير من الثرثرة الودودة، فقال ضاحكًا:

- كنتُ أتساءل إن كنتِ ما تزالين تعملين هنا.

اعتقدت أن مروره سيكون أقصى غايته، لكنها الآن تُحذق في رسالة منه. بدت رسالة بسيطة -ميرا، لقد سعدتُ برؤيتك. نُجهز لحفل شواء جماعي، وودتُ لو أعرف إن كان لديك أي خطط. لا مشكلة إن كنتِ مشغولة- لكنها تساءلت بالفعل إن كان قد خطط لتلك المقابلة لعلمه بعملها في مقصورات العرض ودبر أن يكون مروره «عفويًا» وأن يطلب منها الخروج في عشاء جماعي. لقد تذكرت كلماته -«سأظل واقفًا في حبك دائمًا»- فأثرت الانتظار خمس دقائق، ثم أجابت رسالته: شكراً لك على الدعوة يا جون، لكنني قد طلبت العشاء من خدمة الغرف، فأنا متعبة للغاية!

عادت بظهرها إلى الخلف على الفراش وأمسكت بجهاز التحكم من الطاولة الجانبية ثم شغلت التلفاز. فكرت في أنها ربما تجذب الرجال المهوسين فقط. كانت تفكر أيضًا في دچاي سارافان (كانت كثيرة التفكير فيه مؤخرًا بسبب كل ما يحدث مع ماثيو الآن). لقد كان أول صديق تربطها به علاقة جادة، فقد تقابلا في حفل السنة الأولى في أثناء أسبوعها الأول في جامعة نيو هامبشاير. وفي لقاءهما الثاني فقط صارحها دچاي بحبه لها. لقد كانت صدمة لها، ليس لأن تصريحه غير مرحب به، فقد كان شابًا وسيماً وكان يذكرها بالنسخة الحية من فيلم الرسوم المتحركة علاء الدين الذي كانت مغرمة به كثيرًا في طفولتها. كان عريض المنكبين ذا هيكلٍ نحيلٍ وشعرٍ مثالي، تسقط خصلة داكنة منه دائمًا على جبهته. كانا متفقين في أصلهما، فقد كان والداه من أصلٍ باكستاني، لكنه على عكسها، كانت نشأته دينية بطريقة ما - كان يصوم في أثناء شهر رمضان ويحتفل بالعيد - وقد سافر إلى باكستان من قبل. ثم تعارفا سريعًا في وقت قصير، وكانا لا يفترقان أبدًا طوال عامهما الأول. لاحظت ميرا بعضًا من غيرته وكثرة مطالبه، لكن إصراره كان فائقًا وطابعه الرومانسي كان دائمًا وصادقًا.

انقلب الأمر رأسًا على عقب في أثناء عامهما الثاني. أقنع دچاي ميرا بالانتقال إلى شقتها الخاصة خارج الحرم الجامعي، وعندما انتقلا إلى هناك، بدأ إصراره عليها أن تُنهي صداقاتها القليلة التي احتفظت بها في عامها الأول في الجامعة. وكان مسموحًا لها بحضور صفوفها الدراسية، لكن لا يُسمح لها بحضور أي فعاليات اجتماعية. وبدأ في إقناعها بما يجب أن ترتديه وما يجب أن تأكله. وعندما اقترحت عليه أن يبتعدا لبعض الوقت - وأنهما ربما كانا صغيرين في العمر للالتزام بعلاقة جادة مثل هذه - كان جوابه أن لوى ذراعها بشدة حتى سبب لها جرحًا

سطحياً. صارت بعد ذلك حذرة فيما يجب أن تقوله، إلا أن نوبات غضبه وثورانه لم تهدأ قط، وصارت تدور معظمها حول ما يجب أن ترتديه عند زهابها إلى صفوفها الدراسية. كان بركان غضبه يثور بحُمم هادئة -«ما هو مقياس تلك التنورة؟»- وعادة ما ينتهي بالتواء ذراعها (وأحياناً وجهها) والصراخ في وجهها ومناداتها بالحقيرة والعاهرة.

كانت ميرا تعلم أن جارها في الطابق السفلي يستمع إلى ما يحدث بينهما. كانت تعلم لأن ماثيو دولامور دائماً ما كان يهتم بها ويكثر من الكلام معها عندما تقابله على الدرج بمفردها، لكنه لم يكن يعيرها اهتماماً قط عندما يكون دجاي يرافقها. لا بد وأنه كان يعلم ما ستعانيه ميرا إن ألقى عليها السلام عندما يراها مع دجاي. لقد كان حامياً لها بطريقته البسيطة، لكن بادرته كانت تعني لها العالم وما فيه. ذات مرة دعت هين لشرب الشاي في غرفتها بينما كان دجاي مسافراً في إحدى مباريات الاسكواش، وعلى الرغم من معرفتها بخطر ما تفعله، فإنها أرادت أن تشكره. كان حديثهما حافلاً بكل شيء إلا التطرق إلى العلاقات. كان حازماً بعض الشيء، إلا أنه كان واحداً من أولئك المستمعين الجيدين. حتى عندما كانت تقص عليه أتعفه القصص، كانت تشعر بعينيه يخترقانها وعقله بأكمله معها.

بعد موعد الشاي الذي دعت إليه بعد الظهر، سألتها -مرة واحدة فقط- إن كانت تريد المجيء إلى شقته لاحتساء القهوة. رفضت دعوته وأخبرته أن صديقها قد عاد إلى المدينة ولن يكون مجيئها ملائماً. كانت تأمل أن يتفهم ما ترمي إليه وأن لا شيء سيتغير بينهما، وأنه إن رآها برفقة دجاي سيظل متظاهراً بعدم معرفته بها. وبدا واضحاً أنه قد فهم رسالتها، لأنه وفي المرة التالية التي مر فيها ميرا ودجاي بماثيو -كانا عائدين من متجر البقالة، وكان ماثيو حاملاً حقيبة الظهر على كتف

واحد متوجّهاً إلى الخارج - تجاهل ميّرا تمامًا، وأومأ برأسه قليلاً إلى دچاي.

وعلى الرُغم من ذلك، سألتها دچاي لاحقاً في المساء، بعدما حفظت ميّرا كل مشتريات البقالة في موضعها:

- ماذا تعرفين عن هذا الشاب في الطابق السفلي؟

سألت:

- تقصد جاري؟

- أجل. هذا الشاب الذي مر بنا الليلة، والذي يبدو وكأنك تفكرين فيه.

- أنا لا أعرفه يا دچاي، ولم أتحدث إليه قط.

بدلاً من ذلك، تدرج الأمر إلى الأسوأ، وانتهى حديثهما بأن دفع دچاي رأسها إلى مقدمة السرير بينما تغوص أصابعه في رقبتها. فكرت في أن تخبره عندئذ أنها قد دعت ماثيو إلى شقتها لاحتماء الشاي، حتى ينتهي الأمر. بالطبع كان ليقتلها، لكن حينها سينتهي كل هذا الألم. وإذا لم يقتلها، هل كان سيتركها؟ كان أمراً مستبعداً، لكنه يظل محتملاً.

ولكن قبل أن تمتلكها الشجاعة للاعتراف له، غادر أخيراً. استلقت ميّرا على الفراش تبكي لوقتٍ طويل، ثم بدأت تتساءل إن كان ماثيو قد استمع إلى طرَب تلك الليلة. بدا وكأنه كان في طريقه إلى المكتبة عندما رأوه باكراً. هل تُراه عاد الآن؟

كان الشيء الوحيد الجيد في تلك المشاجرة أن دچاي سيكون لطيفاً معها لعدة أيام على الأقل. سيعود إليها نادماً، بالطبع ما لم يكتشف أن لها علاقة حقاً (من أي نوع) بجارها في الطابق السفلي. كلا، يجب ألا

يعلم شيئاً عن هذا. ليس وكأنني أحمي نفسي، ولكنني أحمي ماثيو.  
هكذا حدثت نفسها.

بعد مرور أسبوع - كان دچاي خلالها نادماً ولطيفاً (حتى إنه اشترى لها زهوراً بيضاء) - جاء رجل شرطة إلى شقة ميرا صباح أحد أيام الأربعاء، وسألها إن كانت صديقة دچاي سارافان، ثم أخبرها أن دچاي قد وُجد ميتاً. لقد وُجد ميتاً في سيارته من طراز بي إم دابليو - أئمن ممتلكاته بعد ميرا - وهي مصطفة على بعد أميال قليلة في نهاية أحد الشوارع المسدودة. لقد أقدم على الانتحار عن طريق ربط خرطوم بأنبوب العادم إلى داخل السيارة من خلال النافذة. ولم يترك أي رسائل.  
طوال الأسابيع القليلة التالية، كانت تُعامل خلالها كواحدة من الصديقات الحزاني، إلا أنها كانت تشعر كما لو أنها ناجية محظوظة، لم تلتق ميرا بـماثيو قط. لم يكن الأمر مهماً. في أعماقها كانت تعلم أن جارها في الطابق السفلي له علاقة بموت دچاي سارافان. ليس الأمر فقط لأنه الشخص الوحيد الذي قد شهد حقيقة علاقتهما، أو لأنها تعلم جيداً أن شخصاً يتمتع بغرور دچاي لم يكن قط ليودي بحياته بنفسه، بل الأمر كله هو أنه وقبل أيام من موت دچاي كانت تنظر من نافذة غرفة نومها، فرأت ماثيو ودچاي يتحادثان في ساحة انتظار السيارات. وكان دچاي يستعرض سيارته، أما ماثيو فكان يطرح عليه الأسئلة بحماس.  
لقد فهمت ميرا الآن كيف استطاع ماثيو أن ينجح فيما خطط له. لقد أظهر اهتمامه بسيارة دچاي من الطراز بي إم دابليو، ثم في تلك الليلة التي مات فيها دچاي، لا بد وأنه لحق به بينما كان يغادر الشقة، وربما قال له شيئاً مثل «مرحباً، هل تريد الذهاب في جولة بسيارتك؟»، كان دچاي ليوافق، ثم بطريقة ما تفوق ماثيو عليه قوةً، وأعمل خطته حتى تبدو وكأنها انتحار.

على الرُّغم من ذلك، عندما رأت ماثيو بعد عطلة عيد الفصح، تطلع إليها بنظرة الاهتمام حتى بدأت تشكك في استنتاجها. هل يمكن لهذا الشاب رقيق الكلام الذي يدرس التاريخ أن يكون قد خطط بالفعل لجريمة قتل ثم أفلت بفعلته؟ لقد بدأت في تغيير رأيها. ربما كان دچاي يُخفي أسفل نرجسيته وغروره شعورًا بالاشمئزاز من سلوكه الاعتدائي حتى إنه قتل نفسه. لقد كان هذا ما حدثت به نفسها حتى تكمل طريقها، وبخاصة بعد أن أصبحت وماثيو زوجين، فقد تواعدا طوال سنوات الدراسة في الجامعة، ثم تزوجا بعد تخرجهما مباشرة.

والآن بعد كل تلك السنوات، تُعيد التفكير فيما حدث مرة أخرى، وتتساءل إن كان ماثيو قد قتل دچاي سارافان حقًا أم لا.

*لقد قتله بالطبع. وكنتِ تعلمين هذا منذ أن حدث.*

لم تكن المرة الأولى منذ زواجهما التي تنتابها شكوك حول زوجها. على الرُّغم من طبيعته العادية، عاش ماثيو طفولة مشوهة. بالطبع لا يتحدث عنها كثيرًا، لكنه عندما يبدأ في الحديث، تُدرك ميرا كم أن استماعه إلى اعتداء دچاي عليها في الشقة التي تعلق شقته قد أعاد إليه ذكرياته عن والديه.

كانت هناك جوانب أخرى لشخصية ماثيو. في معظم الوقت، يبدو مجرد شابٍّ أمريكي الأصل والمنشأ، ومُعلمًا متفانيًا وزوجًا مخلصًا، لكنه في بعض الأحيان، يبدو طفوليًا ومحتاجًا إليها. وأحيانًا أخرى يكون منعزلًا بطريقة مخيفة ينظر إلى ميرا بحياد وكأنه يعمل على تقييمها. وأحيانًا ما يكون على تلك الحالة مباشرة قبل ممارسة الحب أو بعده.

لكن لا بد وأن جميع الزيجات تبدو كذلك ولو على نحو بسيط. إلى أي مدى يمكنك أن تعرف حقيقة شخصٍ آخر؟

ما زالت الأسئلة تطن في رأسها على الرُغم من ذلك: ماذا لو أن ماثيو قد قتل دچاي حقًا، وماذا لو أنه قد استمتع بما فعل حتى استمر في قتل المزيد؟ تعتقد جارتهم هين أن ماثيو قد قتل طالبًا سابقًا في مدرسة سوسكس هول يُدعى دستين ميلر. وفي الحقيقة، تتذكر ميرا تلك القضية جيدًا، لقد أُذيعت في جميع الأنباء المحلية. جريمة قتل قُيدت ضد مجهول وقعت لشابٍّ ميسور في ضاحية راقية في كامبريدج. لقد ذكرت القضية أمام ماثيو عندما علمت أن دستين كان واحدًا من طلابه، لكنه أخبرها بأنه لا يكاد يتذكر عنه شيئًا. وربما قال أيضًا إنه لا يعرفه؛ لا يمكنها استرجاع ذكرياتها عما قاله بالضبط. وطوال الأسبوع الماضي –منذ أن أُلقت هين اتهاماتها– كانت ميرا تقرأ المقالات حول مقتل دستين ميلر، القضية التي ما زالت مُقيدة ضد مجهول. وقد نُشر في إحدى المقالات أن دستين قد اتَّهمَ بالاعتداء الجنسي عندما كان طالبًا في سوسكس هول. كان هذا خبرًا جديدًا لم تعلم به من قبل، ومنذ ذلك الوقت لم تستطع التوقف عن التفكير فيما إن كان هذا صحيحًا، فكيف لماثيو ألا يتذكر؟ بالطبع سيكون أمرًا جلالًا.

لم يُزدها التنقيب سوى بُغض لنفسها، إلا أنها بحثت عن التاريخ الدقيق الذي مات فيه دستين ميلر. فوجدت أنه قد قُتل في الربيع منذ عامين ونصف. عادت إلى البحث مرة أخرى، لكنها بحثت عن جدول أعمالها، فوجدت أنها كانت في كانساس سيتي طوال ذلك الأسبوع. تعلم جيدًا أن اكتشافها لا يعني شيئًا، وبخاصة عندما تُفكر في كل الأوقات التي تقضيها في السفر بعيدًا عن المنزل، لكنها كانت لتكون أكثر سعادة إذا اكتشفت أنها لم تكن على سفرٍ في أثناء ذلك الأسبوع بخاصة.

والآن: سكوت دويل. لم تكوني على سفرٍ تلك المرة، أليس كذلك؟

نعم، بل فقدتِ الوعي لأن زوجك ظل يحثك على الإفراط في الشراب.

واتضح أخيرًا أن لماثيو علاقة بسكوت دويل، على الرغم من أنها علاقة بعيدة بعض الشيء. لقد كان الصديق السابق لميشيل براين، مُعلمة تاريخ في مدرسة سوسكس هول وإحدى زميلات ماثيو. هل أخبرت ماثيو شيئًا عن صديقها، شيئًا سيئًا؟

إنه يقتل الرجال فقط! يقتل الرجال الذين يسيئون معاملة النساء.

منحت ميرا لنفسها بعضًا من الوقت لتفترض أن كل ما استنتجته صحيح. لقد قتل ماثيو دجاي لاعتدائه عليها، ثم قتل دستين ميلر لأنه مغتصب أفلت بفعلته. وأخيرًا، قتل ماثيو سكوت دويل لأنه لا بد قد عرف شيئًا سيئًا عنه أيضًا. ربما قد أسرّت له ميشيل زميلته بشيء عن سكوت دويل.

أدركت ميرا أنها كانت تُصر على أسنانها فكفت عن ذلك. تركت فراشها واتجهت نحو النافذة. وقفت تُحدق في السماء المعتمة وامتداد المباني الإدارية التي تظلها شبكة من شوارع المدينة. كانت معظم المباني مظلمة، بعضها مهجور تمامًا ومعظم مصابيح السيارات التي يمكنها أن تراها من نافذتها كانت حمراء، ورأت هؤلاء المرتحلين يوميًا يفرون من وسط مدينة «ويشيتا» إلى مدن المسافرين<sup>(1)</sup>.

فكرت: ماذا أفعل؟ إذا كنتُ أعتقد حقًا بوجود هذا الاحتمال أن يكون ماثيو قاتلاً/ عندئذ ماذا أفعل؟

هل تُسلمينه إلى الشرطة؟

لقد أنقذ حياتك.

(1) Bedroom Community: بلدة سكنية يعمل أغلبية سكانها الموظفين في مدن مجاورة ويسافرون إليها عادة بشكل يومي. (المترجم)



كلا، ماثيو ليس قاتلاً متسلسلاً بما تحمله الكلمة من معنى، بل كان مُقتصاً. وربما لا يكون أيًّا من هذا أو ذاك (ليت الأمر يصير إلى هذا الاحتمال). وربما كانت هين مازور جارتنا مجرد امرأة مجنونة، تحمل مشاعر الاضطهاد نحوه، وتحاول العبث برأسها حتى تثير شكوكها تجاه زوجها.

سمعت ميرا أزيز الهاتف على فراشها فعادت لتفحصه متوقعة أن تكون رسالة من ماثيو. لكنها وجدت رسالة من جون ماك أليير يُجيبها: لا مشكلة، أتفهم الأمر جيداً، لكنني سأعاود تفقدك لاحقاً، لأرى إن كان بإمكانني إقناعك باحتساء شرابٍ معاً. بعد الرسالة سيضع واحداً من تلك الأوجه التعبيرية الضاحكة التي تغض الطرف. فاجأها هذا الشعور، لقد أدركت للتو أن جون مُصر على رؤيتها في تلك الرحلة. أصابها قليلٌ من القلق والضيق أيضاً. ثم قررت أن تترك رسالته دون جواب وألا تمنحه أي حافز للاستمرار في محاولاته على الإطلاق. الرجال حقاً غريبو الأطوار. مثل جميع النساء، لقد علمت تلك الحقيقة منذ وقتٍ طويل. ويبدو أيضاً أن زوجها على علمٍ بتلك الحقيقة. ربما عليها أن تهاتفه وتخبره أنها تعاني مشكلة بسبب زميلها المزعج هنا في ويشيتا. وترى إن كان الأمر سينتهي بجون ماك أليير ميتاً في غضون أسبوعٍ أم لا. علت ضحكة هستيرية من ميرا، إذ خطرت لها تلك الفكرة، إلا أن ضحكتها لم تُحدث سوى المزيد من الألم الذي يُزيد صدرها سوءاً عما كان عليه.

لم تكن تشعر بالجوع، لكنها فتحت قائمة خدمة الغرف للطعام على أي حال. كانت تعلم أنها إن لم تأكل الآن، فستستيقظ جوعاً في منتصف الليل.

# 29

سأل اللويد:

- أين نمتِ بالأمس

كانت هين في المطبخ تنتظر صفيح ماكينة صنع القهوة أن تصدر وهي تُمسك بالفنجان في يديها.

- لقد نمتُ على الأريكة، أسفة!

- هل قضيت الليلة مستقيظةً على رسوماتك؟

- كلا، لقد نمتُ صدقني.

قال اللويد:

- لقد افتقدتكِ.

ثم جلس إلى طاولة المطبخ يسكب لنفسه طبقاً من حبوب تشيريروس بالعسل والمكسرات.

ارتشفت هين قهوتها، ثم قالت:

- لقد أدركت ليلة أمس أنني لم أسألك قط عن حفلة روب. لقد كان الوضع فوضوياً قليلاً عندما عدت.

- أجل، سأخبرك. لقد كانت جيدة كالمعتاد.

- مَنْ كان حاضرًا؟

- الجمع المعتاد، إلا القليل منهم الذي تخلف أو القليل الآخر الذي زاد. بالطبع، حضر تود وستيف، وكان إيفان هناك أيضًا وكريسي، وكان هناك أيضًا بعض من الأشخاص الجدد. وبعض من الجيران الذين لم أراهم من قبل.

بينما كان يواصل حديثه، سألت قطرات من الحليب على ذقنه فمسحها بظهر يده.

- هل يواعد روب فتاةً جديدة؟

- لو كان يواعد إحداهن كانت ستحضر. كلا، لا أعتقد ذلك.

- هل تُراه قد واعد أي فتاة بعد جوانا؟

- بعد جوانا؟

تطلع للويد إلى السقف وحاولت هين أن ترى إن كان سيكشف لها أي شيء.

- لا أعتقد ذلك. لا يبدو الأمر وكأنه يعيش في منطقة تعجُ بالنساء العزباوات.

- أعتقد أنهما ما زالا على اتصال؟

- من تقصدين بأنهما ما زالا على اتصال؟

- روب وجوانا.

- لِمَ؟ أتأملين أن يعودا معًا مرة أخرى؟

ابتسم للويد بينما يواصل حديثه متجاهلاً قطرات الحليب التي ما زالت عالقة بذقنه.

- أحيانًا. أنت تعلم أنني لا أهتم لأمر روب، لكنها كانت أفضل مَنْ واعد.

- أتعلمين أنني التقيت بها مؤخرًا؟

- مَنْ؟ جوانا؟

- أجل، لقد التقيت بها صدفةً في بوسطن. إنها تعمل في شركة تقع في وسط المدينة، لكنها ما زالت تعيش في نورثامبتون.

- ماذا تعمل؟

- لستُ متأكدًا من ذاكرتي. لقد أخبرتني بأنها تعمل بشيء يتعلق بأبحاث الصحة العامة. أعتقد هذا.

كانت هين تراقب اللويد بانتباه شديد. كانت تعلم بكذبه - على الرغم من أنه من المحتمل ألا يتذكر تفاصيل عمل جوانا فعلًا حتى وإن كان يمارس الحب معها- وكان أداؤه رائعًا. كان هذا السبب الذي قررت من أجله استجوابه، لقد أرادت أن ترى الهيئة التي سيبدو عليها عندما يكذب. هل يبدو مذنّبًا البتة؟ متوترًا؟ في الحقيقة لا يبدو عليه أي من هذا. شعرت بجفاف حلقها واضطرابه عندما واجهتها تلك الحقيقة، كما لو أنها على وشك البكاء. فتحت الثلاجة وأخرجت حبات من الليمون الهندي.

مكتبة

t.me/t\_pdf

سألت اللويد بصوت بدا طبيعيًا:

- هل تريد نصفها؟

- كلا، أنا متأخر في الحقيقة، عليّ الذهاب الآن.

شقت حبة الليمون الهندي إلى نصفين بسكينٍ حاد، وبحرصٍ شديد فصلت شريحة الليمون عن أغشيتها. وعندما انتهت، قبّلها اللويد على جانب شفيتها ثم غادر. ذهبت هين إلى دورة المياه وركعت على ركبتيها أمام مقعد المرحاض، كانت مقتنعة أنها على وشك التقيؤ، لكن شيئًا لم يحدث.

عادت إلى الأريكة في حجرة المعيشة. لقد كذبت هي أيضًا هذا الصباح عندما أخبرت للويد بأنها غطت في النوم ليلة أمس. لأنها لم تذق طعم النوم. استلقت الآن على الأريكة، كانت متعبة للغاية، حتى إنها لم تكن تريد التفكير في عواقب خيانة اللويد. لم تكن تشعر بالبرد لكنها سحبت الغطاء من على ظهر الأريكة ووضعت على جسدها، ثم تكورت في وضع الجنين وغلفت نفسها كشرنقة صغيرة. أغلقت عينيها وفكرت في أنها ليست متعبة للحد الذي يجعلها تغط في النوم، إلا أن الشيء التالي الذي تدركه هو استيقاظها من النوم مضطربة ينضح جسدها بالعرق، ولا تدري أي شيء عن الوقت الذي استيقظت فيه. دفعت الغطاء بعيدًا عن وجهها. كان فينجر جاثمًا على ظهر الأريكة فوقها وتصدر عنه خرخرة سريعة.

قالت هين:

- مرحبًا بك!

زادت خرخرة القط عندما التقت أعينهما وثبتتا.

دفعت الغطاء كليًا عنها وفحصت ساعة يدها. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف النهار بقليل، وعادت إليها جميع الذكريات التي مرت بها خلال الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة مندفعة جملةً واحدة. وبدلاً من الشعور بالإحباط والأسف، انتابها فجأة شعور بالانفصال، كما لو أن الساعات الخمسة التي قضتها في نوم بلا أحلام قد جردتها من كل المشاعر. ظلت متكورة على الأريكة على الرُغم من حاجتها إلى التبول، وفكرت في اللويد، إن كان قد وقع في حب جوانا أم أن الأمر لا يتعدى نزوة جسدية. أو ربما كان الأمرين معًا؟ تغمدها شعور مفاجئ بالحاجة إلى معرفة الحقيقة، ليس رغبة في الانتقام أو رثاء النفس، لكن لأنها تحب للويد وأرادت أن تعرف ما يحدث معه. لقد اتخذت قرارها بالفعل،

ذاك القرار الذي قررت ألا أعلم به للويد أبدًا، لكن ربما ستُخبره به الآن إن قرر مصارحتها بكل ما يحدث مع جوانا. كانت صراحتة التامة واحدة من الأمور التي أسرت لبها عندما تقابلا لأول مرة. وعندما ربطتهما علاقة الحب - عندما كانت تلك الفتاة الأخرى - أخبرها ذات مرة أن هدفه هو الحصول على علاقة جديدة مع فتاة مختلفة كل عام، أن يقع في الحب، ثم يتبدد الحب، ثم يقع في الحب مرة أخرى.

قالت هين حينئذ:

- يبدو هذا مريعًا.

- أعلم هذا، أليس صحيحًا؟ لكنني أعتقد أنني مُدمن على شقاء الحب؛ أحتاج إلى تلك المأساة في حياتي. في الحقيقة، أنا وغدٌ أحمق.

- لستُ متأكدة إن كان هذا يجعلك وغدًا حقًا، هذا أشبه ما يكون بالبله.

- صحيح، ربما أكون أبله.

قال للويد ذلك موافقًا على وصفها، ثم ندت عنه ضحكة عالية.

في الحقيقة كانت هين منجذبة إلى ذاك الجانب من شخصية اللويد، ذاك الشخص الذي وعدها بأن يُضفي المزيد من الإثارة على حياتها وأن يجعلها غير متوقعة دائمًا. كان هذا الوعد منذ وقتٍ طويل، وأدركت هين الآن أن رغباتها التي تمننت تحقيقها آنذاك قد تأثرت جزئيًا باضطرابات مرضها. كانت تؤمن بفكرة الرومانسية التي تراها في واحدة من الزيجات التي تقرأ عنها في السَّير الذاتية: حياة مليئة بالحرية والإبداع والرومانسية، تلك الحياة المحفوفة بالخianات الزوجية. لكن لم يكن هذا ما تريده الآن، ولا قبل وقتٍ طويل أيضًا، لكنها أدركت السبب. كانت

سنواتها التي قضتها مع اللويد مغلقة بالطمأنينة والاستقرار، وربما كانت فاترة ومملة بعض الشيء.

نهضت تتمايل من الإعياء والجوع، وحثت خطاها باتجاه المطبخ. كان فينجر يركض بجانبها. لاحظت نصف حبة الليمون الهندي التي تركتها على المنضدة. التهمت بعض الشرائح، ثم عصرت عصارتها المتبقية في فمها مباشرة. وأحضرت حبوب تشيريروس التي تركها اللويد على طاولة المطبخ، والتقطت حفنات من العلبة مباشرة إلى فمها حتى انقضى شعورها بالجوع.

بعدما أنهت طعامها، أخذت دفتر رسوماتها إلى الشرفة الأمامية وجلست على واحد من الكراسي مبطنة الظهر، وتشابكت قدمها أسفل منها. كان جنون العاصفة في أوجّه -ووفقًا لتقارير الأرصاد الجوية فإنه نهاية عهد العاصفة الاستوائية التي أتت إلى الساحل من فلوريدا- لكن الرياح كانت دافئة معبأة بقطرات باقية من الندى. جلست هين على حالها لوقتٍ طويل تشاهد الأشجار الراسخة على الجانب الآخر، تُمعن النظر في الأوراق المائلة التي تهتز من الريح ثم تسقط عن أغصانها. تفاعأت بما أُثير في خيالها من صور؛ شجرة تفقد كل أوراقها دفعةً واحدة، لكنها ليست أوراقًا حقيقية، بل طيورًا صغيرة تطير معًا كسربٍ واحد إلى السماء العاصفة. ثم تخيلت سماء مليئة بالطيور، أسرابًا وأسرابًا حتى أعمت كل شيء، وصارت سحبًا داكنة تملأ الأرجاء بزقزقتها، فارتجفت أوصالها.

بعد برهة من الوقت سمحت لنفسها باستحضار ذكرى اللويد مرة أخرى، وحاولت التركيز على اتخاذ القرار فيما يجب عليها فعله. يمكنها أن تواجهه بالطبع وأن تفتعل ضجة حول الأمر. ويمكنها أن تطرده من المنزل أو تطالبه بأن يتوقف عن رؤية جوانا. ويمكنها أن تطالبه

بالطلاق. لكنها تساءلت ما كانت لتفعله تلك الفتاة التي كانت عليها عندما كانت شابة يافعة. ربما كانت لتحارب من أجله وأن تُحاول اكتسابه مرة أخرى. أو ربما سعت للانتقام فأقامت علاقة مع شخص آخر. ربما كان الأمر أسهل آنذاك، عندما كان العالم من حولها مليئًا بكل هؤلاء الفتيان الفاسدين، المتعطشين للحب في العشرينيات من أعمارهم. لكن مع من يمكنها أن تُقيم علاقة؟ بالطبع ماثيو، جارنا القاتل. ندت عنها قهقهة عالية، ثم تفحصت الشارع سريعًا لتتأكد من أن لا أحد قد سمعها. تفحصت ساعتها، كانت قد تجاوزت الثالثة بقليل، وتساءلت إن كان ماثيو سيصل إلى المنزل قريبًا. أدركت أن ما خطر ببالها كان جزءًا من السبب الذي جعلها تخرج إلى الشرفة الأمامية، أن تتطلع إلى السيارات المارة والأوراق المتساقطة. لم يكن الأمر وكأنه العلاقة التي تنتظرها - مرة أخرى كادت أن تُصيبها الفكرة بنوبة جديدة من الضحك الهستيري- لكنها أرادت أن تتحدث معه أكثر، وأن تكتشف كيف عرف بشأن اللويد بالضبط.

بدأت الأمطار تنهمر بفعل الرياح العاصفة وفرقعات متفرقة تضرب الأوراق، وبدأت هين في رسم شجرة يتسارع من على أغصانها سربُ من الطيور، وهي ترفع نظرها إلى الطريق في كل مرة تمر سيارة من أمامها.

وفي تمام الرابعة دخل ماثيو بسيارته من طراز الفيات إلى مدخل السيارات. شاهدته هين متسائلة إن كان قد رآها في الشرفة الأمامية بينما كان يمر بسيارته من أمامها. ترجل من السيارة وأخرج حقيبة يده من المقعد الخلفي، ثم استدار وتطلع بنظره صوب هين. لم تتمكن من رؤية وجهه بسبب زجاج الشرفة الأمامية والمطر المستمر الآن، لكنها لوحت له بيدها، فلوح لها. دخل إلى منزله، وتساءلت هين إن كان بإمكانها



المرور بمنزله والتحدث معه، لكنه عاد إلى الخارج بعد برهة مرتدياً سترة برقبة دائرية قصيرة. سار تلك المسافة القصيرة التي تفصل بينه وبين الدرج الذي يؤدي إلى شرفة هين الأمامية، ثم توقف. سألها:

- هل يمكنني الدخول؟

فتذكرت هين حينئذ مصاصي الدماء وتلك الأسطورة عن حاجتهم إلى الدعوة لدخول المنزل.

جلس أمامها على كُرسي هزاز خشبي قديم كانت قد استلمته عندما استأجرت المنزل. بدا مختلفاً اليوم، كما لو أنه مرتعب. أو ربما كانت تسريحة شعره الرطب الذي مشطه إلى الخلف هي التي أوحى بهذا، فظهرت نقطة التقاء ضلعي الرقم سبعة لخط الشعر في منتصف جبهته. إلا أن هين أعادت التفكير في مصاصي الدماء مرة أخرى. سألت هين:

- لِمَ قلت ما قلته عن اللويد؟

بدا مرتبكاً لبرهة، ثم قال:

- إذن فهو يخونك.

- كلا، لم أقل هذا. إنني أتساءل فقط لماذا تعتقد ذلك.

شعرت هين بتوتر مفاجئ في أمعائها، ربما لم يكن عليها أن تذكر اللويد على الإطلاق. هل أكدت لماثيو للتو ما كان يعتقد بالفعل؟

- ليست لدي أي معلومات، لقد خمنت ذلك فقط، لأنه يعطي إحياء بهذا.

- أي إحياء بالضبط؟

أطبق شفتيه مفكراً ثم قال أخيراً:

- «يبدو كالرجال».

وندت عنه ابتسامة خجلة بعض الشيء.

أجابته هين:

- لا أفهم ما تعنيه بكلامك.

- أعني أن كل امرأة يقابلها - في الحقيقة كل امرأة يراها - يقرر على

الفور ما إن كان سيقيم علاقة معها أم لا. فيجردها من ملابسها في

مخيلته، ويتساءل إن كانت تفكر في نفس الأمر. وسأراهن أنه في

تلك الليلة بعد حفل العشاء قد افتعل خيالات مفصلة عن زوجتي،

وتساءل عما يمكن أن يحدث إن كنت مسافراً خارج المدينة في

نفس الوقت الذي كنت فيه خارجها. ربما يتناولان العشاء معاً،

ويقرران إقامة علاقة بينهما، ويقطعان وعداً بالأخبار أحداً أبداً.

لقد تخيل كل تفصيلة يمكن أن تحدث. تفاصيل ملموسة. لقد

تخيل كيف يبدو صدر زوجتي، وكيف يبدو...

- حسناً، لقد فهمت.

- حسناً، هذا ما يفعله الرجال.

بدت جملته دفاعية بعض الشيء. أجابت هين:

- تقصد هذا ما تفعله أنت.

تأرجح ماثيو بكرسيه للأمام.

- كلا، في الحقيقة لا أفعل هذا. إنني مختلف.

- إذن كيف تعلم أن الرجال يفعلون هذا؟

- إنني أعلم فقط. لقد كان أبي رجلاً سيئاً. كان... معتدياً جنسياً ذا

طبيعية سادية. وأخي الآن، إنه يشبه والدي تماماً إلا من حقيقة أنه

غير متزوج. لذا فليس هناك أي أحد ليُعذبه، لكن إن كان متزوجاً،

عندئذ...

وضعت هين قدميها على الأرضية الخشبية الملونة للشرفة الأمامية  
وانحنت إلى الأمام.

- لكن على الرغم من ذلك، هذا لا يعني أن كل الرجال...

- أن كل الرجال متشابهون؟ كلا، لكنه هرم يضم جميع فصائل  
الرجال. وإحصائياً، ربما كان زوجك في المستوى المتوسط، ليس  
رجلاً سيئاً، لكنه عندما ينظر إلى أي امرأة يرى منها فقط ما يريد  
أن يفعله معها.

- إذن أين أنت في ذاك الهرم؟

- لست مُدرجاً فيه.

- إذن أنت لا ترى المرأة كجسد؟ على الإطلاق؟

- كلا.

- فيما كنت تفكر عندما رأيت زوجتك أول مرة، قبل أن تتحدث إليها؟

- رأيت أنها جميلة بالطبع، لكنني لم أفكر في... تلك الأمور الأخرى،  
مثل جسدها، بتلك الطريقة التي سيفكر بها معظم الرجال.

- ولهذا السبب تحمي النساء، عن طريق قتل كل الرجال الأشقياء.

- أجل، وإن كان هناك رجل قد أساء إلى أي امرأة إساءة بالغة، وربما  
سيُعيد تكرارها ثانية، فلا أمانُ قتله.

قالت هين ضاحكة:

- لا تمانع قتله؟!

- أجل. ليس وكأنني أحب أن أفعل هذا. في الحقيقة أحب ما أفعله  
في بعض الأحيان عندما أنتهي مما أفعله. ولكن الدافع الأول... ما

يجعلني أقتل شخصًا في المقام الأول... هو أنني لا أمانع قتله.  
هناك اختلاف كبير بينهما.

قالت هين:

- للويد لا يخونني.

- حسنًا.

- ولا أريدك أن تؤذيه أبدًا. اتفقنا؟

بدا وجه ماثيو جادًا عندما قال:

- في الحقيقة، قررتُ التوقف. هذا ما تريدني أن أفعله، أليس

كذلك؟ هذا هو السبب الذي وافقتُ من أجله على مقابلتي بالأمس.

وتعتقدين أنكِ إن لم تستطيعي إقناع الشرطة باحتجائي، عندئذ

يمكنك إقناعي بالتوقف عن قتل الناس.

- هذا جزء من الحقيقة. لقد أردت أيضًا أن أسمع منك ما ستقوله.

إنها علاقة غريبة، قدرتك على أن تُصارحني بما تريده، وعجزي

عن أن أخبر أحدًا بما تقوله.

- إنها كذلك، غريبة للغاية، وتجعلني أشعر بالحرية.

- كم عدد الرجال الذين قتلتهم؟

تراجع ماثيو إلى الورا في كرسيه الهزاز وفرك أكمام سترته:

- لا أريد التحدث عن هذا الآن.

- حسنًا.

- أريد الحديث أكثر عن أخي.

- حسنًا.

- هل ذكرته لك من قبل؟

- لقد فعلت للتو.

بدا ماثيو مرتبكا، كما لو أنه قد نسي بالفعل تلك الكلمات التي نطق بها للتو.

- لقد قلت إنه يشبه والدك.

- ريتشارد يُشبهه، أما أنا فلا.

كان هناك شيء في كلماته جعل هين تُفاجأ بالتوتر يجتاح صدرها. سألت هين:

- كيف؟

- إنه يشبه والدي غير أنه... كما قلت، لا يقضي الكثير من الوقت مع الآخرين، بخلافي، لذا فلا أعتقد أبداً أنه يمثل خطراً.

- ماذا يعمل؟

- ريتشارد؟ يا إلهي، لا يعمل شيئاً. لقد قال إنه يحاول تأليف كتاب، أنا أصدقه. ميلا لا تعرف هذا، لكنني مصدر دعمه، المالي بالطبع. لقد كنتُ مصدر دعمه لسنوات. إنه مريض، ومرضه في رأسه، لكن الآن.... أنا خائف من أنه ربما قد بدأ في التصرف بحماقة، وأنه قد ازداد جرأة على....

- هل تعتقد أنه تسبب في إيذاء أحدهم؟

- ربما قد فعل.

هكذا قال ماثيو، أما هين فيمكنها أن تشعر بما يخفيه عنها.

- وأعتقد أنه ربما قد تسبب في إيذاء شخصٍ آخر. هذا ما يحدث مع أناس مثلنا. نكون على خير ما يُرام لبعض الوقت، ثم يحدث أن نتذوق قسمة مما تبدو عليه الحياة. يبدو الأمر وكأنه باب قد انفرج على مصراعيه، فلا يمكنك إغلاقه مرة أخرى أبداً، ليس تماماً. لذا

على الأقل، كنتُ دائماً قادراً على التحكم به من خلال قتلي فقط للرجال الذين يستحقون الموت، لكن عقل ريتشارد لا يفكر بتلك الطريقة. إنه يشبه والدي؛ يريد إيذاء البريئات من النساء.

- ربما عليك الذهاب إلى الشرطة.

قبض ماثيو على فكيه.

- لقد فكرت في الأمر، لقد حاولت حقاً، لكن يجب أن تتفهمي هذا. على الرغم من كل هذا، فهو ما يزال أخي. لقد تغلبنا على طفولتنا معاً، ولا أعلم إن كان بإمكانني فعل هذا معه. لا أعتقد أنه سيكون بخير في السجن.

توقف المطر، إلا أن الغيوم ازدادت عتمة. لم تر هين الرجل الذي يسير في الشارع، ليعرج إلى مدخل سيارتهم، حتى صعد درجات السلم باتجاه الباب الزجاجي. وللحظة خرجت فيها عن الواقع، اعتقدت هين أنه شقيق ماثيو، لكن الباب انفتح وخطا للويد إلى داخل الشرفة الأمامية، ينقل نظره بين هين وماثيو الجالس على الكرسي الهزاز.

قالت هين:

- مرحباً! لقد أتيت مبكراً.

- ألم تصلك رسالتي؟

- كلا، إن هاتفي بالداخل.

نهض ماثيو، والتفت للويد باتجاهه، ثم قال:

- مرحباً ماثيو!

- مرحباً للويد. لقد مررت بكم منذ عدة دقائق. إنني أحاول تصفية الأجواء بيننا، كما تعلم.

التفت للويد نحو هين ورفع حاجبيه سائلاً:

- حسنًا!

قال للويد:

- عليّ الذهاب أيضًا. إنني سعيد بالحديث معك يا هين، وسعيدٌ لرؤيتك للويد.

حث خطاه خلال الباب الزجاجي وأسرع في مشيته حتى وصل إلى منزله.

أما للويد فقد ظل ساكنًا مُطيلًا النظر إلى هين، ثم سأل:

- ما سبب هذا الهراء؟

فأجابته هين:

- أنتَ تُقيم علاقة مع جوانا جريميلوند.

# 30

عاد إلى غرفة مكتبه، بستره تتصبب عرقًا وقلب ما زال ينبض من هول المفاجأة، مفاجأة ظهور زوج هين. ألقى ماثيو نظرة أخرى على المظروف الذي تركه له شقيقه. ما زال في مكانه، وكذلك المفاتيح المرفقة بالحلقة البلاستيكية على شكل حرف *M*. حاول الاتصال بميشيل عدة مرات في ذلك اليوم، لكن هاتفها كان يُحيله دائمًا إلى البريد الصوتي. حاول الاتصال بشقيقه أيضًا، لكن دون جدوى.

عرف ماثيو أن كل ما يحتاج إليه هو أن يستقل سيارته إلى مباني كورتنى سكوير ويُجرب تلك المفاتيح ليرى ما قد حدث في شقة ميشيل، إن حدث شيء ما. إذا كانت ميتة، عندئذ سيتغير كل شيء، ويكون شقيقه قد فعل أخيرًا ما كان يُهدد دائمًا بفعله منذ وقت طويل. ولكن إن لم يكن قد ذهب إلى هناك، إن لم يتمكن من فتح الباب، عندئذ ربما ما تزال ميشيل حية، تستقل سيارتها إلى منزل والديها، وربما يتحول هاتفها إلى البريد الصوتي لأنها تريد التركيز على القيادة. يبدو ذلك وكأنه شيء ستفعله ميشيل، أليس كذلك؟ وربما إن ذهب إلى شقتها، فلن يجد شيئًا هناك، شقة نظيفة تركتها ميشيل قبل أن تغادر. لن تكون المرة الأولى التي يتظاهر فيها ريتشارد وكأنه قد فعل شيئًا مريبًا ليكشف لاحقًا



مزحته. حسنًا، شيء بين الجد والمزاح، لأنه دائمًا ما يكون شيئًا يريد فعله.

فكر ماثيو...

ولكن ماذا عن تلك المفاتيح؟ من أين حصل عليها؟

اتصلت ميرا، وطوال تلك الدقائق العشرين التي قضاها في الحديث معها، شعر ماثيو بأنه على ما يرام، وكاد أن يعود إلى حالته الطبيعية. قال ماثيو قبيل نهاية المكالمة:

- أنا أفتقدك.

سألت ميرا:

- هل كل شيء على ما يرام على الطرف الآخر؟ أهنالك جديد من الشرطة؟

- كل شيء على ما يرام. هل تُمانعين إن افتقدتِ فقط؟

ضحكت فأعاد إليه صوت ضحكتها روجه.

- سأعود مساء الغد. هل وصلتك تفاصيل الرحلة التي أرسلتها؟

- أعتقد ذلك.

- إذن أراك غدًا. وأيضًا، ماثيو...

- أجل؟

- أحبك كثيرًا، وأريد منك أن تعلم هذا.

أجابها:

- أعلم.

بعدما أنهى المكالمة الهاتفية، قطع ماثيو طريقه إلى الثلجة. لم يكن جائعًا لكنه فكر في تناول أي شيء. لقد كان يومه سيئًا. عندما

وصل إلى استراحة هيئة التدريس هذا الصباح، كانت كل الأحاديث تدور حول رحيل ميشيل المفاجئ. أحضر ماثيو لنفسه فنجاناً من القهوة لم يكن في حاجة إليه في الحقيقة، بينما يسترق السمع إلى «بيتي»، أقدم معلمات سوسكس هول، تهمس قائلةً:

- على الأقل كان بإمكانها مقابلة البديل واستعراض المنهج الدراسي معها. لم يكن الأمر سيستغرق منها أكثر من نصف يوم بحد أقصى.

قال ماثيو من الجانب الآخر للاستراحة:

- لقد قُتل صديقها، ووالدها يحتضر.

التفتت بيتي والمدرسون الثلاث الآخرون الذين كانوا يثرثرون معها ونظروا نحوه.

- آسف! إنني قلق بشأنها وهذا كل ما في الأمر.

أسرعت بيتي بجوابها:

- إننا جميعاً قلقون بشأنها، لكنني قلقة أيضاً على دروس طلابها.

تنقل ماثيو بقية يومه كما لو أن غيومًا مضطربة تُحلق فوق رأسه. أعطى دروسه، ومن وقتٍ لآخر كان ينسى تمامًا زيارة أخيه، لكنه بعد ذلك يعود ليتذكرها، ويرى فجأة حلقة المفاتيح في خياله ثانية، ثم تضطرب معدته. عندما انتهى يومه الدراسي، استقل ماثيو سيارته وحاول الاتصال بميشيل -فيتحول مباشرة إلى البريد الصوتي («ميشيل تتحدث. أنت تعلم ما عليك فعله.») - ثم حدّث نفسه بأنه يجب عليه الذهاب إلى المجمع الذي تسكن فيه، وأن يطرق باب شقتها. استطاع الشعور بالاطمئنان الذي سيحل عليه عندما تفتح الباب مُجيبةً طرقاته. يمكنه أن يسمع صوتها الآن تقول: «لقد أتيت! لقد علمتُ أن هناك سبباً

جعلني أتأخر عن جمع أغراضي والمغادرة هذا الصباح». ثم يمكنه سماع ضحكات أخيه ساخرةً منه لاحقًا. «لم تفكر أن بإمكانني حقًا فعل شيء كهذا، أليس كذلك؟ لقد اشتريتُ حلقة المفاتيح من أحد المتاجر، وانتظرتُ لأشهر حتى أخدعك بها». سيقول ذلك ريتشارد. أعاد ماثيو تخيل المشهد مرتين، ثم لاحظ أن واحدة من طلابه، بيلي بورتس، تشاهده من الجانب الآخر لساحة انتظار السيارات. أشعل ماثيو محرك سيارته الفيات وتساءل إن كان قد حرك شفتيه متحدثًا إلى نفسه.

بدلاً من الذهاب إلى كورتنى سكوير، اتجه مباشرة إلى منزله. كانت الرياح تدفع الأمطار على كلا الجانبين، وعباً البخار ما بداخل السيارة. أنزل إحدى النوافذ، فاندفعت الأمطار إلى الداخل ضاربةً وجهه، لكن البخار الذي غطى الزجاج الأمامي قد بدأ في الزوال قليلاً. صف سيارته مُلقياً نظرة عفوية على منزل جيرانه عندما ترجل من السيارة، ولاحظ وجود هين في الشرفة الأمامية. لوحت له بيديها، فسرى في جسده شعورٌ بالطمأنينة. سيذهب للتحدث مع هين، وسيتخذ قراره بشأن ميشيل فيما بعد.

والآن، أخرج ماثيو مشروب الشعير الغازي من الثلاجة بالإضافة إلى شريحتين من أصابع الجبن المغلفة بالبلاستيك. أحضر بعضاً من رقائق تريسكتس من خزانة المطبخ وحملهم معه إلى غرفة المعيشة ليجلس على الأريكة محاطاً بظلام الغرفة يأكل وجبته.

لا يستطيع تمامًا تصديق أنه قد أخبر هين عن شقيقه ريتشارد، لكن شعور بالراحة قد غمره حينئذ. ولا يقتصر الأمر على شعوره بالتححرر من ثقل همومه. إن كان ريتشارد قد فعل شيئاً لميشيل بالفعل، عندئذ من يدري ما الذي يستطيع فعله أيضاً غير هذا؟ لقد ذكر هين سابقاً، وأخبره عن رؤيته لها جالسةً في الشرفة الأمامية في إحدى الليالي،

وأخبره بأنه قد استطاع رؤية ما تُخفيه تنورتها. ماذا قال أيضًا؟ شيئاً آخر عن أن هين «لن تُمانع.» لم يأبه ماثيو عندئذ بالتركيز فيما قاله. لقد كان شقيقه هو من يتفوه بتلك الكلمات، شقيقه البائس الذي لا يعرف سوى الثرثرة بالكلمات دون الأفعال. ولكن ماذا لو أن هذا قد تغير بالفعل؟ بمجرد أن تبلورت تلك الفكرة في عقله، ازداد ألم معدته سوءاً أكثر مما كان عليه طوال اليوم. لقد اتخذ قراره بضرورة ذهابه إلى شقة ميشيل؛ يحتاج إلى اكتشاف حقيقة ما حدث بطريقة أو بأخرى.

فحص ساعته، فوجد الوقت مبكراً على الذهاب إلى مجمع الشقق السكنية الآن، فهناك الكثير من الناس يأتون ويذهبون. ثم قرر الذهاب إلى هناك في الحادية عشرة مساءً، آملاً أن يكون الوقت متأخراً حتى لا يراه أحد، لكن ليس متأخراً للغاية فيثير ريبة أحدهم إن رآه. اتجه نحو مكتبه وأشعل مصباح الثريا الصغير بجانب الأريكة، ثم ألقى نظرة فاحصة على بعض عناوين الكتب التي تُزين رف كتبه آملاً أن يجد شيئاً يمكن قراءته ليقفل الساعات القليلة التالية. تحسس الغلاف الخارجي لمجموعة كتب سالينجر<sup>(1)</sup> التي يمتلكها. كانت رواية الحارس في حقل الشوفان هي الكتاب الذي أنقذه عندما كان في الثالثة عشرة من عمره، الكتاب الذي استطاع أخيراً تهدئة الغضب الذي اجتاحه تجاه والديه وتجاه العالم بأكمله. ولكن الكتاب الذي سحبه الآن من رف الكتب هو فراني وزوي، لا يختلف عن سابقه أهمية بالنسبة لماثيو، الكتاب الذي أوج شعوره بالرغبة في حماية أي فتاة لأول مرة. عندما قرأه لأول مرة في الثالثة عشرة من عمره أيضاً، تخيل أنه قد وقع في حب فراني المضطربة التي قدمها الكاتب في الجزء الأول من الكتاب. لقد

(1) Salinger: جيروم ديفيد سالينجر كاتب أمريكي اشتهر بروايته الحارس في حقل الشوفان. ونشر سالينجر العديد من القصص القصيرة في مجلة ستوري في أوائل الأربعينيات قبل أن يخدم في الحرب العالمية الثانية. (1919 - 2010). (المترجم)

وقع في حبها بطريقة ما، وكانت هي حبه الأول، فتاة تُدرك أن العالم الذي نعيش فيه مليء بالهراء والسخافات. فتح الغلاف الهش العتيق الآن، وبدأ يقرأ السطر الأول -«عاد الطقس الشتوي الجالب للمعاطف الثقيلة، وليس المعاطف الخفيفة فقط، على الرغم من صباح السبت الذي غلفته أشعة الشمس ببراعة»-. استطاع ماثيو أن يشعر بتبدد التوتر الذي ألم بجسده. قرأ الكتاب بأكمله، قصتين طويلتين، ثم نهض من على الأريكة وأعاد الكتاب إلى موضعه على رف الكتب، وأدى بعض التمارين الرياضية. لقد أدت قراءة الكتاب غرضها حقًا، وسمحت له أن يغزو عالم الخيال لبعض الوقت، شيئًا لطالما كان سهلًا بالنسبة له. وأحيانًا ما يعتقد أنه كان منقذه الأول، لقد كان عالم الخيال هو ما أخذ بيده طوال مرحلة طفولته التي كان خلالها عالقًا في الجحيم، وصارت ما تمثله غرفة مكتبه الآن بما تحويه من كتب وطلاسم. لقد كان عالمًا آخر منفصلًا.

لم تحن بعد الحادية عشرة مساءً، لكن ماثيو شعر أنه الوقت المناسب ليستقل سيارته إلى شقة ميشيل ليكتشف الحقيقة. خلع بنطاله القطني من قماش تشينو وسترته واستبدل بهما أقدم سروال من الجينز لديه وقميصًا رياضيًا لا يرتديه أبدًا إلا عندما يُنجز بعض الأعمال حول المنزل. وجد إحدى قبعات التزلق الصوفية التي تنتمي إلى ميرا وأحكم بها غطاء شعره. وإذا لاحظ أحد وجوده حول الشقة، على الأقل لن يُشبه نفسه كثيرًا.

استقل سيارته إلى كورتنى سكوير، وصف سيارته ثانيةً في واحدة من مواقف سيارات الزوار. تمتلك ميشيل سيارة هوندا سيفيك رمادية، وكاد ماثيو أن يذهب للبحث عن سيارتها أولًا، لكنه قرر التراجع عن هذا. سواءً كانت سيارتها مصطفة في موضعها أم لا، لن يحدث هذا أي فرق. ما زال في حاجة إلى رؤية ما حدث في الشقة. كان المطر قد

توقف، لكن ساحة انتظار السيارات لم تنزل رطبة. كانت السماء خالية من النجوم مغطاة بلون أرجواني داكن. وكان المجمع يتكون من مبنيين منفصلين على شكل حرف اللام يحدان مسبحًا مستطيل الشكل. الصمت يغلف الأرجاء وأغلقت معظم النوافذ أضواءها. أما الضوء الذي ينبعث من الداخل إلى الخارج، لم يكن ليظهر إلا على استحياء من خلف الستائر أو حاجبات الضوء. ومعظم الضوء المنبعث لم يكن سوى وميض مرتعش أو شارد، كالضوء المنبعث من شاشة التلفاز. وبينما يسير بين المباني التي يُزين جانبيها طلاء الجص الرخيص، شعر ماثيو بقوة تجذبه نحو المدخل البعيد عنه، باب زجاجي يُنيره ضوء خافت وفراشة وحيدة تضرب أحد جوانبه دون ضجيج. كانت هناك لوحة تحكم بجانب الباب تحمل أجراسًا لكل من الشقق بدءًا من الشقة رقم 33 وحتى الشقة رقم 64. أخرج ماثيو حلقة المفاتيح من جيب بنطاله الجينز، لم يكن أي منهما يحمل رقمًا، لكن ميشيل أخبرته على الهاتف -عندما اتفقا على زيارتها- بأنها تسكن في الشقة رقم 41. كاد أن يرن الجرس الآن، لكن شيئًا ما أوقفه. لقد احتاج أن يعرف إن كانت المفاتيح التي تركها ريتشارد هي مفاتيح تنتمي لشقة في هذا المجمع. وإن كانت كذلك، فعليه أن يستعد لأسوء عاقبة ممكنة.

انزلق المفتاح الأول الذي جربه ماثيو بسهولة في قفل الباب الخارجي، لكن لم يدُر. شعر ماثيو بدفعة بسيطة من الاطمئنان تسري في جسده. لكن ماذا عن المفتاح الآخر؟ كالأول انزلق بسهولة في القفل، لكنه عندما أُدير انفتح القفل. دفع ماثيو الباب ودلف إلى داخل المبنى المغطى بالسجاد، أما الخوف الذي دب في أوصاله مع انفتاح القفل فقد بلغ ذروته الآن. وقف لبرهة يسترق السمع إلى الصمت الذي يُغلف المبنى، وبدأت عيناه تعتادان الوهج المشع من المصباح العلوي، ثم اتخذ خطوتين إلى الأمام والتفت إلى اليسار ليسير في الممر الطويل،

كانت الحوائط مطلية حديثاً بلون رملي هادئ. تبدأ أرقام الشقق من 33، وبعد سيره لثلاثة أرباع الممر وصل ماثيو إلى الشقة 41. قرب أذنه من الباب الخشبي لكن أذنيه لم تلتقط سوى صوت الصمت. كاد أن يطرق الباب لكنه استخدم المفتاح الآخر بدلاً من ذلك. تملكه شعور بأنه إن كانت ميشيل ما زالت داخل الشقة، فإنها ستكون ميتة. أما أمله الوحيد فقد تمثل في ألا تكون بالداخل، أن تكون قد غادرت حاملَةً معها جميع أغراضها، وأنها آمنة الآن في منزل والديها، وأن ريتشارد ليس قاتلاً.

انفتح الباب إلى الداخل. كانت الشقة مظلمة لكن ستائر النافذة كانت مفتوحة، فاستطاع ماثيو رؤية غرفة المعيشة المُجهزة بالأثاث. كانت تدور مروحة السقف ببطء مُحدثة صوت نقرات ضعيفة. أغلق الباب خلفه بهدوء ووقف ساكناً لبرهة، يلتقط أنفاسه. كانت هناك رائحة نفاذة في الشقة، مزيج من رائحة الحلوى والنحاس، وكاد ماثيو أن يعود أدراجه مرة أخرى. فقد كانت الرائحة التي نفذت إلى أنفه كافية لتُخبره بأن أسوأ القصص قد حدث بالفعل، لكنه قال في نفسه إن عليه التأكيد مما يُخبره به حدسه. عليه أن يشهد ما فعله شقيقه. حث خطواته سريعاً عبر أرضية غرفة المعيشة غير المغطاة بالسجاد، ولاحظ تكديس الصناديق في فجوة مدخل المطبخ. كان باب غرفة النوم قد تعرض للكسر حتى يُفتح، فدفعه ماثيو إلى الداخل بطرف حذائه. فاجأه مدى نفاذ الرائحة، ولوهلة من الزمن، قبل أن تعتاد عيناه الظلام، اعتقد أنه يتطلع إلى نسيج مُثبت على الحائط أعلى الفراش الكبير. لكنه لم يكن نسيجاً من القماش، بل كان قوساً كبيراً مرسوماً بالدماء، بل قوسين من الدماء الداكنة المتقاطرة.

كانت ميشيل مسجاة على الفراش، راقدة في بركة كبيرة من الدماء السوداء الفاسدة التي تلمع في الضوء النافذ من الخارج.

# 31

كانت هين مستلقية على الفراش تشاهد بزوغ الفجر يملأ الغرفة بالضوء. أما للويد فقد تركته في الطابق السفلي ينام على الأريكة، المكان الذي فضلت أن تكون فيه الآن حقًا إن كان لديها الخيار، لكنه وبعد أن اعترف لها للويد بعلاقته مع جوانا التي استمرت عامًا كاملًا، لا يبدو من الصواب أن تدعه ينام في سريرهما المشترك بينما تنام هي على الأريكة.

كانت ليلة طويلة استنزفت كل طاقتها. فبمجرد أن اتهمته بعلاقته الغرامية، تجعد وجهه وبدأ في البكاء. حسنًا، البكاء ليست الكلمة الأفضل لوصف ما فعله. لكنه تجنب الحديث عنه ثم بدأ في النشيج، ينهد بأنفاس لاهثة طويلة مبتورة لم تُحدث أي فارق سوى إزعاج هين التي انتظرت نحو عشر دقائق قبل أن يتمكن من البدء في الحديث. أخبرته بأنها تريد الحقيقة بأكملها، وأومأ برأسه مرارًا وتكرارًا. كان وجهه أشبه بصحراء تنتشر بها أخاديد من الدموع ومخاط الأنف. جلسا في غرفة المعيشة، وبدأ للويد حديثه:

- لقد انتهى الأمر على أي حال. كانت هي المكان الذي ذهبت إليه في عطلة الأسبوع الماضي عندما أخبرتكِ بأنني ذاهب إلى حفل روب. وكنت برفقتها في نورثامبتون، واتفقنا. كلانا يعلم أن هذا



خطأ كبير. وكانت تشعر بالسوء حيال هذا أيضًا، شعور مريع، لكنني أقسم أن الأمر قد انتهى.

- لست مهتمة بالكيفية التي انتهت بها الأمر يا للويد، أنا أتساءل لماذا بدأ.

إذن فقد أخبرها بالقصة، كيف بدأ الأمر بينهما منذ عام عندما حضرت جوانا حفل تخييم روب وكان للويد هناك بمفرده. كانا قد قضيا تلك الليلة معًا («لم يتجاوز الأمر قبلة غبية بسبب الإفراط في الشراب»)، لكن بعد ذلك بدأت المحادثة بينهما عن طريق رسائل البريد الإلكتروني المتبادلة، ثم تحدثا عبر الهاتف، ثم توالى الأمور بعضها وراء بعض. قال للويد مرارًا وتكرارًا إن الأمر لم يكن سوى علاقة نفسية أكثر من كونه علاقة جسدية، وأنهما قد اكتشفا فقط سهولة تبادل الحديث مع بعضهما بعضًا.

سألت هين:

- هل تحدثتما عني؟ عن زواجنا؟

- أجل، لقد فعلنا.

- عما تحدثت؟ وتذكر أنك ستخبرني بكل شيء.

- أعتقد أننا تحدثنا عن التغيير الذي طرأ على زواجنا، وكيف تغير

كل شيء، أولاً، جاء مرضك والاعتناء به، وجعلني هذا أشعر كما

لو أنني مجرد وصي لا أكثر من هذا، ثم اشترينا هذا المنزل معًا

وتحول حديثنا عن الرهون وتكاليف الانتقال والزينة....

قالت هين:

- هذا ما يُسمى بالحياة الواقعية.

- أعلم هذا، ولا أقول إنني على الجانب الصواب، لكنني أخبرك بما شعرت به. أعلم أن هذا ليس عدلاً، وأعلم أنني الشخص السيئ في تلك القصة.

- حسناً، أكمل.

استمر للويد في سرده وكانت هين تتفاجأ كلما وجدت نفسها تشعر بالملل من الاستماع إليه. يمكنها أن تسرد تلك القصة بنفسها. لقد كانت أزمة منتصف العمر، وقد ضجر للويد من تفاصيل حياته -أزماتها الصحية والقرارات المالية، ووظيفته التي كانت أقل إبداعاً مما تخيل أنها ستكون- وفجأة ظهرت تلك المرأة يتحدث معها ويهرب إليها، وبسبب هذا ظلت الأمور رائعة لبعض الوقت. حتى إن هين قد صدقته عندما أخبرها بأن الأمر قد انتهى، لأنه صار واضحاً لها أن ما بين للويد وجوانا ليس حباً عظيماً؛ إن الأمر لم يتخطَ حقيقة أن شخصين يشعران بالوحدة قد أقاما علاقة كما لو أنهما ما زالا في ربيع العمر. هل كانت تتطلع إلى أن يحدث بينهما أكثر من هذا؟ هل هذا الجزء الضئيل بداخلها يرغب لو أنها سمعت للويد يقص عليها قصة حبه الجنوني ويرغب في تركها، وأن هين عليها الآن أن تُقرر إما أن تُحارب من أجل زواجها أم لا؟ ربما كان شعورها مقتصرًا على تضاؤل علاقة للويد الدنيئة على الرغم من بساطتها أمام مقارنتها مع ما علمته هين في الأيام القليلة الماضية عن جارها والأسرار التي يحتفظ بها.

قالت هين قاطعة نوبة أخرى من البكاء:

- أنا متعبة للويد، سأذهب إلى الطابق العلوي للنوم. يمكننا إكمال حديثنا عن هذا في الصباح.

وقبل أن تُغادر غرفة المعيشة، قال للويد:

- عما كنتِ تتحدثين مع ماثيو دولامور؟

أجابت هين:

- إنه يقتل الناس.

- ماذا؟

- هذا ليس جديدًا. لقد أخبرتك عن هذا بالفعل، ولكنه الآن يُخبرني أنا بهذا أيضًا.

- ماذا؟ هل ستذهبين إلى الشرطة مُجددًا؟

- لا يمكنني ذلك، أليس كذلك؟ سيُنكر كل ما أقوله، وسيصدقونه. ليس لدي أي دليل، وتعرف الشرطة بالطبع عن كل ما حدث معي في أثناء دراستي في الجامعة. لن يصدقوني أبدًا.

- هل هو رجلٌ خطير؟

- أتقصد خطر عليّ؟ كلا، لا أعتقد أنه كذلك. لكنني قلقة بشأنك. إنه يعلم أنك خائن على أي حال.

- ما هذا الهراء الذي تتحدثين به؟

- لقد أخبرني بأنه استطاع الحكم على هذا الأمر بمجرد أن رآك. ومن الطريقة التي تطلعت بها إلى زوجته.

- يا إلهي! لن تتحدثي معه مرة أخرى، أليس كذلك؟

- لا أعلم. ربما أتوقف وربما لا. إنه يريد التوقف عما يفعله، وربما يمكنني مساعدته. إنه الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله.

- أعتقد أن عليك الذهاب إلى الشرطة وإخبارهم بكل شيء، حتى إن لم يصدقوا ما تقولين. عليك تسجيل ما تعرفين.

- إذن فأنت تصدقني الآن؟!

- أجل! أقصد، أصدق أنك كنتِ تتحدثين مع هذا المعتوه، وأنه يخبرك بشأن قتله للناس، وأنتِ تصدقينه.

- إذن صار الوضع الآن أنك لا تصدق ما يقوله؟

كانت هين تقف أسفل الدرج واضعةً إحدى يديها على درابزين الدرج.

- لا أعلم ما الذي عليّ تصديقه.

أخذ للويد نفسًا عميقًا تاركًا فمه مفتوحًا. ولاحظت هين جفاف شفثيه التي كاد لون حافتيها أن يكون أبيض.

- سنتحدث عن هذا أيضًا في الصباح، حسنًا؟

غطت هين في النوم بعد بزوغ الفجر بقليل. كان الضوء الذي ملأ الغرفة قد منح أسفل جفونها صبغة تميل إلى الاحمرار، وتظاهرت كما لو أنها تستلقي على حافة البحيرة في منطقة جبال أديرونداك، حيث يمتلك والداها كوخًا بلون العظام العارية. لقد كان هذا واحدًا من الأماكن التي تشعر فيها بالسعادة وهي محاطة بأشجار الصنوبر، وتشعر بمياه البحيرة الباردة ما زالت على جسدها، وتسترقق السمع إلى الصوت البعيد للزورق البخاري. ثم استيقظت، وما كان الزورق البخاري إلا صوت جازاة العشب في مكانٍ ما من شارع سيكمور. نهضت لتجلس على الفراش، وأدركت أنها قد نست تمامًا تجرع عقاقيرها في الليلة الماضية، فضاعفت جرعتها الآن، ثم ذهبت إلى الحمام لتغتسل. وبعدما ارتدت ملابسها، لم تستطع حمل نفسها على النزول إلى الطابق السفلي، وجلست لتسترجع محادثتها مع اللويد. كانت محادثة حزينة ومرهقة، إلا أنها تفاجأت من اكتشاف جزء ما بداخلها لا يهتم كثيرًا بما حدث. لقد انقشعت بالفعل الصدمة التي لاحقتها عندما علمت بعلاقته الغرامية،

وصارت الآن لا تهتم بها بطريقة ما. لكن ما أرادت أن تفعله حقًا هو النزول إلى الأسفل وإخبار اللويد بأن عليه الذهاب إلى العمل، وأن بإمكانهما التحدث لاحقًا. لقد أرادت أن تكون بمفردها وربما تذهب إلى الاستوديو، وأرادت أن تكمل محادثتها مع ماثيو وتكتشف المزيد عن أخيه وما يحدث معه.

استلقت على ظهرها تسترق السمع إلى أي صوت في المنزل. وتساءلت إن كان اللويد قد استيقظ بعد، لكن أذنيها لم تلتقط صوتًا. وأخيرًا حملت نفسها واستعدت للنزول إلى الطابق السفلي، متوقعة أن ترى اللويد ما يزال جالسًا على الأريكة، وربما كان بكاؤه مستمرًا أيضًا. لماذا كان يبكي كثيرًا؟ لقد كانت هي ضحية الخيانة وليس هو.

عندما وصلت إلى الطابق الأول، وجدت الأريكة فارغة والغطاء مُلقى على الأرض.

نادت بصوتٍ مرتفع:

- للويد!

وعندما نطقت بها، أدركت أنه لم يكن بالمنزل. سارت إلى النافذة التي تواجه ممر السيارة. لم تكن سيارته الجولف في محلها. ولم يترك أي رسالة في المطبخ، المكان الذي يمكن أن يترك فيه أي رسالة على الأرجح. هل ذهب إلى العمل فقط، وقرر أن يستقل السيارة بدلًا من القطار؟ كلا، هذا ليس منطقيًا. وإن كان قد فعل هذا، كان يجب عليه أن يُخبرها بذلك. ما كان عليه أن يغادر بينما هي ما تزال نائمة في الطابق العلوي. أخرجت هاتفها، فلم تجد أي رسائل أو بريدًا صوتيًا. أجرت اتصالًا به، وعندما بدأت تسمع رنين الاتصال، جاءت ضوضاء مألوفة من غرفة المعيشة، مقطع الافتتاح لأغنية «Coronado» من قبل دبيرهانتير التي اعتاد اللويد استخدامها نغمة رنين لهاتفه.

ضغطت زر إنهاء المكالمة على هاتفها وذهبت لتجد هاتف للويد الخلوي أسفل الغطاء بجانب الأريكة. ثم بدأ شعور بالقلق الحقيقي يسري في جسدها. هل ذهب إلى الشرطة ليُبلغ عن ماثيو؟ أم أنه ربما قد ذهب مباشرة إلى ماثيو نفسه. لكن هذا ليس منطقيًا أيضًا، لأنه ليس هناك سبب حتى يستقل السيارة ليذهب إليه. لم تستطع إلا أن تخبر نفسها: لقد ذهب لإحضار الفطور، واستقل السيارة إلى محل الخبز الرائع ذاك في وسط دارتفورد ليُحضر كعكات المشمش التي أحبها وكوبين كبيرين من القهوة، وقد نسي فقط أن يحمل هاتفه معه. هذا ما قالته لنفسها، لكنها في الحقيقة لم تُصدق أياً مما قالته. لقد حدث شيء آخر، شيء سيئ.

سارت إلى نافذة غرفة المعيشة ونظرت صوب منزل ماثيو. كانت سيارته غير موجودة أيضًا، وهذا يبدو منطقيًا، لأنه سيكون الآن في المدرسة التي يعمل بها. لم يكن هناك شيء محدد تتطلع إليه، لكنها ظلت واقفة أمام النافذة على أي حال، تتطلع إلى الضاحية ولا تعرف شيئًا عما يجب أن تفعله بعد ذلك.

## ريتشارد

لم أكن أدري أن الدماء تتطاير بتلك الطريقة، وكأنها تريد الهروب من الجسد وتبتعد عنه إلى أقصى ما يمكنها الوصول إليه. بالطبع لقد قرأتُ عن هذا من قبل في الكتب وشاهدته في الأفلام، تلك الطريقة التي ينتشر بها الدم الشرياني. لكن رؤيته في الحقيقة، رؤيته وهو يتطاير مباشرة كان شيئاً آخر ... شيئاً لا يمكنني تسخير الكلمات لوصفه.

كان أبي يحب الدماء أيضاً. أعلم أن ذلك يقتصر سببه على أنه قد أراني حمالة الصدر تلك عند عودته من رحلة العمل، حمالة الصدر المملوطة بالدماء، حمالة الصدر التي ما زلت أمتلكها حتى الآن، وأخفيها بعيداً مع الأشياء التي أخذتها من أبي. كلا، أنا أعلم ذلك جيداً لأنه بعدما كسر أنف أمي على طاولة العشاء، وجلست هي في محلها لا تقوى على شيء حتى تركت الدماء تسيل على وجهها وتتسرب في كل مكان - الطبق المكسور وسطح الطاولة المصنوع من البورسلين وشراشف العشاء ومشمع الأرضية- وجدت أبي يُخرج إحدى الشراشف من سلة الغسيل. تحول لونها إلى البني وتيبست من الدماء التي تشربتها، وعندما أمسك بي متطلعاً إليه، غمز بإحدى عينيه قائلاً «هدية أخرى».

أتساءل إن كان أبي قد رأى ما يمكن للدماء أن تفعله عندما تطلق لها العنان. كثيراً ما أرقنتني تلك الأفكار، حتى إنني في وقت ما قد بحثت عن جرائم القتل المقيدة ضد مجهول، واتجهت إلى تلك المناطق التي

كان دائماً يسافر إليها في رحلات عمله. دائماً ما كنتُ أجدُ شيئاً -في كل مدينة أمريكية هناك ضحايا للقتل من الفتيات، وكان قتلهم مجهولي الهوية- لكنني لم أستطع قط أن أعرف ما إذا كان أبي هو من فعل هذا أم لا.

قد أكون الآن علمتُ ما لم يعلمه أبي قط، تلك الدماء لها حياة خاصة. الآن يعلم ماثيو ما فعلته بصديقتة ميشيل. لقد علم هذا منذ تلك اللحظة التي تركتُ له فيها المفاتيح، لكن كان عليه أن يذهب ليتأكد بنفسه. راقبته من بعيد بينما أتساءل عما سيفعله عندما يتأكد مما حدث. هل سيذهب مباشرة إلى الشرطة ليبلغ عني؟ على الأقل لم يفعل حتى الآن. على الأقل بقدر ما أعلم. الأمر فقط هو أنني لا أعتقد أنه سيبلغ عني. لم تذهب أُمي قط إلى الشرطة، ودائماً ما كان ماثيو هو فرد العائلة الوحيد الذي يشبه أُمي.

كلا، ماثيو هو رجل من ذلك النوع الذي سيحاول التعامل معي بنفسه. وسيقول لنُبقي الأمر بيننا. لكن على الرُغم من كل شيء، لقد قتل أبي، حتى إذا أقسم لي بأنه لم يفعل. لكن كلينا يعلم أنه هو من بدأ الأمر. صار ماثيو قوي البنيان حتى تخطى بنية أبي في سنته الأولى من المدرسة الثانوية. «لقد تفتحت براعمه»، تلك الكلمة التي كانت أُمي تحب استخدامها. لا بد وأن أبي قد لاحظ ذلك أيضاً، فقد صار أكثر حرصاً في المنزل وحثراً عندما يبدأ تلك الألعاب التي كان يمارسها على أُمي. أما أُمي فلم تكن قط لتُضيع أيّاً من تلك الفرص واستغلت هذا الحرص. أذكر أنها اعتادت ذكر أسماء رجال آخرين في محادثاتها. كانت تقول «أجل، بورتير» أو «لقد التقيت بديك هومفريز هذا الصباح. وأصر عليّ أن أخبرك بأنه يتمنى لك الشفاء العاجل». كان هذا هو الوقت الذي بدأت فيه آلام الظهر تُضعف أبي. على الرُغم من أن الأمر قد زاد من وضاعته، فإنه لم



يكن هناك الكثير ليفعله حيال هذا. تلك المرة الأخيرة التي حاول فيها تهديد أمي فأمسك برقبته بينما كانت تغسل الأطباق، وكزه ماثيو فسقط أرضًا يتأوه على أرض المطبخ، وظل في محله لمدة ساعة لا يُعينه ظهره على الحركة. فسألته أمي إن كان يريد تناول عشائه على الأرض.

كان السبب الذي جعلني أعلم أن ماثيو هو الذي أسقط أبي من على الدرج المؤدي إلى المخزن هو أن أبي لم يذهب هناك قط، على الأقل بالقدر الذي أعرفه. كانت مساحة مخزن منزلنا تبلغ نصف مساحة الطابق الأول، مخزن الفاكهة العظيم، لكنه في الحقيقة لم يكن فيه سوى بضعة صناديق عطنة، تحوي بعض التذكارات الخاصة التي أخذتها أمي من منزل والديها عندما تُوفيا. وكان هناك واحد من أجهزة التجميد الكبيرة الذي اعتادت أمي أن تحتفظ فيه باللحوم المُجمدة ووجبات العشاء من منتجات سوانسون، لكنه توقف عن العمل في أحد فصول الصيف، وبعدها تخلصت أمي من كل اللحوم الفاسدة، لم تسع لإصلاحه أو شراء آخر جديد. ولم يعد أي من أفراد العائلة يذهب إلى المخزن، لذا لم يكن الأمر منطقيًا عندما وجدنا أبي في نهاية الدرج ميتًا من أثر جرح بالرأس. حدث هذا عندما كنتُ وماثيو في المدرسة، وكان أبي طريح الفراش بسبب آلام ظهره. أعلم جيدًا كم كان من السهل على ماثيو أن يتسلل خارج المدرسة ويشق طريقه خلال الغابات ليصل إلى منزلنا. كان ماثيو قوي البنية حينئذ، وكان أبي ضعيفًا للدرجة التي تُمكن ماثيو من حمله إلى الدرج المؤدي إلى المخزن وطرحه أرضًا حتى أسفل الدرج.

كنتُ أنا من وجدته بالطبع. كان أبي أشبه بدُمية خرقة تحول رأسها إلى الاتجاه الخاطئ. لم تُرَق نقطة دمٍ واحدة، لكن الموت الذي أنهى حياة والدي قد حدث بداخله.

اعتقدت ميشيل أنني ماثيو بالطبع مثلما فعلت سالي ريزبيل. وفي الوقت الذي أدركت فيه أنني لستُ ماثيو، كان الأوان قد فات، وكنتُ بداخل شقتها بعدما أغلقت الباب خلفي. وتحت أضواء شقتها الحزينة استطاعت أن ترى وجهي.

عاود زيارتي حلم المنزل المعتم بغرفه المتعددة. وقد تكررت زيارته كثيرًا الآن حتى لكأنني أعلم أنه يزورني عندما أراه. وأعلم أيضًا أن ذلك الشخص الذي أبحث عنه لن أجده. أرى الكثير من الممرات والكثير الكثير من الغرف، فأمامه الكثير من الأماكن للاختباء.

لكنني لا أعتقد حقًا أنني أملك خيارًا آخر سوى البحث عنه. في هذا المنزل الكبير تنخفض الأسقف، بالطبع لم أفكر في هذا كثيرًا من قبل، لكن المنزل خالٍ من النوافذ، فأجدني أسير في غرفة معتمة تقودني إلى غرف أخرى. وأقول لنفسي علينا أن نتوقف عن فتح الأبواب، لكن لا يمكنني التوقف حتى وإن رأيت من المشاهد أفضعها هناك: مثل أرنب شق جسده إلى نصفين لكنه ما زال حيًا، وديك رومي لوليمة عيد الفصح يمتلئ تجويفه بالعناكب، وأمنا تلد طفلًا على أرضية المطبخ، لكن كل ما يخرج منها هو نهر جارٍ من الدم.

وعلى الرُغم من فظاعة ما أراه، أستمر في فتح الأبواب ويستمر الأمل في النمو داخلي.

أنا مختبئ الآن، إلا أن لا أحد يبحث عني سوى ماثيو. وسيتغير ذلك قريبًا. ستبدأ رائحة الجثة في النفشي وسيلحظ الجيران الرائحة الكريهة. أو ربما سيفتقدها شخص ما ويذهب إلى منزلها للاطمئنان، وعندئذ أصير مختبئًا من الشرطة أيضًا. ما هي إلا مسألة وقت حتى يفتضح كل شيء.

هاتفني ماثيو مرات ومرات على الرُغم من أنه يعلم أنني لن أجيبه.

تبعته عند عودته إلى منزله بعدما ذهب إلى كورتني سكوير. وشاهدته يترجل من سيارته، ورأيته ينظر باتجاه منزل جيرانه بشيء من الحنين. ما الذي أخبر به جارتها؟ تطلعت إلى نافذتهم، فلم أر سوى شخصٍ يتقلب يميناً ويساراً على أريكة غرفة المعيشة. يمكنني أن أشعر بوجود تلك المرأة هينريتا في المنزل. أعتقد أنها قد ألفت تعويذة ما على أخي. والآن أعلم ما حدث. لقد فهمت الأمر. لقد رأيتها أخيراً عن قرب في أثناء فعالية الاستوديو المفتوح في بلاك بريك. لم يعرف ماثيو أنني قد ذهبت إلى هناك، لكنني فعلت. كانت ترتدي بنطالاً أسود ضيقاً يُبرز كاحليها، وقميصاً فضفاضاً منسوجاً شُمرت أكمامه إلى الأعلى، وأُجزم أنها قد قالت في نفسها كم تبدو مثل فنانة لا يتخيل جميع الرجال الذين يتجولون في معرضها ما تخفيه أسفل قميصها الفضفاض وبنطالها الضيق، وأن اهتمامهم منصبٌّ على لوحات الأطفال. لقد جلست القرفصاء بجانب إحدى طابعاتها، وأخرجت قدرًا كبيرًا من الأوراق، لقد رأيت جسدها الذي تخفيه أسفل قميصها، بشرة تبدو وكأنها لم ترَ الشمس قط وقفصها الصدري الغض.

تخيلت مقدار الدماء التي يغلفها هذا الجلد، تلك الطبقة الرقيقة مثل الشراشف الورقية. وأظن أنها تنبض بالدفع.

إذا أردتُ حقًا جذب انتباه ماثيو، فأظنني قد قتلت المرأة الخطأ.

**الجزء الثالث**

**الإخوة**



# 32

لم يفزع ماثيو مما رآه في شقة ميشيل، وعضاً عن ذلك حافظ على هدوئه. غادر الشقة بالطريقة التي أتى بها، لكن ليس قبل أن يتصل برقم ميشيل مرة أخرى ويسترق السمع إلى رنين هاتفها الذي كان موضوعاً على منضدة المطبخ مُعلقاً في مقبس الشحن.

فصل ماثيو الهاتف عن مقبس الشحن واستله في جيبه، ثم تراجع حتى خرج من الشقة مطمئناً من أنه قد محا آثاره من أي شيء يمكن أن يكون قد لمسَه بأكمام قميصه الرياضي. وعندما خرج إلى الردهة، أغلق الباب ثم تحرك إلى ساحة المبنى بأسرع ما يمكنه وأسرع نحو سيارته. اندفع بالسيارة مبتعداً ليجد نفسه في طريقٍ خلفيٍ مُحاطٍ بالغابات على كلا الجانبين، وقد منحته المصابيح الأمامية للسيارة نفقاً من الضوء يُحارب العتمة. وصل إلى مفترق طرق ووجد لافتة قد وجهته مباشرة نحو دارتفورد. يعرف الآن إلى أين قادته اللافتة، إنه يمر بأحد أكشاك الثلجات التي تكون مفتوحة فقط في أثناء شهور الصيف، كان أحد تلك الأماكن التي قد زارها برفقة ميرا في مناسبات عديدة. صف سيارته في ساحة انتظار السيارات المواجهة للكشك وأطفأ المصابيح، ثم ترجل من السيارة وسار باعتدال نحو الجانب الخلفي لكشك الثلجات الذي يتكون من طابق واحد فقط. كان هناك مكب صغير للنفايات ونحو

اثنتين أو ثلاث طاولات للطعام. وعند نهاية الأرضية المغطاة بالحصى، يبدأ حقلٌ ممتلئٌ بالأعشاب الضارة مُحاطاً من جانب واحد بحائط صخري ومن الجانب الآخر بصفٍّ من الأشجار المعتمة إذا ما قُورنت بالسماء الأرجوانية. سار ماثيو نحو مائة ياردة داخل الحقل حتى وصل إلى جزء صخري منه. سحق هاتف ميشيل بين صخرتين مسطحتين وجدهما، وحطمه حتى اضطر إلى البحث عن أجزائه بين الحشائش، ثم دفن الهاتف المُحطم والمفاتيح أسفل صخرة أكبر حجماً انتزعها من الأرض. بدا القمر بدرًا مضيئاً من خلف الغيوم، وتحت ضوءه الفضي استطاع أن يرى دودة الأرض تتحرك في التربة السوداء الرطبة أسفل الصخرة. أعادها إلى موضعها برفق، ثم سار مائة ياردة أخرى تجاه صف الأشجار. كان هناك خلف تلك الأشجار مباشرة سياج من الأسلاك الشائكة يحدُّ مرعى الأبقار. أحنى ماثيو السياج وكان ذلك مؤلماً للغاية. وعندما انتهى، وجد أن واحدة من الأبقار التي تقف في أحد القطعان قد التفت برأسها لتتظر صوب ماثيو. وفي ذاك الوقت، عاد القمر متخفياً مرة أخرى خلف الغيوم.

استقل السيارة مرة أخرى عائداً إلى المنزل يُحاول التوقف عن التفكير بعمق فيما سيفعله في كل هذا، يحاول تثبيت القلق والذعر اللذين يختلجان في صدره.

أطفأ مصابيح سيارته بينما يدخل إلى ممر السيارة، مُدركاً تماماً أن الوقت قد تأخر وأنه لا يريد أحداً من جيرانه أن يلحظ ذلك. ألقى نظرة تجاه منزل هين، ولاحظ أن أضواء غرفة المعيشة ما زالت مشتعلة. تساءل لبرهة عما حدث بعدما عاد زوجها إلى المنزل ووجدهما يتحدثان معاً في الشرفة الأمامية. بدا زوجها قلقاً حينئذ، وبالطبع استوعب ذكاؤه المتأخر الأمور ببطء، ناقلاً نظراته بين ماثيو وهين ثم إلى ماثيو مرة

أخرى، لكن لم يكن يدري حقًا فيما يجب أن يفكر أو يقول. هل كان ذكيًا للحد الذي يجعله يرى علاقة حميمية قد تنشأ بينهما؟ هل اعتقد أنهما يحظيان بعلاقة غرامية؟

عندما عاد إلى داخل المنزل المعتم، جاب ماثيو المكان زهابًا وإيابًا مانحًا نفسه بعضًا من الوقت لإنشاء قصة خيالية عن قتل اللويد. كانا معًا في غرفة ناصعة البياض - ربما كانت غرفة في أحد الفنادق الراقية في بوسطن - وكان اللويد محاطًا بشريط لاصق شديد الإحكام حول جسده حتى كان الجزء الوحيد الذي يستطيع تحريكه منه هو عيناه فقط. حمله ماثيو ووضعته في حوض الاستحمام العميق، فتح صنوبر المياه وشاهد اللويد يغرق في الماء. شاهد اختفاء كل ما يُكنه من تبخر وشهوانية وكبر من عينيه، عندما بدأ يُدرك حقًا ما يحدث له. إلا أن خياله كان مشتتًا قليلًا، فقد كان يعلم جيدًا أنه لن يستطيع حمل نفسه على تنفيذ ما يسرده في كل الاحتمالات. لقد ولت تلك الأيام بعيدًا، ويرجع الفضل إلى ما فعله ريتشارد. أدى ماثيو بعض القفزات ثم صعد الدرج إلى الطابق العلوي.

ماذا لو تصرفتُ كما لو أن شيئًا لم يحدث؟ - لو أنني نظفت أسناني وغسلتُ وجهي ثم تسللت إلى الفراش ودسستُ نفسي أسفل الغطاء - عندئذ ربما تكون الحقيقة أن شيئًا لم يحدث حقًا.

لم يُفلح الأمر. استلقى ماثيو في سريره يفكر فيما سيحدث بعد ذلك. ستكتشف الشرطة جثة ميشيل، وبسبب علاقتها مع سكوت دويل، سيعتقدون على الفور أن كلا الجريمتين بينهما رابطٌ مشترك. ومن المحتمل أيضًا ألا يفكروا بتلك الطريقة، ويعتقدون أن القتلة هم أشخاص مختلفون. لكن كلا، ما هذا إلا محض أمنيات. لكنهم سيربطون الأمر بعضه ببعض، وسيربطون بين قتل سكوت وميشيل معًا، وعندما



يصلون إلى هذا الاستنتاج، سيتذكرون أن واحدًا من المشتبه بهم في قتل سكوت دويل هو ماثيو دولامور الذي يعمل مع ميشيل براين. ولا تقتصر علاقتهم على أنهما زملاء في العمل، لكنهما أيضًا زملاء في القسم ذاته. ويمكنه الآن سماع صوت ديلان هيمبري قائلاً: «يا إلهي، لقد كانا يتحادثان طوال الوقت، وقد اعتقد بعض الزملاء أنه ربما يكون هناك شيء ما يربطهما. وأتذكر أيضًا محادثة غريبة قد جرت بينهما، فقد دعاها ماثيو للذهاب معه إلى الحانة، وربما كانت إحدى تلك الليالي التي كان يعزف فيها سكوت دويل مع فرقة سي-ببمز». بالطبع ستعود الشرطة إليه مرة أخرى، ولن يكون هناك أي حجة تلك المرة. ليس فيما يتعلق بقتل ميشيل على أي حال. ثم ستحدث الشرطة مع هين مرة أخرى، وربما يصدقون حديثها تلك المرة. وربما ستُخبرهم أيضًا بأنه قد ذكر ميشيل في حديثه إليها، وكلما جعلتهم الأدلة أقرب إليه، ازداد اقترابهم إلى ريتشارد.

يستطيع ماثيو أن يتخيل تصورًا آخر لما قد يحدث. ماذا لو استطاع إقناع الشرطة بأن هينريتا مازور هي من قتلت سكوت دويل وميشيل براين، وأنها قد ارتكبت جريمتها لتلصق به جريمتي القتل، وأن كل ما حدث ما هو إلا جزء من الهوس الغريب المُرسخ بداخلها من رؤية القتل في كل مكان، وأنها أرادت أن تكون على حق مرة واحدة على الأقل؟ فكر في أن بإمكانه إنجاح الأمر، لكنه لن يقدر على فعل كهذا، ولن يكون قادرًا على فعله معها على الأخص. إنها لا تستحق ما ارتسم في عقله. لكن ماذا عن اللويد؟ ماذا لو استطاع الحصول على دليل واحد -ربما خصلة من شعره- وأن يتسلل إلى هناك مرة أخرى ليتركها في مسرح الجريمة؟ سيبدو الأمر وكأنه قد اصطاد عصفورين بطلقة واحدة. حتى وإن انتهى الأمر ببراءة اللويد، على الأقل سيتمكن من إرباك الشرطة

ويُحيدهم عن الطريق. وكلما أمعن التفكير في الأمر، ازداد اقتناعه بأنها فكرة جيدة.

قبل حلول موعد الحضور إلى المدرسة، نهض ماثيو من فراشه. لقد تجافى عنه النوم تلك الليلة، وأصبحت جميع عضلات جسده تؤلمه. ساوره القلق لبرهة من أنه مريض، فتحسس بأطراف أصابعه مقدمة رأسه، لكنه فكر أيضًا أنه ربما قد أصاب جسده بالتوتر، حتى اجتاحه الشعور بالإرهاق. وبينما كان يغتسل، أدار رأسه ببطء إلى الخلف إلى أقصى حدٍّ يمكن أن تصله إليه، وبدأت مفاصل رقبتة تُصدر صوت طقطقة وتُرسل إشاراتٍ بذاك الألم إلى أسفل ظهره. كان يحتاج إلى النوم، ويحتاج أن يدع جسده يتعافى، لكنه يعلم أيضًا حاجته إلى الذهاب إلى العمل، ويعلم أنه لا يمكنه التجرؤ على فعل ما يخرج عن المألوف الآن.

كان الجو باردًا في الخارج، وكانت الحشائش أمام المنزل مُبللة بالندى. وعندما تطلع إلى الأفق، التقطت عيناه جانب السماء المضطربة الملبدة بالغيوم، وعلى الجانب الآخر تُحلق السماء زرقاءً صافية. دلف إلى سيارته وأدار محركها يُقلب بين محطات المذياع حتى وجد محطة الموسيقى الكلاسيكية بعد فترة على الجانب الأيسر من قرص المذياع. لم يكن يحتمل في ذاك الصباح خصيصى الاستماع إلى أصوات بشرية عادية تتحدث عن الطقس أو الأمور السياسية أو تحليلات ما بعد الموسم لكرة البيسبول. كان الزجاج الأمامي للسيارة ضبابي الرؤية من الخارج، لذا نقر زر تشغيل المساحات، ثم أنزل زجاج النافذة التي تسكن إلى جانب كرسي الراكب. سمح لنفسه أن يختلس نظرة سريعة إلى منزل جيرانه، وبينما كان يُدير رأسه لمح شبحًا من النافذة يتحرك مبتعدًا. قال في نفسه: هذا للويد! لقد أخبرته هين بكل شيء، أخبرته عن اجتماعاتنا

وما أخبرتها به. وقد صار الآن يصدق حقًا كل ما قالتة عني، وبدأ الآن في مراقبته لي. حسنًا، هذا جيد. إن تبعني فلن يعرف أبدًا ما سينتظره.

خرج ماثيو من ممر السيارة ببطء والتفت إلى اليسار في شارع سيكمور. كان هناك طريقان يؤديان به إلى سوسكس هول. كان الطريق الأقصر هو السير في الطريق 2، لكنه عادة ما يُفضل الطرق الخلفية وأن يتخذ طريق ليتلتون من وسط دارتفورد. أما اليوم فقد قرر السير في الطريق 2 متحركًا ببطء ومركزًا نظره على مرآة الرؤية الخلفية. كان قد قطع نصف الطريق إلى المدرسة بعدما مر من خلال طريق كونكورد الدائري، عندما تعرف إلى سيارة جولف رمادية خلفه على بعد ثلاث سيارات منه. ليس بالضرورة أن تكون سيارة للويد - فهذا الجزء من العالم مليءٌ بسيارات فولكس فاجن- لكن ماثيو كان يعلم جيدًا أنها سيارته. انحرف ماثيو إلى المدخل الذي سيصل من خلاله إلى المدرسة، فوجد أن سيارة جولف قد انحرفت مثله تمامًا. وتساءل ما الذي يُخطط له للويد، هل يتبعه ليكتشف إلى أين يذهب؟ كلا، لقد قرر ماثيو أن للويد سيواجهه في ساحة انتظار السيارات الملحقة بالمدرسة. يمكن أن يتصور الآن ما سيحدث بعد قليل عندما يتفوه للويد بالهراء رافعًا صوته «ابتعد عن زوجتي وإلا سأقتلك!»، أو ربما شيء كهذا، بينما يُحدق المدرسون الآخرون والطلاب ببلاهة إلى ما يحدث. لذلك قرر ماثيو المرور من المدخل الثاني الذي يلتف به ممر السيارات حول مؤخرة مبنى المدرسة، عوضًا عن المرور من المدخل الرئيسي مثلما يفعل عادةً. وكان يتمنى أن تخلو ساحة انتظار السيارات الخلفية من أي سيارات، وكانت خالية تقريبًا إلا من بعض السيارات المصطفة التي ربما تنتمي إلى عمال النظافة. توقف ماثيو إلى جانب رصيف التحميل

منتظرًا ثلاثين ثانية قبل أن يرى سيارة الجولف الخاصة بـ للويد تنعطف بالجوار مؤقتًا تاركًا مسافة سيارتين بينهما.

خرج ماثيو من سيارته تاركًا حقيبة يده وراءه وسار نحو سيارة الجولف بينما كان للويد يترجل من سيارته غير مهندهم يرتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا باليًا.

قال ماثيو متحاشيًا أن تخرج منه ابتسامته مضطربة:

- مرحبًا للويد!

بدا للويد مندهشًا فجأة كما لو أنه لم يكن مستعدًا بما يكفي لما يريد قوله. أغلق باب السيارة خلفه وقال:

- ابتعد عن زوجتي.

لم يتمالك ماثيو نفسه من الضحك، فقد تطابقت الكلمات تمامًا مع ما كان يتوقعه.

- على أي هراء تضحك؟

ألقي للويد سؤاله بينما بدا وجهه متوهجًا من الغضب.

- أضحك لأنك لا تدري مطلقًا ما تتحدث عنه.

- أعرف كل شيء. وأعرف كل ما أخبرت زوجتي به، وستذهب لإبلاغ

الشرطة بكل شيء. لقد انتهى أمرك. أما عن سبب مجيئي إلى هنا

الآن، فإنما لأخبرك أن تبتعد عن هين، وإلا ستقع في ورطة أكبر

مما أنت واقعٌ بها الآن.

غشى ماثيو شعور مألوف بالطمأنينة وسرت الغبطة في أوصاله

حتى غلفت صدره. سار بثباتٍ نحو للويد وهو يراقب عينيه ينتقلان

هنا وهناك، ويتصيب عرقًا من الفزع الذي أصابه قبل أن يحاول اتخاذ

قرار فيما سيفعل. وعندما تقلصت المسافة بينهما إلى خطوة واحدة،

قفز للويد باتجاهه ولكمه لكمةً قوية، بدا وكأنه يصيبه دون خبرة في

الثالث الأعلى من الأذن اليسرى. أمسك ماثيو بقميص اللويد -الذي كان يحمل اسم فرقة تُسمى سكروفي ذا كات<sup>(1)</sup>- ثم وضع قدمه اليمنى خلف ساقى اللويد ودفعه إلى الخلف ممسكًا بقميصه حتى لا يصطدم بقوة بالرصيف. وبمجرد أن صار للويد على الأرض، أسند ماثيو رُكبتيه على صدر اللويد دافعًا ذراعه اليمنى إلى الأسفل ومستخدمًا اليد الأخرى للضغط على أحد جانبي وجه اللويد. لم يتبقَ أمام اللويد سوى ذراعه اليسرى حرة، فأمسك برقبة ماثيو يخدش جلده من أسفل شعره. لم يكن ما يفعله للويد مؤلمًا إلى هذا الحد، واعتقد ماثيو أن للويد قد قَلَّم أظافره مؤخرًا وتعجب كيف حالفه الحظ هكذا. انحنى على صدر اللويد بثقلٍ أشد، لكنه كان حريصًا ألا يكسر أيًا من عظام صدره حتى غاب للويد عن الوعي لقلّة الهواء في رئتيه.

نهض ماثيو يلتقط أنفاسه بصعوبة يتحسس رقبتَه بيديه في الموضع الذي خدشه للويد. بدا وكأنه جُرْحٌ سطحي، تنتشر لزوجة خفيفة على سطح الجلد الذي أُصيب مما فعله للويد، لكن الجرح لم يكن سيئًا للغاية. التقط المزيد من الأنفاس العميقة، ثم مال على اللويد ليسحب خصلة من رأسه. ارتجفت جفون اللويد وبدأ في السعال. كل ما كان على ماثيو أن يفعله أن ينحني مرة أخرى على صدره ويظل على موضعه تلك المرة حتى يغيب للويد عن هذا العالم إلى العالم الآخر. سيكون أمرًا بسيطًا ومُرضيًا. لكن عوضًا عن ذلك، احتفظ ماثيو بخصلة الشعر في جيبه وعاد إلى سيارته، ثم استدار بها إلى واجهة مبنى المدرسة وصف سيارته في بقعته المعتادة. كان أمامه عشرون دقيقة حتى يبدأ صفه الأول في اليوم.

(1) Scruffy the Cat: فرقة غنائية فرقة موسيقى الروك / البوب من بوسطن، وكانت نشطة من 1983 إلى 1990. كما لعبوا عرض لم الشمل في عام 2011، قبل وفاة المغني الرئيسي وعازف الجيتار تشارلي تشيسترمان في عام 2013. (المترجم)

# 33

كادت هين أن تتصل بالشرطة خمس مراتٍ تقريبًا طوال تلك الساعة التي مرت على اكتشافها اختفاء اللويد، لكنها تتراجع في كل مرة مستحضرة تلك المحادثة التي ستجري مع الشرطة.

- كم مضى على اختفائه سيدتي؟

- ساعات قليلة فقط.

- هل هناك أي سبب يمكنك التفكير فيه ليبرر احتمالية رحيله عن المنزل؟ هل خُضت ما أي مشاجرة؟

- أجل، لقد اكتشفت أنه يُقيم علاقة غرامية طوال العام الماضي.

- هل تعتقدين سيدتي أن هذا الأمر قد يتعلق بحقيقته اختفائه؟

- حسنًا، دعني أخبرك عن القاتل المتسلسل الذي يُقيم بجوارنا...

عوضًا عن هذا، أُجبرت نفسها على صنع فنجانًا من القهوة وتناول قطعة من الخبز المحمص، ثم خرجت إلى الشرفة الأمامية برفقة فنجانها وهاتفها، تُحدث نفسها بالانتظار قليلًا. سيعود قريبًا على الرغم من أن جزءًا ما بداخلها قد تملكه شعور بأن شيئًا مريبًا قد حدث له.

كانت على أعتاب الاتصال بالشرطة مرة أخرى عندما قررت الاتصال بالمحقق مارتينيز. وفي أثناء التحقيق معها في قضية موت سكوت

دويل، كانت قد ذكرت اسمه أمام المحققين المحليين، وتوقعت أنه ربما يكون قد اطلع على القضية. وإذا لم يكن مطلعًا، عندئذ يمكنها أن تُخبره بما حدث. رن هاتفه نحو ستة أجراس، وعندما قررت هين أنه لن يُجيب على هاتفه، سمعت تلك النقرة قبل أن يأتي صوته قائلاً:

- مرحبًا هين!

كما لو أنهما أصدقاء قدامى.

- مرحبًا أيها المُحقق. هل يمكننا التحدث لبعض الوقت؟

- بالطبع، ما الأمر؟

- هل سمعتَ بشأن سكوت دويل، الرجل الذي قُتل في حانة رستي

سكوبر في نيو إسكس؟

- أجل، بالتأكيد. في الحقيقة هاتفني اثنان من المحققين بشأن تلك

القضية. وقالوا إنك كنتِ شاهدة على ما حدث وقد ذكرتِ اسمي

لهم.

- لقد رأيت كل ما حدث.

- أجل، سمعتُ عن هذا.

- لقد كان ماثيو دولامور. رأيتَه بوضوح مثلما أرى أي شخصٍ آخر،

ولكن ليس هذا بالضبط ما هاتفتك من أجله.

أجاب المحقق:

- حسنًا؟

- هل سمعت عن بقية القصة؟ وكيف أنني قد أُلقي القبض عليّ

سابقًا بسبب تتبعي لإحدى زميلاتي في الجامعة وادعيت أنها

تحاول قتلي؟

- سمعتُ عن هذا أيضًا.

- وأن ماثيو دولامور وزوجته قد حررا أمرًا تقيدياً ضدي؟

- لقد سمعتُ أنهما ينويان تحريره.

- حسنًا، لقد تحرر بالفعل. لكن هذا لم يُوقف ماثيو عن المجيء إليّ.

لقد تحدثنا معًا، وأخبرني بكل شيء. أخبرني كيف قتل دستين

ميلر، وأخبرني أيضًا عن قتله لسكوت دويل. إنه يقص عليّ كل

شيء لأنه يعتقد أنه في مأمن معي، ويعتقد أن لا أحد سيصدقني.

- متى أخبرك بكل هذا؟

قصت عليه هين ما حدث في مقابلاتهم الثلاثة وأخبرته بكل شيء

قاله ماثيو، بما في ذلك تلك الطريقة الغريبة التي ذكر بها اسم أخيه في

الليلة السابقة. وفي الوقت الذي كانت تقص فيه ما حدث، كانت تعلم

جيدًا كيف يبدو هذا جنونيًا، إلا أنها استمرت في حديثها تقص عليه كل

شيء مثلما حدث.

سأل المحقق:

- لا أعتقد أنك قد قمتِ بتسجيل أيًا من تلك المحادثات.

- لقد قام بتفتيشي في المرة الأولى التي تقابلنا فيها، وكان قد فكر

في الأمر أيضًا. لذلك لم أستطع تسجيل أيًا منها. اسمعني، الأمر

هو أنني قلقة الآن بسبب اختفاء زوجي.

- هل اختفى زوجك؟

- أجل، منذ الصباح. لقد أخبرته ليلة أمس بكل شيء قد أخبرتك

به للتو، واستيقظت من النوم لأجده قد رحل، وقد رحلت السيارة

أيضًا، وترك خلفه هاتفه الخليوي في المنزل. أنا قلقةٌ من أن يكون



قد تتبع ماثيو أيضًا. إن كنت تريد الحقيقة، فأعتقد أنني على حافة الجنون الآن.

- حسنًا هين. اهدئي قليلًا. متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟

- كان في المنزل ليلة أمس، وعندما استيقظت من النوم كان قد رحل.

قررت هين أن الوقت لم يكن مناسبًا حتى تتحدث بشأن خيانة اللويد.

- كنت على وشك الاتصال بالشرطة، لكنني أعلم جيدًا أنه ليس في عداد المفقودين رسميًا حتى ذلك الوقت.

- كلا، هذا جيدٌ أنك قد اتصلتِ بي أولاً هين.

لم تحب هين تلك الطريقة التي ظل يستخدم بها اسمها، وصارت تذكرها بذلك الوقت الذي احتُجزت فيه في المشفى، تلك الأوقات التي كان يُحاول فيها المحامي أو المعالج النفسي توطيد علاقة بينه وبين هين. جعلتها تلك الطريقة تشعر كما لو أنه يحتضنها بالطريقة التي يحتضن بها شخصًا مجنونًا.

- لا تصدق ما أقول، أليس كذلك؟

صمت لبرهة، ثم أجاب:

- لا أعلم ما الذي عليّ أن أصدقَه. وهذا أقصى ما يمكنني فعله لأجلك. لكن عليّ القول بأنه لا يبدو الأمر كافيًا بالنسبة لك. ومما سمعته، يمكنني القول إن لديه حجة دامغة في ليلة مقتل سكوت دويل.

- من زوجته.

- أجل، من زوجته.

- لا بد أن تكذب من أجله؛ إنها زوجته، ألا يجعلك هذا تُشكك في حجتها؟ قليلًا على الأقل!

- أجل، يمكن أن تكون كاذبة، ولكن يمكن أن تكوني أنتِ أيضًا كاذبة، وهنا تكمن المشكلة. إن لديك ماضيًا من الكذب في موقف مماثل.

كادت هين أن تغلق الخط مُدركة أن تلك المكالمة كانت دون جدوى. لكنها أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت:

- حسنًا! لسنا في حاجة إلى خوض هذا الجدل. أعلم جيدًا كيف يسير الأمر، وأعلم أيضًا كيف يبدو موقفني. لكن تذكر ما أقوله جيدًا، لا أريد إلا إخبارك بأن ماثيو دولامور قد قتل أناسًا كثيرين، بما فيهم دستين ميلر وسكوت دويل. وأعلم هذا جيدًا لأنه حقيقة. أدرك أن شهادتي لن تُقبل أبدًا، لكن لا بد أن يكون هناك دليل آخر. لا بد أن تجدوه.

- حسنًا! سن.....

- وهناك شيءٌ آخر. ابحث عن أخيه. قال إن اسمه ريتشارد. وادعى ماثيو أن حياتهما قد فسدت بسبب والديهما، لكن ريتشارد يقتل النساء دون الرجال.

- هل أخبرك حقًا أن شقيقه يقتل أناسًا؟

- في الحقيقة كلا، لم يقل هذا. ولكن بدا وكأنه يعتقد أن شقيقه قد صار مثله، وإذا بدأ في قتل الآخرين، فإنه سيميل إلى قتل النساء دون الرجال. هذا بالضبط ما أخبرني به. بدا قلقًا أيضًا كما لو أن شقيقه قد ارتكب حُممًا بالفعل.

- سأنظر في هذا الأمر هين، لا تقلقي.

- ستهاتفني إذا تغير أي شيء، أو إذا اكتشفت شيئًا جديدًا؟

- بالطبع! ويمكنك أن تُهاتفيني مجدداً إذا تذكرت شيئاً آخر،  
وأخبريني إن لم يعد زوجك إلى المنزل.

بينما كان يتلفظ بتلك الكلمات، شاهدت هين سيارة الجولف الرمادية  
تسير نحو المنزل، وتدخل ببطء إلى ممر سيارة منزلها.

قررت ألا تُخبر المحقق بذلك، ثم أردفت سريعاً:

- شكراً لك على استماعك لحديثي إيجي.

مستخدمة الاسم الذي طلب منها أن تُناديه به على الرُغم من أنه قد  
بدا غريباً عند تلفظها به، ثم أنهت المكالمة.

ترجل للويد من السيارة فخرجت هين لتقف على حافة الشرفة  
الأمامية مُراقبةً إياه من الباب الزجاجي. تلاشت فجأة كل مشاعر  
القلق على سلامته التي كانت قد شعرت بها، وحلت نيران الغضب في  
موضعها... الغضب من علاقته الغرامية، والغضب من حالة القلق التي  
تملكتها بسببه طوال الصباح.

قالت هين بينما يصعد الدرج باتجاه الشرفة الأمامية:

- ما هذا الهراء؟

- آسف، لقد... لقد غادرت فجأة.

- لقد تركت هاتفك وراءك. وقد أصابني الذعر.

دخل للويد الآن من الباب الزجاجي، رأت هين شحوب وجهه والفرع  
الذي يملأ عينيه.

- ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟

- لقد تبعته. لقد تبعت ماثيو دولامور إلى مدرسته، لأنني أردت  
التحدث معه... هل يمكننا التحدث بالداخل؟ فأنا أشعر بالبرد  
الشديد.

ما إن دلفا إلى الداخل، رأت هين الطريقة التي يُمسك بها ذراعه  
اليُمْنى، مُحاولًا ثنيها، حتى سألت:

- هل تشاجرتما؟

أخبرها للويد بما حدث، وكيف أنه قد تبع ماثيو إلى مدرسة سوسكس  
هول، وكيف أن ماثيو قد قيّد حركته.

- أين؟ في ساحة انتظار السيارات؟

- لقد كانت في مؤخرة المبنى الرئيسي، لقد سار بسيارته إلى هناك  
ثم صفها عند مؤخرة المبنى. أعتقد أنه قد شعر بتعقبي له.

- هل كنت أول من بدأ بلكمه؟

- أجل، على الرُغم من أنني آذيت نفسي أكثر مما آذيته. لقد كان  
هادئًا للغاية. وكل ما فعله هو أنه دفعني إلى الأرض وجلس فوق  
صدرى تقريبًا، وأعتقد... أعتقد أنني كنت أحتضر. ثم اسودت  
الرؤية أمامي، واعتقدت أنه يقتلني. لكن كل ما كنت أفكر فيه  
هو... كل ما كنت أفكر فيه هو أنت.

عاد إلى النحيب مرة أخرى، وعلى الرُغم من أن هين لم تكن حقًا  
ترغب في ذلك، فإنها ربتت بيديها على ظهره وأخبرته بأن ما حدث  
يبدو مخيفًا.

- هل تود التحدث مع الشرطة المحلية؟

- كلا، لا أريد. لن يُجدي الأمر نفعًا على أي حال. لقد كنت أنا من  
تبعه، وكنت أيضًا من بدأ بلكمه. وكل ما سيقوله هو إنه كان يحاول  
الدفاع عن نفسه. كلا، لقد فكرت في الأمر طويلاً. وأعتقد أننا يجب  
أن نغادر المنزل. سأتصل بالمسؤولين في شركتي وأخبرهم بأن  
لديّ أمرًا طارئًا وأحتاج إلى إجازة لبعض الوقت. يمكننا أن نستقل

السيارة ثم نذهب إلى أي مكان. ما رأيك أن نذهب إلى ماين؟  
يمكننا أن نعود إلى ذلك المكان في بار هاربور ونقضي أسبوعًا  
هناك. ونحاول إصلاح زواجنا. ما رأيك؟

هزت هين رأسها نافية:

- لا أعلم للويد. سيكون علينا العودة إلى هنا مرة أخرى. إلى جانب  
أنني لا أعلم بعد إن كنتُ أود إصلاح زواجنا أم لا.

- حسنًا، يمكننا استئجار غرفتين منفصلتين، المهم أننا لن نمكث  
هنا على الأقل. وأعلم أنني أبدو جبانًا، لكنني لا أبالي. أصدق الآن  
أنه رجلٌ خطير...

- صحيح! تُصدق الآن أنه رجلٌ خطير لأنك واجهته بنفسك. ولكنك  
لم تكن تصدقني عندما أخبرتك أنني حقًا قد شاهدته يقتل شخصًا  
آخر. إذن لم تكن في الأصل تقترح قضاء العطلة.

- أنا لا أقترح قضاء العطلة، هين. أنا أقترح أن نذهب معًا إلى مكانٍ  
آخر لحماية أنفسنا. وفي أثناء ذلك الوقت الذي نقضيه في مكانٍ  
آخر، يمكننا أن نفكر فيما سيحدث بيننا.

لاحظت هين فينجر جالسًا على الأريكة يلعب مخالفه وينظف إحدى  
أذنيه بينما يتجادلان. رأى أنها تتطلع إليه فتوقف عما يفعله مُحدقًا فيها،  
ثم تتأب.

قالت هين:

- لديّ عملٌ أحتاج إلى إنجازه، وتلاحقني مواعيد التسليم النهائية  
للكتاب الذي أعمل عليه، وأحتاج إلى الذهاب إلى مرسمي.

أجابها للويد:

- اللعنة على كل هذا.

- يمكنك الذهاب إن أردت. في الحقيقة، أعتقد أن عليك الذهاب. سيكون الأمر منطقيًا تمامًا، إلى جانب أن الأمر سيكون جيدًا إذا انفصلنا لبعض الوقت.

- أنا لا...

- للويد! أنا لا أدري إن كنت حقًا أريدك هنا، على الإطلاق.

- لا يمكنك إرغامي على الرحيل، ليس وهو يسكن في الجوار. سأنتقل إلى غرفة الضيوف إن كنتِ تريدين ذلك. ولن أحتاج إلى التحدث معك. أتفهم أنكِ غاضبة مني. أنا أيضًا غاضب من فعلتي. لكنني لن أغادر حتى أراه وراء القضبان.

- من يدري إن كان هذا سيحدث يومًا؛ أنا لستُ شاهدًا موثوقًا به، ولا أنتِ أيضًا، أما هو فليديه تلك الحجة. لذلك هو الآن جارنا في كل الأحوال.

أجابها للويد:

- إذن سننتقل من هنا.

تملك هين شعور بالاستنزاف فجأة. مجرد الإشارة إلى الأمر -التفكير في محاولة إنقاذ هذا الزواج، التفكير في منح للويد الثقة مرة أخرى، التفكير في أمر البحث عن مكانٍ جديد للعيش ومرسمٍ جديد- صار كل هذا مستنزفًا لطاقتها إلى حد يستعصي على الفهم.

قالت متحدثًا إلى القط:

- ماذا تعتقد فينجر؟ هل تريد الانتقال؟

بدأ فينجر في تنظيف أذنه الأخرى، ويحركها للخلف باتجاه جمجمته بمخالبه.

- لا أحدث عن الانتقال على الفور، لكن نفكر في الانتقال لاحقاً ما لم يتم القبض عليه في نهاية الأمر. إنه شخصٌ خطيرٌ للغاية. وأنتِ ستأتين معي هين. ولا أبالي إن كنتِ لا تريدين فعل هذا بنفسك. يمكنكِ أن تُسدي إليّ معروفًا وتأتين معي.

- أُسدي إليك معروفًا؟!

علت ضحكتها بينما تُجيب.

- حسنًا، انتهى الحديث بيننا رسميًا، عليّ الذهاب إلى المرسم وإنهاء عملي. يمكنكِ المكوث هنا، أو يمكنكِ الذهاب إلى العمل، أو يمكنكِ أن تستقل سيارتك وتذهب لتشاهد تغير أوراق الشجر في ماين. لا أبالي بما ستفعل على أي حال.

- إن كنتِ ذاهبةً إلى المرسم، سأتي معكِ.

- هذا لن يحدث، للويد، أسفة، لكنه لن يحدث. ستتعرض لخطرٍ كبير إذا ما بقيتُ هنا، خطر أفدح مما أكون أنا فيه في مرسمي.

قطب للويد حاجبيه ثم قال:

- ماذا تعنين بهذا؟

- لا أعتقد أنه سيُسبب أي إيذاءٍ لي. لقد تعرف بعضنا إلى بعض، وعليكِ أن تثق بي فيما أقوله.

- أعتقد حقًا أنكِ قد فقدتِ عقلكِ هين، وأعتقد أن هناك شيئًا خطيرًا يحدث معكِ. هل تتناولين عقاقيرك؟

- اللعنة عليك للويد. لِمَ لا تذهب إلى منزل جوانا وتظل هناك؟ اتصل بها كي تأتي لتُقلكِ إلى منزلها. أما أنا فذهبة إلى مرسمي لأن لديّ عملًا أنجزه.

سارت إلى المطبخ والتقطت مفاتيح السيارة من على الحائط، ثم وقفت لبرهة تفكر فيما قاله للويد للتو عن فقدانها لعقلها. كانت الكثير من لحظات الضعف العاطفي التي مرت في حياتها ترتبط بحالتها العقلية، لكن ليس هذه المرة. على الرغم من أنها تعاني الآن بعض الأعراض المماثلة -تسارع الأفكار والارتياح والشعور بالفزع- لكنها تعلم ما تريد. لقد أرادت أن تُخبر للويد بأن: هذا حقيقي، أعلم جيدًا من هو ماثيو الآن، أما حالتي العقلية فلا تتعلق بهذا.

عادت إلى غرفة المعيشة تتساءل إن كان للويد سيحاول منعها، لكن كل ما قاله عندما مرت من أمامه:

- سأكون هنا عندما تعودين إلى المنزل.

وبينما كانت هين تغادر المنزل، قالت:

- أتمنى حقًا ألا تكون هنا.



# 34

استقل ماثيو سيارته متجهاً إلى مباني كورتنى سكوير برفقة خصلة شعر اللويد التي ما زال محتفظاً بها في جيب بنطاله من قماش شينو. كان يومه في المدرسة طويلاً وبائساً، إلا أنه استطاع النجاة منه. هناك شيء يتعلق بقضاء يومك برفقة الطلاب المراهقين، وهو أنهم يضيعون في مشكلاتهم الدرامية الداخلية، حتى إنهم يتغافلون عن حقيقة أن الكبار لديهم أيضاً مشكلاتهم الخاصة. بالطبع كان هناك استثناءات لتلك المشكلات الدرامية. كانت كاترينا بينيدكت، التي تتصرف بطريقة أمومية قبل أوانها، قد أخبرته بأنه يبدو متعباً.

- هناك شيء ما يحدث معك أستاذ / دولامور. هل أنت مريض؟

أما جيسون خوري كان الوحيد الذي لاحظ الكدمات الحمراء في مؤخرة رقبة ماثيو التي كانت أسفل خط الشعر مباشرة. وسأل ماثيو إن كان بخير.

- لقد استيقظت فوجدت رقبتى هكذا. ربما انتابني كابوس مريع فجرحت نفسي.

لم تكن ساعة الذروة قد حانت بعد، لكن حركة المرور كانت خانقة طوال طريق 2أ. كان بالفعل قد عرج إلى جيفورد فارم، كشك المثجات المغلق الذي دفن بجانبه مفاتيح ميشيل وهاتفها. كان يعلم أن زيارته

لهذا المكان في وضح النهار هي درب من الجنون، ناهيك عن عودته إلى المجمع السكني الذي تقع فيه شقة ميشيل، لكنه أصر أن يترك دليلاً يُدين للويد هاردنج، حتى وإن سقط عنه فيما بعد. أوقف سيارته خلف كشك المثلجات المغلق مطمئناً إلى أنه ليس هناك أحد غيره بالجوار، وبعد نحو عشرين دقيقة، وجد تلك البقعة التي دفن فيها مفاتيح ميشيل وهاتفها. استغرق منه الأمر وقتاً طويلاً ليجدهم، حتى إن القلق قد بدأ يساوره من أن الأمر بأكمله ربما لم يكن سوى أحد أحلام اليقظة، وأنه قد فقد عقله بالفعل، لكنه وجد صخرة غير ثابتة قليلاً ثم أخرج المفاتيح من أسفلها. أمسكهم بيديه فتقلصت معدته، ولوهلة من الوقت شعر بأنه سيُصاب بالإغماء، إلا أن الشعور قد تلاشى من تلقاء نفسه، فعاد إلى سيارته بينما ينضح العرق من كفيه.

كانت مباني كورتنى سكوير تقع على بعد مائة ياردة تقريباً من الطريق خلف حزمة من أشجار الصنوبر. كان ماثيو قد خرج بالفعل من الطريق 2أ، وكان على وشك أن يستدير إلى ساحة انتظار السيارات عندما رأى سيارتي شرطة مصطفتين بالقرب من مدخل المبنى الذي تسكن فيه ميشيل. وحتى من تلك المسافة البعيدة يمكنه أن يرى شريط الشرطة الأصفر ملتقاً بين المبنى والسيارات. ويقف أحد الضباط بزيه الرسمي إلى جانب إحدى سيارتي الشرطة ويتحدث في الجهاز اللاسلكي، وبالقرب منه تقف مجموعة صغيرة من المقيمين في المبنى يتحدثون معاً. دخل ماثيو إلى ساحة انتظار السيارات التابعة لسوق هول فوود المجاور للمجمع السكني، ووجد بقعة مناسبة ليصف سيارته. كان في حاجة إلى برهة من الوقت ليفكر. من الواضح أنه قد تأخر، ولن يستطيع زرع الدليل في موضعه. جعله هذا يشعر بشيء من الارتياح، لأن هذا يعني أنه ليس مضطراً إلى دخول غرفة الرعب

مرة أخرى، وليس مضطراً إلى أن يشتتم رائحة الدماء المُرّاقَة، ولأن الأمر بأكمله سينتهي قريباً بطريقة أو بأخرى. لكن الشيء الأهم الآن هو الوصول إلى ريتشارد. لم يكن يعلم ماذا سيفعل عندما يصل إليه، لكنه يعلم جيداً أن عليه أن يراه قبل أن يتحدث مع الشرطة. كان في حاجة ماسة إلى اتخاذ بعض القرارات.

بعدما صفّ سيارته في ممر السيارات بمنزله، حول نظره دون أن يشعر ليرى ما إن كانت سيارة هينريتا وللويد واقفة في ممر سيارتهم. لكنها لم تكن موجودة، مما أوحى إليه أن أحدهما ليس بالمنزل. عندما دخل منزله، كان مندهشاً من أن المنزل ما زال على حالته التي تركه عليها سابقاً هذا الصباح. كان جزء منه متوقفاً أن يجد أسطولاً من ضباط الشرطة يشهرون إذن التفتيش. لم تكن إلا مسألة وقتٍ حتى يحدث ما توقعه. لم يكن يعتقد أن للويد سيبلغ الشرطة عنه بسبب مشاجرتهم هذا الصباح، لكنه أدرك أن موت ميشيل سيضعه ضمن دائرة الاشتباه مرة أخرى.

رن هاتفه برقم لم يميزه، فاخترت تجاهله وكأنه يعلم أن تلك المكالمات لن تجلب له سوى الأخبار السيئة.

حاول الوصول إلى أخيه مرة أخرى، ثم فحص صندوق البريد الصوتي على هاتفه. كان هناك رسالة صوتية من إيجي مارتينيز، محقق الشرطة الذي يعمل في كامبريدج، والذي كان قد حضر لاستجوابه بشأن دسطين ميلر من قبل. قال المحقق على نحو تلقائي:

- كنت أتساءل إن كان بإمكانك الاتصال بي في أقرب وقتٍ ممكن. ليس أمراً خطيراً، لكن لدي سؤال إضافي لك. حسناً، شكراً لك.

ذهب ماثيو إلى المطبخ وسكب لنفسه كأساً كبيرة من مشروب الزنجبيل الغازي مضافاً إليه قطع الثلج، ثم أحضره إلى غرفة مكتبه.

وجد تلك الزجاجة التي يحتفظ بها عندما يأتي ريتشارد لزيارته، فأضاف القليل من الوسكي إلى شرابه، قدرًا كافيًا ربما ينتزع بعضًا من توتره. ثم عاود الاتصال بالمحقق.

- شكرًا لك على معاودة الاتصال بي.

قال المحقق ذلك ثم تنحنح.

- لا مشكلة، ما الأمر؟

- لديّ سؤال إضافي لك يتعلق بالحديث الذي خضناه من قبل. لست متأكدًا إن كان مناسبًا، لكن اسمه قد ذكر لذا فكرت أنه ربما عليّ أن أسألك بشأنه.

أجاب ماثيو دون أن يدرك ما الذي عليه أن يتوقع حدوثه في تلك المكالمة:

- حسنًا.

سأل المحقق:

- لديك شقيق يُدعى ريتشارد دولامور، أليس كذلك؟

تجمدت أوصال ماثيو، لكنه ظل هادئًا ثم قال:

- بلى!

- ما الذي يمكنك أن تُخبرني به بشأنه؟

- أنا مشوش قليلًا، هل تعتقد أن ريتشارد له صلة بما حدث مع دستين ميلر؟

- كلا، ليس تمامًا. هذا ما نفعله عندما تقابلنا تلك القضايا المجهولة. نتتبع كل التفاصيل الصغيرة، مهما كانت غير مهمة، ثم يمكننا استبعاد جميع الاحتمالات الضعيفة بعد ذلك.

التقطت أذان ماثيو صافرة التنبيه من بعيد عبر هاتفه الخلوي، فاعتقد أن المحقق ربما كان يقود سيارته إلى مكانٍ ما.

- كلا، أتفهم ما تقوله.

- أين يعيش شقيقك؟

- يعيش في منزل والديّ.

- وأين يكون منزلهما؟

- في الحقيقة، هنا في دارتفورد.

- صحيح؟ إذن فأنت تراه كثيرًا.

- كي أكون صادقًا معك، لا أراه كثيرًا. إن أخي منطوٍ على نفسه،

ومن هذا النوع الذي لا يتأقلم مع المحيطين. إنني أراه بالفعل،

لكن نادرًا ما يحدث.

- حسنًا، أتفهم الأمر. لن أزعجك مجددًا، إلا أنه يمكنني أن أسألك عن

عنوانه؟ لقد قلت إنه منزل والديك.

- بالتأكيد. 227 شارع بلاك بيرى، على الجانب الآخر من دارتفورد

إذا ما اتخذت الجانب الذي أقيم فيه.

- ماذا عن هاتفه؟ هل لديك رقم هاتف شقيقك؟

قرر ماثيو أن تعطيل المحقق قد يكون في مصلحة ريتشارد،

فأجابه:

- كلا، لا أعرف رقم هاتفه. أعتذر. ولكن كل ما أعرفه أنه لا يملك

هاتفًا. والطريقة الوحيدة التي أظن بها على اتصال معه هي أن

أعرج إلى منزل والدي أو أن يأتي ريتشارد لزيارتي.

- شكرًا لك ماثيو. لقد كنت متعاونًا للغاية. وبالمناسبة، لقد سمعت أن لديك بعض المشكلات مع جيرانك.
- أجل، بخصوص ذلك. أعتقد أنني قد انتهيت من هذه المشكلة.
- إذن، فقد قررت أن تتركك وشأنك؟
- أجل، لقد سار الأمر على ما يُرام.

أراد ماثيو أن يسأل المحقق عن الطريقة التي علم بها بشأن الأمر التقييدي، لكنه أحجم عن الاسترسال. بالطبع يعلم بالأمر. إن الشرطة تجمع الأدلة مع بعضها بعضًا. ثم أضاف سريعًا:

- في الحقيقة، عليّ أن...
- أجل، لا مشكلة. آسف بشأن ذلك، وشكرًا لك مرة أخرى على تلك المعلومات.

حدق ماثيو إلى الهاتف بين يديه بعد إنهاء المكالمة. كان يجوب المنزل نهبًا وإيابًا خلال المكالمة، وهو الآن يقف داخل المطبخ. اشتم شيئًا ذا رائحة كريهة، ألقى نظرة على الحوض فوجد شريحة لحم ملفوفة بورق السلوفان تطفو فوق سطح طبق ملآن بالمياه وردية اللون. تذكر أنه أخرج قطعة اللحم من المجمد الليلة الماضية لوجبة العشاء، لكنه نسي أمرها. أمسك بالقطعة من إحدى حوافها وألقى بها في سلة المهملات. عاد إلى غرفة مكتبه وأطال النظر في الصورة التي جمعه مع شقيقه، كانت الصورة الوحيدة التي احتفظ بها، صورة باهتة عندما كان ريتشارد رضيعًا. أصرت والدته على التقاط الصورة، ارتدى ماثيو ملابسه النظيفة كالعادة دائمًا في صباح الأحد المدرسي (بنطالًا قطنيًا، وقميصًا بأزرار)، وحمل ريتشارد الملفوف بعناية في بطانية على فخذه. كان ماثيو ينظر مباشرة إلى أخيه الرضيع وتخيل

أنهم يتبادلون النظرات على الرغم من معرفته أن رؤية الأطفال الرضع ضبابية للغاية، مع ذلك، كانت صورة جيدة؛ واحدة من أفضل الصور التي جمعتهم معًا خلال طفولتهم. بينما هو ينظر إلى الصورة، تمنى ماثيو لو يسمع أخبارًا عن ريتشارد. عليه أن يحذره من قدوم الشرطة، يتوجب عليه أن يمنحه فرصة للهروب. فاستمر ماثيو في الاتصال.

## قال ريتشارد: مكتبة

- مرحبًا أخي.
- يا إلهي! أخيرًا!
- كنتُ مشغولًا، كما أنني أعلم جيدًا ما ستقوله لي.
- لستُ متأكدًا إن كنت تعلم ريتشارد، إنهم قادمون من أجلك، الشرطة قادمة، لقد تحدثت للتو مع أحدهم.
- إن كانوا قادمين من أجلي، فهم قادمون من أجلك أيضًا، أنت تعلم ذلك.
- أعلم، لهذا علينا مطابقة قصصنا معًا، ولهذا أيضًا أريد التحدث معك. أنا لا أتصل بسبب ما فعلت، أنا فقط أريد أن أعرف؛ هل رآك أحد هناك؟ هل كنتَ حذرًا؟
- رآني أين؟ ما الذي تتحدث عنه؟
- لا نملك وقتًا لهذا ريتشارد.
- ربما يجب أن نلتقي وجهًا لوجه ونتحدث حول الأمر؛ سأشعر براحة أكبر.
- لا نملك الوقت الكافي لهذا، هل سيتمكنون من إيجاد أي أدلة في منزل ميشيل؟ إنهم هناك الآن، يفتشون في كل نسيج في المنزل، ويفحصون أي نقطة دم.

صمت ريتشارد لبرهه ثم قال:

# مكتبة

t.me/t\_pdf

- أنت كنت هناك أيضًا.

- كيف عرفت؟

- كنتُ أراقبك. كيف كان شعورك عند رؤيتك كل هذه الدماء؟

- أنت تعلم كيف كان شعوري؛ شعرت بالغثيان، ما فعلته أنت كان مثيرًا للغثيان، لم تكن تستحق الموت، وأنت تعلم ذلك.

- لم أستطع أن أتركك تحظى بكل المتعة وحدك، كما تعلم، هذا ليس عدلًا. ثم إن قتلك لمجموعة من الصبية الفاسدين لا يجعلك في مكانة أخلاقية أعلى. أنت تتصرف مثلما كانت تتصرف أمنا. كانت تظن أن أفعالها لم تكن قدرة بما يكفي، فقط لأن أفعال أبي كانت أكثر قدارة منها. لكن لا تجري الأمور هكذا على أرض الواقع. في الواقع أنت مريض ومنحرف مثلي تمامًا.

- أنت محق ريتشارد وأنا موافق على كل ما قلته. لكن أجب عن سؤالتي، ماذا ستجد الشرطة في الشقة؟

تنهد ريتشارد:

- نتشارك الحمض النووي ذاته، كما تعلم، إذا كنتُ سأهرب بسبب فعلتي، فعليك أيضًا الهرب.

- أعتقد أن هذا ما عليك فعله؛ عليك الهرب بعيدًا، وفي أقرب وقت ممكن، حسنًا؟ لن أستطيع مساعدتك إذا جاؤوا من أجلك، لا يمكنني ذلك. عليك الاعتماد على نفسك.

- شكرًا أخي، لم أتوقع أكثر من هذا.

- لقد قتلت ميشيل!



صرخ ماثيو بكلماته تلك، ولم يستطع أن يتخيل أنه هو من أصدر صوت النحيب الغريب هذا.

ردد مجددًا بهدوء:

- لقد قتلت ميشيل.

ثم انتظر رد ريتشارد، لكن ريتشارد لم يرد. قال:

- ريتشارد؟ هل ما زلت تسمعي ريتشارد؟

لم يُجب ريتشارد. تملك ماثيو شعور -شعور مريب بالطمأنينة- بأنه ربما سينفذ شقيقه ما كان يهدده به لسنوات؛ سيترك دارتفورد للأبد، سيترك الماضي وراءه ويرحل.

أدرك ماثيو أنه في غرفة المعيشة، يقف أمام النافذة التي تطل مباشرة على منزل جيرانه، ما يزال ممر السيارة خاليًا. تبادر إلى ذهنه أنه يستطيع القيادة إلى حارة بلاك بييري، إلى المنزل الذي نشأ فيه، حيث ما يزال يقطن ريتشارد هناك. لكنه لم يستطع حمل نفسه على التنفيذ. لم يذهب إلى هناك منذ سنوات. خلال زيارته الأخيرة أصابته الصدمة من كم العفن الذي تغلغل داخل المنزل. يقطن ريتشارد بهذا المنزل لكنه لا يفعل أي شيء لصيانته. لم ينظف المنزل، ولم يغير أي قطعة من الأثاث منذ سنوات. طبقات سوداء من التراب المتراكم غطت جميع قطع الأثاث والأرفف وحواف النوافذ. أما الغرف بالطابق العلوي (بما فيها غرفة ماثيو القديمة التي ما تزال تحوي سريرًا واحدًا ومغطاة بورق الحائط ذي اللون البني الفاتح ورسومات نبات السرخس) فكانت موبوءة بروث الحيوانات كما انتشر العفن الأسود على جميع الجدران. كلا، لا يعتقد أنه يستطيع حمل نفسه على الذهاب إلى هناك. لقد فعل

كل ما يمكن فعله، وحذر ريتشارد. أما الآن فعليه حماية نفسه. إنه في حاجة إلى....

سمع صوت نقرة قادمة من الطابق العلوي، كانت النقرة طفيفة، لكنه سمعها بوضوح. لم يشبه هذا الصوت أيًا من الأصوات التي يسمعها دائمًا داخل المنزل كتشغيل مدفأة الغاز، أو صوت ماكينة صنع الثلج، كلا، هذا صوت باب يُغلق. سار ببطء وهدوء باتجاه قاعدة الدرج، يستطيع رؤية ممر الطابق الثاني حيث يقف، رأى بابين، أحدهما يؤدي إلى غرفة النوم الخاصة به وبميرا، والآخر الذي يؤدي إلى الحمام بالطابق العلوي. كلا البابين كانا مفتوحين على مصراعيهما. صعد الدرج بهدوء، ثم لاحظ كيف كان صوت خطواته فأسرع قليلًا، محاولًا الصعود بطريقة عادية كأني شخص يصعد درج منزله. عندما وصل لأعلى الدرج، استدار إلى اليسار واتجه ناحية غرفة النوم الرئيسية، عيناه تبحثان سريعًا عن الباب الأقرب. هذا الباب كان مفتوحًا أيضًا، لكنه صار الآن محكمًا على عتبة الباب. هل يمكن أن يكون صوت النقرة الذي سمعه هو صوت فتح الباب؟ كان هذا احتمالًا واريًا، فكر بينه وبين نفسه. سار مجددًا بهدوء في اتجاه الخزانة، فتح الباب على مصراعيه ودلف بين ملابس ميرا على يمينه، وملابسه على اليسار. لا يوجد أي شخص في الخزانة. لمس بيديه الرف المثبت فوق الملابس المعلقة، دفع جانبًا علبة أحذية، ولمست أصابعه أخيرًا الهراوة، أحد الأشياء القليلة التي أحضرها من منزل والديه والسلاح الوحيد الموجود في المنزل.

حمل ماثيو الهراوة بين يديه، وسار بهدوء من خزانة غرفة النوم إلى الممر مجددًا، البابان الآخران في الطابق كانا مفتوحين أيضًا، أحدهما باب غرفة الضيوف والآخر باب غرفة الخياطة الخاصة بميرا، كلتا الغرفتين احتوتا على خزانة. دلف إلى غرفة الضيوف أولاً، وجد

باب الخزانة مغلقًا. سار باتجاهها، ووضع يده حول مقبض الخزانة وأداره حتى ينفتح الباب، أخذ خطوة إلى الوراء متأهبًا، متوقعًا... ماذا بالضبط؟ هل تبحث هين عن كأس المباراة؟ هل ينتظره للويد على أهبة الاستعداد لاستكمال الشجار الذي خاضه هذا الصباح؟ كانت الخزانة فارغة. للمرة الأولى منذ أن سمع صوت النقرة، فكر في احتمالية عدم وجود أي شيء غريب. ربما كان صوت اصطدام فرع شجرة بإحدى النوافذ في الأعلى، أو ربما كان أحد الأصوات الوهمية التي تُسمع في جميع المنازل.

ترك ماثيو غرفة الضيوف وسار باتجاه الغرفة التي تطل على واجهة المنزل، غرفة صغيرة بسقف مائل. في وقتٍ ما كانت ستصبح غرفة نوم للأطفال، لكن الآن هي غرفة الخياطة الخاصة بميرا. طُليت الحوائط بلون أصفر مبهج، تزيد من بهجته أشعة شمس الأصيل المتسللة إلى الغرفة من خلال النافذة الوحيدة بها. يوجد بالغرفة خزانة أيضًا، نصف خزانة في الواقع، كانت مجرد مساحة صغيرة لا تكفي سوى للزحف بداخلها. كان الباب مغلقًا، لكن ماثيو وقف للحظة يمعن النظر في الخزانة. إذا كان هناك أحدٌ ما يختبئ في المنزل، فسيكون في هذا المكان.

وضع يده على مقبض الباب في اللحظة التي فُتح فيها الباب على مصراعيه واندفع منه رجل يدفع رأسه أسفل صدر ماثيو تمامًا، مما أوقعه إلى الخلف، وانزلق الرجلان على الأرضية.

هوى ماثيو على الدخيل بالهراوة التي يحملها مصيبًا كتفه. أطلق الرجل صرخة عالية؛ غالبًا، كان خائفًا أكثر من كونه متألمًا. رفع رأسه، إنه للويد، يصر على أسنانه وعيناه متسعتان. رفع جسده من على الأرض بكلتا يديه، داعمًا جسده على أطرافه الأربع في وضعية تشبه الكلب. ماثيو، الذي يجلس الآن، هوى بالهراوة مجددًا مصيبًا عظمة أنف

للويد. أحدثت الضربة شرخًا، وتحول صراخ اللويد إلى عويل اندفع معه الدم من أنفه المكسور على الأرض الخشبية.

زحف ماثيو للخلف وهو ما يزال جالسًا وضاربًا الأرض بقدميه. هز اللويد رأسه سريعًا فتناثرت الدماء من جانب إلى آخر، ثم أحنى رأسه ومسح وجهه مما جعله ملطخًا بالدماء. نهض الرجلان، ما زال ماثيو يحمل الهراوة، وللويد يقبض على يديه ويترنح قليلًا.

قال للويد:

- لقد سمعتك.

أخذ ماثيو خطوة للأمام نحوه، ثم قال:

- أنت تتعدى على ممتلكات الغير.

- لقد سمعت كل شيء، أيها المعتوه!

قال للويد ذلك بينما يلوح ماثيو بالهراوة مجددًا.

# 35

جلست هين في المرسم بإضاءته المنخفضة وصليل أنابيبه التي تمر فوقها، مُحاطة بكل شيء تحتاج إليه لبدء عملها في إنشاء مطبوعة جديدة. استطاعت أخيرًا أن تُبْطِئَ من تسارع أفكارها، وأن تبدأ التفكير بعقلانية في الأحداث التي واجهتها طوال الأسابيع القليلة الماضية.

أعدت لنفسها كوبًا من شاي البابونج، ووضعت أسطوانة لأغنيات أيرون أند واين<sup>(1)</sup> في مشغل الموسيقى، ثم جلست لتنظف المكان حولها وتُعيد تنظيم مرسمها، كانت أحد طقوسها التي اعتادتها قبل البدء في أي عمل جاد. وعندما صارت هادئة الأعصاب، قررت من داخلها وضع قائمة بالمشكلات الحالية التي تواجهها بترتيب الأهمية، لقد كان شيئًا تعلمته بنفسها منذ سنوات عندما كانت مشكلاتها الصغيرة تجعلها أحيانًا تشعر كما لو أن الحياة مستحيلة لا تُطاق. في ذلك الوقت كانت فكرتها هي التركيز على مشكلة واحدة على حدة. أما الهدف الثاني من وراء هذا التدريب هو بالطبع أن توضح لنفسها أن المشكلات التي تواجهها -مهما كانت عاتقة لها- لم تكن أحيانًا بالسوء الذي كانت

---

(1) Iron and Wine: صموئيل «سام» إرفين بيم، المعروف باسم مسرحه «أيرون أند واين»، هو مغنٌ وكاتب أغاني أمريكي. ولد في عام 1974 في ولاية كارولينا الجنوبية، ومن أشهر أنواع الموسيقى التي يُغني بها هي الموسيقى الشعبية والروك الشعبي. (المترجم)

تشعر به عندما تبدأ ترتيبهم في قائمة. ولكن من الواضح أن هذا لا ينطبق على موقفها الحالي. مشكلتها الأولى الآن ليست خيانة زوجها وما إذا كان لها أن تنقذ زواجها أم لا. لقد صارت مشكلتها الأولى هي القاتل المختل الذي يعيش في المنزل المجاور. وبعد سرد هاتين المشكلتين، لا يبدو أي شيء آخر مهمًا. على الرغم من ذلك أجبرت نفسها على إدراج مشكلات إضافية. إنها تحتاج إلى زيادة زياراتها إلى والديها، وبخاصة أنهما الآن يتقدمان في العمر. ويمكنها أن تضيف مشكلة تأخرها قليلًا عن موعد التسليم المحدد من أجل اللوحتين التاليتين لكتاب المحاربين الأسطوريين، على الرغم من أنها لم تتلق أي تحذير بعد من وكيلها، لذلك فلا داعي للقلق الشديد. بالإضافة إلى أن العمل ليس مشكلة، ويمكنه الانتظار لبعض الوقت.

ظلت أمامها المشكلتان الرئيستان، وقد كانا هما أكبر مشكلاتها: ماذا ستفعل بشأن اللويد، وماذا ستفعل بشأن ماثيو. بيد أن ما قاله اللويد آنفًا من الذهاب إلى مكان آخر -منطقيًا، وسيبعدهما عن أي أذى لبعض الوقت، ويمنحهما وقتًا لإصلاح زواجهما. وهنا تظهر مشكلة أخرى! وهي أنها لا تريد إصلاح زواجها. منذ أن اكتشفت ما فعله اللويد، كان هناك جزء ما بداخلها، في أعماق قلبها، يعلم جيدًا أن زواجهما قد انتهى. لم تكن هين امرأة غيورة - كانت متأكدة تمامًا من أنها تستطيع الصفح عن علاقة عابرة لليلة واحدة- لكن لم تستطع تقبل عام كامل من التسلل وراء ظهرها والأكاذيب الدائمة. وكان هناك شيء آخر أيضًا؛ لقد شعرت بالظلم، وبالطبع قد أصابها شعور بالغضب، لكنها لم تشعر بالإهانة أو الأذى. لم ينكسر قلبها من فعلته. لقد أحبت اللويد -وستحبه دائمًا- لكن يمكنها أن تتخيل حياتها من دونه. ألم تكن هذه علامة... على أنه ربما لا يستحق هذا الزواج بذل الجهود لإنقاذه؟

إذا لم يكن ماثيو مُقيماً في المنزل المجاور -والذي من المحتمل أن يكون وضعاً خطيراً- عندئذ كانت ستخبر للويد أن ينتقل للعيش في مكان آخر لبعض الوقت، وأنهما في حاجة إلى الانفصال حتى يمكنها التفكير في إصلاح زواجهما. وربما عليها أن تُخبره بالانتقال على أي حال. ففي نهاية الأمر، للويد هو الطرف المُخطئ وعليها أن تكون قادرة على إجباره على الرحيل. لكنها تساءلت إلى أين سيذهب، ربما سينتهي به الحال بالانتقال إلى منزل جوانا جريميلوند (أين كانت تسكن؟ نورثامبتون). حاولت أن تفكر في الشعور الذي أحاط بها عندما استحضرت تلك الأفكار، إلا أنها لم تكن متأكدة من شعورها. لم تكن تهتم لتلك الدرجة على الرُغم من أنها قد تساءلت حقاً ما إذا كان ما بين للويد وجوانا قد انتهى بالفعل كما ادعى للويد. وتساءلت أيضاً كيف كانت علاقتهما. هل كانت علاقة قوية؟ يتحدثان عن مستقبلهما معاً؟ أم أنها كانت واحدة من تلك العلاقات التي كُتب لها الفشل للأبد منذ اللحظة الأولى؟ ماذا تتوقع جوانا أن يكون قد حدث؟

فكرت هين أنه ربما عليّ الاتصال بها، وبمجرد أن خطرت ببالها تلك الفكرة قررت تنفيذها على الفور. أرادت أن تسمع صوت جوانا. وأرادت أن تسمع ما يمكن أن تقوله عن نفسها. كانت هين دائماً شخصاً يحب جوانا. وبما أنهما كانا شركاء لصديقين مقربين، كان عليهما أن يقضيا وقتاً طويلاً معاً غير مُكرهين بالطبع، فقد كان وقتاً سعيداً. كانت جوانا تتمتع بحس فكاهي بذيء وغير مألوف. وبينما كان روب وللويد يتجرعان الجعة ويُدخان الحشيش ويسترجعان كل الهراء الذي اعتادا فعله عندما كانا في الجامعة، كانت جوانا وهين تشربان النبيذ وتخوضان محادثات قوية. أخبرتها هين تقريباً بكل شيء يتعلق بنوبات مرضها النفسي في الجامعة، وأخبرتها جوانا عن والدها مدمن الكحول

الذي كان مسجوناً وما زال بسبب تهمة تزوير الأوراق المالية. وعندما انفصل روب عن جوانا، فكرت هين أن تبقى على اتصال مع جوانا مباشرة، وربما يتقابلان لبعض الوقت، لكنها لم تنفذ ما فكرت فيه قط. إلا أنه من الواضح الآن، أن تلك الفكرة قد خطرت على بال اللويد أيضاً.

بالطبع لا تمتلك هين رقم هاتف جوانا، وكادت أن تهاتف اللويد لتطلب منه رقم هاتفها، لكنه حتى وإن أعطاه إياه، ربما يستطيع الاتصال بجوانا أولاً، أو يرسلها على الأقل، ويحذرها من تلك المكالمات الهاتفية المتوقعة. إلا أن هين كانت تفضل الاعتماد على عنصر المفاجأة.

لذلك هاتفت روب الذي أجاب على الفور:

- ألم تستطيعي فتح الصور؟

قالت هين:

- ماذا؟!!

مفكرةً أنه ربما اعتقدها شخصاً آخر.

- الصور التي أرسلتها إليك. بعدما أرسلتها أدركت أنه ربما كان عليّ أن أعيد ضبطها.

- أجل، صور حفل التخييم... لم أطلع عليها بعد، لكنني أهاتفك لسببٍ آخر.

- لم تطلعي عليهم بعد؟ لقد أرسلتهم مباشرة بعدما تحدثنا.

- ربما وصلت الرسالة في البريد المزعج. حسناً، روب اسمعني جيداً. أنا أهاتفك لأنني في حاجة إلى رقم هاتف جوانا، واعتقدت أنه ربما ما زال بحوزتك.

- بالطبع! إنه رقم هاتفها الذي كانت تمتلكه منذ عام، لكنني أشك أنها قد أبدلته. لماذا تحتاجينه؟



- أريد فقط التحدث معها في أمر ضروري.

كانت هين تأمل أن الحقيقة ستكون كافية على الرغم من أن ما قالتها كان غامضًا.

- حسنًا، سأبحث لك عنه.

قال روب ذلك وكان صوته قد بدا خافتًا بالفعل، فأدركت هين أنه ربما ينتقل في هاتفه الآن باحثًا عنه.

- حسنًا، جاهزة؟

قرأ روب عليها رقم الهاتف بينما كانت تكتبه في دفتر رسوماتها بالقلم الرصاص. قالت هين:

- شكرًا لك روب، أنت شخص رائع!

- لا عليك، لكنني حائر حقًا. لما تريدان التحدث معها؟

- إنها تُقيم علاقة مع اللويد منذ عام وأردت أن أسمع جانبها من القصة.

ندت عن روب ضحكة عالية كانت أشبه بصوت الشخير، ثم قال:

- حقًا؟

- حقًا!

- يا إلهي، اللعنة!

- شكرًا لك على رقم الهاتف.

لم تعتقد هين أن روب سيهاذف جوانا لتحذيرها، ولكن في حالة فكر أن يهاذفها، اتصلت هين على الفور بالرقم الذي كانت قد كتبتة في دفتر رسوماتها. وبعد دقتي جرس، جاء صوت جوانا رخيماً أكثر مما كانت تتذكره هين، قائلة مستهلة:

- مرحبًا؟

- جوانا، إنه أنا هين مازور... زوجة للويد.

كانت هناك لحظات من الصمت، طويلة بدرجة كافية جعلت هين تعتقد أن جوانا قد أنهت المكالمة بهدوء، لكن صوت جوانا أتى من الجانب الآخر:

- مرحبًا هين!

- جوانا، لا أدري إن كان للويد قد تحدث إليك أم لا، لكنني أعتقد أنه قد فعل. أنا أعرف كل شيء، لقد أخبرني بكل شيء.

عندما نطقت بتلك الكلمات أدركت حينها أنها ليست صحيحة. لا أحد يعرف الحقيقة بأكملها.

- هين، لقد أردت أن أقول إنني آسفة، آسفة للغاية. ولا أتوقع منك أن تسامحيني، فأنا لا أستحق ذلك، أعلم هذا جيدًا، لكن أرجو منك أن تفهمي....

- جوانا، لا بأس. لم أهااتفك حتى أصرخ في وجهك، لقد اتصلت... لا أعلم لِمَ أهااتفك، لكن أعتقد أنني أريد سماع جانبك من القصة وليس جانب اللويد فقط من القصة.

قالت جوانا:

- حسنًا.

ثم أخذت نفسًا عميقًا مسموعًا.

- متى... ماذا أخبرك للويد؟

- ألم تتحدثي معه بعد؟

- ممم... قليلًا. لقد أخبرني أنه يُخطط منذ مدة طويلة أن يُخبرك بكل شيء عما... حدث من قبل.

- في الحقيقة، لم يُخبرني للويد بأي شيء. لقد اكتشفت الأمر، ثم اعترف به.

- صحيح!

يمكن أن تستنتج هين أن جوانا لم تطلع بعد على تلك التطورات الأخيرة، وأنها تحاول استيعاب ما حدث، وتحاول اكتشاف ما يجب عليها قوله وما لا يجب.

- لم يتحدث معكِ، أليس كذلك؟

- أعتقد أن عليّ إنهاء المكالمة.

- جوانا، لقد أخبرني أن علاقتكما قد انتهت، وأنكما قد انفصلتما في العطلة الأسبوعية الأخيرة التي قضيتها معاً.

- هل أخبركِ بذلك؟

- أجل.

سمعت هين صوتاً بدا وكأنه تنهيدة ساخطة.

- هل يمكنني أن أسألك شيئاً هين؟

- حسناً!

- هل تحدثت معاً بشأن الطلاق؟

- ماذا تقصدين؟ أتقصدين مؤخراً؟ بعدما علمتُ بعلاقتكما؟

- كلا، أقصد من قبل. منذ ستة أشهر مثلاً.

- لقد اشترينا منزلاً لعيناً معاً للتو. كلا، لم نتحدث بشأن الطلاق.

هل هذا ما أخبركِ به؟

- ربما قد أشار إليك ضمناً.....

- أشار ضمناً أننا نتخذ إجراءات الطلاق؟

- ألن يحدث ذلك؟

علت ضحكة جوانا، ثم أردفت:

- لقد أخبرني بأنكما غير سعيدين، وأن الأمور بينكما لا تسير على خير ما يُرام، وأنتِ قد اشتريتِ المنزل حتى تحاولي إصلاح الزواج.
- لا شيء مما ذكرته يمت للحقيقة بصلة. أقصد، ربما كان هذا صحيحًا في مخيلته، لكننا لم نخض أي حديث عن أي من ذلك.
- لم يُخبرني قط أنه ليس سعيدًا. لقد كانت صدمة كبيرة لي عندما علمت أنه يُقيم علاقة أخرى.

ساد الصمت ثانية، ثم قالت جوانا:

- أنا آسفة، لم يكن عليّ أبدًا...
- يمكنكِ التوقف عن الاعتذار. هل فكرتِ... هل تخططين إلى أن تحافظي على علاقتك مع اللويد؟
- لم أخطط إلى أي شيء بالضبط، لكنني فكرتُ في أنكما ستنفصلان. وفكرتِ بالفعل فيما إن كانت علاقتنا ستنتج معًا. يا إلهي! هل كنتُ حمقاء إلى ذلك الحد؟
- حسنًا، إن كنتِ حمقاء فكذلك كنتُ أنا أيضًا.
- ما زال هذا خطئي. أنا من....
- دعينا نقول إن كل ما حدث هو خطأً للويد، وندرك الأمر على هذا، حسنًا؟ على أي حال سأطرده من المنزل. لقد قررت ذلك، وأردتُ أن أنبهك إلى أنه ربما سيبحث عن مكان للإقامة.

- لن يُقيم في منزلي.
- لا أهتم بالمكان الذي سيقيم فيه جوانا، لذلك لستِ مضطرة إلى أن تقولِي هذا من أجلي.

أجابت جوانا:

- حسنًا!

عاد الصمت يُطبق على المكالمة من جديد، فأدركت هين أنه ليس هناك شيء آخر لتقوله. ثم قالت:

- عليّ الذهاب الآن، شكرًا لك على الحديث معي.

- توقفي عن أن تكوني لطيفة معي. أعتقد أنني سأكون بشعور أفضل إن صرختي في وجهي أو شيء كهذا.

- حسنًا، شكرًا لك على الحديث معي، واللعنة عليك لأي شيء آخر.

- شكرًا، هذا أفضل. أعتذر مرة أخرى.

أغلقت هين المكالمة، ووضعت هاتفها على ذراع الكرسي المحشو العاري الذي كانت تجلس عليه، وشعرت بفيضانٍ من الطاقة، كانت ممتلئة بطاقة من الغضب وطاقة... من شيء آخر، ربما كان الحماس، على الرغم من أنها لم تكن الكلمة الملائمة لما تشعر به. كان الأمر أشبه بالترقب، وكان كل شيء يتغير سريعًا. لم يكن للويد الشخص الذي اعتقدت هين أنه هو. كانت الخيانة شيئًا وحيدًا ضمن أشياء كثيرة - الجميع فيه من العيوب الكثير ويرتكبون الأخطاء دائمًا- لكن الخداع الدائم، ليس فقط خداعه لها، ولكن أيضًا خداعه لجوانا، التي بدت فجأة أشبه بضحية زميلة، بدلًا من كونها العدو الذي تُحاربه، كل هذا كان شيئًا آخر. نهضت هين من كرسيها وشبكت يديها، ثم تساءلت عما ستفعله فيما بعد. كان جسدها يهتز كما لو أن سطح جلدها يغطي مباشرة مجموعة من الأسلاك الدقيقة التي يتطاير منها الشرر. وبطريقة ما، تذكرت تلك المرات التي كانت تعاني فيها نوبات الجنون، لكن حالتها الآن لم تكن كذلك. فقد كانت جميع نوبات الجنون التي عانتها دائمًا ما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما يحدث في حياتها.

قررت أن ما تود فعله حقاً هو أن تعود إلى المنزل وتخبر للويد بحزم أغراضه، لكنها تعلم أنه سيقاوم قرارها مدعيًا أنها في خطر. ربما عليها الذهاب إلى مكان آخر -ربما فندق قريب أو منزل إحدى صديقاتها (دارلين، جارتهم القديمة في كامبريدج ستُرحب بها بالطبع)- وألا تُخبر للويد بالمكان الذي ستذهب إليه. أثارته تلك الفكرة، وقررت أنها أفضل ما عليها فعله، ثم أدركت أنها ستحتاج إلى الذهاب إلى المنزل وحزم أغراضها أولاً. عليها أن تحزم ملابسها، لكن الأهم من كل هذا، أنها تحتاج إلى عقايرها. بالطبع كانت مشكلة الذهاب إلى المنزل هي اضطرارها إلى التعامل مع اللويد. لذلك قررت أن تهاتفه أولاً وتخبره أنها ستأتي إلى المنزل لأخذ بعض الأغراض، لكنها لا تريد خوض أي حديث. وعندما هاتفته انتهى بها الحال إلى البريد الصوتي، لكنها لم تترك أي رسائل. كان لديهم خط أرضي في المنزل -جزء من الاتفاق الذي منحهم سلكًا لتوصيل الإنترنت وخدمة واي-فاي- لذلك حاولت الاتصال برقم المنزل، على أمل أن للويد لم يكن قريبًا من هاتفه الخلوي. لكن لم يكن هناك ردٌّ على الخط الأرضي أيضًا.

فكرت حين أنه ربما ذهب للتجول، وتساءلت ما إذا كان لديها الوقت حتى تعود إلى المنزل وتُحضر أشياءها ثم تغادر قبل أن يعود. وبينما كانت تفكر في تلك الخطة، انطفأت أنوار مرسومها فجأة، وغرقت الغرفة في ظلام دامس.

صاحت حين بصوت مرتفع:

- مهلاً.

جاءها صوت أجوف بعيد قائلًا «أسفة» ثم عادت الأضواء مرة أخرى. جاءت «يومًا» التي كانت تعمل رسامة بالألوان المائية على الجانب الآخر من طابق القبو، وأطلت برأسها داخل مرسوم هين.

قالت يوما:

- أسفة عما حدث. ألم تسمعيني أنادي؟ لقد اعتقدتُ أنني بمفردي في الطابق هنا.

- كلا، أسفة. لم أسمعك. لا مشكلة على أي حال. هل أنا آخر شخص موجود هنا؟

- عندما أغانر، ستكونين بمفردك.

كادت هين أن تطلب من يوما الانتظار، وأنها أيضًا ستغانر. لكنها قالت:

- سأؤكد من إغلاق الأضواء عندما أغانر.

استمعت إلى وقع خطوات يوما بينما كانت تحث خطواتها في الممر. وكانت الأغنيات التي يُذيعها مشغل الموسيقى تتغير مرة بعد مرة، وبدأ الآن ألبوم فرقة مورفين. ألقت نظرة على شريحة النحاس التي كانت قد بدأت في إعدادها سابقًا، وفكرت لبرهة في محاولة إنجاز القليل من العمل، لكنها تعلم جيدًا أن عليها الذهاب إلى المنزل وحزم أغراضها. ستكون هناك جولة أخرى من الدراما مع للويد، لكن كلما أسرعرت في مواجهتها، أسرعرت في الانتهاء منها. ويمكنها أن تأتي غدًا وتنجز عملها.

أحضرت هين سترتها الجينز من خلف مسند الكرسي، ووضعت دفتر الرسم في حقيبتها، كانت على وشك إطفاء الأضواء في رسمها عندما سمعت وقع خطوات تأتي من الممر. هل عادت يوما؟ كلا، كانت الخطوات أعلى صوتًا وأبطأ. أبقّت يديها مثبتة على المفتاح، منصتةً إلى وقع تلك الخطوات ومتحرية المكان الذي ستؤول إليه. كادت أن تصيح «مرحبًا» لكن شيئًا ما أوقفها. كانت الخطوات متجهة نحو رسمها.

# 36

خرجت ميرا عبر الأبواب الأتوماتيكية في مطار لوجان إلى الهواء البارد واتجهت يسارًا نحو الصف الذي تصطف فيه سيارات الأجرة. خطر ببالها لبرهة كم سيكلفها استقلال سيارة أجرة حتى ويست دارتفورد، لكنها سريعًا ما طردت الفكرة من رأسها. كان هذا أبسط مخاوفها وهو اجسها. وعندما ينتهي كل شيء إلى الأفضل، يمكنها وماثيو أن يضحكا على فاتورة بطاقة الائتمان، ويضحكا على الذعر الذي أصاب ميرا في أثناء رحلتها إلى ويشيتا وعودتها مبكرًا.

ربما لن يحدث هذا أبدًا وأنتِ تعرفين هذا، ليس هناك دخان بغير نار. كانت ميرا قد استيقظت مبكرًا هذا الصباح في غرفة الفندق، فقد تركت الستائر منفرجة لتستقبلها السماء الشاسعة لوسط غرب الولايات المتحدة، وغيومها الزرقاء تحدها الظلال الوردية. كانت قد راودتها أضغاث أحلام، وكان أوضحها رؤية منزلها يحترق. وفي الحلم تجولت وماثيو في بقية أجزاء المنزل التي لم تحترق. كان كل شيء قد ذهب مع الريح إلا من الجثث المتفحمة المُخبأة في كل موضع في المنزل المشتعل. كانت أغلب الجثث من الرجال - كان دچاي سارفان، الزائر الدائم في أحلام ميرا، ضمن تلك الجثث بالطبع - لكن معظمهم كانوا



أطفالاً، جنباً صغيرة متفحمة قد ميزت ميرا أنهم أطفالها، الأطفال الذين لم يُرزق بهم ماثيو وميرا قط.

كانت مستلقية على سريرها تُحدق في النافذة بينما تتردد تلك العبارة في رأس ميرا: ليس هناك دخانٌ بغير نار. كانت تعلم ما تُحدث به نفسها: أن كل ما يحدث حقيقي وأن زوجها قاتل. والأدهى أن سُحب الدخان التي تراها كانت كثيفة للغاية. حتى في أثناء تلك المحادثة التي بدت طبيعية بينهما ليلة أمس على الهاتف، كان قد صارحها أنه يفتقدها. لم تكن المشكلة في تلك الكلمات، بل كانت الطريقة التي نطق بها تلك الكلمات، بدا صوته طفولياً وحزيناً. شيء ما بداخله كان مفككاً. وكانت تعلم هذا جيداً. لم يعد ما يساورها شكوكاً، بل ما عادت تشعر سوى بالفزع.

حزمت حقائبها وغادرت الفندق مبكراً، وراسلت ليندا في المقر المحلي بأنها تعتقد أنها قد أصابها تسمم من الطعام، وسألتها ما إذا كان هناك أي شخص يمكنه تولي أمر المقصورة محلها اليوم، ثم استقلت سيارة الأجرة إلى المطار للحاق بالطائرة التالية إلى بوسطن. لم تكن لتصل أفضل رحلة يمكنها الحصول عليها قبل منتصف النهار—فقد كان عليها الخروج إلى تشارلوت أولاً—لكن كان هناك مقعد واحد متبقٍ فحجزته.

في سيارة الأجرة التي أقلتها من المطار حتى منزلها، حاولت مقاومة ذلك الإلحاح الذي يغزو رأسها حتى تتصل بـماثيو وتُخبره أنها في طريقها إلى المنزل. كان الغرض الرئيسي من عودتها مبكراً إلى المنزل هو مباحثته على حين غرة، ومواجهته بكل ما تعرفه، وأن تُخبره بما يساورها من شكوك وتمنحه فرصة للاعتراف، أو تمنحه فرصة لإقناعها

بأنها صارت مرتابة دون أسباب معقولة -مثل جارتهم- أن يقنعها بأنه لا وجود للنيران.

عَلَّقت سيارة الأجرة في حركة المرور المتعطلة قبيل الوصول إلى طريق كونكورد الدائري، تمتم السائق ذو الوجه المرتخي أحمر الوجنتين هامسًا ببعض الكلمات عن تعطل المرور كما لو أنه الوحيد الذي يحتاج إلى العودة إلى المنزل.

فتحت ميرا النافذة الخلفية، ليس لأنها شعرت بالحرارة، لكن لقلة الهواء داخل سيارة الأجرة، كما لو أن رثتها لا تلتقط أكسجينًا كافيًا. شقت سيارة الأجرة طريقها خلال الطريق الدائري، واستمر السائق في تدمره، ثم خرجا إلى الطريق الخالي نسبيًا المؤدي إلى ويست دارتفورد. تفحصت ساعتها؛ في أي يوم عادي سيكون ماثيو في المنزل الآن. تُراه ماذا يفعل؟ إن كانت بالمنزل، لكان يحل الكلمات المتقاطعة لهذا اليوم على جهاز آيباد الخاص به، بينما تبدأ هي في تحضير العشاء، أو سيكون في غرفة مكتبه يُقيّم مهام الطلاب.

دخلت سيارة الأجرة إلى شارع سيكمور بينما كانت الشمس أقرب ما يكون إلى الأفق، تلقي ظلالها على امتداد الشارع. وجهت السائق إلى منزلها، ولاحظت على الفور أن سيارة ماثيو ليست واقفة في ممر السيارة. انتابتها عندئذ موجات متناقضة من المشاعر، خوفٌ زائد وارتياح شديد. وبعدها سدَّت الأجرة الكبيرة من خلال بطاقة الائتمان، دحرجت حقائبها إلى الباب الأمامي، وحاولت أن تتذكر أين وضعت مفتاح المنزل. لكنها لم تكن في حاجة إليه؛ كان الباب الأمامي منفتحًا يتأرجح بفعل الهواء، حثت خطواتها عبر عتبة الباب تُنادي باسم ماثيو على الرُّغم من أن سيارته ليست في محلها. لكنه لم يُجب.

الباب غير المغلق إلى جانب الرائحة البغيضة التي تعبئ أرجاء المنزل، أثارت كل تلك الملحوظات قلق ميرا، حتى تسارعت ضربات قلبها بالفعل. أغلقت الباب خلفها وصاحت قائلة «مرحبًا؟» ثم سارت عبر غرفة المعيشة إلى المطبخ الذي بدا وكأن الرائحة السيئة آتية منه. بدا المطبخ طبيعيًا نسبيًا باستثناء عبوات مشروب الزنجبيل الغازي المصفوفة فوق منضدة المطبخ الجرانيت، كما لو أن مشروب الزنجبيل الغازي هو الطعام الوحيد الذي سمح به ماثيو لنفسه عندما سافرت. ألقت نظرة على الحوض الفولاذي المقاوم للصدأ، فوجدته جافًا وفارغًا. لذلك فتحت الخزانة التي تحتفظ بها بسلة القمامة، فُصدمت على الفور برائحة الطعام الفاسد القوية. كانت أعلى سلة القمامة شريحة لحم ما زالت مغلفة في حاويتها، مليئة بقطرات ماء حمراء اللون. هل أخرجها ماثيو من المجمد، ونسي أن يأكلها، ثم ألقاها في القمامة؟ إن كان هذا ما حدث، فهذا لا يبدو وكأنه تصرف يفعل ماثيو؛ إنه رجل يكره إهدار الطعام.

ذهبت بعد ذلك إلى غرفة مكتب ماثيو، وكادت أن تفكر في طرق الباب، لكنها أدارت مقبض الباب ودلفت إلى الداخل بسرعة. نقرت مفتاح الإضاءة على الضوء لتشتعل مصابيح السقف. بدت الغرفة طبيعية تمامًا عند أول وهلة، لكن عندما أجالت بنظرها حول الغرفة أدركت أن كل التحف الزهيدة التي يمتلكها ماثيو قد تحركت من مكانها. ففي الموضع الذي كانت تستقر فيه الآلة الكاتبة على الطاولة الجانبية، صار هناك الآن تمثال كلب الحراسة المزخرف. ونُقلت الآلة الكاتبة إلى المكتب. لم يكن جديدًا على ماثيو نقل الأشياء من مكانٍ لآخر في مكتبه، لكنها تعلم أنه يتجه إلى فعل ذلك عندما يكون قلقًا بشأن شيء ما. ثم ألقت ميرا نظرة على الأريكة المصنوعة من الأقمشة القطنية الناعمة، ولاحظت أولاً

أن الوسادة المخملية الحمراء قد أُزيحت من موضعها، كما لو أن أحدهم كان نائمًا عليها، وكان هناك غطاء صوفي مكوم على الأرض. لم يخطر ريتشارد على بالها منذ سنوات، لكنه جال بخاطرها الآن، وتساءلت ما إن كان هو الشخص الذي قضى ليلته هنا نائمًا على تلك الأريكة. غادرت غرفة المكتب وصعدت الدرج إلى الطابق الثاني، راغبة في إلقاء نظرة على غرفة نومها، لترى ما إن كان هناك أحد قد نام على السرير أم لا. بدا وكأن هناك من كان نائمًا على الفراش على الرغم من أن الفراش كان مُرتبًا، وقد أكدت لها تلك الأركان المُحكمة من الفراش والوسائد المصطفة إلى جانب بعضها بعضًا أن ماثيو هو من رتب الفراش.

فاجأها شعورٌ بالتعب، فجلست على حافة الفراش وتطلعت إلى هاتفها تقرأ سلسلة الرسائل النصية القلقة التي أرسلها زملاؤها يسألون عن تسمم الطعام الذي أصابها. لم تمرض ميرا قط، ولم تتغيب يومًا عن عملها. تجاهلت كل تلك الرسائل وانتقلت إلى قائمة جهات الاتصال حتى تتمكن من الاتصال بـماثيو. ستُخبره أنها قد عادت مبكرًا وتود التحدث معه. كان إبهامها يحوم حول زر الاتصال عندما وجدت نفسها تتلو آية الكرسي؛ الشيء الوحيد الذي تعرفه من دين الإسلام، كانت جدتها قد علمتها إياها عندما أتت لتعيش معهم في كاليفورنيا في سنوات عمرها الأخيرة. لم تفكر في تذكر تلك الكلمات منذ سنوات - ولم تعلم ما تعنيه قط - لكنها بدأت في تلاوتها الآن، وقد كان لفعل التلاوة البسيط أثره على تهدئة جسدها بطريقة ما. فتحت عينيها مُجددًا ولاحظت أن باب الخزانة كان مُواربًا. لم يكن فتحه يعني أي شيء، لكنه لم يكن شيئًا معتادًا. عادةً ما كان باب الخزانة مغلقًا، إلا في ذلك الوقت صباح كل يوم عندما يبدأ ماثيو وميرا في الاستعداد للذهاب إلى العمل. سارت نحو الخزانة ومررت يديها على الملابس المعلقة على كلا الجانبين. بدا

كل شيء طبيعياً، لكنها تطلعت إلى الرف الذي يعلو جانب ماثيو من الخزانة، ولاحظت صندوق حذاء يستقر على الحافة. لقد صعد ماثيو إلى الأعلى ومن الواضح أنه كان يبحث عن شيء ما. وقفت ميرا على أطراف أصابعها إلا أنها لم تكن قادرة على لمس الرف، فضلاً عن أن أي شيء لم يكن موجوداً على الرف. فكرت على الفور في الكرسي الخشبي الذي تضعه في غرفة مشغولاتها. خرجت من غرفة النوم ثم اندفعت خلال الباب إلى الغرفة ذات السقف المنحدر.

كان الكرسي قابلاً أسفل النافذة. قطعت ميرا نصف الغرفة قبل أن تلاحظ جثة على الأرض. ندت عنها صرخة عالية أشبه بعواء حاد من الفرع، ثم قطعته على الفور. لقد كانت جثة بالتأكيد تستلقي مائلة على جانبها، وتستقر قدمها أسفل طاولة الخياطة. لم يكن هناك طريقة لمعرفة جثة مَنْ، فقد كانت مغلقة بالكامل بشريط لاصق، من الرأس حتى أخمص القدمين، لذلك فقد بدت وكأنها مومياء فضية.

خطت ميرا خطوتين سريعتين نحو الجثة، بينما يرتعد جسدها بأكمله، ثم نزلت على ركبتيها، وضغطت براحة يديها على صدر الجثة. كانت الجثة تنتمي إلى رجل -يمكنها أن تستنتج ذلك من حجمه وصدره المسطح- لم تند عن الجثة أي حركة ولم تحس لها أي نبض. وبينما تُمعن النظر أكثر، استطاعت أن ترى الدماء تنساب من بين طبقات الشريط اللاصق حول الرأس. اتصلي بالشرطة، حدثت ميرا نفسها بتلك الكلمات مُدركة أن هاتفها في غرفة النوم على الفراش. لكنها يجب أن تعرف إلى من تنتمي تلك الجثة المخفية تحت الشريط اللاصق. عليها أن تعرف ما إن كان ماثيو أم لا.

وجدت بأطراف أصابعها الحافة اللاصقة لنهاية الشريط اللاصق مُثبتة في منتصف وجه الرجل الميت، وبدأت في سحب الشريط اللاصق.

# 37

دلف ريتشارد دولامور بسيارته إلى ساحة انتظار السيارات التابعة لمتجر الخمر. كان الوقت متأخرًا بعد الظهر، ويضرب الهواء البارد فتحتي أنفه بينما يسير عبر ساحة الانتظار من بين الأبواب الأتوماتيكية. كان هذا المتجر هو متجر الخمر المفضل له، فقد كانت مساحته تعادل مساحة مخزن كبير مليء بكهول الضواحي يُعبئون العربات بجالونات من مشروب جن<sup>(1)</sup> العصري وزجاجات من النبيذ الذي يُطلق عليه «ماميز بيست فريند». قبل أن يصير المكان متجر خمر، كان قاعةً للسينما منذ أعوام، مكان رخيص يُدار على نحو مستقل تتوسطه شاشة واحدة تحولت إلى شاشتين من خلال إقامة حائط سيئ البناء. كان ريتشارد يأتي إلى هنا عندما كان في سن المراهقة، وحده في أغلب الأوقات، لكنه أحياناً ما يذهب برفقة الفتيات اللاتي يواعدهن، وتذكر أنه في أثناء تلك اللحظات الهادئة لأي فيلم يشاهده، يمكنه سماع ما يحدث على الشاشة الأخرى.

---

(1) Gin: مشروب كحولي قوي، يصنع من تقطير كحول البذور البيضاء وعنب الجونبير، الذي يمنحه طعمه الخاص. طعم الجن الطبيعي هو جاف جدًا، ولهذا يخلط مع مشروبات أخرى مثل التونك وسم جن مقتبس من عنب الجونبير ونسبة الكحول به 37.5%. (المترجم)

لكن قاعة السينما قد تحطمت، وصار المكان الآن ممتلئاً بصفوفٍ وصفوفٍ من الزجاجات الملونة. يتجول ماثيو في الممرات زهاباً وإياباً يتطلع إلى جميع الماركات التجارية، التي صُممت لتبيع إليك شيئاً آخر بسيطاً أكثر من الكحول الذي يستقر داخلها. كان والدي مندوب خمور، غالباً ما كان يبيع الماركات التجارية منخفضة المستوى في السوق - مثل نوع من الفودكا يُسمى رومانوف، ونوع من الويسكي يُسمى أولد سكوتسمان أو جولد راش- بخصوصات هائلة إلى سلاسل المطاعم وحانات الفنادق. ما زالت تلك الماركات موجودة حتى الآن، لكنها دائماً ما تكون في الأرفف السفلية. يمكنك أن تقف في أي من الممرات في متجر الخمور وتتطلع بعينيك من الرف الأعلى إلى الأسفل، وسترى كيف تحاول تلك الزجاجات جذب طوائف كاملة من الزبائن، بدءاً من الأحمق الذي يشتري برميلاً معتقاً من الخمر بمئات الدولارات للزجاجة الواحدة إلى مدمن الخمر الذي تعوزه الحاجة فيأتي الخمر الذي يطلبه في زجاجة مصنوعة من البلاستيك بحجم جالون.

«ليس هناك فرقٌ بينها، جميعهم نفس الشيء». هذا ما اعتاد بورتر دولامور أن يُصارحه به. «الناس حمقى، يضعون الخمر الرديء في زجاجات قيمة، ويعتقد الجميع أنهم يعيشون كأسياد القوم».

اتجه ريتشارد إلى ممر السكوتش، وكانت تقف امرأة في مثل عمره تتفحص الزجاجات، فبدت وكأنها تحاول قراءة قائمة طعام بلغة لا تفقه عنها شيئاً.

- هذا نوعٌ جيد.

بادر ريتشارد بهذا الحديث، مشيراً برأسه نحو زجاجة الشعير المقطرة لمرّة واحدة، والتي التقطتها المرأة من على الرف للتو.

أجابت:

- صحيح؟

لم تكن امرأة جميلة، بل كانت ذات أنف كبير وعينين ضيقتين. لكنه من الواضح أنها تمارس الرياضة وتهتم بجسدها جيداً. يُزين رأسها شعر بني طويل تتخلله خصلات شقراء، وكانت ترتدي كنزة بلون اليقطين ذات رقبة واسعة. سمح ريتشارد لنفسه أن يتفحص مقدمة صدرها البادية، والتي كانت مصبوغة بلون برونزي رائع.

- ناعمة للغاية، مثل الحرير. هل هي من أجلك أم من أجل...؟

ضبطته ينظر إلى أسفل كنزتها، واعتقد ريتشارد أنها لم تُقرر بعد شعورها نحو ما يفعله. لكنها عضت على شفتها السفلى وقالت:

- إنها من أجل صديقي الجديد، لأنه يحب السكوتش، أما أنا فلا أعلم أي شيء عنه.

ثم ضحكت كما لو أنها قد تفوهت بشيء مضحك.

- هل يحب السكوتش المُدخن؟

بدت مشوشة مما قاله ريتشارد، فقالت:

- لا أعلم حتى ماذا يعني ذلك.

أوضح لها ريتشارد الفرق بين السكوتش المُدخن وغير المُدخن، وطلب منها إن كانت تستطيع تذكر أي ماركة تجارية مُحددة قد طلبها صديقها في أي مطعم من قبل.

- أعتقد ماكالان.

ردد ريتشارد:

- حسناً ماكالان.

ثم سحب زجاجة سكوتش عشوائياً من الرف العلوي وقدمها إليها.



- اشترى له هذه، سيحبها كثيرًا. إنها مثل ماكالان لكنها أفضل قليلًا.

سألت المرأة:

- هل أنت متأكد؟

قال ريتشارد:

- ثق بي!

ثم حدّث نفسه: يمكنني أن أقوم بتلك الوظيفة لكسب العيش، هذا أمر سهل. كانت الزجاجة التي قدمها إلى تلك المرأة قد جاءت في تعبئة مميزة جدًّا، ويمكنه القول إنها قد شعرت بالإطراء عند رؤيتها.

قالت المرأة:

- حسنًا، سأشتريها.

- وإذا لم ينجح الأمر مع صديقك الجديد، سأكون سعيدًا إن أخذت مكانه.

عبست المرأة وأجابته:

- أنت متزوج!

بينما تطلع إلى يديه وقال:

- ارتدائي للخاتم لا يعني أنني متزوج.

- عادةً هذا ما يعنيه ارتداء الخاتم.

قالت المرأة ذلك ثم توجهت إلى واجهة المتجر.

ردد ماثيو هامسًا «ساقطة» وتساءل إن كانت سمعت ما قاله. واعتقدَ

أنه قد لاحظ رعشة كتفها من الخلف.

من الرف الثاني من الأسفل، سحب زجاجة جى & بي<sup>(1)</sup> لنفسه، ثم انتظر عدة دقائق حتى تحصل المرأة على فرصتها في شراء زجاجة النفايات الغالية وتبتعد عن الذئب الشرس. وعندما جاء دوره لتسديد الحساب، كاد أن يُخبر الصرّاف -الذي كان رجلاً طاعناً في السن يعلو فمه شارباً ملطخاً بالاصفرار من أثر السجائر- بأنه يجب أن يحصل على عمولة مقابل إقناع الزبون السابق بزجاجة تساوي مئات الدولارات، لكنه قرر أن يُعرض عن ذلك.

عندما عاد إلى سيارته، أخفى زجاجة سكوتش في صندوق السيارة. كان رائعاً معرفته بأنها مُخبأة هنا، على الرُغم من أنه قرر أنه ليس في حاجة إليها.

قاد سيارته مبتعداً عن متجر الخمور عبر ميديلهام ليعود أدراجه إلى دارتفورد، متخذاً طريق سادبيري الذي يؤدي إلى حارة بلاك بيرري. كاد أن يفوّت العطفة إلى شارع خَوْفاً من أن تكون الشرطة هناك بالفعل، لكنه قرر استغلال الفرصة. إن كانت هناك أي عربات مثيرة للشكوك، سيدخل بسيارته إلى ممر سيارة آخر، ثم ينعطف ليغادر. وإن لم يكن هناك ما يثير الشكوك، عندئذ ستكون أمامه الفرصة ليفعل ما كان عليه أن يفعله منذ وقتٍ طويل. انعطف إلى حارة بلاك بيرري، كانت جميع المباني باستثناء واحدٍ منها -منزل جديد بشع ذو أعمدة حجرية- قد بُنيت في العقد الذي تلا الحرب العالمية الثانية، صناديق كتّيبة صُممت لتضم بداخلها عائلات أمريكية متوسطة. كانت الحارة منتهية بطريق مسدود يُحاط بأربع بنايات، من بينها منزل ريتشارد الذي عاش فيه

(1) J&B: هو تجار نبيذ ومشروبات روحية راقية تأسست في سانت جيمس في عام 1749، في الأصل لتوفير النبيذ والمشروبات الروحية للأسر الأرستقراطية في لندن. كانت الشركة مورداً لكل ملك بريطاني منذ تتويج الملك جورج الثالث في عام 1761. (المترجم)

طفولته. أما الآن، فإن المنزل ينتمي إليه؛ حسنًا، من الناحية الفعلية، فإن المنزل ينتمي حقًا إلى ماثيو الذي يُسدّد الضرائب عنه. أما المنزل -الذي كانت واجهته نصفها من الطوب والنصف الآخر من الألواح البيضاء- فكان قائمًا خلف مجموعة من أشجار الصنوبر البيضاء. كانت الحديقة الأمامية مغطاة بطبقة من أشواك الصنوبر البنية، أما ممر السيارة كان متصدعًا ومرشقًا بالحشائش الضارة. كان المنزل نفسه من الخارج يبدو قيمًا، على الرُغم من أن ألواح الفينيل البيضاء قد بدأت في التحول إلى لون الطحالب الخضراء. حدث ريتشارد نفسه بأن المنزل خاوٍ على عروشه، بالطبع لم تكن المرة الأولى. استدار بسيارته عند الطريق الدائري المسدود وصفّها هناك حتى تكون مقدمة السيارة مواجهة من الخلف لطريق ساد بيري. وقبل أن يترجل من سيارته، تناول رشفة من زجاجة السكوتش.

بعدما دخل المنزل من الباب الأمامي، صاح مناديًا:

- مرحبًا أمي، مرحبًا أبي. لقد عدتُ إلى المنزل.

مثلما يفعل دائمًا. كان عدم الرد يُفزعُه على الرُغم من أنه دائمًا ما كان يملؤه الخوف من أن تُجاب تحيته يومًا ما. لكنها لم تُجَب قط، وستكون تلك المرة هي الأخيرة التي يدخل فيها هذا المنزل. صعد الدرج فبدا الهواء متغيرًا كلما ارتفع على درجات السلم. كان الهواء راكدًا يشبه رائحة العفن، لكن وراء تلك الرائحة كانت لذعة حادة واضحة لشيء ميت، وحدث نفسه أنه ربما كان سنجابًا ميتًا داخل أحد الجدران. لم يكن يريد المكوث في الطابق العلوي لوقت طويل -يُشعره المكوث في الأعلى بالاشمئزاز، ليس بسبب رائحة العفن فحسب- لكنه أراد جلب واحدة من حقائب والده التي يحتفظ بها في غرفة نوم والديه. دفع باب غرفة النوم بقدمه. كان الضوء خافتًا بالداخل على الرُغم من أن الستائر

مفتوحة، وبينما دلف ريتشارد إلى الداخل، سمع شيئاً يهرول على ألواح الأرضية. قرر تجاهل ما سمعه، وأخرج هاتفه، وسار نحو الخزانة مهتدياً بأضواء مصباحه. كانت أبواب الخزانة مفتوحة بالفعل. وقعت عيناه على حقيبة كبيرة منقوشة قد دُست نحو الداخل. سحب مقبضها الجلدي وأخرجها، وبدأت السعادة على وجهه عندما وجدها فارغة. وضع الحقيبة على الفراش؛ صار هواء الغرفة الآن ممتلئاً بدوامات من الغبار. وشعر ماثيو بمرارته في حلقه. هناك شيئان في الغرفة أرادهما ماثيو: الصورة المحاطة بالإطار التي كانت تمتلكها أمه لوالديها - رجل قصير تظهر على وجهه ملامح الصرامة يرتدي قبعة فيدورا تنمو ريشة على حافتها، وسيدة في ثوبٍ منزلي يعلو ثغرها ابتسامة حزينة - ومحفظة والده القديمة. كان يعلم تماماً أين سيجدها، في الدرج الأول من المنضدة. كان بها ورقة دولارين ورخصة قيادة والده وبطاقة عضوية الجمعية الأمريكية للسيارات، والقليل من بطاقات الأعمال بالإضافة إلى قصاصة مطوية من إحدى المجلات للممثلة بو ديريك<sup>(1)</sup> على الشاطئ.

أخذ ريتشارد المحفظة والصورة ووضعهما معاً داخل الحقيبة، ثم أغلق السحاب مرة أخرى وغادر الغرفة بعدما ألقى نظرة واحدة أخيرة حولها. على الرغم من كل شيء، ما زالت تلك هي الغرفة التي وجد فيها جثة والدته. لقد علم أنها ميتة بمجرد أن رأى هيتها أسفل غطاء السرير المنسوج. كانت متكورة في شكل كرة صغيرة، مثل حيوانٍ يعلم جيداً أنه يحتضر وسيعود إلى الأرض مرة أخرى. وعلى الرغم من ذلك، رفع غطاء السرير عنها وألقى نظرة طويلة. كان رداء نومها الأصفر مُجمَعاً

(1) Bo Derek: ممثلة تلفزيونية وسينمائية، ومنتجة أفلام أميركية، ربما يعد دورها جيني هانلي في فيلم Ten أهم أدوارها الفنية بترشيحها لنيل لقب جائزة غولدن غلوب للنجمة الصاعدة، كما شاركت في العديد من الأدوار منها سي إس آي: ميامي في دور جوانا تورينغ. (المترجم)

إلى أعلى حول خصرها، وحول رأسها ينتشر قيء جاف. وبإحدى يديها، تقبض على زجاجة فودكا - من نوع سميرنوف، إن لم تخنه الذاكرة - وهناك عبوة دواء فارغة من الأقراص تستقر على طاولة السرير الجانبية. كانت يدها الأخرى تغطي وجهها. وعندما ألقى ريتشارد نظرة مقربة، أدرك أنها كانت تلعق إبهامها عند موتها.

عندما عاد إلى الطابق السفلي، عبأ الحقيبة ببعض الأشياء الأخرى التي يريدها. لم تكن أشياء كثيرة، ليست سوى صورٍ داخل أطرها، وإنجيل العائلة الذي انتقل إلى أبيه، ومجموعة سكاكين جينسو التي اشتريتها أمه من أحد إعلانات التلفاز، وعلبة ماسون التي كانت مُخبأة أسفل أحد ألواح الأرضية المُفككة في المخزن. كان ريتشارد قد وجدها هناك منذ سنواتٍ قليلة فقط. وكان في العلبة ما يقرب من ألف دولار نقدية.

عاد ماثيو إلى القبو بعدما امتلأت حقيبته مستخدمًا الضوء الصادر من مصباح هاتفه، وأخرج صفيحتي الجازولين اللتين كانتا مُخبأتين في القبو منذ فترة طويلة أطول مما يمكنه أن يتذكر. سكب الصفيحة الأولى على الستائر وعلى امتداد السجادة الطويلة التي كانت ترتفع لتصل إلى منتصف الدرجات المؤدية إلى الطابق الثاني. فرغت الصفيحة أسرع مما كان يتوقع، ولذلك تعامل مع الصفيحة الثانية بحرص، فقد كان يرش قطراتٍ هنا وهناك حول الطابق الأول من المنزل، ومحتفظًا بالكثير منها من أجل كرسي والده، دفعه أولاً نحو الحائط حتى يلامس الستائر المخملية الثقيلة التي تكسو النوافذ الأمامية. كان القماش الخارجي لمقعد الكرسي قد تقطع، حتى بدت منه قطع الفلين الصفراء المفتتة، والتي غمرها ريتشارد بما تبقى من الجازولين. سرت رائحة الجازولين النفاذة خلال فتحتي أنفه وحلقه حتى دمعت عيناه.

كان يحمل حزمة من أعواد الكبريت كان قد أخذها من حانة أويلز هيد في جيبه، فأشعل واحدة منها، وأسقطها داخل المقعد الذي يقطر بالجازولين. لم تمر سوى لحظات حتى ومضت شرارة ضعيفة، ثم تحولت إلى براكين مشتعلة، أصبح المقعد يحترق بأكمله. أمسك بالحقيبة وخرج من الباب الأمامي، وسار بخطوات طبيعية عائدًا إلى سيارته عندما لاحظ حركة في إحدى النوافذ الأقرب إلى منزله، ربما كانت السيدة/ مكدونالد تتابع كل حركة من حركاته. وربما يكون الحظ حليفه وتنتشر النيران إلى منزلها أيضًا.

كان قد سار بسيارته لعشر دقائق عندما أدرك إحكام قبضته العنيف على عجلة القيادة. فحدث نفسه أن تهدأ. كل شيء يسير كما خطط له، وما عليه سوى أن يدع القدر يلعب لعبته.

ظل يجوب شارع سيكمور مغمورًا بالفضول لرؤية ما إذا كانت سيارة هينريتا مازور تقبع أمام منزلها أم لا. لكن ممر السيارة كان فارغًا، لذلك استمر في طريقه فاتحًا نافذته قليلًا لعله يسمع أحد أصوات صفارات الإنذار البعيدة، لكن ربما صار الآن بعيدًا جدًا عن الجانب الآخر من دارتفورد. وربما لم يحترق المنزل، وانطفاقت شرارات النيران قبل أن تأكل كل شيء، لكنه لا يعتقد أن الأمر قد سار على هذا النحو. اتخذ عدة منعطفات أدت به بالقرب من نهر سكيوتوت وسمع صوت صفارات الإنذار البعيدة. بالطبع يمكن أن يكون قد وقع أي شيء آخر، لكنه قد يكون أيضًا منزل طفولته يحترق عن آخره. أنزل النافذة، ورأى سحب الدخان تتصاعد في الهواء، لكنها كانت رائحة دخان عبقة بنكهة الفاكهة تتصاعد من إحدى المداخل، رائحة الخريف المنعشة بعد الظهيرة.

قاد سيارته لمسافة قصيرة إلى استوديوهات بلاك بريك. كان يعرف المكان الذي تصف فيه هينريتا سيارتها عادة، بالقرب من مدخل القبو.

ترك سيارته على بعد مبنى من بلاك بريك على جانب الطريق، ثم سار أسفل التلة إلى ساحة انتظار السيارات. كانت سيارة الجولف الرمادية واقفة هناك إلى جانب سيارة أخرى من طراز بريوس ذات اللون الأزرق الفاتح. وكانت مؤخرة ساحة انتظار السيارات يحدها من أحد الجوانب جسرٌ عالٍ ومن الناحية الأخرى جسرٌ منخفض يؤدي إلى النهر. أحدثت شجرة صفصاف ضخمة - كانت قد بدأت أوراقها في فقدان اخضرارها- حفيظاً بفعل النسيم البارد. وقف ريتشارد في منتصف الطريق بين شجرة الصفصاف والباب الخلفي المغلق لمبنى الاستوديو يحاول أن يبدو طبيعياً. كان هناك احتمالان لما سيحدث بعد تلك النقطة: إما أن تخرج هينريتا من تلك الأبواب وسيكون بانتظارها هنا، أو سيخرج أي من يملك سيارة بريوس من المبنى، وفي تلك الحالة -والتي كان يتمنى أن تحدث- سيحرص على أن يسير نحو الباب لغرض ما، وكان يتمنى أنه أياً كان الذي سيخرج من المبنى لن يسمح له بالدخول.

ظل ريتشارد واقفاً في موضعه طوال ثلاثين دقيقة، كانت الغيوم قد بدأت تتشكل في السماء، حتى رأى أن أحدهم يُدير قبضة الباب الحديدي. بدأ في السير بسرعة نحو الباب، وهاتفه في يديه، وشاهد امرأة ذات شعرٍ رمادي قصير تخرج من الباب.

قال ريتشارد بينما يقترب:

- مرحباً! هل يمكنك إبقاء الباب مفتوحاً؟

رأى الشكوك في أعين المرأة، لكنها أمسكت الباب لأنه قد طلب منها أن تفعل ذلك.

- أنا هنا لزيارة هين.

قال ريتشارد ذلك ممسكاً بهاتفه، ثم أضاف:

- هل تعمل الشبكة في هاتفك هنا؟

أجابت المرأة:

- كلا، ليس تمامًا.

انزلق من جانبها يتمم بعبارات الشكر، وأغلق الباب خلفه. وقف لبرهة في الممر خافت الضوء يأخذ أنفاسًا عميقة، يمكنه أن يشم رائحة الطلاء وزيت التربنتين وعطر باتشولي العالق في الممر من المرأة التي سمحت له بالدخول للتو. تساءل كم من وقتٍ ستظل حبيسة الندم جراء ما فعلته. وفكر في نفسه أنه ربما ستظل هكذا بقية حياتها.

حث خطاه نحو مرسم هينريتا مُحدثًا بعض الضجيج بحذائه، لا يهم إن علمت أنه صار هنا الآن. لقد كانا بمفردهما، وليس هناك ما يمكنها فعله حيال ذلك. انعطف عند الزاوية ورأى الضوء آتيًا من أسفل باب مرسمها، ثم سمعها تفتح الباب. أطلت برأسها الجميل إلى الخارج ورأته. وظل هو يتحرك نحوها.

- مرحبًا ماثيو!

قالت ذلك بنبرة شك.

قال ريتشارد:

- أنا لستُ ماثيو.



# 38

كادت هين أن تركض خارج المبنى، إلا أن صوتًا داخليًا قد أوقفها. الركض يعني الموت. فقررت الوقوف في الممر ومواجهة الرجل الذي أخبرها للتو أنه ليس ماثيو.

إلا أنه كان ماثيو بالفعل، على الرغم من أن هناك شيئًا ما مختلفًا حياله، ربما نظرة عينيه، أو تلك المشية التي يسير بها، أو ربما هيئة رأسه.

سألت هين:

- مَنْ أنت؟

- أنا ريتشارد. إننا لم نتقابل رسميًا من قبل.

- كلا، لم نتقابل.

كان جسد هين بأكمله قد تحول إلى لوح من الثلج، إلا أن عقلها يفكر بهدوء محاولًا تقييم الموقف الذي تقف فيه الآن.

- أين ماثيو؟

- ماثيو؟ مَنْ يدري؟ مَنْ يهتم؟

كان يحث خطاه إلى الأمام عندما أُضيء وجهه بالضوء الساقط من أحد المصابيح المعلقة في الممر. حدثت هين نفسها، ربما كان ريتشارد

توأمة، إلا أنها لاحظت بعد ذلك تلك الندبة أسفل شفّتيه، تلك الندبة التي جعلته يشبه هاريسون فورد قليلاً، وأدركت عندئذ أنه لم يكن هناك أخٌ يحمل اسم ريتشارد قط. لم يكن هناك سوى ماثيو، وكان فاقداً لعقله أكثر مما أدركت هين سابقاً. عاودها التفكير في الركض خارج المبنى مرة أخرى، لكنها أدركت أيضاً لأول مرة قوة ماثيو الجسدية بمنكبيه العريضين ويديه الكبيرتين. يمكنها الفرار نحو الجانب الآخر من المرسوم، باتجاه الدرجات المعدنية التي تؤدي إلى الطابق الأول، لكن ماثيو صار على بعد قدمين فقط منها.

- أود أن ألقى نظرة على مرسمك، لأرى أين تصنعين كل لوحاتك الفاحشة.

مرر أصابعه خلال شعره، وظل شعره ثابتاً على حاله كما لو أنه لم يمس الماء منذ أيام. صار الآن قريباً للدرجة التي تجعلها تشم رائحة الكحول التي تنبعث مع زفيره.

أجابت هين:

- في الحقيقة، عليّ الذهاب الآن.

ووقفت تتساءل ما إن كان سيسمح لها بالمرور من جانبه. إلا أنها بمجرد أن بدأت التحرك، اندفعت يداها إلى الأمام وأمسكت برقبته، قابضاً عليها بإحكام بإبهامه وسبابته. حاولت الإفلات من بين يديه أمله أن تضرب ما بين فخذه، لكنها لم تضرب سوى عظم الساق. أجفل وجهه وانفرجت شفّته إلا من أطباق فكيه. كان ما يزال قابضاً على رقبته، فدفعتها إلى داخل المرسوم، ثم زجها بقوة حتى بدت كريشة تطير إلى الخلف لتحت على مؤخرتها وتنزلق قليلاً على الأرض الإسمنتية، فضربت ظهرها صاعقة من الألم.

دفعت هين بنفسها على الأرض حتى صارت تستند إلى كرسيها.  
وماثيو يلقي نظرة حول المرسم، ويجوب بعينه في كل شيء.

قالت هين:

- تفضل وألقِ نظرة حول المكان.

- ألا تريدان إقامة علاقة أولاً؟

أجاب ماثيو بابتسامة عريضة على محياه وسهام عينيه تندفع نحوها.

- لقد تقابلنا للتو ريتشارد. لماذا تعتقد أنني سأضاجعك؟

قالت هين ذلك دون أن تفكر فيما قالته للتو. تفحصتها عينا ماثيو،  
وبدا على وجهه الاستمتاع والاهتمام، وأدركت أن ما قالته للتو هو الشيء  
الصحيح. إذا تظاهرت بأنه ريتشارد، وتفاعلت مع حديثه، ربما تتمكن  
من تعطيله وعرقلته. وإذا تمكنت من ذلك، ربما تتمكن من الفرار منه.

- حسناً، أنتِ تريدين إقامة علاقة مع ماثيو، أليس كذلك؟

- في الحقيقة، نعم، لا أود ذلك. فأنا وماثيو ليس بيننا هذا النوع من  
العلاقات، بالإضافة إلى أن كلينا متزوج.

- يمكنكِ الجلوس على الكرسي، إن أردتِ ذلك. تبدين مثيرة للشفقة  
بجلوسك على الأرض هكذا.

انزلقت هين على الكرسي واتكأت على مسنده. كم عدد المرات التي  
جلست فيها على ذلك الكرسي باسترخاء تفكر في أعمالها الفنية وتتناول  
الشاي؟ والآن تجلس على الكرسي ذاته وقد يكون هذا آخر شيء تفعله  
في حياتها. تحدث ماثيو فجأة:

- من اللويد وميرا.

وبدت هين مرتبكة قليلاً حتى أدركت أنه كان يجيب قولها بأنها وماثيو كلاهما متزوجان.

- صحيح. من اللويد وميرا.

بسط ماثيو يديه إلى الخارج وراحة كفيه إلى الأعلى، ثم ندت على ثغره ابتسامة ساخرة نحوها.

- أقصد...

- ماذا؟

- لستُ معجباً للغاية بللويد.

أجابت هين:

- لكن ريتشارد لم يقابله قط.

وعلمت على الفور أن ما قالته هو أسوأ ما يمكن أن يُقال. امتعض ماثيو، وتحولت نظرات عينيه من الاستمتاع إلى الغضب العارم. فحدثت نفسها لا تختبريه، لا تختبري المنطق في حديثه. كل ما عليك فعله هو مجاراته فيما يقول. سايري كل ما يود الحديث عنه، وربما إن تجول بعيداً عنك بالقدر الكافي حتى...

- أخبرني ماثيو بكل شيء عنه، وما زال يُخبرني بالمزيد كما تعرفين، على الرُغم من أنه قلما يَأتمنني على أي معلومات.

- ما الذي أخبرك به ماثيو عن اللويد؟

- لا شيء جديد عما تعرفينه أنتِ بالفعل حتى اللحظة. أخبرني بأنه كان يقضي ليلته في الفراش الخاطيء. لكن الأمر بسيطٌ هذه الأيام كما تعرفين. في الماضي كان على الرجل الذهاب إلى المواخير لإقامة علاقة مع بعض النساء، أما الآن فيمكنه أن يجدهن في كل مكان.

كان ماثيو محددًا إليها باهتمام شديد، وربما كان يحاول أن يرى ما إن كانت ستُصدم بما يقوله أم لا.

- إلى أين تذهب؟

- من أجل ماذا؟

- إلى أين تذهب لإقامة علاقة مع بعض النساء ريتشارد؟

سألته هين عن ذلك متحاشية النظر إليه. إلا أنه أجفل قليلاً.

- هل تذهب إلى المواخير؟

- كان أبي يذهب إلى المواخير. وأخبرني كل شيء عنها. لكن الأمر

كما أخبرتك الآن، صارت كل فتاة تسير في الشارع مستعدة لهذا

ولن تُمانع.

يبدو متوترًا، حدثت هين نفسها، وحاولت أن تتخذ القرار إذا ما كانت

ستدفعه للاسترسال في الحديث أم لا. يمكنها أن تستنتج انزعاجه من

تحديها له، لكنها لم تكن متأكدة مما إذا كان من الجيد إزعاجه أم لا. لا

يمكنها الاسترسال في الحديث إلى أبعد من ذلك، لكنها أرادت بالفعل

أن يستمر في الحديث عن الأمور التي يهتم بها. أما ما أرادت حقًا فعله

- وكانت تعلم مدى خطورة ما تفكر فيه جيدًا- هو الوصول إلى ماثيو

الحقيقي، أن تحثه على الخروج من سباته، وعندئذ ستكون في أمان،

لفترة مؤقتة على الأقل. هل كان يدعي أنه ريتشارد شقيقه؟ هل ما رأته

هو شخصٌ يعاني انقسام شخصية حقيقي؟ إن استطاعت استفزازه

حتى يعود إلى شخصية ماثيو، يمكنها الهروب والتملص مما خططه

من أجلها مهما كان. أما إن ظل على شخصيته الحالية، فقد فكرت في

أن هناك فرصة واحدة يمكنها خلالها أن تركض نحو الباب وتصفعه

خلفها لتحبس ماثيو بالداخل. كانت إحدى خصائص أبواب المراسم في

القبو هي أن غلق المزلاج القديم يحتاج إلى مفتاح في كلا جانبي الباب، ومفتاح هين - تلك النسخة الوحيدة التي تمتلكها - كان في أحد جيوب سترتها الجينز. قالت هين:

- كيف لك أن تكون مختلفًا عن ماثيو إلى ذلك الحد؟ لقد عرفته جيدًا، وأعتقد أنه رجلٌ نبيل.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه ماثيو، حتى أمكنها أن ترى لثتيه.  
- إنه يقتل الآخرين كما تعلمين.

- أعلم ذلك. لقد أخبرني من قبل، لكنه أخبرني أيضًا أنه لن يتسبب في أي إيذاء لأي امرأة، وأنه لن يؤذي سوى الرجال الذي يتعرضون بالأذى إلى أي امرأة. لهذا قلت إنه رجلٌ نبيل.

قال ماثيو:

- إنه فتى أمه المُدلل.

ثم حول عينيه إلى سقف المرسم كما لو أنه يتذكر شيئًا ما.

كادت هين أن تركض نحو الباب، لكنه سريعًا ما عاد بنظره نحوها مرة أخرى. هل يحمل معه سلاحًا؟ تساءلت هين في نفسها. في الحقيقة لا يهم إن كان يحمل سلاحًا أم لا. لقد تذكرت قوة يديه حول عنقها، وتلك الطريقة التي يمكنه أن يسحق بها حنجرتها بضغطٍ بسيطةٍ منه.

- وأنت؟ ألم تكن فتى أمك المُدلل؟

- كانت أمي عاهرة تضاجع رجال المدينة. حتى إنني سمعت ذات مرة أنها تضاجع كاهن الكنيسة، ذاك الكاهن الذي عقد زواجها هي وأبي.

- إن كان هذا صحيحًا، إذًا لماذا كان ماثيو فتى أمه المُدلل؟ لا بد وأنه كان على علمٍ بكل هذا أيضًا.

هز ماثيو رأسه مُلقياً نظرة خاطفة نحو الطابعة الكبيرة من بين طابعتي هين، وحث خطاه نحوها مستنداً إلى حافتها المعدنية. في الحقيقة ما فعله ماثيو قد منح هين فرصة أفضل للوصول إلى الباب إن قررت الركض نحوه.

- كان على علمٍ بكل هذا، لكنه يقول إن أبي هو من نعتها بتلك الصفة. يقول إن أمي قد فكرت في أنه إذا كانت ستُدعى عاهرة، وتُعامل كالعاهرة، إذن ربما عليها التصرف كالعاهرة أيضاً.

- هل اعتاد والدك أن يُنادي أمك بالعاهرة؟

- كان يعلم جيداً ما كانت عليه، كان يعلم حقيقة جميع النساء.

بدا ماثيو وكأنه يفكر لبعض الوقت، ثم قال:

- لا أعتقد أنني أود الحديث عن أبي مُجدداً.

- حسناً، لا مشكلة. إنني فضولية، هذا كل شيء.

- كل ما تريدينه هو مواصلة الحديث حتى تُقرري ما إن كان بإمكانك الركض أسرع مني أم لا.

أجبرت هين نفسها على أن تبتسم، ثم قالت:

- قليلاً. أقصد أكثر من القليل. أنا خائفة منك ريتشارد، وأنا متأكدة أنك قد أدركت ذلك. لكنني فضولية أيضاً. أنتَ مختلف تماماً عن أخيك، وأريد أن أعرف السبب. لقد ترعرعتما في منزل واحد مع الأبوين نفسيهما.

- لسنا مختلفين، بل يتظاهر ماثيو بأنه رجلٌ نبيل وصالح، لكنه في أعماقه يشبه والده تماماً. تجول بخاطره تلك الأفكار السيئة أيضاً كما تعرفين. وربما جالت بخاطره أفكار سيئة عنكِ أيضاً.

- لكنه لا ينفذها.

طرف ماثيو وزم شفتيه، ثم قال:

- كلا، لا ينفذ أفكاره مع النساء، ليس من طبيعته أن يفعل ذلك. لكنه ما زال يقتل الآخرين، ويستمتع بالأمر أيضًا. سيُخبرك أنه لا يستمتع به، وسيُخبرك أنه يكره الدماء، وأنه يريد القضاء على أشخاص بعينهم، أشخاص مثل أبي، وأولئك الذين يتسببون في الأذى لغيرهم، لكن هذا ليس صحيحًا. عندما قتل أبي تذوق نكهة ما فعله، والآن صار مواظبًا على فعله.

- وماذا عنك؟ ألا تنفذ أفكارك؟

- كلا، لا أنفذها. ولم أنفذها لسنوات وسنواتٍ طوال. فقد حصل ماثيو على المتعة بأكملها، وكل ما حصلتُ أنا عليه مجرد خيال. لم يكن يسمح لي حتى بمعرفة ما فاتني، ولم يكن ليخبرني به. وتظاهر بأنه شخص مثالي. لكنني عرفت لعيبته، فقد ارتكب خطأ عندما أخبرني عن ميشيل، زميلته في العمل، وعن تلك النصائح التي منحها إياها، وأخبرني أنها مُعجبة به، وبمجرد أن اكتشفت أن لميشيل صديقًا غريب الأطوار، عرفتُ ما ينوي فعله. عرفت أنه يستعد مرة أخرى لشيء ما. ولذلك بعدما قتل سكوت دويل، ذهبت لزيارة ميشيل. لا يمكنني أن أخبرك... كم كانت سعيدة برؤيتي لأنها اعتقدت أنني ماثيو في بادئ الأمر، مثلما فعلت أيضًا. لكنها لم تُحب ريتشارد، لم تُحبنى على الإطلاق.

- كانت تلك المرة الأولى التي تؤذي فيها امرأة؟

أجابها ماثيو مبتسمًا:

مكتبة

t.me/t\_pdf

- تقريبًا.



لكن هين اعتقدت أنها ابتسامة مزيفة، فقد كانت بقية ملامح وجهه عابسة ومتقلبة.

- لا أعتقد أن الأمر قد أعجبك.

قالت هين ذلك لتحسين نفسها مما قد يفكر فيه. تعتقد الآن أن بإمكانها الوصول إلى الباب إن أرادت. لكنها لم تكن متأكدة مما إن كان بإمكانها فتح الباب والخروج منه قبل أن يُمسك بها بيديه الكبيرتين.

- لم يُعجبني، بل أحببته.

- لا أصدقك ريتشارد. أعتقد أن جزءًا منك حزين على ما فعلته.

- كان أبي يحب الدماء أيضًا.

- لكن ماثيو يكرهها.

- يكره ماثيو الدماء لأنه رأى والدي قد تسبب في نرف أمي للدماء كثيرًا، ولم ينس الأمر قط. كانت تجلس في موضعها والدماء تنزف من أنفها ولا تفعل أي شيء لإيقافها. كان هناك منديل على الطاولة بجانبها، ولم تفكر قط في التقاطه، لم تفعل سوى الجلوس على تلك الطريقة. هل يمكنك تخيل فعل هذا أمام طفلك؟ أن تسمحي له برؤية هذا.

- لكن والدك هو من تسبب لها في ذلك النزيف، أليس كذلك؟

- كانت هي من تطلب ذلك.

- وماذا عن ميشيل؟ هل كانت هي من طلبت ذلك أيضًا؟

خلل ماثيو شعره بأصابعه، وقال:

- لقد هاتفت رجلًا متزوجًا، وطلبت منه المجيء إلى شقتها بمفرده. وفعلت ذلك عندما علمت أن زوجته في رحلة سفر. أي نوع من النساء تلك؟

- ربما أرادت أحدًا لتتحدث معه فقط.
- ليس هناك شيء كهذا. لقد أرادت ماثيو لنفسها، أرادت أن تمتلك قلبه وجسده.
- لا أصدقك. أنا وماثيو أصدقاء، وهذا ليس له أي علاقة بممارسة الحب.
- هذا هراء. لقد كان يجول بخاطره خيالات عنك، وأراهن على أنك أيضًا تحتفظين بخيالات فاحشة عنه.
- كلا ريتشارد، لم يحدث هذا. ليس لدي أي خيالات عنه. ولا أكذب عليك، إنني أخبرك بالحقيقة كاملة، وأعدك بذلك. وربما كان الأمر مماثلًا بالنسبة لميشيل، ربما كانت بحاجة إلى صديق فقط.

هز ماثيو رأسه نافيًا. سألت هين:

- ماذا يعتقد ماثيو؟
- عن ماذا؟
- ما الذي يعتقد ماثيو فيما يتعلق بميشيل؟ هل يعتقد أنها تستحق الموت أيضًا؟
- سحبت هين ساقها قليلاً نحوها حتى يتكئ كعبا قدميها على الأرض.
- كان يعلم حقيقتها.
- لكنني أود أن أعرف ما الذي كان يعتقد. هل يمكنك أن تُخبرني بذلك ريتشارد؟ هل يمكنني التحدث مع ماثيو لبعض الوقت؟
- ثم اتكأت بقدميها على الأرض بقوة.

- كلا.

- لِمَ لا؟ لا أود التحدث معه لوقتٍ طويل، لكنني أود التحدث معه.  
هناك شيء عليّ أن أخبره به.

- ما الذي تودين قوله له؟

- تلك المرة الأخيرة التي تحدثنا فيها معًا، عندما كنا في شرفتي  
الأمامية، أخبرني بأنه أراد التوقف كليًا عن القتل، وأخبرني أنه قد  
اكتفى، وأريد أن أعرف إن كان يقصد ذلك حقًا. أريد أن أعلم إن  
كان ما يُخبرني به هو الحقيقة أم لا.

- لم يكن يقول الحقيقة.

- لكنني أود سماعها منه. لا أريد سماعها منك.

- إنه ليس هنا.

قال ماثيو ذلك ونكث ذقنه على صدره وابتلع ريقه بصعوبة كما لو  
أنه يحاول منع نفسه من الشعور بالغثيان.

- أعلم أنه هنا في مكانٍ ما. وأرجو أن تتركني أتحدث معه، لدقيقة  
واحدة، فهذا كل ما أطلبه.

- أعلم ما الذي تريدين فعله.

- ما الذي أريد فعله؟

- تعتقدين أنك إن تحدثت مع ماثيو، يمكنكِ التحدث معه بشأن  
خروجك من هنا. وربما تفكرين أنه سيتركك تخرجين من هذا  
الباب، ثم تذهبين إلى الشرطة لتُخبريهن بكل شيء.

صمتت هين محاولة التفكير في أفضل شيء تقوله. حافظي على  
صدقك معه، هذا مُجدٍ. فقط كوني صادقة.

- سأخبر الشرطة بكل شيء، أنت على حق. وأريد حقًا الخروج من  
هنا، ولا أريد أن أموت. ليس الآن. ولكنني لن أتسبب في إيذائك

أو إيذاء ماثيو. وأعتقد أن في داخلكما معًا تودان التوقف عما تفعلانه، وأنكما تعلمان أن ما تفعلانه أمرٌ خاطئ، وأنكما تعلمان أن الأمر قد انتهى.

- أعلم أن ماثيو جبان، وربما سيدعك تخرجين من هنا.

- هذا يجعله قويًا. وأنت قويٌّ أيضًا. طوال تلك السنوات أردت أن تمارس تلك الأفعال الفاسدة مثل والدك، لكنك لم تفعل.

- لقد تغير كل هذا. وتغيرتُ أنا أيضًا الآن.

- هذا لا يعني أنه لا يمكنك الرجوع عن ذلك التغيير كما تعلم. لم يفت الأوان بعد.

- سأذهب إلى السجن.

- ستذهب إلى السجن، أو ستذهب إلى المشفى. على أي حال، سيكون هناك شخصٌ لمساعدتك.

- ماثيو هو من يحتاج إلى المساعدة، ليس أنا.

ودون تفكير، صاحت هين بأعلى صوتٍ ممكن:

- دعني أتحدث إلى ماثيو. الآن!

طرفت عينا ماثيو بسرعة، ونكث ذقنه على صدره مرة أخرى. وترقرقت عيناه بالدموع. وبعد مدة أتى صوته رخيماً هادئاً:

- مرحباً هين!

- ماثيو؟

- أجل.

- لقد قابلت شقيقك للتو. إنه مختلفٌ عنك تمامًا.

- هذا ليس خطأه وحده، لكنها نشأتنا. كان يحب أبي حباً أعمى  
ويقتدي به، وأعتقد أن هذا قد شوّهه.

سألت هين:

- هل سمعت كل شيء دار بيننا؟

- كلا! هل كان ينوي إيذاءك؟

- أجل، أعتقد ذلك. لقد أخافني.

- إنه يُخيفني أيضاً. لكنه ذهب الآن.

استرخت هين قليلاً، وبمجرد أن هدأت، تمكن جسدها من الاستجابة  
فعلياً للخوف الذي شعرت به. صارت أنفاسها قصيرة، وتفيض أطرافها  
بثقلٍ مروع. وخرج صوتها مرتعشاً عندما قالت:

- دعنا نخرج من هنا إذًا، وسنذهب إلى الشرطة، إن كنت تريد ذلك.

سأل ماثيو:

- ما الذي كنت ستفعلينه؟ للهروب من ريتشارد؟

- كنت سأحاول الركض نحو الباب وصفعه خلفي.

- هل كان بإمكانك حبسه هنا؟

- أجل. أنت تحتاج إلى المفتاح حتى يفتح الباب من كلا الجانبين.

قال ماثيو:

- احتجزيني هنا إذن.

- ماذا؟

- أريدك أن تحتجزيني هنا. وأود تسليم نفسي.

- هل أنت متأكد؟

- أرجوك، افعلني ذلك قبل أن أغير رأيي.

نهضت هين من كرسيها بينما ما زالت ساقاها ترتعشان الآن أيضًا،  
ثم أجابته:

- حسنًا.

قال ماثيو:

- لا تتركيني هنا لوقتٍ طويل. سترسلين أحدهم قريبًا، أليس كذلك؟

- بلى، على الفور.

سارت هين نحو الباب وفتحته على مصراعيه. التفتت ووجدت ماثيو  
يجلس الآن على الأرض ممسكًا بأحد أقدام الطابعة.

قال ماثيو:

- أنا آسف بشأن اللويد، لقد كان في منزلي.

- ماذا؟

- هذا المساء، عندما عدتُ إلى المنزل، كان مختبئًا في منزلي، في  
الطابق العلوي. واعتقدتُ أنه كان يبحث عن شيء لإدانتني. ربما  
كان يبحث عن كأس المباراة.

- هل هو ميت ماثيو؟

سحب أنفاسًا رطبة من الغرفة، ثم قال:

- أنا آسف، لكنه كان في منزلي.

عبرت هين خلال الباب، وأغلقت خلفها. ركضت عبر ردهة القبو نحو  
مخرج المبنى.

# 39

قضى ماثيو الخمسة وأربعين دقيقة التالية يتطلع إلى لوحات هين. كان شعور بالسوء قد انتابه لانتهاكه مساحتها الخاصة بتلك الطريقة، إلا أنه قد أحب لوحاتها الفنية حقًا.

وفي زاوية من زوايا الرسم، كانت هناك خزانة ملفات معدنية قديمة مزودة بثلاثة أدراج. وأعلى تلك الخزانة يقف مصباح مكتب له رقبة طويلة مرنة، وفي كل من الأدراج الثلاث كان هناك كومة ضخمة من اللوحات المطبوعة التي رسمتها هين. أضاء ماثيو المصباح وبدأ في فحص اللوحات واحدة تلو الأخرى. لم يبدُ أن تلك اللوحات كانت مُنظمة وفق طريقة خاصة، إلا أن اللوحات المطبوعة في الدرج الأسفل بدت أقدم من غيرها في الأدراج العلوية. كانت اللوحات أكثر إزعاجًا وإرباكًا، بيد أنها ليست مرسومة من أجل كتب الأطفال، لكن جميعها كان يحمل اقتباسًا، بعضها يتعذر فهمه وبعضها الآخر مُضحك. أما اللوحة التي أطال ماثيو النظر إليها كانت لوحة لتغلب عُلفت إحدى سيقانه في واحدة من الفخاخ التي تستهدف الإمساك بأقدام الحيوانات. وحوله تقف مجموعة من الثعالب المجسمة في دائرة مرتدية مجموعة متنوعة من الملابس، منها الفساتين والحُلي وملابس الأطفال وجلباب الجزار.

كانت تقف مراقبة ما يحدث فقط، بأعين جاحظة يغمرها الفزع. «تراقب  
ثعالب القرية الأخرى كما لو أن مرسومًا قد صدر بذلك».

تلمّس ماثيو بسبابته كل واحد من الثعالب على اللوحة المطبوعة ثم  
قال: «وجه حاد، وجه حاد، وجه حاد، وجه حاد، وجه حاد، وجه حاد». نددت  
عنه ضحكة وتساءل إن كانت تلك الدقائق القليلة التي قضاها الآن  
في مرسوم هين وحده، هي اللحظات الأخيرة من حياته التي سيقضيها  
دون مراقبة. إلا أن شعورًا بالحزن قد سرى بداخله، الحزن على أن كل  
شيء قد انتهى الآن. لكنه أيضًا شعور بالارتياح. كان يعلم جيدًا أنه لن  
يتوقف عن التفكير فيما فعله ريتشارد مع ميشيل، وما كاد ريتشارد  
أن يفعله مع هين. وعندما يصل رجال الشرطة (بوجوههم المفلطحة)  
-هكذا حدث نفسه وكاد أن يضحك من تلك الفكرة- للقبض عليه،  
سيحرص على أن يأتي ريتشارد أيضًا برفقتهم. فعلى الرُغم من كل  
شيء، ما زال ريتشارد وماثيو إخوة، وقد مرا بكل هذا معًا، مثلما اعتادا  
أن يفعلوا دائمًا.



# 40

بعدها اتصلت هين بالشرطة وأبلغتهم بعنوان ماثيو، وأخبرتهم  
باعقادها أن زوجها في المنزل وأنه ربما يكون مُصابًا، استقلت سيارتها  
وظهر على شاشة هاتفها رقم المحقق مارتينيز.

قال على الفور بعدما ردت هين على اتصاله:

- أين أنت؟

- أنا في مرسمي. لماذا؟ أين أنت؟

- أنا في الشارع الذي تسكنين فيه.

أشعلت هين محرك السيارة، ثم قالت:

- عليك أن تذهب إلى منزل ماثيو دولامور الآن. للويد هناك، وأعتقد  
أنه جريح.

- رجال الشرطة هناك بالفعل.

- ماذا تقصد؟

- هناك شيء ما يحدث في منزل ماثيو، سأذهب الآن لأرى ما حدث،  
وسأهاتفك على الفور....

- لا تغلق الخط. ستجد ماثيو دولامور في مرسمي.

- ماذا؟

وضعت هين الهاتف على وضع مكبر الصوت، وبدأت في التراجع بالسيارة لتخرج من ساحة انتظار السيارات التابعة لاستوديوهات بلاك بريك.

- لقد أتى إلى مرسمي، وأراد أن يعترف بكل شيء، لذلك حبسته هناك. وستجده هناك الآن.

قررت هين فجأة ألا تُخبر المحقق عن انفصام الشخصية، ليس الآن على أي حال.

- لقد أخبرني بأن للويد كان يُفتش في منزله، وقد تشاجرا معًا.

- هل أنتِ آتية في طريقك؟

- أجل.

- سأكون بانتظارك.

قال المحقق ذلك ثم أنهى المكالمة.

لم يكن هناك أي إشارات وقف أو مرور بين استوديوهات بلاك بريك وشارع سيكمور، وكانت هين تدخل إلى شارع سيكمور بعد دقيقة أو أكثر من انتهاء مكالمتها مع المحقق. عندما رأت نصف الدائرة التي تصنعها سيارات الشرطة إلى جانب سيارة الإسعاف بمصابيحها المضاءة، علمت أن شيئاً رهيباً قد حدث مع اللويد. شعرت على إثره بشيء ما في معدتها - ألم أجوف.

دلقت بالسيارة إلى الممر وجلست هناك لبرهة، لم تزد تلك المدة على خمس ثوانٍ، إلا أنها قد مرت وكأنها مدة أطول بكثير. ثم فتحت باب السيارة وترجلت، بدأت سيرها نحو حشد ضباط الشرطة الذي يرتدي بعضهم الزي الرسمي والبعض الآخر كان قد تخلى عنه. وقفت تراقب بينما يلتفت المحقق مارتينيز نحوها، ثم نأى بنفسه عن المجموعة،

وقابلها في منتصف ساحة منزل عائلة دولامور. صدع عواء أحد الكلاب من بعيد، فبدأ الصوت حادًا غريبًا في أذني هين. كان النهار مصبوغًا بالألوان وانتشرت الغيوم في عنان السماء، لكن هين وجدت نفسها تُضيق عينيها من صعوبة الرؤية بينما يقترب المحقق.

قال المحقق:

- أنا آسف!

- هل مات؟

- مات. هين، أنا آسف حقًا.

كانت هناك حركة بادية من فوق كتفيه، وراقبت هين ضابطة الشرطة تقود ميرا دولامور عبر درجات السلم الأمامية. بدت ميرا مصابة بالذهول وكان رأسها يدور في كل اتجاه حتى تستوعب المشهد الذي يدور حولها، ثم استقرت عيناها على هين. تقابلت أعينهما، وبدت ميرا على وشك أن تخرج الكلمات من فمها لتقول شيئًا - على الرغم من أن هين لم تكن لتسمع ما ستقوله ميرا من تلك المسافة - لكنها عوضًا عن الحديث، نكثت ميرا رأسها.

شعرت هين بكلتا يدي المحقق تحطان على ذراعيها. تساءلت عن السبب الذي يجعله يلامسها بتلك الطريقة، حتى أدركت أنها تسقط.

# 41

بعدما أخرجته الشرطة من المرسوم، أُحضر ماثيو إلى غرفة التحقيق في مركز شرطة دارتفورد، حيث تخلى عن حقه في حضور محاميه الخاص معه.

قص على المحققة شاهين كل شيء يتعلق بقتل سكوت دويل، وكان حريصاً على أن تفهم أن زوجته ميرا لم تكن تكذب من أجله، وأنها قد اعتقدت حقاً أن ماثيو كان بجانبها طول الليل في غرفة الفندق. وبينما تخرج منه تلك الكلمات بصوت مرتفع متطلعاً إلى الوجه الهادئ للمحقة، وشعوره بحضور جميع المحققين وضباط الشرطة الآخرين يستمعون إليه وإلى قصته، فقد كانت كلماته وإيماءاته جميعها مسجلة، تغمده شعورٌ بالارتياح يطهر ما بداخله. فاسترخت عضلاته وتباطأ نبضه.

سألت المحققة:

- إذن فقد فعلت هذا من أجل ميشيل براين؟

- أتقصد قتل سكوت دويل؟

- أجل.

- نعم وكلا. لقد شعرت بالسوء تجاه ميشيل براين لأنه كان صديقاً سيئاً لها، لكنني لم أفعل ذلك من أجلها فقط. لقد كان من أجل

جميع النساء الأخريات اللاتي كن سيقعن ضحية سكوت دويل طوال حياته. كان أشبه بالآفة التي لا تجلب سوى الضرر.

قالت المحققة:

- أتفهمك.

كانت كلتا يديها مبسوطتين على الطاولة التي تفصل بينهما، وراقبها ماثيو بينما تُدير خاتم زواجها من وقتٍ لآخر بإبهامها. وتساءل ما إن كانت مؤخرًا قد فقدت وزنًا ولم تُعدّل مقاس الخاتم بعد. ثم أردفت:

- لكنني ما زلت أريد أن أعلم المزيد عن علاقتك بميشيل. لا بد وأنكما كنتما مقربين حتى تُخبرك بشأن صديقها.

- في الحقيقة، يمكنني القول إننا لم نكن مقربين مثلما يبدو. لقد كنا أصدقاء عمل، نعمل مع بعضنا بعضًا فقط.

- لاحظتُ أنك تستخدم الزمن الماضي في حديثك.

أجاب ماثيو:

- صحيح. هذا لأنها ميتة الآن أيضًا.

- كيف عرفت ذلك ماثيو؟

- لأنني رأيت جثتها. ذهبت إلى شقتها ورأيت جثتها.

- أتقصد عندما قتلتها؟

هز ماثيو رأسه نفيًا:

- كلا. يا إلهي! كلا. بالطبع لم أقتلها. لم أكن لأتسبب في إيذاء أي امرأة أبدًا.

- هل تعرف من الذي قتلها؟

- إنه أخي، ريتشارد.

- هل قتل أخوك ميشيل براين؟

- أجل.

- كيف عرفت ذلك؟

- لقد أخبرني. بعدما قتل ميشيل، أتى إلى منزلي لزيارتي وترك لي مفاتيح شقتها. لقد كانت طريقته المعتادة في إخباري بما قد فعله. كان يسخر مني بتلك الطريقة. هكذا تمكنت من الدخول إلى شقتها. لقد احتجت أن أرى بنفسى ما فعله.

غطى ماثيو فمه بيديه، كانت قد عادت إليه ذكرى كل تلك الدماء التي غطت الحائط، كل تلك الدماء التي سالت على الفراش، وبشرة ميشيل الشاحبة أسفل الضوء الخافت. لقد اعتقدت أن ريتشارد هو ماثيو، وأنه قد أتى لدعمها، وربما لممارسة الحب معها، ثم...

- هل أنت بخير، ماثيو؟

- أجل، أنا آسف، إن الأمر محبط لي تمامًا، فلم تكن تستحق ذلك؛ لم تفعل أي شيء خاطئ.

- لماذا تعتقد أن شقيقك قد قتلها إنًا، إن كانت لم تفعل أي شيء خاطئ؟

- إنه لا يفكر بتلك الطريقة؛ لا يفكر بتلك الطريقة التي أفكر بها. إنه يشبه والدي كثيرًا. وأعتقد... أعتقد أنه لطالما أراد أن يختبر شعور أن يقتل امرأة لأنه في أعماق قلبه يكره النساء. إلا أنه لم يفعل ذلك قط من قبل، لأنه لم يكن يمتلك الشجاعة للإقدام على هذا. بالطبع فكر في الأمر... كثيرًا. وأعتقد أنني ما كان ينبغي لي أن أخبره بشأن سكوت وميشيل، لكنه اكتشف ما فعلته بشكل ما،

وأعتقد أنه يعرف جيدًا... يعرف أن ميشيل... أعتقد أنه كان يعرف  
برغبة ميشيل نحوي.

- رغبتها فيك؟

- تلك الليلة التي ذهب فيها ريتشارد إلى شقة ميشيل وقتلها، كانت  
قد دعنتني إلى شقتها. وهكذا تمكن من الدخول إلى شقتها. أترين؟  
لقد اعتقدت أنه أنا.

- لماذا دعنتك إلى شقتها؟

- تحدثتُ معها على الهاتف، وأخبرتني بأنها ستغادر سوسكس  
هول لبعض الوقت حتى تعود إلى منزل العائلة وتبقى معهم  
لفترة، وأنها لا تستطيع تحمل مهنة التدريس بعد ذلك. لذلك طلبت  
مني المرور بشقتها لرؤيتها وتوديعها. كانت تعلم أن ميرا خارج  
المدينة.

- هل ذهبت إلى هناك؟

- لقد فكرت في الذهاب، وقدتُ سيارتي بالفعل إلى منزلها، لكنني  
أدركت بعد ذلك أن هذا ليس ملائمًا، فأنا رجل متزوج، وأعتقد  
أن ميشيل ترى ما بيننا أكبر بكثير مما هو بالفعل. لذلك، كلا لم  
أزرها في منزلها.

- لكن ريتشارد قام بزيارتها؟

رفعت المحققة يديها من على الطاولة الآن، بعيدة عن الأنظار. لكنها  
كانت تميل إلى الأمام قليلاً.

- أجل، قام ريتشارد بزيارتها.

- ماثيو، أخبرني؛ أين ريتشارد الآن؟

خيم الصمت على ماثيو في تلك اللحظة، وعاد جسده متصلبًا مرة أخرى لأول مرة منذ أن جيء به إلى غرفة التحقيق. كان قد حدثت نفسه بأن يكون صريحًا تمامًا، ولا يقول سوى الحقيقة، وأن هذا هو الوقت المناسب لذلك. لا مزيد من الأكاذيب، لا مزيد من الادعاء. أراد أن يُخبر المحققة بأنه لا يدري أين يكون ريتشارد الآن، لكن هذا لم يكن صحيحًا تمامًا.

أجاب ماثيو أخيرًا:

- إنه نائم الآن.

- ريتشارد نائم؟

- أجل!

- أين ينام، ماثيو؟

يمكن لماثيو أن يتحسس عبوس وجهه، بينما يحدث نفسه أن تقول الحقيقة.

- مم، لا أدري كيف أجيب عن هذا السؤال بالضبط. لكنه نائم الآن، ولا يمكنني أن أخبرك أكثر من ذلك.

فُتح الباب الذي يؤدي إلى غرفة التحقيق، ودلف منه المحقق الذي أتى إلى منزل ماثيو لاستجوابه بشأن دسطين ميلر. مال قليلاً ليهمس بشيء في أذن المحققة شاهين لم يستطع ماثيو سماعه. وعندما انتصب مرة أخرى، نظر إلى ماثيو، كانت عيناه حادتين، عندئذ تذكر ماثيو اسمه، لقد كان المحقق مارتينيز، محقق الشرطة من كامبريدج.

نهضت المحققة شاهين ثم قالت:

- سنعود على الفور، حسنًا ماثيو؟ هل نحضر لك أي شيء؟ ماء؟ قهوة؟



- لا بأس ببعض الماء.

غادر المحققان الغرفة، ومكث ماثيو بمفرده على الرُغم من أنه يعلم جيداً أن الكاميرا المعلقة في ركن الغرفة المربعة تراقبه. كان يعلم أيضاً عمّا يتحادثان. ويعلم أنهما يريدان تثبيت كل التهم عليه، وأن هذا يشمل ما حدث مع ميشيل، لكنه لم يكن الفاعل - بل كان ريتشارد- ويحتاجان إلى فهم ذلك. بدأت معدته تؤلمه، وكان يعلم أنه سيشعر بتحسن ما إن يضغط عليها، لكنهما يراقبان ما يفعله ولا يريدان أن يشاهدا ذلك.

مر بعض الوقت قبل أن يدلف كلٌّ من المحققة شاهين والمحقق مارتينيز إلى الغرفة، حاملاً الأخير في يديه زجاجة من الماء. دفعها نحو ماثيو عبر الطاولة، بينما يتخذ كلٌّ منهما مقعده.

قال المحقق:

- مرحباً مُجدداً! هل تتذكرني؟

- بالطبع، المحقق مارتينيز، أليس كذلك؟

أدار ماثيو غطاء زجاجة الماء وتناول جرعة كبيرة، فقد كانت المياه فاترة.

- صحيح، لقد أخبروني أنك قد تخلّيت عن حقك في حضور

المحامي. هل هذا صحيح؟

- أجل، لستُ في حاجة إلى محامي الآن. أريد أن أقول الحقيقة فقط.

- أتفهم ذلك.

كان المحقق مارتينيز فارح الطول ممشوق القوام، وبدا الكرسي البلاستيكي الذي يجلس عليه ضيقاً عليه.

- لدينا الكثير من النقاط التي سنتحدث فيها ماثيو، لكنني أتساءل

الآن إن كان بإمكانك أن تُخبرنا عما حدث بينك وبين اللويد هاردنج

اليوم.

- اقتحم منزلي وهاجمني، فدافعت عن نفسي.

- في رأيك ما الذي جعله يقتحم منزلك؟

- لا بد وأن هين قد أخبرته بكل شيء. لقد بدأ كل شيء عندما حضرا

معاً إلى منزلي من أجل حفل العشاء.

- ما الذي بدأ؟

تجرع ماثيو جرعة أخرى كبيرة من الماء، ثم قال:

- أتى هين وللويد إلى منزلي من أجل دعوة على العشاء. دعوة

ودودة بين الجيران. وكما تعلم، لاحظت هين كأس المباراة التي

كان يمتلكها دستين ميلر، والتي تركتها في غرفة مكتبي، وقد

أثارت رؤيتها لها الشكوك حولي. لهذا السبب اتصلت بك هين.

ما كان ينبغي لي أبداً أن أترك كأس المباراة ظاهرة أمام العيان.

كان تصرفاً أبله متعجباً مني، لكن عليّ أن أتساءل أيضاً أنه ربما

أردتُ، ولو بقدرٍ ضئيل، أحداً ما مثل هين أن يأتي إليّ ليراها. ربما

أردتُ أن يعرف أحدهم ما أفعل.

- ماثيو، لا أريد مقاطعتك، وأود لاحقاً أن أسمع كل شيء يتعلق

بدستين ميلر، لكنني الآن أود أن أسمع منك المزيد عن اللويد.

- لم أقصد قتله، ليس لأنني لا أعتقد أنه يستحق ذلك بطريقة ما،

لكنني لم أقصد قتله حقاً. لقد هاجمني وكنْتُ أَدافع عن نفسي.

تذكر ماثيو صوت الهراوة وهي تسقط على جانب من رأس ماثيو،

ثم تلك الطريقة التي سقط بها على الأرض، منفرجةً قدماه كما لو أن

أوتارهما قد تقطعت.

سأل المحقق مارتينيز:

- لماذا جاء إلى منزلك؟

- ربما كان يحاول اكتساب هين مرة أخرى، أو ربما يحاول اكتشاف شيء يُدينني به. لا أعتقد أنه خطط للهجوم عليّ، لأنه كان مختبئًا. لكنني وجدته لأنني سمعت صوتًا آتيًا من الطابق العلوي. وخرج فجأة من إحدى خزائن الغرفة الإضافية وهاجمني. إلا أنني لكتمته في كتفه، واعتقدتُ أن الأمر سينتهي على هذا، لكنه أصرَّ على معاودة الهجوم، لذلك ضربته على رأسه.

- لماذا غلفته بالشريط اللاصق بتلك الطريقة التي وجدناه عليها؟ كان ماثيو هادئًا يتطلع إلى السقف.

- هل ما زلت تسمعنا ماثيو؟

- أجل. كان هناك الكثير من الدماء التي تسيل من رأسه، من ذلك الجانب الذي ضربته فيه، ولهذا السبب استخدمت الشريط اللاصق. في بادئ الأمر اكتفيت بتغليف رأسه، ثم فكرت لماذا لا أغطي الجسد بأكمله؟ لقد بدا أفضل على تلك الهيئة.

- وبعدهما فعلت ذلك، ذهبت مباشرة إلى مرسم هينريتا مازور لتهديدها؟

- لم أكن أنا من فعل هذا، بل كان ريتشارد.

- هل ريتشارد شقيقك؟

- أجل.

- هل تود أن تعلم لِمَ أتيتُ هنا إلى دارتفورد ماثيو؟ لقد هاتفتني هين، وكان أحد الأمور التي أخبرتني بها أنك ذكرتَ شقيقك وقلقك بشأنه، وأعتقد أن هذا ما سبب لها الفزع. لذلك بحثت في الأمر، ووجدت تقارير الشرطة بشأن وفاة والديك، وفي كل التقارير المذكورة لم يُذكر أحدٌ سواك ماثيو، لم يُذكر شقيقك في أي منها.

بل ولم يُذكر في أي منها أن لك أشقاء. لذلك هاتفت المحقق الذي حقق في وفاة والدك -بالمناسبة لقد تقاعد الآن- وتذكّر تلك القضية، وأخبرني بأن السبب في تذكره لها أن لديه شكوكًا حولك، وأن هناك شيئًا يربطك بمقتل والدك، على الرُغم من أنه لم يستطع إثبات ذلك. سألته إن كنتَ الطفل الوحيد لتلك العائلة، وأخبرني أنك كنتَ الطفل الوحيد، وأنه كان حقًا هناك أخ لك يُدعى ريتشارد، لكن ريتشارد تُوفي عندما كان طفلًا رضيعًا. وقال إنه موتٌ سريري الذي يُعرف باسم متلازمة الموت المفاجئ للوليد. هل هذا هو شقيقك ريتشارد الذي تُشير إليه ماثيو؟

## مكتبة

t.me/t\_pdf

قال ماثيو منكسًا ذقنه إلى صدره:

- لكنه لم يمِت.

- أتقصد أنه لم يمِت عندما كان طفلًا رضيعًا؟

لم تأتِ إجابة ماثيو على الفور.

قالت المحققة شاهين:

- أخبر المحقق مارتينيز بما أخبرتني به عن ريتشارد سابقًا، وكيف كان مسؤولًا عن موت ميشيل براين.

تنهد ماثيو، ثم أجاب:

- قتل ريتشارد ميشيل، ثم ذهب ريتشارد إلى مرسوم هين لأنه أراد قتلها أيضًا. وهذا كل ما يمكنني أن أقوله بشأنه، لأنني لم أكن هناك.

قال المحقق مارتينيز:

- أنا محتارٌ قليلًا ماثيو! إذا كان ريتشارد هو من ذهب إلى مرسوم هين، إذن كيف انتهى بك الأمر إلى هناك؟

- لا أتذكر كيف ذهبت إلى هناك لأن ريتشارد هو من فعل ذلك، ثم ذهب إلى النوم، ولم أتحدث إليه بعد. بصراحة لا أود التحدث معه. سأكون في غاية السعادة إن لم أتحدث معه ثانية.

- ماثيو، هل أنت وريتشارد شخص واحد؟

- كلا. أقصد أننا إخوة، استطعنا النجاة معًا من بطش أبويننا، وهذا يعني أن هناك شيئًا ما مشتركًا بيننا. كلانا نجونا من طفولتنا، لكن ريتشارد صار يشبه والدنا، يفكر مثل والدنا، ويعتقد أن أمي... أن لها علاقة بالطريقة التي كان يتصرف بها والدي. لكنني لا أعتقد ذلك. على الإطلاق.

كانت هناك طرقات سريعة على الباب قبل أن ينفتح على مصراعيه. أدار كلا المحققين رأسيهما حين دخل الغرفة رجل أكبر سنًا يرتدي حُلة مقلمة، متخذًا خطوة واحدة فقط إلى الداخل، بينما ما يزال ممسكًا بمقبض الباب المفتوح خلفه، ثم قال:

- ماجي، إيجي، دقيقة من فضلكما.

غادروا جميعًا الغرفة، وعاد ماثيو بمفرده مرة أخرى. كان قد أنهى زجاجة الماء، وبدأ الآن في عصر زجاجة البلاستيك حتى تُحدث صوتًا متفضنًا. سيطر الإرهاق عليه فجأة، الإرهاق من الحديث، الإرهاق من التوضيح. كان يعلم أن هناك سيلاً من البشر سيودون التحدث إليه الآن. وكان أمرًا حتميًا، وبخاصة الآن، صار الوضع محتومًا. محققو الشرطة والأطباء النفسيون والمحامون. لن يكون هناك محاكمة، سيحرص كل الحرص على ألا يكون هناك محاكمة، سيعترف بكل شيء، على الرغم من أنه يعلم جيدًا أن الاعتراف لن ينأى بالقصاص التي سيسردها عن الصحف، وسيكون حديث الساعة في نشرات الأخبار. «مدرس التاريخ المشهور في مدرسة خاصة مُدانٌ بسلسلة من جرائم القتل». كلا،

سيصير الأمر أسوأ من ذلك. «مُدّرس في إحدى المدارس الخاصة يُخبئ جنونه عن العالم». كان هذا هو الجزء الذي أزعجه، أن لا أحد سيتفهم حقًا عجزه عن السيطرة على ما فعله ريتشارد. سيعتقدون أنه يدعي الأمر، أو أنه يعرف بما حدث، أو أنه كان بإمكانه إيقاف ريتشارد، لكنه لن يتمكن حقًا من توضيح ذلك لأي أحد.

تحدث إليه ريتشارد أخيرًا لأول مرة منذ أن كان في المرسم: سأوضح لهم الأمر، وسأمنحهم ما يريدون.

لم يُجب ماثيو على ما سمعه، فلم يكن يريد خوض أي محادثة مع ريتشارد، ليس الآن على أي حال.

استرخِ قليلاً يا أخي الكبير. يمكنني القول بأنك متعب للغاية، وسيكون لطيفاً إن غفوت لبعض الوقت، أليس كذلك؟

قال ماثيو:

- لا أريد التحدث معك مطلقاً.

وعندما أدرك أنه قد قال هذا بصوت مرتفع، أفرغ ما في معدته على الطاولة.

لم يُطلب ماثيو للاستجواب مرة أخرى في تلك الليلة. وجهت إليه المحققة شاهين التهم رسمياً، وأخبرته بأن بإمكانه توكيل محامٍ مرة أخرى، ثم سُمح له بتنظيف ملابسه تحت المراقبة في دورة مياه مركز الشرطة. أخذوا ملابسه ومنحوه بدلاً منها زي السجن الأخضر الذي تنبعث منه رائحة مسحوق التنظيف، وزوجين من الجوارب وزوجين مستعملين من الأحذية الرياضية دون أربطة. وفي زنزانته في الطابق الأرضي من مخفر الشرطة، أحضروا له العشاء؛ شريحة لحم مُعدة في الميكروويف إلى جانب سلطة الخضراوات. لم يكن يشعر بالجوع،

إلا أنه بعد أن ابتلع القضمة الأولى من شريحة اللحم المطاطية، وجد نفسه يلتهم بقيتها، مثل كلبٍ يلتهم طعامه. وبعدها أنهى طعامه، شعر بالغبثان وقرر الاستلقاء على الفراش الخفيف. خلع حذاءه الرياضي بعيدًا وغط في النوم دون الحاجة إلى أن يقص على نفسه قصص النوم. بعدما تناول فطوره في صباح اليوم التالي، أخبره أحد ضباط الشرطة الذي كان يرتدي زيه الرسمي بأن زائرًا يطلب مقابله. ميز من بعيد وقع خطوات ميرا، وطققة حذاءها الجميل بينما كانت تسير على الأرضية المشققة للممر القصير. التفتت ونظرت نحوه، كانت عيناها منتفختين من البكاء. تراجع ضابط الشرطة خطوتين إلى الوراء لكنه ظل واقفًا في الممر.

قالت ميرا متجهةً نحو القضبان:

- يا إلهي! دُبي الصغير.

ثم تحول إلى دبِّ صغير، وبدأ في البكاء.

# 42

بعدها قضت أسبوعين في منزل والديها، ثم ثلاثة أيام أخرى سريعة قضتها في بوسطن من أجل حفل تأبين للويد، ثم أسبوعين آخرين في منزل صديقتها المفضلة تشارلوت في مدينة برلينجتون في فيرمونت، عادت هين إلى ويست دارتفورد لأول مرة منذ أن قُتل للويد على يد ماثيو دولامور.

كان ذلك في أواخر شهر نوفمبر / تشرين الثاني، وقد صارت النجوم تسطع مبكرًا قبل الخامسة مساءً. اندمجت كل ألوان الخريف الزاهية في صبغة لا يمكن وصفها سوى بالصدأ. تكومت الأوراق الباهتة التي سقطت وتناثرت هنا وهناك، أما تلك الأوراق القليلة التي ما زالت متعلقة بأشجارها باتت ميتة أيضًا، ولا تنتظر سوى التحرر من قرينتها عند نفخة الريح الباردة القادمة. دخلت هين بسيارة الجولف إلى ممر السيارة التابع لمنزلها يوم الخميس عند الظهيرة. كانت الحديقة الأمامية لكل من منزلها ومنزل عائلة دولامور مكسوة بطبقة سميكة من الأشواك البنية والبرتقالية. وكانت هناك لافتة «للبيع» أمام منزل عائلة دولامور.

سارت هين بعد أن ترجلت من سيارتها حتى بابها الأمامي حاملة معها فينجر الذي لا يكف عن المواء في قفصه، يمكنها أن تستنشق



رائحة دخان المداخن في الهواء. وكان هناك تلك اليقطينة غير المنحوتة عند عتبتها الأمامية، تُركت حتى فسدت وتعفنت. لم تتذكر أنها كانت هنا من قبل -هل اشتراها للويد؟- لكنها لم تعد تثق تمامًا بأي من ذكرياتها منذ تلك الفترة السريالية التي عاشتها بينما كانت على صلة بماثيو. فتحت قفل الباب ثم دفعته، لكنه حُشر قليلاً بأكوام البريد التي تراكمت عند باحة المنزل. وضعت القفص على الأرض وفتحت غطاءه. اندفع فينجر خارج القفص وهرع نحو باب القطط الذي يؤدي إلى القبو. كان المنزل باردًا بالداخل، فاتجهت هين على الفور إلى منظم الحرارة، ورفعت درجة الحرارة حتى سمعت الماء يجري مرة أخرى خلال الأنابيب. لم تكن تعلم ماذا تفعل أيضًا، فجمعت كل رسائل البريد -التي كانت معظمها من الكتالوجات وعروض بطاقة الائتمان- وجلبت تلك الكومة إلى المطبخ. وعلى المنضدة كان هناك طبق من التفاح الذي لم يلمسه أحد طوال الشهر الماضي. كانت ما تزال التفاحات حمراء زاهية، فالتقطت واحدة من الطبق، كانت قشرتها صلبة بعض الشيء. وفكرت في نفسها، لم يمر وقتٌ على الإطلاق، وسمحت لنفسها بالبكاء قليلاً قبل أن تتجول في بقية المنزل.

تلك الليلة زحفت إلى فراشها الذي تشاركته مع اللويد واستلقت على ظهرها. أما ذاك الثقل الذي يطبق على أنفاسها، فلم يكن سوى وطأة موته وفضاعة غيابه. لم تكن تدري حقًا ما إن كان بإمكانهما إنقاذ الزواج إن كان حيًا، لكن لا يبدو أن الأمر صار مهمًا أبدًا. وبدت علاقته الحميمة غريبة الآن، لم تعد مهمة مطلقًا. بيد أن ما كان مؤلمًا حقًا هو عجزها عن الحديث معه مرة أخرى، لن يتمكن من استرجاع ما قد مر به معًا من قبل. لقد رحل، وعندما بدأت في تفهم تلك الحقيقة، اجتاح الألم

جسدها بأكملها. أجل، كانت يائسة -ذاك الشعور الذي تميزه بسهولة- لكنها أيضًا فكرت في أن اليأس لم يكن سوى نتيجة للحزن والصدمة، وأن عقلها ليس معطوبًا، بل يفكر بوضوح. كانت في حاجة إلى الوصول إلى معالج نفسي -تعرف تلك الحقيقة- لكنها لم تكن قلقة للغاية من أن تثير تلك الأحداث الأخيرة نوبة يأس جديدة، أو ربما نوبة انتحارية. كانت تشعر أنها سليمة العقل.

غطت في نوم عميق طوال الليل، أعمق كثيرًا مما اعتقدت، وعندما بزغ ضوء النهار وأطل من نافذة غرفة النوم، استيقظت من كابوس معقد أبرز ما رآته فيه كان ماثيو. لم يزرها للويد تلك الأيام في أحلامها، لكن ماثيو دائمًا ما يملأ أحلامها. وفي تلك الأحلام، دائمًا ما يأتي ماثيو للبحث عنها، وتظل تسأله ما إن كانوا قد قرروا خروجه من المشفى. لكنه يقول: كلا، هذا أخي الذي يقبع داخل المشفى. دائمًا ما يلتبس الأمر عليكِ بشأننا.

ربما كانت أحلامها هي الدافع، أو ربما كان استيقاظها هذا الصباح بالذات في منزلها القديم هو الدافع، لكنها قررت الاتصال بالمحقق مارتينيز وسألته عما إن كان هناك جديد في القضية.

قال المحقق:

- لن يذهب إلى أي مكان، وسيظل حبيس المشفى لوقتٍ طويل، لن يكون هناك أي محاكمة، ولن تضطري إلى الشهادة.
- هل هذا شيء جيد؟ ربما أود الإدلاء بشهادتي.
- لن تضطري إلى ذلك حقًا هين، إن ماثيو دولامور الآن في المكان الذي كان من المفترض أن يكون فيه.

- أعلم هذا.

- من أين تتصلين بي؟

- المنزل. لقد عدت إلى منزلي في شارع سيكمور. وقضيت ليلتي الأولى هنا الليلة الماضية.

- كيف سار الأمر؟

- ليس سيئاً! راودتني بعض الكوابيس، لكنها دائماً ما تراودني أينما نمت.

- إذا ستبقين في المنزل؟

- أجل! وسأعود إلى المرسوم اليوم لأرى ما سأشعر به، لكن، أجل، أود البقاء إيجي.

- هذا جيد!

تناولت هين تفاحة واحدة في الفطور، ثم وقفت في الشرفة الأمامية لترى الطقس بالخارج. كانت درجة الحرارة في منتصف الأربعين فهرنهايت<sup>(1)</sup>، وسماء ممتلئة بـرَقَعٍ من السحب الرقيقة. وعندما عادت إلى داخل المنزل، سحبت سترة صوفية سميكة ذات رقبة طويلة، ثم وضعت كنزتها الجينز القديمة، تلك الكنزة مهترئة الياقة التي كانت ترتديها في آخر مرة ذهبت إلى مرسومها. كانت تُحضر دفتر رسمها عندما ظهر فينجر من القبو. التقطته من الأرض وحملته لبرهة، إلا أنه أجابها بالمواء -مواء الاعتراض- فأجابته أنه لم يبقَ سوانا الآن، وأننا قد عدنا إلى المنزل.

---

(1) مقياس درجة الحرارة المستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية هو «فهرنهايت»، ووفقاً للنص فإن درجة الحرارة تقع بين أربع وخمس درجات مئوية. (المترجم)

كان يوماً دراسياً، وكان شارع سيكمور هادئاً ومعظم ممرات السيارات فارغة من مركباتها. أخذت الطريق إلى المرسم سيراً على الرُغم من أنها شعرت بالأعين التي تفتحمها، ومراقبة الجيران لها من وراء الستائر، يتساءلون ما إن كانت هذه هي المرأة المسكينة التي قُتل زوجها على يد المعتوه سيئ السمعة الآن. سواء كانت تخضع للمراقبة أم لا، شعرت بأعين الناس تراقبها. قد يكون ذلك هو الجزء الأصعب الذي ستمر به عند العودة إلى تلك المدينة، لكنه لن يدوم للأبد. لا شيء يدوم للأبد.

بعدما ابتاعت قهوة من متجر ستاربيكس، الذي يقع على بعد مبنيين بعد استوديوهات بلاك بريك، عادت هين أدراجها إلى المبنى ودخلت إلى القبو باتجاه المراسم. كانت الأضواء مشتتة، مما يعني أن هناك شخصاً ما هنا. كانت الفكرة مطمئنة لها على الرُغم من أنها لم تكن في حاجة إلى أي تواصل. وعندما وصلت إلى باب مرسمها، حاولت فتحه أولاً لكنه كان مغلقاً، فاستخدمت المفاتيح التي كانت الشرطة قد أعادتها إليها ودخلت. أشعلت الأضواء، وألقت نظرة سريعة حول الغرفة لترى ما إن كان هناك أي شيء غير مألوف، لكن كل شيء بدا تماماً مثلما تركته آخر مرة غادرت فيها. اتجهت مباشرة نحو الكرسي الذي كانت تجلس عليه عندما احتجزها ماثيو/ريتشارد، عندما اعتقدت أنها ستموت في تلك الغرفة، وتحسسته مسقطاً دفتر رسوماتها على مقعده المنهك. كانت قد قررت بالفعل أنها ستقضي النصف الأول من يومها في تنظيف بعض القمامة من المرسم، وبطريقة ما سيكون أمراً رمزياً. لكنها أرادت أيضاً أن تمارس بعض العمل الجسدي، أن تتحرك قليلاً، قبل أن تعود إلى لوحاتها الفنية. قلبت خلال كومة الاسطوانات المتراكمة إلى جانب مشغل

الموسيقى، وقررت أخيرًا الاستماع إلى أسطوانة *Exile in Guyville*. خفضت من صوت المشغل، ثم ذهبت إلى مؤخرة المرسم، حيث كانت تحتفظ بأجوالٍ من الصناديق التي ظلت متراكمة في موضعها منذ أن انتقلت إلى بلاك بريك في الصيف. كانت بعض الصناديق تعود إلى تلك الحقبة التي قضتها في الجامعة، وكانت قد نوت فحصهم حتى تُلقى بما يمكنها إلقاءه، وأن تضع ما تريد الاحتفاظ به في أحد الصناديق البلاستيكية الجديدة التي ابتاعتها من أجل لوحاتها الفنية القديمة.

سحبت الصندوق العلوي من كومة الصناديق ووضعتة على الأرض، ثم جلست إلى جانبه وبدأت في فرزها. معظم الأشياء التي وجدتتها في الصندوق كانت مطبوعات فاشلة، إما داكنة للغاية أو مضيئة للغاية، أو ببساطة صور لم تنجح فيها. وميزت قطعًا فنية من تلك الحقبة التي كانت تعيش في أثنائها في كامبريدج قبل عدة سنوات. كان بعضها يستحق الاحتفاظ به، وبعضها الآخر وضعتة في تلك الكومة التي ستلقي بها في سلة إعادة التدوير في الطابق الأرضي من المبنى.

كان هناك في قاع الصندوق ورقة من الواضح أنها قد قُطعت من أحد دفاتر رسوماتها. قلبت الورقة وكان هناك رسم بالرصاص كانت قد رسمته لدستين ميلر، قبل أشهر قليلة من مقتله على يد ماثيو دولامور. في تلك اللوحة كان يجلس على حافة فراشه في شقته، رافعًا ذقنه وعينيه ثقيلتي الظل تعلوهما الخيلاء. كانت قد رسمت تلك اللوحة في المرة الوحيدة التي ذهبت فيها إلى شقته. حدث هذا الأمر في أثناء الأسبوع الذي سافر فيه للويد إلى فورت مايرز، برفقة اثنين من أصدقاء المرحلة الثانوية، لحضور بعض من تدريبات ريد سوسكس لفصل الربيع. كانت هين قد ذهبت إلى حانة فيليج، تجلس في إحدى المقصورات برفقة

دفتر رسوماتها، وترتشف شراب البوربون الحامضي وترسم الناس الذين يجلسون في الحانة.

تقرب إليها دستين في أثناء ليلتها الأولى في الحانة، وطلب منها إلقاء نظرة على رسوماتها. كان أصغر منها سنًا، شابًا وسيماً لدرجة تبعث على السخرية، حتى إنها لم تجد انجذابًا لفرط وسامته. لكنها سمحت له بإلقاء نظرة على بعض لوحاتها وأن يبتاع لها شرابًا. عند التفكير فيما حدث في الماضي، كانت هين بالفعل تُعاني نوبة جنونية في ذلك الوقت، وأشعرها اقترابه منها بالإطراء كثيرًا. كان يفيض بذاك النوع من هالة الخير الخضراء، وعندما جلس قبالتها في المقصورة استطاعت أن تستشعر تلك الهالة تسير في عروقتها.

- هل يمكنك أن ترسمي لوحة لي كي أحتفظ بها؟

سألها ذلك في الليلة الثانية التي كانا يتسكعان فيها معًا.

أجابت هين:

- بالطبع.

ثم قلبت دفتر رسوماتها إلى صفحة فارغة.

- كلا، ليس هنا. في منزلي.

- لماذا؟

هكذا سألته هين، بدلًا من أن تسخر منه ببساطة أو ترفض طلبه.

- سيكون أمرًا مميّزًا. من أجلي. هيا، أريد أن أريك المكان الذي

أعيش فيه. أعدك ألا أكون غريب الأطوار.

قالت هين:

- أنتَ بالفعل غريب الأطوار.

لكنها ذهبت معه على أي حال، كان هناك شيءٌ ما لا تفهمه تمامًا يجذبها نحو الذهاب معه. ربما كانت متعة الشروع في شيء ما لا تعلم نتيجته، ربما كانت تتحدى قوة حبها الذي تُكنه نحو اللويد، أو ربما كان شيئًا آخر أقل تعقيدًا مما جال بخاطرها.

لم يكن يسكن في مكانٍ بعيد عن حانة فيليج، وعندما وصلا إلى شقة الطابق الثاني في مبنى فيكتوريان الذي كان قريبًا للغاية من منزل هين، أسرع دستين إلى الداخل أولاً، يُرتب الأشياء بسرعة، ثم جلب بعض الجعة من أجلهما.

سأل دستين:

- أين تريدني أن أجلس؟

أجابت هين:

- في أي مكان.

- ما رأيك إذا جلستُ على حافة سريري ويمكنك أن تجلسي هنا؟

أردف دستين مرشدًا إياها نحو غرفة نومه، ثم أزال ملابسه ووضعها على كرسي خشبي مسنده على شكل حرف T. جلست هين وظلت ترسم لنحو عشرين دقيقة، ثم مزقتها من دفترها وقدمتها إلى دستين. وفكرت في أنها قد ألمت بطبيعته: شبابه الواثق وخطوط وجهه وجلسته وحميمية المكان.

قال دستين:

- لقد أحببتها.

ثم تمايل نحوها بغرابة حتى يقبلها. ضحكت هين، لكنها قبلته أيضًا، مُحدّثة نفسها بأنها تريد أن ترى فقط ما الذي ستشعر به عند الاقتراب من تلك الهالة الخضراء التي تشبه الربيع، وأن ترى ما الذي ستشعر به عندما تكون مرغوبة حقًا، أن يكون جسدها مرغوبًا حقًا، لمرة واحدة فقط. التقطها بين ذراعيه وكورها في سريريه كما لو كان خبيرًا في الأمر، وكانت إحدى يديه الكبيرتين تتسلل بالفعل تحت سترتها.

- دستين!

- أجل.

- أنا متزوجة.

- لقد أخبرتني، ولا أهتم بذلك. هذا مثير.

قالت هين:

- تمهل قليلًا، حسنًا؟ أحتاج إلى الذهاب إلى المرحاض.

كانت بالفعل تحتاج إلى ذلك، لكنها أرادت أيضًا دقيقة لتفكر فيما ستفعل. هل هي حقًا على وشك أن ترتكب هذا الخطأ الفادح؟ هل تريد هذا حقًا؟

قال دستين:

- حسنًا.

وعندما وصلت إلى باب دورة المياه، أضاف:

- لا تغيري رأيك.

وبالفطرة أسرع هين، كان صوته قد تغير تمامًا خلال تلك الكلمات الخمسة الأخيرة، حتى إنها قد فكرت لوهلة أن شخصًا آخر يتحدث من



الغرفة. لكن في الضوء الخافت الوحيد الآتي من المصباح القابع إلى جانب الفراش، استطاعت أن ترى تغير وجهه أيضًا، وبهت البريق في عينيه.

قالت هين:

- سأعود على الفور.

محاولة أن تُبقي على طبيعة صوتها، ثم دخلت إلى المرحاض. ما زال بإمكانها شم رائحة المكان، الشذى والبول البائت. تمكنت من قضاء حاجتها محدثةً نفسها أن تتوقف عن الهلع، وأن تفكر في خطة. لقد ارتكبت خطأً كبيرًا، فلم يكن دستين رجلًا غيبًا شهوانيًا فحسب، لقد كان شيئًا آخر تمامًا. وإذا أخبرته برغبتها في الرحيل، لن يتوانى عن اغتصابها. كانت متأكدة من ذلك، وفكرت في أن تُساير الأمر. أن تُمارس الحب معه ثم تغادر من هنا على قيد الحياة، لكن الفكرة جعلتها تشعر بالغثيان. ما زالت ترتدي ملابسها، ولذلك إن أرادت الخروج من هنا، فيمكنها الخروج من دورة المياه والتوجه مباشرة إلى الباب الأمامي، والركض قبل أن يُمسك بها. لكن دفتر رسوماتها ما زال في الغرفة، وكان التفكير في تركه وراءها شيئًا غير مطروح للنقاش قط. أولاً، كان عنوان منزلها مطبوعًا عليه، وتمتلئ صفحاته برسومات شخصية، حتى إن بعضها كان ينتمي إلى اللويد. ضغطت على المكبس فتدفق الماء في المرحاض، ثم ألقت نظرة على خزانة الدواء، أمله أن تجد شيئًا هناك يمكن أن يكون سلاحًا تلوح به في وجهه، شفرة حلاقة أو ربما عبوة من كريم الحلاقة، لكنها لم تجد شيئًا بدا فعالًا من بعيد.

كان هناك طرق على الباب، وأتى صوت دستين قائلاً:

- أسرعى؛ أريد استخدام المرحاض أيضًا.

ففكرت هين، حانت فرصتي.

خرجت من الحمام. كان واقفًا عاري الصدر، وانزلق من جانبها تاركًا الباب مفتوحًا خلفه. تحركت بأسرع ما يمكنها في غرفة النوم لتجلب دفتر رسوماتها من الكرسي، واللوحة المقطوعة من دفتر الرسومات، والتي تستقر الآن على الأرض، ثم سارت بسرعة عبر غرفة المعيشة إلى الباب الأمامي.

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

عادت نبرة صوته إلى التهديد بينما كانت تُدير مقبض الباب. وللحظة وقفت هين مترددة، وكادت أن تُخبره بأنها تغادر بسبب خوفها السخيف من قلة تهذيبه معها، لكنها استمرت في طريقها على أي حال. أسرعت خطواتها على الدرج، لكنه أمسك بها عند نهايته، والتوت العضلات الملساء من ذراعها العلوي في يديه.

قالت هين:

- سأصرخ، سأصرخ عاليًا.

حرك دستين عينيه سريعًا إلى الباب الجانبي عند نهاية الدرج، الباب الذي يؤدي غالبًا إلى شقة الطابق الأول. فكرت هين أنها قد سمعت صوت تلفازٍ يأتي من الداخل. قالت هين:

- أنا جادةٌ فيما أقول.

فترك ذراعها، ثم نظر مباشرة إليها بعينيه الباهتتين، وقال بصوت

مكتبة

t.me/t\_pdf

رخيم:

- ربما في وقت آخر.

ثم حرك شفتيه بكلمة ساقطة في وجهها. فاندفعت خلال الباب الأمامي إلى هواء الليل الرطب.

أما المرة التالية التي رأته فيها، كان يخرج من منزله محمولاً في حقيبة الجثث.

لم تُخبر للويد قط عمّا حدث، ولم تُخبر الشرطة كذلك. على الرغم من أن شعوراً بالذنب ظل يلاحقها من إخفاء ذلك الأمر عن الشرطة، فربما كانت تلك المعلومات التي تعرفها عن دستين ذات صلة بالقضية. إذا كان ينوي اغتصابها - وبالتأكيد كان ليفعل ذلك - عندئذ ربما قد اغتصب شخصاً آخر من قبل، وإن كان الوضع هكذا، عندئذ قد يُعد هذا دافعاً للجريمة. لكنها لم تذهب إلى الشرطة قط، ولم تستطع حمل نفسها على فعل ذلك، ومع مرور الوقت حدثت نفسها بأن ما حدث في ذلك الأسبوع ربما لم يحدث قط. ولم يكن سوى لحظة من الحمق والفرع التي تود نسيانها أكثر من أي شيء. لكنها لم تستطع نسيان ما حدث، فأفرغت شعورها بالذنب والندم في هوسها بمعرفة القاتل.

ولاحقاً بعدما انتهت المدة التي احتُجزت فيها داخل المشفى وتغيرت طريقة العلاج بالصدمة الكهربائية والعقاقير، ظلت تتساءل أحياناً إن كان كل ما مر هو من صنع خيالها، تلك الليلة السريالية المخيفة برفقة ذاك الشاب في حانة فيليج. أما الآن فقد صارت ذكرى تلك الواقعة أشبه كثيراً بالحلم، عن أن تكون حقيقة من أي نوع. وأحياناً قد تتساءل ما إن كانت قد قتلته أيضاً، لكن تلك الذكرى قد انطمست تماماً.

تقف الآن محدقة إلى اللوحة. وفكرت في أنها صورة لمغتصبٍ شاب، وكادت أن تبتسم. كانت قد نسيت تمامًا أنها قد احتفظت باللوحة، ودفعت بها إلى قاعدة الصندوق بعدما عادت بأمان إلى منزلها تلك الليلة، وجسدها يرتعد من هول الصدمة. لماذا لم تُلقِ باللوحة في القمامة؟ ربما حتى تتمكن الآن، بعد مرور أعوامٍ قليلة عليها، أن تجدها، وأن تُدرك أن ما حدث كان حقيقياً وواقعياً تماماً. مرت بإصبعها فوق خطوط القلم الرصاص على الورقة. كانت التفاصيل التي تكونت منها صورة دستين نفسه واضحة تماماً، أما غرفة النوم حوله فكانت أقل وضوحاً، ولم تكن سوى بضعة خطوط محاولة إظهار الفوضى، وعمق المساحة حوله. وفوق مكتبٍ يقبع في غرفة نومه، كان هناك مجموعة من الأشياء، أغلبها زجاجات عطرية، لكن واحداً من تلك الأشياء قد بدا مبهمًا، إلا أنه كان أشبه بكأس مبارزة، تمثال مبارزٍ شاهراً سيفه. لم يكن قد مر وقتٌ طويل على تلك اللوحة عندما قرر ماثيو مطاردة دستين وقتله، ليأخذ الكأس لنفسه.

بعدما فكرت في الأمر، أدركت هين أنه قبل أن تلتقي به، قبل أن يصيروا جيراناً، كان ماثيو بالفعل جزءاً كبيراً من حياتها. بدا معقولاً لها الآن أنها وماثيو قد تقابلا في نهاية الأمر، على الرغم من أنها تعلم أن الأمر ليس منطقيًا.

وضعت اللوحة على قمة كومة الصور الأخرى التي تخطط لإعادة تدويرها، ثم فكرت ثانية، وأعادتها إلى طاولة الإعداد الخاصة بها، وأمسكت بواحدة من دوايات الحبر، وسكبت الحبر الأسود عليها حتى اختفت الصورة بأكملها، ثم كومتها وألقته بعيدًا.

في الوقت الذي انتهت فيه من تنظيف الصندوق الأخير في تلك الكومة المتراكمة، أدركت هين أنها تستمع إلى «In Spite of Me» التي تُغنيها فرقة مورفين، تلك المقطوعة التي كان يُذيعها مشغل الموسيقى عندما حضر ماثيو/ريتشارد إلى المرسوم. أوقفت ما كانت تفعله، وتجمدت في موضعها لبرهة. فكرت في تغيير الأسطوانة، ثم تركتها تصدح في الأرجاء، وعادت إلى تصنيف لوحاتها. وفكرت في أنها لم تكن سوى موسيقى تشغل الأجواء في خلفية العمل، وربما في وقتٍ قريبٍ جدًا لن تلاحظ تلك الذكرى التي ترتبط بها.

اصحح الرابطا .. انضم إلى مكتبة





## شکر و عرفان

دانيلا بارليت، روبرت بلوش، أنجس كارجيل،  
كاسبين دينيس، تشيستر إريسن، كايڤلين  
هاري، سارا هينري، دايفيد هايفيل، نونالي  
چونسن، چون دي. ماكدونالد، كليو موفيت،  
كريستن بيني، صوفيا بورتاس، نات سوبيل،  
فيرچينيا ستانلي، ساندي فيوليت، چوديث  
ويبر، توم ويكرسهام، آديا رايت، وتشارلن  
سوير.



### بيتر سوانسون

مؤلف رواية "فئة تستحق القتل" التي فازت بجائزة نيو إنجلاند سوسايتي للكتاب في الأدب، نُشرت العديد من قصصه وقصائده في The Atlantic و" The Vocabulary Review"، من بين العديد من المنشورات الأخرى. حصل على درجاته العلمية من كلية ترينيتي، جامعة ماساتشوستس في أميرست، وكلية إمرسون. يعيش سوانسون مع زوجته في سومرفيل، ماساتشوستس، حيث يعمل على إنهاء روايته القادمة.

مكتبة | 813  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

"حقًا! كم هي رواية أسرة لآب!"  
- إنترتينمينت ويكلي.

"كانت كالخنجر ينخر في الأضلع"  
- جو هيل.

"ساحرة ومُشوقة يقشعر لها  
البدن" - لي تشايلد.

"أكثر من مجرد مفاجآت مؤلمة"  
- هافنجتون بوست.

"كم تُعد رواية استثنائية!"  
- بابليشيرز ويلكي (مراجعة مميزة).

"نص حاد الذكاء"  
- سان فرانسيسكو بوك ريفيو.

"تغمرك بقشعريرة لذيدة مثل تلك  
التي تجتاحك عند التفكير في ذلك  
الوحش أسفل الفراش"

- بوكليست (مراجعة مميزة).  
"مفعمة بالمؤامرات والمفاجآت،  
تغمرها النشوة والطمع والخيانة"

- ليبراري جورنال.  
"رحلة تشويقية مثيرة ومتقلبة"

- دينيس ليان.  
"مليئة بالحبكات الملتوية"

- بوسطن جلوب.  
"تذكرنا بثلاثية باتريشيا هايسميث  
المستوحاة من الجنون الثنائي"

- وول ستريت جورنال.  
"عمل استثنائي متقن الكتابة"

- نيلسون ديمايل.  
"رحلة استكشافية فاتنة عن الأوهام  
والخداع؛ على يقين من أنها ستنال  
إعجاب قراء روايات لورا ليبمان  
القائمة بذاتها"

- بوكليست حول  
All the Beautiful Lies



# قبل أن تلقاه

يمتعنا مؤلف "فئة تستحق القتل" -ثقييل الموهبة- بحكاية مثيرة رائعة لزوجة صغيرة رسامة من الضاحية "هين" يلحقها تاريخٌ من عدم الاستقرار النفسي، التي تؤدي مخاوفها نحو جاراها الجديد إلى القتل. هين بعد أعوام مرهقة من المحاولات، استقرت إلى العقاقير الصحيحة للسيطرة على معاناتها مع اضطراب ثنائي القطب. وأخيراً، وجدت بعض الطمأنينة والسلام.

ولكن عندما تتقابل مع الزوجين القاطنين في المنزل المجاور، ينقشع الهدوء الذي يغلف هين عندما تلمح شيئاً مألوماً في غرفة مكتب الزوج. يبدو تمامًا مثل شيء له علاقة بجريمة قتل وقعت منذ أعوام مضت - واحدة من قطع الأدلة القليلة في إحدى القضايا المزعجة والمستعصية. ميزت هين هذا الشيء على الفور، فقد كان هوسها على المدى الطويل بتلك القضية المقيدة ضد مجهول قد سيطر عليها لأعوام - هوساً لم تُعد تتحدث عنه قط، لكنها لم تستطع التخلي عنه أيضًا.

هل يمكن أن يكون جاراها ماثيو قاتلاً؟ أم أنها قد تكون بداية نوبة جنونية أخرى مثل تلك التي عانتها عندما كانت في الجامعة، عندما صارت مستنزفة بذنوب إحدى الصديقات حتى انتهت بها الأمر في إيذاء شخصٍ آخر؟ كلما انشغلت هين بمراقبة ماثيو؛ زادت شكوكها حول تخطيطه لشيء مرعب حقاً، إلا أنه لن يصدقها أحد.

وفي إحدى الليالي، عندما وقفت هين أمام ماثيو وجهًا لوجه في الظلام، أدركت حينها أنه يعرف بمراقبتها له،

وأنها حقًا تطارده. ومن هنا يبدأ الكابوس المرعب بأنها ربما لن تحظى بالفرصة حتى تهرب منه.

